شؤون فلسطينية

١٨

شباط (فبراير) ٩٧٣

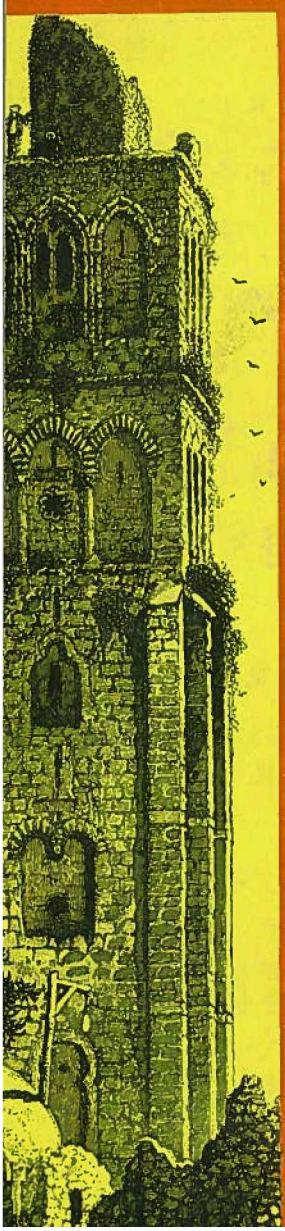

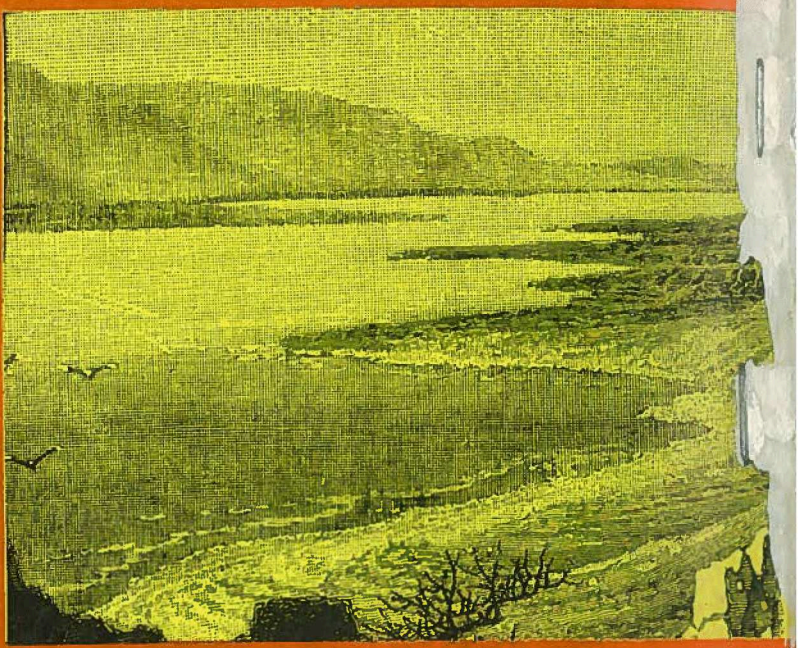

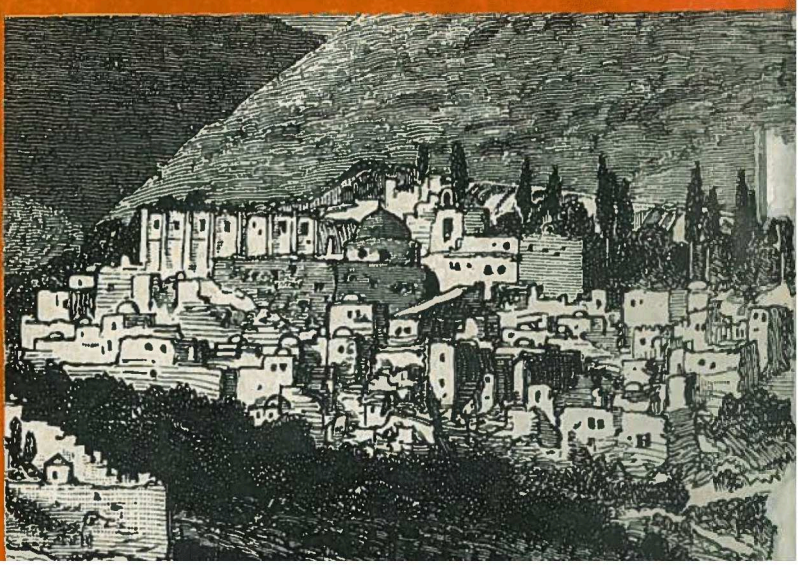

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

١٨ — شبـــاط (فبراير) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعـــالجة احداث القضية الفلسطينية وشـــؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحـــاث في منظمـــة التحرير الفلســـطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقـــدم الهيثم الايـــوبي ، بـــلال الحســـن ،
د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ،
د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ،
ناجـــي علوش ، حبيب قهوجـــي ، د. محمد المجذوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنـــا ميخائيـــل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بنايـــة الدكتـــور راجي نصر ، شـــارع كولومبـــاني
(متفرع مـــن الســـادات) ، راس بـــيروت ، بـــيروت ـــ لبنـــان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

اعتبارا من ١٩٧٣/٣/١ ولمدة سنة

ثمن العـــدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٥ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٨٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

ملاحظة : الدولار الاميركي يساوي ٣ ل.ل.

صور الغلاف : (١) برج مدينة الرملة ، (٢) جنوب البحر الميت ، (٣) بلدة عين كارم .

المحتويـــات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ .

٥ **محمود الهمشري : شهيد القرية الفلسطينية** ، داود تلحمي .

٦ **التطورات السياسية والعسكرية لقضية الشرق العربي بعد عدوان حزيران ١٩٦٧** ، أكرم ديري .

٢٤ **الفلسطينيون والاونروا** ، مجموعة بحث ميداني .

٤٠ **اسرائيل والعمليات الخارجية للمقاومة** ، شحادة موسى .

٥٨ **تحليل اجتماعي للتكييف الايديولوجي بواسطة وسائل الاعلام**، ج. مونكراو وابن الاشقر .

٧٣ **المجالس الوطنية الفلسطينية والوحدة الوطنية الفلسطينية** ، د. سعيد حمود .

٩١ **بناء امبريالية جديدة : اسرائيل والضفة الغربية** ، شيلا ريان .

١٠١ **اسرائيل واوغنده** ، محمد نعمان كنفاني .

١١٤ **اسرائيل وتشاد : نحو سياسة عربية جديدة في افريقيه** ، محمود فلاحة .

١٢٥ **خمسون سنة من المقاومة (١٩١٧ — ١٩٦٧) في الفولكلور الفلسطيني** ، نمر سرحان .

١٥٠ **الشهيد محمود الهمشري : مثقف ثوري ممارس من طولكرم** ، زياد عبد الفتاح .

١٥٥ **مراجعات** : التعاون العربي والسياسة البترولية، قسم البحوث والمعلومات في ادارة الاعلام ، جامعة الدول العربية . وضوح ، رشـــاد الشامي . معاداة الشيوعية مهنة الصهيونية ، أ. ن. سعد . الانتحار الاميركي ، ماجد نعمه . اليهود لا يكرهون ، ف. المنصور . الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ ، فوزي تيم .

١٧٠ **رسائل اعلامية من اوروبا الشرقية** ، اللقاء العالمي للشباب في موســكو (١٠ — ١٥/١١/١٩٧٢) يونس الكتري . مناقشات فلسطينية في بلغاريا ، الياس سحاب . المؤتمر الصحي السادس في صوفيا ، ب. ق. مناقشات فلسطينية في موسكو ، زياد عبد الفتاح .

١٨٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن . ملاحظات عامة حول المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الحادية عشرة في القاهرة ، س. ح. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم . (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب. جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٣/١٢/٧٢ — ١٢/١/٧٣ ، غـــازي خورشيد .

٢٠٥ **اسرائيليات** ، عماد شقور .

٢١٩ **توضيح من الدكتور محجوب عمر حول مقاله في العدد الماضي .**

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

بهذا العدد تختتم « شؤون فلسطينية » سنتين من مسيرتها في خدمة فلسطين ، بلدا وشعبا وحقا وثورة ، وتقف على عتبة عام ثالث ، تتابع فيه المسيرة ذاتها وانما بالمزيد من الخبرة والتجربة . وتعني السنتان في حياة هذه المجلة ثمانية عشر عددا ، أي اربعة آلاف وسبعمئة صفحة من المعالجات الفلسطينية ، السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية والادبية والفنية ، اشترك بكتابتها مئتان وخمسة واربعون كاتبا عربيا واجنبيا . وتعني السنتان قفزا بالتوزيع يزيد على ثلاثة أضعاف ما كان عليه عند صدور العدد الاول في مارس ١٩٧١ . وتعني السنتان ، ايضا ، وجودا وامتدادا مكّنا المجلة من ان تصبح ضرورة اساسية للمثقف العربي الملتزم . ولكن هذا كله ، على ما فيه من معاني النجاح ، ما هو الا حافز للمجلة لكي تعطي أكثر وأفضل مما أعطت ، ولكي تخدم، في عامها المقبل وما نرجو ان تتلوه من أعوام ، خدمات أكبر . وحتى تستطيع ان تفعل ذلك تناشد المجلة قراءها ، وهم مقياس نجاحها ، ان يغذوها بملاحظاتهم وباقتراحاتهم وبتوجيهاتهم . فاننا نود كثيرا ان نعرف ما هي رغباتهم في مجلة مثل « شؤون فلسطينية » . ولعل فهارس السنتين الاوليين التي سنوزعها مع العدد القادم (شاملة المواضيع والكتّاب) تساعد قراءنا على أخذ فكرة مفصلة عن محاولات المجلة معالجة أوسع مجال من المواضيع والقضايا بأكبر عدد ممكن من الاقلام. ولكن الفهارس تساعد، من الجهة الاخرى ، على ملاحظة الضعفات والنواقص ، خاصة من حيث وجود مواضيع تهم القارىء ولكن المجلة لم تكتب بها كفاية ، أو وجود كتّاب يود القارىء ان يقرأ لهم على صفحات مجلتنا التي لم تستكتبهم بعد لسبب او لآخر .

ان السنتين في عمر مجلتنا قصيرتان اذا ما قيستا بالنسبة الى ما نود ان نحققه او بالنسبة الى ما يريدنا القارىء ان نحققه . وما الانتاج الذي تم خلالهما الا عطاء بسيط تزداد فاعليته باستمراره وبنموه في خدمة فلسطين — وفلسطين ، على كل حال ، تحتاج الى أكثر ، وتستحق أكثر . هذه الحقيقة ، وحدها ، تجعلنا نتخطى المصاعب والعراقيل التي تواجهنا مصممين على الاستمرار وعلى النمو مهما كانت التحديات .

محمود الهمشري :
شهيد القرية الفلسطينية

كانت تراوده بين حين وآخر فكرة الموت ، وكان يرى نفسه احيانا في الحلم ملقى بلا رمق فوق احدى تلال فلسطين ...

ولم يمت في فلسطين ...

ومات بعيدا عن فلسطين ...

ولكنه مات من أجل فلسطين وباسم فلسطين

قتلوه كما قتلوا وائل وكما قتلوا ألف وائل ومحمود قبلهما لانهما من فلسطين بكل ما غدت تحمل هذه الكلمة الدامية من تحديات ومسؤولية .

كان وائل ابن المدينة الفلسطينية (نابلس) المثقف والمتصوف

وكان محمود ابن القرية الفلسطينية (ام خالد) الطيب والمندفع

ووائل ومحمود هما شعب فلسطين ...

وكل شعب فلسطين وائل ومحمود

فليعلم ياريف ودايان وأسيادهما في واشنطن و وول ستريت ان ايديهم ان امتدت الى حياة مناضل على أرض الوطن أو خارجه ، ونفاثاتهم ان سحقت بنابالمها مئات الاطفال والعزل من فلسطين أو أقطار عربية أخرى فلن تنال من ايماننا بعدالة نضالنا ولن تقوى على عزمنا في رفض الخضوع للمنطق البوليسي للتاريخ .

وليعلموا ، ان كل طفل منا يلد اليوم أكثر حقدا واصرارا على المضي في التحدي من وليد الامس .

وليعلموا ، وان لم يفهموا ، بأن اليوم ليس بعيدا الذي فيه سترتد بنادق الذين خدعوا يوما بأسطورة وحدة الشعب اليهودي لتتجه مع بنادق ثوار العرب والعالم نحو قتلة محمود وكل شهداء ثورات الشعوب .

داود تلحمي

التطورات السياسية والعسكرية لقضية الشرق العربي بعد عدوان حزيران ١٩٦٧

أكرم ديري

تمهيد : لقد استخدمت بداية تعبير قضية الشرق العربي بديلا عن تعبير « ازمة الشرق الاوسط » الذي شاع بعد العدوان على الامة العربية ، ذلك اننا نستخدم هذا التعبير الاستعماري دون تأمل . فالازمة التي نعيشها ليست أزمة الشرق الاوسط بكل ما تعنيه في نظر الاستعماريين ، بل هي أزمة زرع اسرائيل في جسم الوطن العربي وامتداداتها العدوانية على أرضنا ، وخطورة وجودها الاستعماري والاستيطاني وارتباطه العضوي بالامبريالية العالمية واهدافها الاستعمارية . ولقد بدأت « قضية الشرق العربي » منذ بدء الغزو الصهيوني في مطلع القرن الحالي ، وشهدت فترات أزمة حادة وفترات ركود متعاقبة ، وكان آخر الازمات وأخطرها عدوان ١٩٦٧ الذي كان عبارة عن حرب مدروسة على أعلى المستويات السياسية والعسكرية . فهي نموذج مكرر للحرب التقليدية الخاطفة التي تستهدف فرض « الامر الواقع » ، بعد أن يتفوق أحد الخصمين تفوقا تقنيا وعسكريا ملحوظا لتحقيق هدف سياسي في منطقة من المناطق الحساسة في العالم ، وهو واثق من أن تحقيقه لهدفه خلال أسبوع كحد أقصى سيجنبه مخاطر التصعيد النفسي في الرأي العام العالمي . وقد اكتملت عناصر هذه الاستراتيجية بحصول الخصم على « حرية الاجواء » وعلى السيادة الجوية الكاملة ، بعد تحطيم الطائرات العربية وكل وسائل الكشف والاعتراض لدول المواجهة . وهكذا أمكن بواسطة سرعة العدوان شل أي رد فعل دولي من جانب الدول الصديقة للعرب أو الدول المحبة للسلام . وبالمقابل ، اثبتت هذه الحرب على الجانب العربي خطأ كبيرا في الحساب والتقدير ، وتهوينا من قوة العدو ، وعدم قيام أية ردة فعل دفاعية أو هجومية مدروسة . وكان أهم خطأ حدث في هذه المواجهة هو الافتقار الى تقدير صحيح لقوات الخصم ونواياه ، والافتقار الى تصميم سياسي صحيح مبني على دراسة تحليلية لكل العوامل مع تحديد هدف عربي سياسي واضح ، بالاضافة الى تناقض التصميم العسكري مع التصميم السياسي . وقد اتضح هذا التناقض وعدم التوافق والتطابق بعد المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٨ مايو (أيار) عندما أعلن بأن مصر لن تكون البادئة باطلاق النار . وانها ستدافع عن سورية اذا ما قامت اسرائيل بأي هجوم عليها . وكان ميزان القوى الحقيقي يجعل من المفروض على هيئات العمليات في الجيوش المواجهة لاسرائيل ، وعلى الاخص هيئة عمليات الجيش المصري — بعد هذا المؤتمر الصحفي — أن تحتفظ باحتياط استراتيجي هام غرب قناة السويس ، وان تتخذ كل الاحتياطات والتدابير لحماية قواتها الجوية وتوزيعها واخفائها وتمويهها لكي تتقي شر الضربة الاولى لان تلقي الضربة الاولى في أية حرب « تقليدية » سيسبب خسارة كبيرة للجانب المدافع . ولو ان مصر احتفظت باحتياطيها الاستراتيجي على الضفة الغربية للقناة ، ووزعت قواتها

الجوية في حظائر مسلحة ومحمية ومحصنة ، اذن لتغير وجه المعركة عند وصول اسرائيل الى قناة السويس ، التي بلغ عندها الهجوم الاسرائيلي نقطة الذروة ، واعتبارا من هذه النقطة كان زخم الاندفاعة الاسرائيلية قد بدأ في الانحدار ، وكانت القوى الذاتية المادية الاسرائيلية قد بدأت بالاضمحلال والضمور . وكان من الممكن القضاء عليها بهجوم مصري مضاد ، خصوصا وان القوة الجوية الجزائرية كانت قد وصلت مساء يوم ٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

وبالاضافة الى التناقض بين التصميم السياسي والتصميم العسكري العربيين ، فقد لعب في الصراع عامل آخر هو التناقض بين اعدادات العرب واعدادات عدوهم . ففي الوقت الذي كانت فيه الاستراتيجية الاسرائيلية شاملة كل الابعاد السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والدعائية والعسكرية ، كانت الاستراتيجية العربية الشاملة مجرد « تكتيكات » لا رابط بينها ، وافسحت المجال واسعا وفسيحا **لحرية العمل** المتاحة أمام الخصم ، لان وسائله قوية ومعدة بعناية ، وهدفه كبير ، وتمكن من الحصول على النتيجة الحاسمة بتوافق هائل بين العمل العسكري المباشر ، والضغط غير المباشر ، وبسلسلة من الهجمات المتتالية التي استخدمت أسلوب « القضم » المتتالي المستوحى من الاسلوب العسكري النازي .

ومما ساعد اسرائيل على تحقيق هدفها ان العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، الذي انتصرت فيه اسرائيل عسكريا على الجيش المصري في حين حققت الحركة القومية العربية بزعامة عبد الناصر انتصارا سياسيا عليها بمعونة المعسكر التقدمي العالمي ، ودول العالم الثالث ، قد تحول الى انتصار عسكري للجيش المصري بفعل عمل دعائي عربي تضليلي دون أن يلفت النظر الى أن هناك هزيمة لا بد من معالجة أسبابها . وبقيت الامة العربية كلها بتأثير الدعاية العربية الخاطئة والمضللة تتصور انها انتصرت عسكريا على عدوان اسرائيل وعدوان دولتين كبيرتين هما بريطانيا وفرنسا . ولما توتر الوضع في عام ١٩٦٧ تصور الجميع ان اسرائيل التي لم تكن قادرة على الهجوم وحدها دون تغطية بحرية وجوية في عام ١٩٥٦ ، لن تكون قادرة على الهجوم في عام ١٩٦٧ وحدها ضد مصر ، أكبر طاقة عربية سياسية واقتصادية وعسكرية وبشرية . واننا نعتقد ان هذه الخطيئة « السيكولوجية » الكبرى هي التي خلقت نوعا من الاطمئنان والاستسلام الى ان اسرائيل لن تجرؤ على الهجوم . وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد أهدى انتصاره السياسي خلال العدوان الثلاثي الى الجيش المصري ، وكرر في خطابات متعددة موجهة الى الشعب العربي أن اسرائيل لم تتمكن من خرق الجبهة المصرية مع ان قوات الجيش المصري في ذلك الوقت كانت قوات قليلة . وهكذا تركز في اذهان كثيرين من القادة العسكريين العرب ، أن الهزيمة حتى ولو وقعت ، فستتحول بعبقرية « عبد الناصر » السياسية الى انتصار . الا ان هذه المعجزة التي حدثت في عام ١٩٥٦ لم تقع في عام ١٩٦٧ لان المسرح العالمي شهد متغيرات دولية لم توضع في التقدير والحساب ، ولأن اسرائيل أعدت نفسها لمعركة تخوضها — في المسرح العملياتي — وحدها وبقواها الذاتية مع تغطية الامبريالية لها على المسرحين السياسي والاستراتيجي .

ولقد وضعت اسرائيل في اعتبارها قبل بدء العمليات كل العوامل الدولية المحيطة بالصراع العربي — الاسرائيلي . فباحتلالها لما تبقى من فلسطين بحدودها الدولية المصطنعة ولجزء من الاراضي العربية فانها تعزز موقفها العسكري ، وتحقق هدفها السياسي ، حتى ان عامل الزمن ذاته والذي ادعى البعض بأنه لصالح العرب قد غدا عاملا من العوامل التي تعمل لمصلحتها في تعزيز احتلالها للارض ، واستيطانها ، وتحصينها ، ودفع أي هجوم عن مواقعها الحيوية في الداخل . ولو كنا أقوياء بما فيه

الكفاية ، لقلبنا هذا الاحتلال لصالحنا ، ولكن أمد احتـــلال الارض قد طـــال اكثر مما ينبغي لتحقيق نتيجة حاسمة من وراء استعدادنا العسكري التقليدي . وفي الوقت الذي تمارس فيه اسرائيل استراتيجية الوقفات القصيرة ، والمراحل الوسيطة التي تشبه الى حد كبير ما فعله الرومان في حروبهم ، يمارس العرب استراتيجية الجمود التام وتفجير النزاعات الداخلية وعمليـــات التمزيق المستمرة . وهكذا فان الاراضي العربية المحتلة أضحت قاعدة عمليات جديدة لاسرائيل ، وتجديدا وشحذا لقوتها .

ان هدف اسرائيل السياسي كما ادعت عند عدوانها هو فك الحصار عن خليج العقبة ، الرئة الثانية التي تتنفس منها اسرائيل ، ودفع القوات المصرية والسورية والاردنية بعيدا عن مناطقها الحيوية لانها تشكل خطرا عليها ، ولكنها لم تطالب بمفاوضات مع الدول العربية لتخطيط حدود جديدة في ذلك الوقت ، كما انهـــا لم تعلن بأن حربها تستهدف تحقيق هذا الهدف . وترى حكوماتنا وأجهزتها بعد حرب ١٩٦٧ أننا انتصرنا سياسيا لاننا رفضنا الاعتراف بدولة اسرائيل رغم احتلالها لجزء من أراضينا . فهل هذا هو فعلا هدفنا السياسي ؟ . أما اسرائيل فانها قد حققت هدفها السياسي من وجهة نظرها ، فهي لا يهمها أبدا في الوقت الحاضر جر العرب الى مائدة المفاوضات ما دامت تعيش في أمان داخل حدودها الجديدة وتواصل عدوانهـــا على كل الارض العربية دون أن تتلقى أي رد اليم . ان اسرائيل قد حققت بعد عدوانها عام ١٩٦٧ ما لم تكن تحلم بتحقيقه خلال عشرين عاما . فقد احتلت هضبة الجولان السورية التي تعتبر خط الدفاع الاول عن دمشق . واحتلت اسرائيل الضفة الغربية من الاردن ، التي كانت تشكل مقتلا لاسرائيل ، وجيبا عربيا مغروزا في لحمها . واحتلت سيناء وهذا هو الاهم ، رغم ما يروجه البعض من أنه لا أهمية لسيناء ، ولا مطمح لاسرائيل فيها . ان اسرائيل بوصولها الى الضفة الآسيوية من قناة السويس ، وباحتلالها لخليج العقبة تشكل بوضعها الحالي حاملة طائرات تستطيع أن توجه حممها وقنابلها وجنودها الى شواطىء البحر الاحمر ، والى كل الاعماق المصرية . وهي بما حققته من توسع على حساب ثلاث دول عربيـــة تشكل خطرا لا يعادلـــه ولا يوازيه خطر المفاوضات المباشرة الذي تحاول بعض الحكومات العربية استخدامه كدليل على صمودها .

آثار العدوان الاسرائيلي ونتائجه على الوضع العربي العام : ١ ـــ ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان امريكا هي العدو الاستراتيجي الاول للامة العربية . وبفضل هذا الخصم الاستراتيجي ما زال المعتدي يهزأ بكل قرارات الامم المتحدة والمنظمات الدولية . وامريكا ضالعة في العدوان على الامة العربية منطلقة من دوافع امبريالية واضحة . ولقد تزايد هذا العداء منذ العدوان الثلاثي على مصر في عـــام ١٩٥٦ ، بل منذ ان تراجعت عن قرارها بمنح قرض لمصر لبناء السد العالي في ١٩ يوليو (تموز) ١٩٥٦ . وقد أكد فيما بعد آلن دالاس مدير المخابرات الامريكية آنذاك ما يلي : « كانت مصالح المخابرات مطلعة تمام الاطلاع على ما ستفعله اسرائيل علـــى سبيل الاحتمال ، وما ستفعله بريطانيا وفرنسا ..... وأكد الرسميون الامريكيون بأن بلادهم لم تخطر مسبقا بهذه الاعمال . والواقـــع ان مصالح المخابرات الامريكيـــة اطلعت الحكومة الامريكية على الوضع يوما بيوم » (١) . كما ان الاسطول السادس كان موجودا في مياه قبرص وفي منطقة البحر الابيض المتوسط وعلى الشواطىء الاسرائيلية . ولا يعقل أن تخفى عليه تحركات الاساطيل الجوية والبحرية لدولتين من حلفائه في حلف الاطلنطي وهو يسيطر سيطرة كاملة على أجواء المتوسط ومياهه ، ويملك أحدث أجهزة الكشف والانذار . لقد تظاهرت امريكـــا بمعارضتها للعدوان كمـــا اثبت فيما بعد الجزء من المذكرات التي نشرها هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيـــا الاسبق تحت عنوان

---

١ ـــ **اسرار الحروب** ـــ البرت غوردن ـــ دار البلاغ ـــ تحت الطبع .

« وسط العاصفة » (١) . وبرزت بعد العدوان الثلاثي نظرية ملء الفراغ التي سميت بمبدأ ايزنهاور ، الا ان هذا المشروع اخفق عندما تصدت له مصر وسورية .

ولما وجدت امريكا انها غير قادرة على ايقاف المد الوحدوي التقدمي في المنطقة العربية دفعت حلفاءها في حلف الاطلنطي الى تسليح اسرائيل ودعمها « فكانت صفقة الاسلحة السرية لالمانيا التي تعتبر اكبر حدث سياسي في العلاقات العربية ــ الغربية بعد حرب السويس ، كما كانت أكبر فضيحة للغرب بعد فضيحة التآمر في تلك الحرب » (٢) . ثم تلا هذا مباشرة اتفاقية التعويضات الالمانية لاسرائيل ، ومساعدات المانيا لاسرائيل في البحوث العلمية ، وفي المجالات النووية والكيميائية والبيولوجية . وحقق العرب نصرا معنويا في معركة صفقات السلاح السرية ربما نسيه كثير من العرب اليوم .

الا أن امريكا تمكنت من دفع فرنسا لتسليح اسرائيل ، وانشاء علاقات تعاون بينها وبين اسرائيل ، وتلقت اسرائيل الطائرات وكثيرا من الاسلحة من فرنسا ، وتعاونت معها في كل المجالات . وعندما خرجت فرنسا من دائرة النفوذ الامريكي في عهد الجنرال شارل ديغول اضطرت امريكا الى القيام بدور سافر في تسليح اسرائيل وتقديم كل المعونات اللازمة لها . كما ان نجاح الحزب الاشتراكي في المانيا الغربية اضطر امريكا أيضا الى كشف القناع الذي كان يغطيها أمام العرب ، ودعم اسرائيل علانية بالمال والسلاح . وما سيل التصريحات الامريكية المتتالية عن ضمان التوازن في منطقة الشرق الاوسط و « التزام نيكسون من حيث المبدأ » بارسال أي عدد من طائرات الفانتوم « للمحافظة على ميزان القوى في الشرق الاوسط » (٣) ، وما حديث ستيوارت سيمنغتون (ديمقراطي) وهو احد المرشحين السابقين لرئاسة الجمهورية من ان اسرائيل « حاملة طائرات غير قابلة للغرق » وحديثه عن التسهيلات العملية والمادية المعطاة اليها ، ومعونتها بأجهزة الاستكشاف الامريكية وتقديم كل المعونات لتمكينها من صناعة الاسلحة الا دليل مادي على الترابط العضوي الاسرائيلي ــ الامبريالي .

وقد آن الاوان لكي يتفتح العقل العربي ويعي وعيا كاملا ان الولايات المتحدة الامريكية لا تقف هذا الموقف المعادي للعرب بحكم تعداد الناخبين اليهود وأثرهم في السياسة الامريكية ، ونفوذهم وقيمة أصواتهم . ان اليهود الامريكيين يقفون مؤيدين لاسرائيل لانهم منطلقون من موقف وطني امريكي يحافظ على المصالح الامريكية في كل أنحاء العالم . وهو ينطلق من منطق استعماري بكل ما في هذه الكلمة من معنى . ويستمد هذا الموقف الامريكي الداخلي قوته من قيمة اسرائيل ذاتها أيضا كأداة قمع للشعوب العربية اذ اثبتت حتى الآن انها قادرة على القيام بهذا الدور كلما تأزم الموقف بينها وبين العرب ، أو بين بعض العرب والامريكيين . وان من مصلحة العرب أن يكفوا عن ملاحقة وهم ازالة آثار العدوان بعد الانتخابات الامريكية بحجة ان الرئيس الجديد لن يتخذ أي موقف سياسي قبل كسبه للاصوات اليهودية . ان هذه الاصوات اليهودية الامريكية جزء من الاصوات الامريكية عموما ، والتي ما زالت تعيش بعقلية الحروب الاستعمارية السابقة . ان موقف الناخبين اليهود في امريكا جزء من موقف امريكي عام يرى في اسرائيل قاعدة امامية للامبريالية الامريكية في منطقة الشرق الاوسط ، وفيلقا متقدما لحماية مصالحها . والدليل على هذا تلك التصريحات الاخيرة التي صدرت عن بعض القادة العسكريين الاسرائيليين التي تهدد بضرب المنشآت

---

١ ــ صحيفتا **الاهرام والاخبار** بتاريخ ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ .

٢ ــ **المساعدات العسكرية الالمانية لاسرائيل** ــ العميد الركن حسن مصطفى ــ ص ٥ ، دار الطليعة .

٣ ــ حديث الاحد ــ الاستاذ احمد بهاء الدين ــ **الاهرام** ١٣ فبراير (شباط) ١٩٧٢ .

البترولية العربية . ولو فهم العرب ماذا يعني هـذا التهديد لعرفوا كيف يستثمرونه ويستغلونه . فهناك اتجاه عربي عام للتعامل مع أوروبا الغربية ، وتطمينها بأن الدول العربية لن تقطع البترول عنها نكاية بأمريكا . وهذا التلويح بالتهديد الاسرائيلي هو هجوم غير مباشر على أوروبا التي تحاول أن يكون لها موقف سياسي من العدوان الاسرائيلي حفاظا على مصالحها الاقتصادية والسياسية مع الوطن العربي .

٢ ـ العدو الميداني هو اسرائيل والصهيونية العالمية ، واسرائيل قاعدة أمامية مفتوحة على البحر الابيض المتوسط ، وعلى الاسطول السادس ، تدعمها الامبريالية الامريكية في منطقة الشرق العربي ولهما استراتيجيـة واحدة . وان « ظروف تكوين اسرائيل والسياسة التي انتهجتهـا منذ تأسيسها تشكل منهـا دولة استعمارية محكوما عليها بانتهاج مسلك عدواني توسعي (واستيطاني) ، أي بأن تكون اداة في أيدي الدول الاستعمارية الكبيرة وعلى رأسها الاستعمار الامريكي . »(١)

ان سلوك اسرائيل العدواني منذ تأسيس اولى المستعمرات العسكرية الزراعية في فلسطين وحتى هذا التاريخ يثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن السلم لا يمكن أن يستتب ويسود بين أمة اغتصبت اراضيها وبين مجموعة من الغزاة أقامت على هذه الاراضي المغتصبة . ومن هنا فان التناقض بـين الوجود الصهيوني والوجود العربي تناقض أساسي لا يمكن أن يزول الا بزوال سبب الصراع وسيطرة أحد الطرفين . ان اسرائيل في وضعها الحالي تطالب بأرض الآبـاء والاجداد . ولهذا فان أي حل سلمي معها سيؤدي الى تهيئة صدام دموي معها ، مهما طالت مدة اعداده أو قصرت . واسرائيل في سلوكها السياسي ، ترتبط بالحرب دوما ، وتعتبر الابادة المبدأ الاول لها . وتهدف الابادة الشاملة في نظرها الى انهاء كل مطالبة بالارض « بالقضاء على المطالبين » . ولهذا فان أي سلم معها لا يمكن أن يكون مصدر هدوء للعرب اينما كانوا ، « انه سلم تمور فيه الاشباح والمخاوف . » انه سلم كسلم ديموقلس مليء بالوعيد والرعب . ولا يتم بناء السلم مع اسرائيل الا بنزع ظاهرة العدوان منها . ولن نستطيع نزع ظاهرة هذا العدوان الا بازالة اسباب التناقض الاساسية التي تولد الحرب عاجلا أم آجلا . ان وجود اسرائيل في حد ذاته هو ظاهرة حرب مفروضة علينـا ، وعلى ابنائنا من بعدنا . ولا يمكن اقامة سلم معها الا استنادا الى حق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه والمحافظة على عروبة هذا القطر . وقد فشلت كـل المعاهدات السلمية عبر التاريخ رغم استنادها الى دعائم اجتماعية وحقوقية اذ لا بد من تحديد « سبب النزاع » واستئصال الروح العدوانية بالقضاء على الروح الفاشيستية العنصرية الاسرائيلية . ولقد حاول الزعماء عبر التاريخ وحتى يومنا هذا صيانة السلم والحفاظ عليه . كما حاولوا تأخير موعد النزاعات الدموية ، باستخدام القوى المعطلـة أو باللجوء الى المهدئات . ولكنهم لم ينجحوا الا في تأخير موعد النزاع . ثم نشبت الحرب بعد أن زادت الضغوط خـلال فترات السلم والهدوء ، واختل التوازن الى حد كبير فأصبح الانفجار أقوى واعنف داخليا وخارجيا .

ان هدف السلم بالنسبة لاسرائيل هو التحكم بمصائر العرب ومستقبلهم واخضاعهم . وان سلما مع اسرائيل تهدر فيه حقوق شعب فلسطين في أرضه وتقرير مصيره بنفسه تعسف وظلم . ولكن هذا الظلم لا يمكن أن يدوم فلقد اثبت التاريخ أن الامم الحية لا بد وان تمتص صدمة العدوان الاولى وتعبىء قواها لدحر المعتدين مهما كبرت التضحيات . « ان غازيا شرها وظالما يخضع أمة من الامم ، ويفرض عليها قبول شروط قاسية ، ومخجلة ، وثقيلة ، فان الضرورة تضطرها الى الخضوع . غير ان هذا الهدوء الظاهر

---

١ ـ شارل بتلهايم ـ الطليعة ـ عدد سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ ـ القاهرة .

لا يعتبر سلما : انه ظلم تعانيه ، على حين تفتقر الى الوسائل التي تسمح لها بالتخلص منه ، وسيهب الرجال الاقوياء لدى أول فرصة ملائمة ضده » . (أمريخ دوفاتيل)

التصدي العربي بعد ٦٧ وحرب الاستنزاف : ما أن انتهى عدوان يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بقرار وقف اطلاق النار في ٨ يونيو (حزيران) حتى هبت الجماهير العربية من المحيط الى الخليج في يوم ٩ و ١٠ من الشهر ذاته تعلن تصميمها على مواصلة النضال والكفاح المسلح . وقد أثبتت جماهير الامة العربية في هذه الهبة انها لن ترضى بديلا عن متابعة المعركة وانها مستعدة للبذل والفداء مهما كان الثمن . وكانت دول المواجهة قد خرجت محطمة من الحرب الخاطفة . ولهذا بدأت مصر وسورية بتنفيذ خطة اعادة بناء القوات المسلحة بمعونة الاتحاد السوفييتي . وسارت خطة اعادة البناء العسكري مع خطة اعادة البناء السياسي في خطين متوازيين : ١ ــ الخط السياسي ولا سيما في مضمار الدبلوماسية باعتبارها مظهرا يعبر عن السياسة . ٢ ــ الخط العسكري باعتباره تجسيدا للتصميم السياسي على متابعة الكفاح .

اما ما يتعلق بالخط السياسي : فقد بدأ بمؤتمر وزراء الخارجية في الكويت اثر الهزيمة مباشرة . وكان الهدف الاساسي المعلن لهذا الاجتماع هو تنظيم الخطة التي ينبغي ان تتبعها الدول العربية في مداولات المنظمة الدولية . وذهب وزراء الخارجية العرب لحضور الدورة الطارئة لمنظمة الامم المتحدة ، وعكفت جهودهم على محاولة فضح العدوان وكشفه للرأي العام العربي . ثم عقد مؤتمر القمة في الخرطوم تحت لواء التضامن العربي من أجل ازالة آثار العدوان(١) ولم تتخذ في هذا المؤتمر أية قرارات فعالة أو ايجابية تحاول ان تجتث النكسة من جذورها وتعالج أسبابها الحقيقية . وقد اتخذت في هذا المؤتمر التدابير الكفيلة بالصمود أمام العدوان ، وهكذا كانت قرارات المؤتمر التي أعلنت للجماهير العربية .

وبدأت مصر تقود نضال الامة العربية سياسيا من خلال **العمل الدبلوماسي** ، اذ أخذت تتحرك في هذا المجال ضمن نطاق الامم المتحدة وخارجها . وهنا لا بد من التأكيد من ان العمل الدبلوماسي العربي الذي مارسته مصر كان عملا دؤوبا ومتواصلا . فلا يمكن في هذا العصر اهمال أثر الرأي العام العالمي ، ودور المنظمات الدولية ، وهو ما يسمى في التقنية السياسية والاستراتيجية **المناورة الخارجية** وهي المناورة التي ربحتها اسرائيل قبل أن تبدأ حربها في يونيو (حزيران) على صعيد الرأي العام العالمي . وساعد على ذلك الرواسب الموجودة في العقل الغربي ضد العرب منذ الفتح الاسلامي وحتى الحروب الصليبية وحروب التحرير واستقلال الدول العربية وتحررها من الاستعمار الغربي . ومن هذه الزاوية تمكنت الدبلوماسية العربية ، والمصرية بشكل خاص من فضح هذه الاسطورة وخاصة عندما تأزم الوضع في جبهة قناة السويس ، وشنت اسرائيل حربها التدميرية ضد مدن القناة وضد المنشآت الصناعية . وتمكنت هذه الدبلوماسية النشطة التي تحركت في كل انحاء العالم ، مدعومة بالاتحاد السوفييتي والدول المحبة للسلام من الحصول على قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . واستمرت الدبلوماسية المصرية في عملها السياسي لتكسب الرأي العام العالمي في كل ما يتعلق بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ وسار الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الخط عندما قبل مشروع روجرز لحل الازمة . وتبدى موقف امريكا السافر المعادي للعرب بعد قبول هذا المشروع ، وظهر أنه لا يعدو كونه مناورة من مناورات الامبريالية الامريكية .

مما لا شك فيه ان قبول مصر التسوية السلمية لآثار العدوان مع تحفظاتها بشأن

---

٦ ــ **حوار واسرار مع الملوك والرؤساء** ــ أحمد الشقيري ــ دار العودة ــ بيروت ــ ص ٢٢٣ .

انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية كان نتيجة لمعركة استنزاف متبادلة بين مصر واسرائيل قدمت فيها مصر كثيرا من الضحايا ، وقد كانت صفحة البلاد المصرية كلها ومؤخرات القوات المسلحة المصرية معرضة لغارات الاعماق ، وللانزال الجوي نظرا للتفوق الجوي الاسرائيلي . وأتاح مشروع روجرز لمصر استراحة وسط حرب الاستنزاف تم خلالها وفي فترة قصيرة جدا من الزمن بناء شبكة قواعد الدفاع الجوي القادرة على تأمين الدفاع الجوي عن البلاد . ومن ناحية أخرى كشف قبول هذه التسوية الموقف الامريكي السافر المؤيد لاسرائيل ، والتسليح الامريكي الكثيف ، وأهداف امريكا المعادية للعرب على طول الخط . بيد ان قبول مشروع روجرز دون اتفاق مع الدول العربية والمقاومة الفلسطينية أحدث انشقاقا في صفوف الدول العربية وجزأ الرأي العام العربي الى مؤيد ومعارض ، وأفسح المجال رحبا وفسيحا للملك حسين لتصفية المقاومة الفلسطينية على الارض الاردنية . كما ان قبول المشروع وقبول تمديد وقف اطلاق النار فيما بعد أوقف حرب الاستنزاف التي بلغت قمتها في فترة تساقط الطائرات الاسرائيلية بأعداد كبيرة من ٦/٣٠ وحتى ١٩٧٠/٧/٢٠ ، والتي كانت قد بدأت تتطور لمصلحة دولتي المواجهة الاساسيتين .

ثم قبل الرئيس محمد أنور السادات بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فتح قناة السويس كحل جزئي مرتبط بتوقيت زمني لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تاريخ ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ . وكانت امريكا في هذا الوقت تغذي اسرائيل بسيل من طائرات الفانتوم (ذات مدى العمل الطويل) والسكاي هوك القادرة على ادراك الاعماق المصرية وضرب كل مؤخرات الجبهة وراء قناة السويس ، وتزودها بأحدث الاجهزة الاليكترونية وبالمتطوعين الامريكيين ذوي الولاء المزدوج (لاسرائيل ولامريكا) .

وكان من أهم ما حدث في هذه الفترة قيام حركتي السودان وليبيا ، اللتين اعطتا لمصر عمقا جغرافيا واستراتيجيا امام الهجمة الصهيونية والامبريالية . وبعد تعثر حركة السودان ، تعتبر الحركة الليبية — ذات الايديولوجية التحررية الوطنية — انجازا عربيا يمنح القوى المعادية للصهيونية دفعا وزخما هائلين على الصعيد السياسي والاستراتيجي .

وهكذا بوسعنا أن نلخص التطورات الهامة على الصعيد الدولي والعربي بما يلي : ١ — كسب قطاعات هامة من الحركات التقدمية العالمية لصالح القضية الفلسطينية وبروز رأي عام أوروبي لصالحها . ٢ — انبثاق المقاومة الفلسطينية كواقع عربي وكتجسيد لحركة رفض « الامر الواقع » الاسرائيلي . واستمرار الصمود والمقاومة العربية ضد احتلال الارض العربية هو أمر لم يحدث في عام ١٩٤٨ .

وفي المجال الوطني الداخلي تحققت البدايات التالية التي لا بد من الاستمرار في اعطائها المضمون الحقيقي : ١ — اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي في مصر — بيد ان هذه الخطوة لم تعط أية نتائج مثمرة حتى الآن . ٢ — قيام الجبهة التقدمية في سورية — هذه الخطوة التي ستكون عند تعميقها وتبلورها حقيقة حية تجسد وحدة القوى المكافحة ضد الامبريالية والصهيونية ومن أجل مستقبل أفضل . ٣ — قيام وضع قومي عربي ملائم في ليبيا حقق بعض الانجازات على الصعيد العربي والداخلي . ٤ — قيام اتحاد تعاقدي بين مصر وسورية وليبيا يمكن أن يعتبر الرد العملي على الهزيمة لو تمكنت رئاسته وحكوماته من الاتفاق على ميثاق عمل ثوري واحد ، ووضع سياسة واحدة ، واستراتيجية واحدة تشمل كل الابعاد .

على الصعيد العسكري لم يكن هناك أي تطابق بين عملية البناء العسكري للقوات المسلحة وبين الحركة الدبلوماسية العربية في كل المجالات . واذا كان بعض التطابق

قد حدث حتى منتصف عام ١٩٧٠ ، فان البناء العسكري للقوات المسلحة العربية الذي احرز تقدما ملموسا في المجالين الجوي والبري ، لـم يتوصل حتى الآن الى المستوى الذي يسمح له بتحقيق نصر حاسم على العدو . ومما لا شك فيه ان القوات المسلحة العربية كانت بحاجةالى ثلاث سنوات كاملة لاعادة بناء نفسها، ومع ذلك ما كادتالقوات المصرية تنفض عنها غبار الهزيمة حتى وقفت في معركة رأس العش بتاريخ ٢ و ٣ يوليو (تموز) تواجه القوات المدرعة الاسرائيلية مدعومة بالسلاح الجوي المصري ، فصدت هذا التقدم ، ودمرت هذه القوات .

وكان الوضع العسكري العربي بعـد هزيمة ١٩٦٧ كالتالي : ١ ــ القوات المسلحة المصرية مفككة ومشتتة وقد فقدت أكثر من ٨٠٪ من عتادها ومعداتها . ٢ ــ جبهة قناة السويس مكشوفة والطرق مفتوحة أمام قوات العدو(١) . وينطبق هذا الوضع على القوات المسلحة السورية التي فقدت معدات قوات الجبهة وعتادها وقسما كبيرا من القوة الجوية ، وأصبح الطريق الـى دمشق مفتوحا كمـا أصبحت الجبهة السورية مكشوفة تماما .

وهنا ظهر الموقف المشرف للاتحاد السوفييتي الذي دعم الصمود في مصر وسورية ، ولا نجد كلمات ابلغ من الكلمات التي قالها الاستاذ محمد حسنين هيكل في مقاله الاسبوعي بتاريخ ١٩٦٩/٩/٢٦ يصور هذا الموقف الصديق : « لاسابيع متصلة في النصف الثاني من شهر يونيو ، وطوال شهر يوليو سنة ١٩٦٧ ــ فان الاتحاد السوفييتي أقام جسرا جويا بين موسكو والقاهرة ، وعلى هـذا الجسر كانت طائرات النقل الضخمة تصل بمعدل طائرة واحدة كل عشر دقائق تحمل من المعدات ما أمكن به بناء خط دفاع مصري في مواجهة العدو الى الضفة الشرقية من قناة السويس . » . وأضاف يقول : « ان جهدا كبيرا فوق ما كان يتصوره احد ، بذل في تلـك الظروف لتعزيز جبهـة القتال اقتصاديا ، وذلك بعمل مركز خلاق في مجالات الزراعة والصناعة والتوجيه الاقتصادي العام . »

وكانت عملية بناء القوة العسكرية تسير جنبا الى جنب مـع عمليات ايجابية كان لها وزنها وأثرها لو انها استمرت وتصاعدت حتى هذا الوقت . ولا مجال هنا لسرد كل العمليات التي قامت بها القوات العربية المسلحـة المصريـة والسوريـة والمقاومة الفلسطينية ، ولكن من المفيد أن نلاحظ « أن هذه العمليات الايجابية تدرجت فبدأت بالعبور لنسف مستودعات الذخيرة والحصول على اسلحة للعدو ورص زرع الالغام على طرق التحرك شرقي القناة وعلـى الشاطىء الشرقي للخليج حتى وصلت الـى الاغارة بقوة كتيبة »(٢) ومن أهم العمليـات التي تمت في ذلك الوقـت اغراق المدمرة ايلات في ٢١ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٧ ، وتعرض مرفأ ايلات لاغـارة بالمغاوير البحريين يوم ١٦ نوفمبر (تشرين الثانـي) ١٩٦٩ وتدمير سفينتين حربيتين . وتمت عملية الهجوم على معسكر مصفق بتاريـخ ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩ ، ووقعت الاغارة البحرية بالمدمرات ليلة ٨/٩ نوفمبر (تشرين الثاني) على رمانـه وبالوظه ، والاغارة بالضفادع البشرية على ميناء ايلات يوم ٥ فبراير (شباط) ١٩٧٠ ، ويوم ١٦ مايو (ايار) ١٩٧٠ . هذا بالاضافة الى كثير من عمليات الاغارات والكمائن والتراشق بنيران المدفعية . وقد قامت القوات الجويـة المصرية بعدد كبير من الطلعات الجوية وقصفت مواقع العدو على الضفة الشرقية للقناة مباشرة وفي العمق ... كما قامت

---

١ ــ **مجلة القوات المسلحة المصرية** ــ ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٠ .

٢ ــ المرجع المذكور سابقا .

بأعمال الاعتراض الجوي لطائرات العدو . واعتباراً من ٦/٣٠ وحتى ٧/٢٠ تم أسقاط ١٣ طائرة منها ٦ طائرات فانتوم واسر ٦ طيارين للعدو(١) .

هذا على الجبهة المصرية ، اما على الجبهة السورية فقد تصاعدت الاعمال الحربية أيضا . وأشارت جريدة جويش اوبزرفر بتاريخ ١٩٧٠/٤/١٠ الى ذلك تقول : « لقد حدث خلال الشهرين الماضيين حوالي ٢٠٠ هجوم وتسلل في مرتفعات الجولان نفذ الكثير منها من قبل القوات السورية النظامية ، ومهما يكن سبب تصعيد الاعمال القتالية فان سورية اعلنت بمباهاة بأنها تقوم بدورها كاملا في معركة الاستنزاف التي أعلنها ناصر » .(٢) وقام الجيش السوري بأفضل أعمال الرد في جبهته عندما احبط بتاريخ ١٩٧٠/٦/٢٦ هجوما قام به العدو ، وشن عليه هجوما معاكسا من المكان ذاته ، وفي الوقت نفسه قام باغارة ناجحة بالقوات المدرعة في قطاع آخر من الجبهة(٣) وشهدت الجبهة السورية قيام اول اغارة جوية قام بها الطيران السوري ضد المواقع الاسرائيلية في الجولان بعد عدوان يونيو (حزيران) بتاريخ ٣١ يوليو (تموز) ١٩٦٩ . وفي ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ جرت فوق سماء دمشق والجبهة السورية معارك جوية بين اسرائيل وسورية اسفرت عن اسقاط طائرتي ميراج . ثم ازداد التوتر على الجبهة السورية في مطلع يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ ، وجرت في ٢ و٨ اشتباكات برية وجوية كان العدو يبغي من ورائها اقناع السوريين «باحترام وقف اطلاق النار والتزام الهدوء» على حين كانت غاية القوات العربية السورية « الرد على الضربة بضربة » و « عدم الخضوع لتهديدات العدو وردعه » الرامية الى اجبار السلطات السورية على شل نشاط المقاومة الفلسطينية في منطقة الجولان وفي عمق الاراضي الفلسطينية المحتلة . ولقد خسر الطرفان في الاشتباكين عددا من المعدات والطائرات ، ولكن الطيران العربي السوري اثبت خلالها كفاءة قتالية ليلية ونهارية اعترف بها العدو ، كما استطاعت القوات البرية السورية الحاق اضرار كبيرة بمواقع العدو ومستوطناته . والاهم من هذا كله هو ان عنف الرد السوري وطبيعته واتساعه يعني انخفاض مستوى الردع الاسرائيلي الى حد قد يجبر الاسرائيليين على التروي قبل اجراء أي تصعيد جديد او على الاضطرار للقيام بعمليات واسعة النطاق لاعادة الردع الى مستوى يعيد الجبهة السورية ــ الاسرائيلية الى « حالة البرودة » .

أما المقاومة الفلسطينية فقد شنت ضد العدو حرب استنزاف من نوع اخر ، وقامت بمعارك مشرفة داخل الاراضي المحتلة ، والحقت بالعدو خسائر مادية ومعنوية بالغة . وكان من الممكن استنزاف العدو بالفعل لو استمرت حرب الاستنزاف النظامية على القناة والجبهة السورية ، مع تصعيد عمليات الاستنزاف بحرب العصابات والحرب السرية داخل الارض المحتلة . ولا تستطيع اسرائيل ــ على حد قول وزير خارجيتها ابا ايبان « تحمل حرب طويلة . ولن نرضى بأن تمتد الحرب بيننا وبين العرب الى مائة عام»(٤) . وهذا يفسر بما لا يدع مجالا للشك سبب العنف في الهجمات الاسرائيلية الاخيرة على الوجود الفدائي في جنوب لبنان ، وعدوانها الجوي على قواعد الفدائيين في فبراير (شباط) من عام ١٩٧٢ واوائل مارس (اذار) . بالاضافة الى اعتداءاتها الاخيرة في سوريا ولبنان .

لقد كانت المعارك البطولية في جبهة قناة السويس التي اشرنا اليها الى ان تم قبول

---

١ ــ المرجع المذكور سابقا .

٢ ــ نقلا عن كتاب : **الكفاح المسلح** ــ اللواء الركن مصطفى طلاس ــ ص ١٩١ .

٣ ــ المرجع المذكور سابقا .

٤ ــ **الصياد** ــ عدد ١٢٩٣ ــ عام ١٩٦٩ ــ مقال العمل الفدائي كما تراه اسرائيل .

مقترحات روجرز تتسم بارتفاع مستواها التكنولوجي . وعندما ستفتح وثائق الطرفين عن هذه الحرب سيظهر واضحا ان اسرائيل استخدمت افضل ما توصلت اليه امريكا في المجال التقني والتكنولوجي ، غير ان الانسان العربي تمكن من الصمود كما تمكن من الردع . ولو أن هذه الحرب قد طالت ، مهما وجهت اسرائيل من غارات الى الاعماق ، لكانت اسرائيل اليوم هي التي تطالب بالمفاوضات وهي المستعدة للانسحاب ، ولولد من هذه الحرب مجتمع عربي جديد يتطلع الى مجتمع السلم المنشود بتفاؤل أكبر .

وقد سادت في الاوساط العربية نظرية تقول بأن حرب الاستنزاف ستكون استنزافا متبادلا اذا ما استمرت ، وان بوسع اسرائيل ضرب الاعماق العربية بواسطة طائرات الفانتوم البعيدة المدى . ولكن لو أن حرب الاستنزاف بدأت بالقوة نفسها من كل الجبهات العربية ، وكان دور المقاومة محددا ومعينا فيها ومرتبطا بمسارح العمليات ، لما كانت هذه الحرب استنزافا متبادلا . فما الذي نخشى عليه في الاعماق لو ان شعبنا سلح ودرب على حماية مؤخراتنا . اننا لا نملك صناعة حربية نخشى عليها ، ولا صناعات متقدمة ، ولا نعتبر من الدول الصناعية التي تضطر الى نقل مصانعها ومؤسساتها الى داخل البلاد واعماقها لاستمرار المجهود الحربي . فمن المعروف اننا نتلقى الدعم والسلاح من الاتحاد السوفييتي ، فاذا وجد حليفنا أن ارادة التصميم لدينا ارادة لا تلين ، واننا حلفاء جديرون باستمرار الدعم أستمر في دعمنا واستمرت مقاومتنا . ان اسرائيل معرضة في أعماقها أكثر منا ، وان الحرب طويلة الامد هي الحرب التي لا طريق امامنا غيرها . فليس في وسعنا حتى الان شن حرب شاملة خاطفة ، فلماذا لا نستمر في اقلاق العدو وازعاجه وتوجيه أكبر الاخطار لمواقعه الحيوية ومؤسساته . وان شرارة واحدة تبدأ في الجبهة المصرية والسورية كافية لاشعال حماسة الشعب العربي من المحيط الى الخليج ليتدفق لهذين البلدين سيل عربي لا ينقطع من العتاد والسلاح والمال والمتطوعين .

ان التعلل بعامل الجغرافيا الذي لا يساعد على قيام حرب شعبية لا سند له خصوصا وان جيوشنا النظامية موجودة وقائمة بالاضافة اليها . وان عدم وجود التضاريس والجبال والكهوف في الارض العربية لا يبرر السكوت على العدوان الى الابد . وان عدم وجود طائرة مقاتلة قاذفة بعيدة المدى تعادل مزاياها مزايا الفانتوم لا يبرر العطالة العسكرية . لقد حارب الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية وهو لا يملك طائرة للقصف الاستراتيجي . وكانت كل قوته الجوية مخصصة للدعم التكتيكي . وقد يرد البعض على هذا بأن الحلفاء تولوا عمليات القصف الاستراتيجي لالمانيا والرد على هؤلاء ان القصف الاستراتيجي لم يحسم المعركة . ولاثبات هذا نقتطف بعض اقوال تشرشل عن الهجوم الجوي : « من غير المنطقي الادعاء بأن الهجوم الجوي سينهي الحرب وحده ... فالاعتياد على الغارات الجوية ومنظومة من الخنادق والملاجىء الجيدة، ورقابة حازمة تقوم بها الشرطة والسلطة العسكرية كافية للمحافظة على سلامة القوة الهجومية والدفاعية لشعب من الشعوب »(١) ولم يصبح الهجوم الجوي ضد المانيا عملية استراتيجية حقا الا عندما وجه ضد منابع الطاقة وضد وسائل التوزيع(٢). ان تنظيم المؤخرات وتعبئة الشعب بكامله وتنظيم الدفاع المدني ، وحصر الاهداف الحيوية في الداخل كاف لتقليل مردود القصف الاستراتيجي وحصره في حدود معينة .

المعنى الاستراتيجي للاتحاد بين مصر وسورية وليبيا كما يجب ان يكون : بتاريخ ٢

---

١ — **ادارة الحرب** — الجنرال فوللر — ص ٤٤٢ — منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
٢ — **المرجع السابق** ، ص ٤٤٨ .

سبتمبر (ايلول) ١٩٧١ قام اتحاد الجمهوريات العربية الذي ضم مصر وسورية وليبيا كخطوة على طريق الوحدة . وكان هذا الاتحاد اول محاولة جادة بعد عدوان ١٩٦٧ كواقع طبيعي على طريق الوحدة العربية الشاملة بالرغم من أن عالمنا المعاصر هو عالم الاحلاف والكتل السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تجاوزت مرحلة القومية (ما فوق القوميات) . ولم يكن هذا الاتحاد الكونفيدرالي اول محاولة لتوحيد الدول العربية. فقد جرت قبله محاولات عدة وسنقتصر بحثنا على الآثار الاستراتيجية للاتحاد كما يجب أن تكون: ١ ــ الاتحاد أو الوحدة ضرورة استراتيجية لمواجهة الصراع العربي ــ الاسرائيلي الامبريالي ، وهو الرد العملي على هزيمة يونيو (حزيران) . ومن المفترض ان سياسة اتحاد الجمهوريات العربية هي ازالة آثار العدوان ، وتحرير فلسطين من العدوان الاسرائيلي الاستيطاني . وبوسع الاتحاد ان يضع لهذا الغرض استراتيجية شاملة ، سياسية واقتصادية ، وعسكرية ، واعلامية . وبوسع هذا الاتحاد بواسطة مجلس رئاسته ان يضع استراتيجيته القريبة المدى وان يحدد مراحلها ، كما ان بوسعه ان يوحد موقفه ازاء قضية الحرب والسلم ، ويوزع الادوار بين اعضائه .

وفي المؤتمر الثاني لمجلس الرئاسة الذي تم في ٢٢ و٢٣ ديسمبر (كانون الاول) تشاور الرؤساء الثلاثة وتدارسوا الوضع العام في الشرق الادنى ، وصدر بيان عن اتفاقهم على مبدأين اساسيين : آ) ضرورة تحرير الاراضي التي احتلتها اسرائيل خلال حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . ب) ضرورة احترام الحقوق القومية للشعب الفلسطيني . وقرر مجلس الرئاسة بالاضافة الى هذا دعم الثورة الفلسطينية .

٢ ــ الاتحاد عامل أساسي في تحقيق التكامل الاقتصادي وتعبئة الطاقات والموارد للاكتفاء الذاتي ولمعركة المصير . ان بوسع مجلس التخطيط والشؤون الاقتصادية تحقيق مشروعات استراتيجية هامة لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الثلاث وخاصة في مجال البترول ، والصناعات المعدنية ، والصناعات الحربية ، والتطوير الزراعي ، واقامة صناعة للالات والجرارات الزراعية ، واعادة التأمين ، وتوحيد النقل البحري ، والجوي ، والتجارة ، والسياحة ، واقامة مشروعات اقتصادية اخرى تشكل دعامة من دعائم الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية .

٣ ــ ان تحقيق الوحدة السياسية يستتبع بالتالي تحقيق الوحدة العسكرية الحقيقية . ان الشكل الذي يتخذه الصراع العربي ــ الاسرائيلي يحتم معالجة امن الدول العربية المواجهة لاسرائيل على أساس قومي لا على أسس اقليمية . ومن المؤكد ان الوحدة على المستوى السياسي والعسكري ضرورية جدا في هذه المرحلة ، وستكون اثرا من آثار هذا الاتحاد بالالزام . ومن المفيد هنا ان نذكر بأن نابليون كان يعتبر وحدة القيادة هي « أولى الضروريات في الحرب » و « ان قائدا سيئا واحدا يقود بمفرده [قائد عام] أفضل من قائدين جيدين » . وان : « لا شيء أكثر أهمية في الحرب من وحدة **القيادة** . وعندما لا نخوض الحرب الا ضد دولة واحدة ، ينبغي ان لا يكون هناك سوى **جيش** واحد ... يقوده قائد واحد » . وقد عبر الجنرال جوفر في الحرب العالمية الاولى عن المعنى ذاته عندما قال في عام ١٩١٥ : « أن وحدة القيادة تفرض ذاتها في كل عمل حربي، لانها تشكل الشرط المطلق للنجاح » . وهناك مبدأ أساسي في اسلوب قيادة العمليات في القوات المسلحة يتمثل **بوحدة الحرب ، ووحدة القيادة التي تديرها(١)** . ويؤكد هذا المبدأ ضرورة وجود مستوى قيادي عال للادارة والقيادة .

ومن الممكن توفير مثل هذا المستوى السياسي القيادي ضمن اطار اتحاد الجمهوريات

---

١ ــ الجنرال دولا شابيل ــ مدير مدرسة الحرب العليا في فرنسا سابقا . **الدفاع الوطني** .

العربية .. ومن الممكن ان تتم اجتماعات دورية لرؤساء الحكومات التي تقبل بقوميـة المعركة ، او ممثلين عنهم تتخذ فيها القرارات المتعلقة بالاستراتيجية العليا ، وتكـون ملزمة لكل الاطراف . وقد اثبت التاريخ ان وجود مثل هذا المستوى السياسي في حالة عدم توفر وحدة سياسية او اتحاد امر ممكن . ففي الاشهر الاولى من الحرب العالمية الاولى كانت تتم مؤتمرات دورية بين رؤساء حكومات الحلفاء وقامت هذه المؤتمـرات بدور الحكومة بالنسبة لكل الاعضاء .

وفي الحرب العالمية الثانية كان رئيسا حكومتي فرنسا وانكلترا يجتمعـان ثم أخـذت الاجتماعات شكل مؤتمرات للثلاثة الكبار (ستالين وروزفلت وتشرشل) . ووصلت انكلترا وامريكا الى قمة التعاون الانكلو سكسوني حتى أنهم استخدموا بعض مواردهم بصورة مشتركة ، وتحملوا الاعباء معا ، وخلقوا مجموعة من الاجهزة المختلطة الدائمة ، كانت قادرة في كل المجالات على اعداد التوجيهات التي وضعتها الحكومتان وتنفيذها. وفي مطلع عام ١٩٣٩ لم تشكل ادارة موحدة للحلفاء على مستوى الحكومات ، غير انهم اكتفوا بوحدة السلطة والقيادة على مسارح العمليات ووزعت بين الحلفاء على الشكل التالي : الفرنسيون على جبهتهم وفي غربي البحر الابيض المتوسط ، والبريطانيون شرقي البحر الابيض المتوسط وفي الشرق الاوسط واسكندينافيا . وعلـى مستوى الادارة العسكرية للحرب ، كان الجنرال ايرونسايد رئيس هيئة الاركان العامة للامبراطورية البريطانية ، والجنرال غورت قائد قوة الغزو على القارة الاوروبية يجتمعان مرارا مع الجنرالين غلامان وجورج . غير ان هذه الاجتماعات كانت للتداول وتبادل الاراء . ولم تتخذ صفة التقرير والامر ، وقد وجدوا ان الضرورة لا تحتم انشاء جهاز حليف دائم .

وفي مؤتمر « اركاديا » الذي انعقد في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ ويناير (كـانون الثاني) ١٩٤٢ تألفت لجنة رؤساء الاركان لجيوش الحلفاء . فكانت هذه اللجنة اهم المنجزات في تاريخ حروب الوحدات والتحالفات(١) . وقد علق عليها الجنرال مارشال رئيس هيئة اركان القوات المسلحة آنذاك قائلا : « لم يتخذ الحلفاء في ساحة المعركـة مبادرة اهم من هذه المبادرة ولا ابعد اثرا على قيادة الحرب » . واضاف قائلا بأنهـا « سمحت بتوحيد كامل للجهد العسكري بين امريكا وبريطانيا ... وقد اعتبرت الادارة الاستراتيجية لقوات الدولتين وتوزيع الأفراد والذخائر ، وتنسيق الاتصالات ، والاشراف علـى مصـالح المعلومات العسكرية ، وادارة المنـاطق المحتلة ، اعتبرت الادارة الاستراتيجية لكل هذا ادارة عمل مسؤولة مسؤولية تضامنية » .

ولو أخذنا الروابط القومية التي تربط الدول العربية بعضها ببعض النابعة من وحـدة الارض العربية ، ومن وحدة تراثها الحضاري ، ومن وحدة عقيدتها ، وجدنا ان كل هذه الروابط تسهل الوحدة العسكرية كنتيجة طبيعية للاتحاد ، وتسهل عملية اضخم للدول العربية الاخرى المساهمة في معركة المصير . وتتطلب وحدة القيادة حشد كل **القوى الجاهزة** بقيادة **قائد واحد** على مسرح العمليات **الرئيسي** الذي ينبغي ان تحسم فيـه المعركة . ان حشد الطاقات والوسائل يتطلب من هذا القائد أيضا تحديد صفة الحرب التي يخوضها وشكلها العام ، واحتمالاتها وشروطها وعلاقاتها بالاوضاع الدولية ، ومن ثم لا بد للقائد العام من تقييم **هدف الحرب السياسي** بغية تحديـد الادارة العسكريـة اللازمة لتنفيذه .

وقد يبدو لاول وهلة ان التنسيق العسكري بين جيوش دول الاتحاد ، او التنسيق بين الجبهة الشرقية (لو تمت اقامة هذه الجبهة) والجبهة الغربية مسألة سهلة . والحقيقة ان كل العسكريين الذين عالجوا موضوعات التنسيق بين جبهات متباعدة بهذا الشكل

---

١ ــ المرجع المذكور سابقا ــ الجنرال دولا شابيل .

وجدوا انها مشكلة معقدة ، وبخاصة عندما يتطلب الوضع نقل قطعات من جبهة الى اخرى . ان دولة الطوق التي يسعى كل المؤمنين بوحدة المصير العربي الى اقامتها ضرورة قومية لتطويق العدو من الشمال والجنوب ، وانهاكه على جبهتين بآن واحد ، واجباره على توزيع مجهوده الجوي والبري . ولكن هذا الواقع يخلق صعوبات استراتيجية هائلة . فبوسع الجيش الاسرائيلي ان يقاتل دفاعيا في عدة جبهات بآن واحد نظرا لاعداد اسرائيل الدفاعي ووضع جيشها المركزي . كما ان بوسعه خوض معركة دفاعية على جبهتين وخوض معركة تعرضية هجومية على جبهة ثالثة يتم فيها الحسم نظرا للترتيبات الدفاعية المحدثة على كل الجبهات . ان المستعمرات الاسرائيلية تقام على مرمى الاسلحة العربية على مختلف عياراتها . وقد نظم الدفاع عنها لتكون اشبه بحدود طبيعية تشكل « عائقا دفاعيا » على حد قول يغال آلون ولمنع اختراقها من اي جيش ميكانيكي . كما أن الدفاع المدني منظم فيها على أحسن وجه . ويشترك التجمع الصهيوني في اسرائيل لمواجهة اي طارىء ، على حين ما أن يتم أي اشتباك بين الدول العربية واسرائيل حتى يهجر سكان الحدود من العرب قراهم وموطن آبائهم واجدادهم نظرا لافتقارهم للتنظيم والتسليح والتعبئة الشاملة .

ان الاستراتيجية مملكة الكتل والمساحات والمهل الزمنية الكبرى . ولهذا فان الهجوم من عدة جبهات لا يعطي في المساحات الواسعة (المجال الاستراتيجي) النتائج نفسها التي يعطيها في مجال التكتيك ، كما أن ميزة الخطوط الداخلية التي يتمتع بها خصمنا تزداد مع اتساع المساحات التي توجد فيها هذه الخطوط ، ولن يتحقق حسم المعركة معه الا عندما تستطيع القوات المسلحة السورية بلوغ سهل عكا في الوقت الذي تكون فيه القوات المسلحة المصرية قد عبرت قناة السويس واجتازت مساحة لا بأس بها من أرض سيناء ، وفي الوقت الذي تضطره القوات المسلحة العربية في كل الجبهات ، كما تضطره المقاومة الفلسطينية التي تقوم بدورها على مؤخراته الى توزيع مجهوده الجوي على عدة جبهات بآن واحد ، مع الاهتمام بأمن مؤخراته . وهنا تلعب الجبهة الشرقية بكاملها دورا اساسيا في المعركة . وينبغي ان نتوقع قيام العدو بقتال تأخيري في بعض المناطق وهجوما صاعقا في مناطق اخرى .

وهكذا فان **الوحدة العسكرية الحقيقية** لدول الاتحاد ، وللدول التي قد تقرر وضع امكاناتها العسكرية تحت تصرفها تستهدف اول ما تستهدف تضافر كل الجهود نحو هدف واحد . وبما ان العدو المدعم بالامبريالية الامريكية هو عدو واحد يفكر هو واركانه على نسق واحد اذن لا بد لمثل هذا الاتحاد من تطبيق مبدأ **وحدة الحرب** ، مهما كانت اشكالها، مستندة الى **تصميم استراتيجي** واحد ، **وخطة حرب واحدة** تكون بمثابة دليل لكل الاطراف تحدد فيها المراحل المختلفة لتنفيذها ، مع الاهداف المرحلية الوسطية . وضمن هذا الاطار تؤمن **وحدة ادارة العمليات العسكرية بخطة ميدانية واحدة**، وبخطة عمليات موحدة تراعى فيها المراحل المتوافقة مع الامكانات والوضع العربي والدولي . ومن الممكن أن تتضمن **خطة الحرب** دورا دبلوماسيا او سيكولوجيا تقوم به هذه الدولة أو تلك طبقا لامكاناتها وارتباطاتها ، على ان تتضمن بالتأكيد **تضامنا استراتيجيا** للجبهات ، بما فيها دور المقاومة الفلسطينية . ومثل هذا التضامن يخلق نوعا من الارتباط بين الجبهات يجعل كلا منها مستفيدة من الميزات التي تحصل الجبهة الاخرى عليها ، كما يجعل كل واحدة منها مسؤولة عند انهيار اية جبهة من الجبهات .

ان خصمنا على درجة عالية من الكفاءة القتالية ، تدعمه الوسائل التكنولوجية الحديثة، وفي مواجهته بصورة فعالة لا بد من : ١) استخدام كل **القوى** التي نملكها حتى آخر مورد من الموارد . ٢) تعبئة كل قوانا وطاقاتنا المكشوفة والكامنة . ٣) حشد قواتنا في المناطق التي ينبغي ان توجه منها الضربة الحاسمة . ٤) عدم تبديد الوقت وسرعة

اعداد جبهاتنا ومؤخراتنا . ٥) تسليح شعبنا لكي يكون مستعدا للدفاع عن المرافق الحيوية وعن اعماق بلادنا . ٦) الاستعداد لحرب شاملة وطويلة المدى مهما كانت التضحيات ، ومهما بلغت الخسائر .

ان الصراع العربي — الاسرائيلي يتطور تطورا خطيرا يهدد امن الامة العربية كلها ، ومن هنا فان الاتحاد خطوة على طريق تعبئة كل القوى العربية في وجه التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي في خدمة قضية واحدة ، وفي قوة عسكرية وسياسية واقتصادية وديموغرافية واحدة .

مستقبل الصراع العربي — الاسرائيلي : اتسمت الفترة بين حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وحتى قبول مشروع روجرز بالحيوية بالنسبة لدولتي المواجهة الرئيسيتين مصر وسورية ، وبالنسبة للمقاومة الفلسطينية التي تمكنت من توجيه ضربات كان من الممكن ان تتطور مع الزمن وتنمو لتصبح ذات أثر عسكري أكثر فعالية . وكان الانطباع السائد بأن الدولتين الاساسيتين من دول المواجهة — وعلى الاخص مصر — قد وصلتا الى مرحلة لا بأس بها من التدريب والتسليح . الا ان عامي ٧١ و٧٢ كشفا بصورة لا تدعو الى اللبس أو الغموض ان القوى الرئيسية في مواجهة اسرائيل لا تملك حتى الان تفوقا نوعيا يمكنها من شن حرب خاطفة على غرار الحرب الميكانيكية الخاطفة لاستعادة أرضها وتحريرها . كما ان المقاومة الفلسطينية التي كانت تملك عدة قواعد في الارض العربية لشن عمليات ضد اسرائيل قد فقدت معظم هذه القواعد ، وغدا من واجبها اعادة النظر في استراتيجيتها السابقة ، وان تقتصر في استراتيجيتها — في الوقت الحاضر على الاقل — على سياسة البقاء على قيد الحياة لتوفير العنصر البشري المقاتل ، وفي انتهاج العنف كوسيلة عمل ثورية على ان يكون هذا العنف ضمن خطة متكاملة داخلية وخارجية ، تشمل المؤسسات الحيوية الاسرائيلية في الداخل والمؤسسات الصهيونية أو المتعاونة معها في الساحة الدولية . وليست ممارسة العمل الفلسطيني للعنف دليلا على اليأس ، ولا يعتبر تخلفا عن العصر ، بل انه اسلوب من اساليب العمل الثوري المعاصر ، شريطة ان لا يبقى محصورا ضمن اطار الساحة الدولية ، بل أن يتم بشكل مترابط بين داخل اسرائيل والساحة الدولية .

ولنقم الآن بمقارنة بسيطة بين الوضع العسكري العربي والوضع العسكري الاسرائيلي: ١ — تقوم اسرائيل في المناطق المحتلة باقامة المستوطنات والمصانع والمرافق الاساسية دون خوف من اية دولة عربية . ٢ — اقامت اسرائيل خطوطا دفاعية متكاملة ومنسقة عمقا داخل الاراضي العربية المحتلة لم يستطع أي جيش عربي اختراقها حتى الان ، على الاقل منذ قبول مشروع روجرز حتى هذا اليوم . ٣ — ما زالت اسرائيل تهاجم و«تعربد» في كل الاجواء وعلى كل خطوط وقف اطلاق النار دون ان تتلقى ردعا كثيفا وشاملا من أية دولة عربية . ٤ — ما زالت ردود الفعل للدول العربية — وبعضها للحقيقة يحاول الرد (سوريه) — ردودا ضعيفة في معظم الاحيان . ٥ — التجمع الاسرائيلي منظم للحرب في الداخل والخارج ويمكن أن نقول بأن اسرائيل دولة مستعدة للحرب في كل وقت .

اما الموقف العربي فما زال يتلخص بما يلي : ١ — ما زالت الجبهات العربية على خطوط وقف اطلاق النار مشابهة للجبهات السابقة على حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، ولم يطرأ عليها اي تغيير من ناحية التصميم الاستراتيجي والعسكري . ولنضرب مثلا على هذا : ان الحياة ما زالت قائمة في المستعمرات الاسرائيلية على حين لا حياة على الضفة الغربية لقناة السويس ، مع أن بوسع الجيش المصري اعادة بناء الخط الاول في القناة بشكل قرى صغيرة حديثة ومنيعة على غرار المستعمرات الصهيونية تشكل كل منها مركز مقاومة في كل الاتجاهات . وينطبق هذا القول على الجبهات الاخرى التي ينبغي ان يعاد

النظر فيها لكي يشكل الجيش قوة ضاربة احتياطية ، في حين يتولى المواطنون الدفاع عن أجزاء من هذه الجبهة يعاد تنظيمها وبناؤها على أساس عسكري ومدني . ٢ ــ ما زالت الدولتان الاساسيتان في المواجهة لا تملكان استراتيجية واحدة متفقا عليها تحدد اسلوب مواجهة الخطر الصهيوني وتزيل آثار العدوان . ان تحديد الاستراتيجية الواضحة يحدد نوع الحرب التي سنخوضها ونوعية القوات المسلحة التي نحتاج اليها لاننا غير قادرين على اللحاق بالمكننة الحديثة اسوة باسرائيل . ٣ ــ عدم الاستفادة من عامل الجغرافيا حتى الآن ، فبدلا من أن نجعل احتلال الارض عبئا على العدو جعلناه مغنما له ، ولهذا فان العدو يتحدانا في كل يوم بانجاز جديد في الارض المحتلة دون ان يكون هناك من جانبنا اي رد . ٤ ــ ما زال العدو متفوقا علينا في المجال التكنولوجي . وهذا أمر طبيعي لاننا جزء من العالم الثالث ، ولكننا لم نحاول التعويض عن هذا النقص في نواح اخرى كما تفعل دول اخرى في مواجهة خصم أقوى وأعتى وأكثر جبروتا من خصمنا . ٥ ــ **قومية المعركة** ــ ما زال كثير من الدول العربية البعيدة عن دائرة الخطر تتصرف وكأن المعركة في مستقبل الايام لا تعنيها مع ان ارتباط كل الشعب العربي بأهداف التحرير ارتباط عضوي لا شائبة فيه ، الا أن الحكومات العربية ما زالت عاجزة عن شحذ الشعور القومي واستخدامه في المعركة . ٦ ــ لم تعد حتى الآن الجبهات الداخلية بشكل تكون فيه قادرة على تحمل الصدمة الجوية الصهيونية ، وبصورة تستشعر معها دورها كاملا في المعركة . وقد اثبتت الاحداث الاخيرة التي وقعت في جنوب لبنان منذ شهر فبراير (شباط) ١٩٧٢ والتي قامت خلالها القوات الاسرائيلية لاربعة ايام على التوالي بمهاجمة قواعد الفدائيين ، ثم هجومها على قواعد الفدائيين في سوريا ورد القوات الجوية السورية بمهاجمتها أهدافا عسكرية في الهضبة السورية واحتلال جنوب لبنان في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٢ وقصف القرى السورية واللبنانية منذ ذلك الوقت حتى الآن اننا ما زلنا نفتقر ، بالاضافة الى الاستراتيجية العربية الواضحة ، لمعنى التضامن الاستراتيجي بين الجبهات كلها .

ان الموقف العربي يزداد خطورة من يوم الى يوم ، ومما لا شك فيه ــ ولا يعقل أبدا الا ان يكون كذلك ــ ان الجبهات العربية قد اكتسبت خلال السنوات الخمس الماضية القوة الكافية للدفاع عن الارض العربية ومنع اكتساحها ، وقوة كافية لردع خصمها والرد عليه ردا ايجابيا وفعالا يمنعه من الاستمرار في استراتيجية الانتقام الكثيف التي دأب عليها ومارسها خلال عشرين عاما من الصمت العربي ، والجمود الدفاعي .

ومن خلال الصراع العربي ــ الاسرائيلي خلال الاعوام الاخيرة تأكدت الحقائق الاساسية التالية : ١ ــ هناك تناقض اساسي بين الوجود الامبريالي الصهيوني والوجود العربي ، بل ان هذا الوجود العربي معرض للاخطار ولا يتمتع بأي أمن . ووجود أرض عربية محتلة بيد الصهيونية عامل من عوامل ابادة الجنس العربي . ٢ ــ برغم الهزيمة العسكرية للجيوش العربية، ما زالت طاقات الدول العربية الظاهرة والكامنة قادرة على المقاومة والصمود ، ويتطور في البلاد العربية شعور بالحقد القومي ضد اسرائيل .

ما هو مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي ، وكيف ستتطور المواجهة العسكرية مع اسرائيل ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال ، لا بد للسياسة من ان تحدد هذه المشكلة تحديدا صحيحا يتفق مع اهدافنا ، ومع طبيعة المشكلة ذاتها محليا ودوليا . ولكي يكون بحثنا مجديا ومفيدا للقارىء العربي يجدر بنا ان نتجنب المفاهيم الميتافيزيقية والحتمية التاريخية في هذه المشكلة . « ان الارادة والعقل » كما يقول الجنرال اندريه بوفر « هما مفتاحا المستقبل يملكهما الانسان لشق طريقه الصعب وسط الاحداث المعقدة » . وقد تتخذ الاحداث في بعض الاحيان شكل مصير حتمي ، بيد أن الانسان سرعان ما يفهم آلية التاريخ ويحصل على قدرة متزايدة على المناورة والعمل في سبيل صنع المستقبل . فلا

يمكن التنبؤ بالمستقبل ولكن من الممكن بناؤه في كل لحظة اذا احسنا فهم مشاكل الحاضر على ضوء استقراء الماضي واعددنا كل ما يلزم لبنائه بناء عقلانيا . ان الباحث المتجرد على حد قول الجنرال اندريه بوفر ايضا يرى ان كثيرا من الاحتمالات الضعيفة قد تحققت في التاريخ ، في حين ان هناك احتمالات أقوى وأكثر توقعا اكتملت لها كل شروط التنفيذ ولكنها لم تتحقق .

ان الوضع العربي ساعد اسرائيل الى حد كبير في انتصارها العسكري عام ١٩٦٧ . وان الاستسلام الذي تطالبنا به الامبريالية والصهيونية حافز اساسي لكي تستخدم الدول العربية كل وسائلها دفاعا عن مصيرها .

ولكي نطابق وسائلنا مع أهدافنا ينبغي بادىء ذي بدء تحديد الهدف الاساسي من معركتنا . فما هو الهدف ؟ هل هو اسقاط دولة اسرائيل مع الحفاظ على عروبة فلسطين . أم هل الهدف اقامة دولة ديمقراطية يتعايش فيها العرب مع اليهود ؟ وهنا لا بد من الاشارة الى أن أي مفهوم لتحرير فلسطين لا يحقق ازالة اسرائيل من الوجود مع بقاء عروبة فلسطين مفهوم مرفوض من اساسه . فكيف تحل مشكلة اليهود الباقين على أرض فلسطين . وهل الهدف في المرحلة الحالية هو ازالة آثار العدوان ، وما هي الوسائل السياسية والعسكرية الكفيلة بتحقيق هذا الهدف . وعندما نتفق على تحديد الهدف السياسي ، نقوم بعملية تقييم للوسائل التي نملكها لتحقيق هذا الهدف .

وهنا لا بد من تقييم الوضع الدولي بعد تقدير الوسائل والامكانات ومطابقتها مع الهدف السياسي ، ويدخل في هذا التقييم تحليل العوامل الدولية كلها على المدى البعيد والقريب . وفي هذا المجال لا بد من تحليل وتقييم لموقف الدول الكبرى : الاتحاد السوفييتي ، الولايات المتحدة الامريكية، الكتلة الاوروبية وعلى راسها فرنسا ، الصين، العالم الثالث ، والموقف العربي . والموقف العربي مهم جدا لان أخطار اسرائيل المتزايدة ضد الوجود العربي في مصر وسوريه والاردن ولبنان ستؤدي الى الوحدة ، لان هذه الوحدة ستكون ضرورة استراتيجية وقومية .

ولا يجوز بأي حال من الاحوال أن نبدأ الحرب مع اسرائيل الا اذا طرحنا السؤال التالي: ما هو الامر الذي نسعى للوصول اليه بواسطة الحرب ومن خلالها ؟

ان تقييم الهدف السياسي وتحديده والاتفاق عليه بين كل الاطراف العربية ضرورة قومية. ولا يكفي ان نقيمه بالنسبة **لوجهة نظرنا** وبالنسبة **لوجهة نظر** العدو فقط ، بل لا بد من تقييمه بالنسبة لوجهة نظر **القوى الدولية** الصديقة لنا والمعادية لنا . كما لا بد ان نأخذ بعين الاعتبار الاثار الدولية والعربية والمحلية لحربنا .

وعندها نقيم الهدف السياسي ، ونحدده ، نحدد مركز ثقل الخصم ، ونقاطه الضعيفة . ولكي ننتصر على خصمنا ينبغي ان نتذكر ان الحرب المقبلة معه ستدور اقرب ما يمكن من العواصم ، وفي المؤخرات ، وان حربنا معه كما قال الرئيس انور السادات « حرب شاملة لا تعني أن يقابل جيش جيشا آخر ، وليست جبهة قتال تواجه جبهة اخرى . الحرب الشاملة حرب في كل مكان ، والسلاح في الحرب الشاملة لا يقتصر على المدفع والبندقية والغواصة ... هي حرب الوطن كله ، هي حرب الشعب كله » .

وينبغي ان يقود الشعب هذه الحرب بنفسه ، ويدافع فيها عن مؤخرات جيشه لان هذه الحرب ستتخذ الشكل التالي : ١ ــ شكل تدخل مظلي سواء عن طريق نقل قوات بالطائرات العمودية عندما تتحقق السيطرة الجوية الكاملة ، أو بهبوط المظليين عندما يكون التفوق الجوي تفوقا نسبيا ... وستكون أهداف هذا التدخل في قلب البلاد العربية بعيدا عن الجبهات المحصنة الحالية . ٢ ــ تراشق بصواريخ ارض ــ ارض وجو ــ ارض ، وبحر ــ ارض . ٣ ــ شكل عمليات هجومية صاعقة تتمثل بالتقدم على

محاور غير متوقعة ، وبتقرب غير مباشر ، وتثبيت الجبهات والالتفاف حولها ، واختراق بعض المواقع فيها .

وان التريث والانتظار لحصول أوضاع سياسية ملائمة خطأ كبير ، فقد تتبدل العوامل السياسية الملائمة لنا من سنة الى أخرى كما ان من المحتمل ظهور أوضاع دولية معقدة تمنعنا من القيام بأية حركة ، كما حدث عند الحرب بين الهند والباكستان . كما ان انتظارنا للدعم والتقوية ، وزيادة كفاءة القدرة القتالية لجيوشنا يسمح للعدو بالحصول على مزايا تعادل المزايا التي سنحصل عليها أو تفوقها .

وقد كان وضعنا في عام ١٩٧٠ أفضل من وضعنا في عام ١٩٧٢ . فخروج الاردن ، بعد تصفيته للمقاومة الفلسطينية على أرضه ، من جبهة دول المواجهة ، ظاهرة خطيرة ورهيبة لا بد من ايجاد حل لها لتكون هذه الساحة الهامة بيد قوى التحرير الحقيقية ، كما أن عدم انشاء الجبهة الشرقية رغم كل الجهود التي بذلت من اجل انشائها ، وبقاءها هيئة شكلية لفترة من الوقت كارثة حلت بالامة العربية ، لان أرض الجبهة الشرقية هي مقتل العدو وأقرب الجبهات الى نقاط ضعفه المؤثرة . ان الجبهة الشرقية تضم **العراق** ، وهو يمثل تغذية بشرية ووجودا ميدانيا على أرض المعركة ، كما تضم **الاردن** كقاعدة للعمل الفلسطيني ، وقاعدة انطلاق الى أهداف حيوية في اسرائيل تصدع الكيان الاسرائيلي وتفتته .

وفي الوضع الراهن ليس هناك أمام اسرائيل سوى الجبهة الشمالية التي يقوم الجيش السوري بأعبائها . والجبهة الجنوبية التي يقوم الجيش المصري بأعبائها .

علما بأن التضامن العربي الاصيل يفرض بأن لا تتحرك الجبهة الجنوبية لعبور قناة السويس والدخول الى سيناء نظرا لصعوبات الارض الجغرافية وامتدادها العمقي ، وتركيز اسرائيل جوا وبرا عليها الا عندما تتحرك من الجبهة الشرقية ثلاثة جيوش عربية مع قوات المقاومة الفلسطينية ولا هدف لها سوى الانتصار والوصول الى البحر ومرج ابن عامر لكي يكون عملها مؤثرا وحاسما ودافعا للقيادة العسكرية الاسرائيلية الى سحب قسم كبير من قواتها من الجبهة الغربية .

الاستراتيجية العربية المثلى : ان النموذج الاستراتيجي المتاح أمام الامة العربية هو خوض معركة طويلة ضد جيش يملك قيادة على درجة عالية من الكفاءة ، وتنظيما جيدا ، ومدعوما بكل الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تمنحها له بسخاء أقوى وأعتى دولة أمبريالية . وتزداد خطورة التهديد المتمثل بالوجود الصهيوني لان عدونا يملك تنظيما دقيقا له فروعه في كل انحاء العالم . ولهذا التنظيم تحالفات متعددة مع قطاعات هامة في العالم لها أثرها على الرأي العام العالمي. ومن هذه الزاوية فاننا لا نحارب ٢،٨٠٠،٠٠٠ اسرائيلي بل أربعة عشر مليون صهيوني مدعمين بالامبريالية العالمية . وتزداد خطورة هذا التهديد أخيرا لان خصمنا يواجه قوى عربية مجزأة ما زالت تعتبر جزءا من العالم الثالث النامي . وهو لا يواجه قوة عربية واحدة ، بل عدة قوى . وهو لا يواجه جبهة واحدة بل عدة جبهات ، كل منها لوحدها ضعيفة على حين لو انها كانت مرتبطة بالجبهة الاخرى تنظيما وتخطيطا وقيادة لكانت أكثر فاعلية وأقوى أثرا . وأخيرا ان في وسع الحركة الصهيونية تجنيد كل الطاقات اليهودية والامبريالية لتحقيق هدفها وان تضع في خدمة هذا الهدف أروع فنون التشتيت التي برعت فيها .

ولكن الجانب العربي يملك امكانات هائلة كامنة لمقاومة هذا الخصم ، مهما بلغ من دهائه ومهما تعددت أساليبه ووسائله . وان الهدف الحربي بالنسبة الينا يبقى نزع سلاح العدو لاكراهه على تنفيذ ارادتنا . والحقيقة ان من الممكن ان نستهدف نزع سلاحه ماديا ، كما يمكن أن نستهدف نزع سلاحه معنويا ، بشكل

نصل فيه الى تحقيق هدف الحرب باحدى الطريقتين التاليتين :
(أ) العمل على انتزاع امكانية استمراره في محاولاته الهجومية او تحطيم خططه التي تستهدف اخضاعنا ، مهما كانت ارادة القتال لديه ، وذلك بتدمير قواته المسلحة أو وضعها في موقف يمنعها من متابعة القتال ، ومن ثم احتلال الارض التي انتزعها منا بالقوة والعنف . (ب) القضاء على ارادة القتال لديه بحرب ثورية طويلة الامد وبوسائل سيكولوجية وسياسية ، تتضمن العنف كجزء من العمل الثوري .

وقد علمنا التاريخ ان كل الحروب حسمت بالطريقة الاولى . وكان الحل الثاني بديلا للحل الاول . الا ان الحل الاول يحتاج في بادىء الامر الى تعديل في ميزان القوى ، ولحاق بالتقدم التكنولوجي يبدو ان الامة العربية بوضعها الحالي عاجزة عن تحقيقه حتى الان .

غير ان الحل الثاني بدأ اليوم يزيد من الحرب غنى بالدروس والتعاليم . فالحرب « السيكولوجية » والسياسية المعتمدة في الوقت ذاته على الدعاية المضادة لاهداف الخصم ، وعلى التحريك المستمر للقضية ، وعلى العنف الثوري بشتى أنواعه ، وعلى الاقناع ، وعلى التشتيت والرعب ، وعلى العمل السري والثوري ، ان هذه الحرب تشكل سلاحا أساسيا ممهدا للحرب التقليدية ، لانها بشكلها هذا تستهدف روح التجمع الصهيوني من يهود العالم الى دولة اسرائيل ، وتحويل قناعاتهم وتجزئتهم الى معسكرات متعددة . وتستهدف مثل هذه الحرب في الوقت ذاته اقناع الصهيونيين بعدم واقعية حلمهم الذي يودون تحقيقه ، وتحطيم معنوياتهم ومعنويات قادتهم . كما تستهدف مثل هذه الحرب أضعاف تحالفات العدو أو القضاء عليها بعمل قومي منسق شامل .

وينبغي أن ندرك أن مثل هذا الصراع سيكون طويلا جدا ، ولا يعني استخدام مثل هذا الحل أننا سنرغم اسرائيل على الخضوع فورا . ان الحل الذي ندعو اليه هو مزيج من « الحرب التقليدية » و« الحرب الثورية » . ان الصمود العربي والطاقات العربية الكامنة قادرة على اكتشاف حل له كل فرص الاستمرار مهما تكن الاسلحة المستخدمة ضده . ان الحرب **الشعبية الشاملة** المزوجة بحرب **تقليدية ((نظامية))** هي سلاح الفقراء في هذا العصر . وبوسع أربع دول عربية هي مصر وسوريه والعراق وليبيا خوض مثل هذه الحرب بمعونة قوات جوية من الدول العربية الاخرى الراغبة في المعركة ، وبعض المتطوعين العرب في صفوف المقاومة الفلسطينية . ولنوقف الآن وهم التفوق الجوي على اسرائيل ، ووهم الحصول على طائرة تعادل طائرة الفانتوم من حيث حمولتها بالمتفجرات والصواريخ ، ومدى عملها . ان التفوق الجوي الاسرائيلي سينتهي مفعوله خلال أسابيع من المعركة ، وسنضطر حلفاءنا الى دعمنا بكل ما يملكون من اسلحة من خلال المعركة واستمرارها واحتدامها .

لقد آن الاوان لكي نوقف نزيف الطاقات الاقتصادية لامتنا ، واحتواء الخطر الذي يتهدد أجيالنا الصاعدة . وهذه المعركة الطويلة التي ستكون شاملة كل الابعاد ستتدخل فيها الجماهير الشعبية في كل مكان لمنع العدو من تحقيق أي عمل تخريبي ضد منشآتنا الحيوية وضد مؤخراتنا ، وستتصدى هذه الجماهير لاية قوة محمولة جوا بفضل استلامها لاعباء الدفاع عن صفحة البلاد كلها .

ان هذا التصور ليس وهما ولا طوباوية . انه التصور الوحيد لبناء الانسان العربي الحر الذي تتحدد آفاق مستقبله من خلاله . ان مستقبل أمة من الامم لا يتقرر بمعركة واحدة، ولا باستحواذها على سلاح يعادل سلاح الخصم . انه يتقرر من خلال اصرارها على استخدام كل وسائل التحرير مهما كان عنفها ، ومهما كانت نتائجها عليها وعلى خصمها وعلى المجتمع الدولي . وعندما يتحقق النصر تزول كل الاوهام وتتبدد كل الرواسب .

الفلسطينيون والاونروا

مجموعة بحث ميداني

مقدمة :

لربع قرن تقريبا ، كانت الاونروا هي الجهاز او المؤسسة الادارية المسؤولة رسميا عن الشعب الفلسطيني اللاجيء والمشرد . وكانت هذه المؤسسة (وما زالت الى حد ما) تتحكم بالمقومات الاساسية لمعيشة ذلك الشعب وهي : الطعام ، المسكن ، التعليم ، والتطبيب . وغني عن القول ان من يتحكم بهذه الامور يستطيع اذا اراد ومارس ضغوطا كبيرة ، التحكم بالمصير السياسي لرهائنه وبتطورهم الاجتماعي . رغم خطورة هذه الحقائق لم يحاول اي مسؤول عربي تقدميا كان ام رجعيا أن يدرس طبيعة هذا الجهاز وتأثيره على الفلسطينيين كشعب وكأفراد ، او ان يعرف نظرتهم اليه وموقفهم منه . لقد قبل كل العرب على كل المستويات الرسمية وغير الرسمية وصاية الاونروا على الشعب الفلسطيني دون ان يحاولوا اثارة اية اسئلة حول هذه الوصاية وآثارها ومدلولاتها . ومن المهازل التي مرت على الشعب الفلسطيني ، من جملة ما مر عليه في المنفى ، ان تقوم الامم المتحدة باعلان اهداف جهازها هذا وباعطاء تصورها لما يجب ان يكون عليه وضع الفلسطينيين ، وان تقوم الدول الاستعمارية ، التي تسببت في مأساة الشعب الفلسطيني ، في مناسبات عدة بابداء رأيها او باعطاء تعليماتها بما يجب ان يكون عليه وضع الفلسطينيين ومصيرهم . الكل يعطون ارائهم ولا احد يسأل عن رأي الضحية .

كل هذه الامور جعلتنا نؤمن بان من واجبنا تسجيل رأي الفلسطينيين ونقله . لان معرفة وتقديم وجهة نظر الفلسطينيين حول الاونروا تشكل بحد ذاتها سببا كافيا لاجراء البحث . لكن هنالك جانبا اخر يزيد من ضرورة اجراء هذا البحث وهو قياس تأثير الاونروا كمؤسسة وكجهاز اداري ، نفسيا واجتماعيا وسياسيا ، على الفلسطينيين ، والتوصل في النهاية الى تقييمهم وتقديرهم لمدى الافادة او الضرر الذي الحقته الاونروا بهم مع تحديد نوعه .

اهداف البحث : لا يهدف البحث الحالي الى قياس « حقائق » او الى اختبار «معلومات» الفلسطينيين حول الاونروا وخدماتها وموظفيها ومصادر تمويلها ، لكنه يهدف الى قياس مشاعر الفلسطينيين ونظراتهم ومواقفهم من الاونروا وخدماتها وموظفيها واهدافها ومن يمولها . لا يهمنا في هذا البحث اذا كان الفلسطيني يعرف او لا يعرف من يدفع الجزء الاكبر من تمويل الاونروا ، ولا يهمنا اذا كان يعرف او لا يعرف الاهداف المعلنة للاونروا ، ولا يهمنا ان يعرف او لا يعرف طبيعة دور الموظفين الاجانب او العرب في الاونروا . انما الذي يهمنا والذي سيكون محور البحث هو تصور الفلسطيني لمن يمول الاونروا ، ومن يشرف عليها ولأهدافها ودور موظفيها لان هذا التصور سواء كان مبنيا على معلومات او على اوهام يعكس شعور الفلسطيني وعاطفته وموقفه من هذه الامور ، وبالتالي من الاونروا كمؤسسة ادارية . كما ان شعور الفلسطيني هو الامر الحقيقي

الوحيد في واقعه ، لانه يبقى المحصل النهائي لنفسية الفلسطيني بغض النظر عن جودة او رداءة خدمات الاونروا وموظفيها ومشاريعها . الامر نفسه ينطبق على قياس مدى الضرر او الافادة التي احدثتها الاونروا عند الفلسطينيين . ففي هذا المجال لا يهمنا حقيقة الضرر او الافادة التي اصابت الفلسطينيين من جراء الاونروا ، انما يهمنا تصور الفلسطيني لطبيعة وحجم الافادة او الضرر الذي اصابه من جراء الاونروا . وغني عن القول ان تصور الضرر او الافادة احيانا ، لا بل غالبا ، ما يكون مبنيا على هذه الحقيقة وان جرى تضخيمه . الهدف الاخير للبحث هو مدلولات وآثار وصاية مؤسسة كالاونروا على الشعب الفلسطيني بالنسبة لثورة هذا الشعب ولنضاله الطويل من اجل التحرير .

طريقة البحث : يتواجد الفلسطينيون في لبنان في مكانين أساسيين ، المخيمات والمدن . لذلك راينا ضرورة دراسة الفلسطينيين في المخيمات والمدن . وقد اخترنا ستة مخيمات في مختلف المناطق اللبنانية وهي : (البداوي ، نهر البارد ، الجليل الاعلى (بعلبك) ، عين الحلوه ، النبطية ، برج البراجنة) ثم قررنا اختيار عينة المدن من مدينة بيروت لان فيها اكبر تجمع لفلسطينيي المدن . وقد حددنا حجم عينة المخيمات بـ ١٦٠ شخصا وعينة المدن بـ ٤٠ شخصا . اما طريقة اختيار عينة المخيمات فكانت عشوائية ، اذ طلبنا من كل عداد ان يبدأ من اية نقطة في المخيم ويجري مقابلاته في كل خامس بيت يلي تلك النقطة. لذلك يمكن اعتبار عينة المخيمات ممثلة تمثيلا صحيحا لسكان المخيمات في لبنان . اما عينة المدن فلم يكن بالامكان اختيارها بطريقة عشوائية نظرا لعدم تجمع الفلسطينيين في مناطق معينة من المدينة ، لذلك تم اختيارها على اساس لا عشوائي ، مثلا كنا نعرف ان في ذلك البيت او في تلك الشركة فلسطينيا فكنا نذهب لمقابلته وقد اخترنا عينة بيروت من عدة مناطق سكنية . وبناء على طريقة اختيار عينة بيروت يمكننا القول بانها عينة غير عشوائية لا تمثل فلسطينيي المدن وبالتالي لا يمكننا دمج العينتين في عينة واحدة . وسيرتكز تحليل البحث على عينة المخيمات لانها عشوائية . اما عينة المدن فستستعمل بشكل جزئي لوضع تساؤل على بعض الامور اذا بدا اي تفاوت كبير بين مواقف فلسطينيي المخيمات وفلسطينيي المدن . كما انها ستستعمل لتدعيم استنتاجاتنا من عينة المخيمات اذا ظهر وجود تقارب كبير في اراء عينة المدن وعينة المخيمات .

كنا ننوي اجراء الدراسة على اساس الجنس ومكان الاقامة . لكن المطلعين على آراء الفلسطينيين حول الاونروا اشاروا علينا بان الجنس لن يكون عاملا مميزا في هذا الموضوع بالذات ، وانه لا فرق في مواقف النساء والرجال من الاونروا . وقد اثبت لنا الاختبار التجريبي الذي جرى على عشر نساء وعشرة رجال صحة ذلك القول ، كما اثبته البحث نفسه اذ كان بين المجيبين عدد من النساء لم تختلف آرائهن عن آراء الرجال .

وضعنا استمارة او استبيانا للبحث وقد جرى اختباره وتعديله . وقد تضمن الاستبيان دراسة المواضيع التالية :

١ ــ رأي الفلسطينيين بطبيعة الاونروا كمؤسسة . ٢ ــ رأي الفلسطينيين باهداف الاونروا والسبب في وجودها . ٣ ــ شعور الفلسطينيين تجاه الاونروا بشكل عام . ٤ ــ رأي الفلسطينيين بمن يمول الاونروا ومن يسيطر عليها ومعنى تلك السيطرة . ٥ ــ رأي الفلسطينيين بخدمات الاونروا . ٦ ــ رأي الفلسطينيين بموظفي الاونروا . ٧ ــ مدى اعتماد الفلسطينيين على الاونروا حاليا ومدى رغبتهم في استمرار عملها . ٨ ــ رأي الفلسطينيين بالاغاثة والمساعدات بشكل عام . ٩ ــ تقييم الفلسطينيين لمدى الافادة او الضرر الذي اصابهم من الاونروا ، وطبيعة تلك الافادة او الضرر . ١٠ ــ رأي الفلسطينيين بأمور عامة كدور الارادة في تقرير المصير ، ورأيهم في العمل وفوائده وضروراته .

ويمكن جمع هذه المواضيع في موضوعين رئيسيين هما : موقف الفلسطينيين من الاونروا وكل ما يمثلها وينفرع عنها ، ومـــدى الضرر او الافادة التي يعتقـــدون ان الاونروا قد جرتها عليهم . وكجزء من الموضوع الثاني هـــل ادت الاونروا فعلا الى خلق النفسية الاتكالية والاستسلامية والانهزامية عند الفلسطينيين ؟

التحليـــل

خصائص العينة : من المتوقع دائما في العينات العشوائية المثلـــة لفئة من الناس ان تأتي مماثلة للتوزيع الطبيعي لهؤلاء الناس من حيث العمر والمهنة وحجم العائلة والحالة المدنية والجنس ومستوى التعليم والمدخـــول . ويبدو توزع عينة المخيمات معقولا في مجمله . عدد افراد العينة ١٦٠ يتحلون بالخصائص التالية :

العمـــر :

فئة العمر	العدد	النسبة المئوية (٪)
١٦ — ١٩	٣٠	١٨٫٧
٢٠ — ٢٩	٦٠	٣٧٫٥
٣٠ — ٣٩	٤٠	٢٥٫٠
٤٠ — ٤٩	١٧	١٠٫٦
٥٠ او اكثر	١٣	٨٫١
المجموع	١٦٠	٩٩٫٩

الحالة المدنية :

		٪
متزوج	٧٨	٤٨٫٨
اعزب	٨٢	٥١٫٢
المجموع	١٦٠	١٠٠ ٪

حجم العائلة وعدد العاملين في العائلة :

حجم العائلة	عـــدد العـــاملين في العـــائلـــة				
	ولا واحد	واحد	٢—٣	٤—٦	لا جواب	المجموع
٢ — ٥	—	٢٠	٢	—	٥	٢٢
٦ — ٩	٣	٢٥	٨	٤	٧	٤٠
١٠— ١٢	٢	٢٤	١٣	١	١	٤٠
١٣— ١٧	—	٥	٣	١	١	٩
لا جواب	—	٦	٢	—	٢٧	٤٩
المجموع	٥	٧٤	٢٦	٦	٤١+ ٨	١٦٠

المدخول الشهري :

فئة الدخل ل.ل.	العدد	النسبة المئوية
١ — ٩٩	١٥	٩٫٣
١٠٠ — ١٩٩	٢٧	١٦٫٨
٢٠٠ — ٢٩٩	٢١	١٣٫٠
٣٠٠ — ٥٩٩	٧	٤٫٣
٦٠٠ — ٧٩٩	٢	١٫٢
٨٠٠ — ٩٩٩	—	—
١٠٠٠ او اكثر	—	—
لا جواب	٨٨	٥٥٫٠ ٪
المجموع	١٦٠	٩٩٫٦

مستوى التعليم :

المستوى	العدد	النسبة المئوية
امي	١٣	٨٫١
يقرأ ويكتب	١٤	٨٫٨
ابتدائية	٣٠	١٨٫٧
اعدادية	١٥	٩٫٣
ثانوية	٤٩	٣٠٫٦
مهنية	٨	٥٫٠
جامعية	٢٥	١٥٫٦
لا جواب	٦	٣٫٧
المجموع	١٦٠	٩٩٫٨

المهنة :

المهنة	العدد	النسبة المئوية
(فلاح) مزارع	٤	٢٫٥
عامل يدوي	٢٦	١٦٫٢
عامل مهني	١٤	٨٫٨
معلم	١٧	١٠٫٦
طالب	٤٥	٢٨٫١
(صاحب دكان) تاجر صغير	١٨	١١٫٢
مهندس ، طبيب	٢	١٫٢
محاسب ، موظف	٦	٣٫٧
ربة منزل	٩	٥٫٦
لا مهنة	١٠	٦٫٢
لا جواب	٩	٥٫٥
المجموع	١٦٠	٩٩٫٦

من الامور البارزة في هذه العينة النسبة العالية للطلاب (٢٨٫١ ٪) وكذلك للجامعيين (١٥٫٦ ٪) والتي أعتقد بانها ترجع الى تنازل الاهل عن الاجابة لابنهم المتعلم . وقد حدث هذا معنا مرارا اذ كنا نخاطب الاب او الام ، لكنهما كانا يرفضان الاجابة ويقولان ان ابنهما او ابنتهما يمكنها ان تعبر عن ارائهما بشكل افضل . وكان الوالدان يوافقان على كل آراء ابنهما ، واذا خالفاه الرأي كانا يتدخلان بالحديث لابداء رأيهما حول تلك النقطة المعينة . لكن الحالات الاخيرة كانت نادرة . ومن الامور البارزة ايضا انخفاض نسبة الذين تلقوا او يتلقون تعليما مهنيا (٥ ٪) وهذه الحقيقة هي انعكاس لواقع الفلسطينيين التعليمي . ويمكن ملاحظة الانخفاض الهائل في نسبة الفلاحين او المزارعين (٢٫٥ ٪) رغم ان فلسطين كانت بلدا زراعيا في الاساس وبالتالي كانت غالبية سكانها من المزارعين والفلاحين . ويرجع هذا الانخفاض الى تحول اعداد كبيرة من المزارعين الفلسطينيين الى عمال يدويين غير مهرة لانهم فقدوا الارض ، ولان مجالات العمل في لبنان مجزية ومتوفرة في قطاع الخدمات والاشغال العامة اكثر منها في القطاع الزراعي. ومن الملاحظ ايضا انخفاض نسبة العاطلين عن العمل او الذين لا مهنة لهم (٦٫٢ ٪) . وهذا الواقع اثبات جزئي لعدم تقاعس الفلسطينيين عن السعي وراء العمل ولعدم اتكالهم على خدمات الاونروا (سنعالج هذه النقطة بالتفصيل في مكان لاحق) . الامر الاخر البارز في العينة هو كبر حجم العائلة الفلسطينية ، وقلة عدد الذين يعملون لاعالة

العائلة بحيث يقع عبء اعالة العائلات الكبيرة في معظم الحالات على شخص واحد . فمن أصل ١٦٠ عائلة جرت مقابلتها ، اجابت ١١١ عائلة منها حول سؤالنا عن عدد افراد العائلة وعدد العاملين منهم ، بينما لم تجب ٤٩ عائلة على عدد افرادها ، او عدد العاملين منهم او الاثنين معا . ومن أصل العائلات المجيبة كان هنالك ٢٢ عائلة عدد أفرادها ٢ — ٥ ، و ٤٠ عائلة عدد افرادها ٦ — ٩ ، و ٤٠ عائلة أخرى عدد أفرادها ١٠ — ١٢ و ٩ عائلات عدد افرادها ١٣ — ١٧ . وهناك ٧٤ عائلة (٦٦٫٦٪) منها لا يعمل منها سوى فرد واحد ، و ٢٦ عائلة (٢٣٫٤٪) يعمل منها ٢ — ٣ افراد ، و٦ عائلات فقط (٥٫٤٪) يعمل منها ٤ — ٦ أفراد . يمكن الاستنتاج من هذه الارقام بان الاب الفلسطيني في المخيم يتحمل مسؤولية جسيمة ولا بد من ان يناضل بمرارة لاعالة العدد الكبير من المعتمدين عليه .

١ — **طبيعة الاونروا** : سألنا سؤالين للوصول الى راي الفلسطيني بطبيعة الاونروا كمؤسسة . كان السؤال الاول يترك حرية تحديد الراي للمجيب كما يشاء : « ما هي الاونروا (الوكالة أو الهيئة) بنظرك ؟ » ووضع السؤال الثاني بعض التصورات التي تسمع في اوساط الفلسطينيين حول طبيعة الاونروا كمؤسسة وقد صغنا السؤال بالشكل التالي : « هل تعتقد ان الاونروا : مؤسسة دولية خيرية، مؤسسة استعمارية، مؤسسة خلقتها اميركا ، مؤسسة يهودية أو صهيونية ، غير ذلك ، لا جواب / لا اعرف ؟ » . كنا نهدف من السؤالين الى أخذ أي تصور قد كونه الفلسطينيون عن الاونروا ثم الى جعل المجيب يختار واحدا من عدة تصورات شائعة . وعند تحليل الاجابات على السؤال الاول لم نجد اية تصورات خارج التصورات التي حددها السؤال الثاني ولذلك سنستعمل اجابات السؤال الثاني ثم نستشهد ببعض الاقوال من السؤال الاول ، جاء توزع الاجابات كالآتي :

	العدد	النسبة المئوية
أ — مؤسسة دولية خيرية	١٤	٨٫٨ ٪
ب — مؤسسة استعمارية	٧٠	٤٣٫٨ ٪
ج — مؤسسة خلقتها اميركا	٤٧	٢٩٫٤ ٪
د — مؤسسة يهودية او صهيونية	٢٤	١٥٫٠ ٪
هـ — لا جواب / لا رأي	٥	٣٫٠ ٪
المجموع	١٦٠ أي	١٠٠٪

وقد كان موقف عينة المدن شبيها بموقف عينة المخيمات ، فقد قال ٥٠٪ من عينة المدن ان الاونروا مؤسسة استعمارية ، وقال ٢٥٪ منهم انها مؤسسة خلقتها اميركا ، بينما قال ١٠٪ منهم انها مؤسسة صهيونية أو يهودية ، ولم يقل سوى ٥و١٢٪ منهم انها مؤسسة دولية خيرية .

ومن الاقوال التي وردت ردا على السؤال الاول :

— منظمة دولية وجدت لتمييع القضية الفلسطينية . — الاونروا مؤسسة امبريالية صهيونية تعمل على طمس الشعب الفلسطيني وبالتالي تصفية قضيته عبر كافة اساليبها . — هيئة متآمرة على الشعب الفلسطيني . — مؤسسة غير انسانية تعمل بوحي من الامبريالية والاستعمار . — حمار استعماري . — سفارة اميركية . — هي عبارة عن مؤسسة من المخابرات الاميركية . — جمعية لكم افواه الفلسطينيين . — مؤسسة هدفها تخدير الشعب الفلسطيني والهائه عن قضيته . — مؤسسة أسستها الدول الاستعمارية لاضعاف الروح الثورية في الشعب الفلسطيني . — هي

وكالة وظيفتها إخماد اي نضال فلسطيني . — مؤسسة لنشر روح الخمول في نفوس الشعب الفلسطيني .

من الواضح من هذه الاجابات ان ما لا يزيد على ١٠٪ من الفلسطينيين يعتقدون ان الاونروا مؤسسة دولية خيرية وجدت لاغاثتهم ومساعدتهم ، بينما يعتقد ٧٥٪ منهم تقريبا انها مؤسسة استعمارية او مرتبطة بالاستعمار (اميركا) ويذهب ١٥٪ منهم تقريبا الى حد الاعتقاد بانها مؤسسة يهودية او صهيونية صرفة .

٢ — **اهداف الاونروا ، والهدف من انشائها** : سألنا سؤالين حول هذا الموضوع ايضا ، وقد رأينا خلال هذا البحث ترداد الاسئلة بطرق مختلفة للتأكد من المعلومات التي نحصل عليها ومن حقيقة مشاعر ومواقف الفلسطينيين من الموضوع المطروح . كان السؤال الاول : « برأيك ، ما هو الهدف من انشاء الاونروا ؟ » . وكان السؤال الثاني : « هل تعمل الاونروا لوجه الله ، ام لها هدف معين ما هو ؟ » .

قال ٣ اشخاص من عينة المخيمات و ٣ اخرين من عينة المدن ان الاونروا « تعمل لوجه الله » . بينما قال ١٥٢ من عينة المخيمات (٩٥٪) و ٣٥ من عينة المدن (٨٧،٥٪) ان لها هدفا معينا . وحين السؤال عن ماهية ذلك الهدف ثم عن الهدف من انشاء الاونروا لم يميز المجيبون بين الهدف من انشاء الاونروا وبين اهداف الاونروا من وراء عملها (وفي الواقع كان اي تمييز صعب ان لم يكن مستحيلا) اما رأي الفلسطينيين بأهداف الاونروا والهدف من انشائها فكان كالتالي : يعتقد ٣٧،٦٪ من افراد عينة المخيمات بان الهدف من انشاء الاونروا هو « الهاء الشعب الفلسطيني عن ارضه ووطنه » ، ويعتقد ١٤،١٪ منهم ان الهدف هو محو القضية الفلسطينية والقضاء على الشعب الفلسطيني، ويعتقد ١٢،٩٪ منهم ان الهدف هو تخدير الروح الثورية الفلسطينية وقتلها . ولا يخفى الترابط الواضح بين هذه الاقوال الثلاثة ، اذ انها جميعها تشير الى ان الهدف الاساسي من انشاء الاونروا ومن عملها هو تصفية قضية الشعب الفلسطيني نهائيا والعمل على اسكانه حيث هو والحيلولة دونه ودون التفكير بالعودة أو النضال من اجلها . ومجموع الذين يعتقدون بهذا الهدف من افراد العينة يبلغ ١١٠ اشخاص او ٦٥٪ ومقابل هذا العدد يعتقد ١٧ شخصا فقط او ١٠٪ ان الهدف من انشائها هو مساعدة اللاجئين والمنكوبين . اما الباقون فيعتقدون ان انشاء الاونروا كان تكملة لانشاء اسرائيل (١ و٤ ٪) ، وخدمة الاستعمار ومصالحه (٤ و٦ ٪) ، وخلق النفسية الاتكالية (١،٧٪) ، وخنق الحريات واسكات الشعب الفلسطيني وتغطية اعمال العدو (٨،٢٪) ، والقضاء على ثورات الشعوب المضطهدة (١،١٪) . ولم يعط ٣،٥٪ منهم جوابا .

٣ — **من يمول الاونروا ومن يسيطر عليها ومعنى تلك السيطرة** : حول هذه النقطة سألنا السؤالين التاليين : — « برأيك من يدفع ميزانية الاونروا : كل الدول في الامم المتحدة ، اميركا فقط ، اميركا وبريطانية وفرنسة والمانية الغربية ، اسرائيل ، روسية والدول الاشتراكية ، غير ذلك ، لا جواب / لا ادري » . — « برأيك من يسيطر على الاونروا ويوجهها ؟ ماذا تعني تلك السيطرة ؟ »

يعتقد ٤٣،٨٪ من افراد العينة ان اميركا وبريطانية وفرنسة والمانية (الدول الاستعمارية) تدفع ميزانية الاونروا ، بينما يعتقد ٢١،٩٪ ان اميركا فقط هي التي تدفع تلك الميزانية ، ويعتقد ٥،٠٪ ان اسرائيل تدفعها . اما الذين يعتقدون ان كل الدول في الامم المتحدة تدفع ميزانية الاونروا فتبلغ نسبتهم ٢١،٩٪ . ولم يعط ٦،٢٪ جوابا . اما عينة المدن فتركز (٧٥٪) على ان الدول الاستعمارية الاربع هي التي تدفع ميزانية الاونروا . ويعتقد ٢٠٪ منهم ان كل الدول في الامم المتحدة تدفع تلك الميزانية . هنا

ايضا يمكن الاستنتاج ان ٧٥٪ تقريبا من الفلسطينيين يعتقدون ان الدول الاستعمارية مجتمعة او منفردة هي التي تمول الاونروا . ويعتقد ٤٨،٧٪ من افراد العينة ان اميركا هي التي تسيطر على الاونروا ، ويعتقد ٢٥٪ منهم ان الدول الراسمالية الاستعمارية هي التي تسيطر على الاونروا ، ويعتقد ١٣،٧٪ ان اميركا والصهيونية تسيطران على الاونروا ، ويعتقد ٧،٥٪ ان الصهيونية العالمية وحدها تسيطر على الاونروا . اما الذين يعتقدون ان هيئة الامم المتحدة كلها تسيطر على الاونروا فتبلغ نسبتهم ٢،٥٪ من العينة . ولم يعط ١،٢٪ منهم جوابا . يمكن القول اذن ان ٩٦٪ من الفلسطينيين في مخيمات لبنان يعتقدون ان المعسكر الامبريالي بكافة اطرافه او بعضهم هو الذي يسيطر على الاونروا .

اما معنى تلك السيطرة بالنسبة للفلسطيني فهي اساسا ابقاؤه خارج ارضه وتثبيت وجود اسرائيل والقضاء على الشخصية الفلسطينية وتخدير الفلسطينيين ومنعهم من الثورة . ويتبنى هذا التفسير للسيطرة الاستعمارية على الاونروا ٥٠٪ من افراد العينة . بينما يعتقد ٢٣،٧٪ منهم ان تلك السيطرة تعني تأمين مصالح الاستعماريين (الاستعمار الجديد) ، ويعتقد ٥،٦٪ انها تعني السيطرة على الدول العربية ، ويعتقد ٣،٧٪ منهم انها تعني التجسس وجمع المعلومات للمخابرات الاميركية . ولم يعط ١٨،٧٪ منهم اي تفسير لمعنى تلك السيطرة . وقد جاء توزع الفئة الاولى من افراد العينة (٥٠٪) حول معنى تلك السيطرة على الاونروا كالتالي :

	العدد	النسبة المئوية
أ ــ ابقاء الشعب الفلسطيني خارج ارضه:		
او تثبيت وجود اسرائيل	١٤	٪ ٨،٨
ب ــ تصفية القضية الفلسطينية :	١٧	٪ ١٠،٦
ج ــ القضاء على الشعب الفلسطيني	١٩	٪ ١١،٨
(محو هويته وشخصيته)		
د ــ القضاء على الروح الثورية الفلسطينية :	١٧	٪ ١٠،٦
هـ ــ تخدير الشعب الفلسطيني المشرد :	١٠	٪ ٦،٢

---

٤ ــ **شعور الفلسطينيين تجاه الاونروا بشكل عام** : سألنا حول هذا الموضوع سؤالا واحدا هو : « شخصيا ، هل تحب الاونروا وعملها ، تكره الاونروا وعملها ، تعتبر الاونروا مصدر معيشة فلا تكرهها ولا تحبها ، لا جواب / لا ادري » . لقد تعمدنا استعمال كلمتي « تحب » و « تكره » لانهما كلمتان عاطفيتان ومليئتان بالمشاعر الحياتية ويعود ذلك التعمد الى ان علاقة الفلسطينيين بالاونروا كانت مليئة بالمشاعر والعواطف التي سنتعرض لها في نهاية البحث .

قال ٣،٧٪ فقط من افراد العينة انهم يحبون الاونروا وعملها ، بينما قال ٦٨،٨٪ منهم انهم يكرهون الاونروا وعملها . وقال ٢٥،٦٪ منهم انهم لا يحبونها ولا يكرهونها بل يعتبرونها مصدر معيشة فقط . ولم يعط ١،٨٪ منهم جوابا . ولا يختلف الامر كثيرا بالنسبة للذين يكرهون الاونروا وعملها من عينة المدن اذ بلغت نسبتهم ٧٠٪ . لكن نسبة الذين يحبون الاونروا وعملها بينهم اكبر منها بين عينة المخيمات اذ بلغت ٢٠٪ . ولا يكن ٧،٥٪ منهم اي حب او كره للاونروا وعملها .

٥ ــ **رأي الفلسطينيين بخدمات الاونروا** : هناك جانبان اساسيان يجب ان يتوفرا في اية دراسة لخدمات الاونروا ولرأي الفلسطينيين بهذه الخدمات . الجانب الاول هو نوعية الخدمات والجانب الثاني هو طريقة توزيع هذه الخدمات وما تتركه من اثر نفسي على المستفيدين منها . تقدم الاونروا ، بالاضافة الى المسكن ، ثلاث خدمات اساسية

للفلسطينيين هي الطعام (المواد الغذائية) والعلاج الطبي ، والتعليم . وقد سألنا اولا عن رأي الفلسطينيين بهذه الخدمات كجزء من التقييم لقسم اساسي من عمل الاونروا وهو المساعدات والاغاثة المباشرة . وقد سألنا اولا عن مدى رضى الفلسطينيين عن هذه الخدمات بشكل عام ، ثم طلبنا تقييمهم لكل قطاع من هذه الخدمات على اساس الدرجات التالية : ــ ممتاز ، ــ « منيح » (جيد) ، ــ وسط ، ــ عاطل ، ــ زفت . قال ٥٣،٣ ٪ من افراد العينة انهم غير راضين اطلاقا عن خدمات الاونروا عامة ، بينما قال ٢٣ ٪ منهم انهم غير راضين عنها . مقابل ذلك قال ٢،٥ ٪ منهم انهم راضون تماما عن خدمات الاونروا ، وقال ١٥ ٪ منهم انهم راضون الى حد ما (او بعض الشيء) عن تلك الخدمات . وقال ٣،٧ ٪ انهم لا يملكون ان يرضوا او لا يرضوا على تلك الخدمات ، ولم يعط ٢،٥ ٪ منهم جوابا . وكان الاتجاه العام بين عينة المدن ايضا نحو عدم الرضى اطلاقا على خدمات الاونروا عامة . لم يقل اي شخص ان الاعاشة (المواد الغذائية الشهرية) التي توزعها الاونروا ممتازة . وقال شخصان فقط انها « منيحة » ، وقال ٢٦ شخصا او ١٦،٢ ٪ انها وسط اي مقبولة . وفي المقابل قال ١٠٦ اشخاص أو ٦٦،٢ ٪ انها زفت (رديئة جدا) ، وقال ٢١ شخصا او ١٣ ٪ انها عاطلة (رديئة) ، ولم يعط ٣ ٪ أي جواب . ولم يقل أي شخص أيضا ان العلاج الطبي الذي توفره الاونروا ممتازا ، بينما قال ٢،٥ ٪ منهم انه جيد، وقال ١٣،٧ ٪ منهم انه مقبول. وفي المقابل قال ٧٠ ٪ منهم انه زفت ، وقال ١٣،٧ ٪ منهم انه سيء . اما التعليم فكان اوفر خدمات الاونروا حظا في تقييم الفلسطينيين . فقد قال ٢،٥ ٪ منهم انه ممتاز ، وقال ١٣ ٪ منهم انه جيد ، وقال ٤١،٢ ٪ منهم انه مقبول . اي ان ٦٠ ٪ تقريبا من الفلسطينيين راضون عن تعليم الاونروا . اما الاخرون فقد انقسموا الى قسمين : ١٠،٦ ٪ منهم قالوا انه سيء ، ٣١،٨ ٪ منهم قالوا انه زفت .

يمكن القول اذن ان ٧٥٪ من الفلسطينيين غير راضين عن خدمات الاونروا عامة ، وان ذلك يرجع الى رداءة الاعاشة والتطبيب الذي يتلقونه . كما يمكن القول ان اكثر من نصفهم بقليل راض عن التعليم الذي توفره لهم الاونروا .

وسألنا الفلسطينيين عن رأيهم بالطريقة التي توزع بها الاونروا الاعاشة الشهرية والثياب المستعملة . وقد انقسم الفلسطينيون حول طريقة توزيع الاعاشة الى الفئات التالية :

طريقة توزيع الاعاشة	العدد	النسبة المئوية
أ ــ مذلة جدا ومهينة وفيها احتقار لكل فلسطيني	٤٧	٢٩،٣
ب ــ سيئة جدا (زفت)	٤١	٢٥،٦
ج ــ جيدة (منيحة)	٢٢	١٣،٧
د ــ غير مرضية	٧	٤،٣
هـ ــ غير منضبطة	٩	٥،٦
و ــ قبيحة وقذرة	٣	١،٨
ز ــ لا انسانية	٣	١،٨
ح ــ لا جواب / لا أعرف	٢٨	١٧،٥
المجموع	١٦٠	٩٩،٦

يبدو واضحا من هذا الجدول ان معظم الفلسطينيين غير راضين عن الطريقة التي توزع بها الاعاشة عليهم لانها تجرح كرامتهم وتذلهم . ومن الاقوال العديدة التي وردت حول تلك الطريقة : ــ اذلال وامتهان لكرامة الانسان . ــ طريقة لا انسانية تذكرني بحظائر الحيوانات . ــ كأبرة المورفين تعطى للمريض اخر كل شهر . ــ اشبه « بالشحادة » .

ـ يجعلوننا نتقاتل كي نحصل على شيء تافه . ـ المقصود بطريقة التوزيع قتل نفسيتنا والدوس على كرامتنا . ـ لم يسطر التاريخ على الامة العربية عارا اكبر من هذا العار .

ولم يختلف راي الفلسطينيين كثيرا بالطريقة التي توزع بها الثياب المستعملة عن رايهم بطريقة توزيع الاعاشة ولذلك لا داعي للتكرار . لكن يجدر بنا ان نسجل ان بعض الفلسطينيين يعتقدون ان مخصصاتهم الشهرية من الطعام والثياب المستعملة التي تجمع لهم تسرق من قبل موظفي التوزيع ورؤسائهم .

يمكن الاستنتاج اذن ان معظم الفلسطينيين غير راضين عن خدمات الاونروا نفسها ، وقد لخص احدهم عدم الرضى بقوله « انهم يحملوننا جميل على شي فاضي » ، وانهم مستاءون كثيرا من طريقة توزيع تلك الخدمات بشكل أقل ما يقال فيه انه لا انساني .

٦ ـ **رأي الفلسطينيين بموظفي الاونروا** : يهمنا معرفة راي الفلسطينيين بموظفي الاونروا كجزء من تلك المؤسسة ، ولانهم الجهاز الحي واليومي الذي يحتك بالفلسطينيين ويتعامل معهم ، ويوصل اليهم الخدمات المختلفة ، ويعرض عليهم المشاريع المختلفة . ولذلك غالبا ما كان غضب الفلسطينيين او كرههم او حبهم للاونروا ينصب على موظفيها . ومن احتك بالفلسطينيين خلال ربع القرن الماضي يعرف انهم يميزون بين موظفي الاونروا ويقسمونهم الى ثلاث فئات هي : الموظفون الاجانب ، (رئاسة الاونروا) ، والموظفون العرب الكبار (الاداريون) ، الموظفون العرب الصغار (المعلمون ، المحاسبون ، الكتبة ، السكرتيرات ، السواقون ، والحراس ، الخ) . وقد اتبعنا التقسيم نفسه عند قياسنا راي الفلسطينيين بموظفي الاونروا . وقد طرحنا اسئلتنا بشكل مفتوح ودون تحديد اوصاف محتملة لهؤلاء الموظفين لئلا نؤثر على راي المجيب او طريقة تفكيره فيهم . لذلك سألنا ببساطة « ما رأيك بموظفي الاونروا الاجانب ، ثم العرب الكبار ، ثم العرب الصغار ؟ » .

يعتقد ٤٧،٢ ٪ من افراد العينة ان موظفي الاونروا الاجانب جواسيس . ويعتقد ٢٦،٢ ٪ انهم عملاء للاستعمار . ويعتقد ١٠ ٪ انهم اعداء للفلسطينيين ، بينما يعتقد ٧،٢ ٪ انهم مرتزقة . اما ٢،٧ ٪ فيعتقدون انهم طيبون ، ولم يعط ٦،١ ٪ جوابا . ومن اطرف الاوصاف لهؤلاء الموظفين قول احد المجيبين : « انهم الثالوث المقدس : عملاء للاستعمار ، جواسيس ، اعداء للفلسطينيين » . وكان موقف الفلسطينيين معاديا ايضا من موظفي الاونروا العرب الكبار (ومعظمهم من الفلسطينيين) . فقد قال ٤٠ ٪ منهم ان الموظفين العرب الكبار هم عملاء للاونروا ، بينما قال ٢٥،٦ ٪ انهم مرتزقة (يعملون من اجل الراتب فقط) ، وقال ١١،٢ ٪ انهم اعداء لشعبهم . وقال ١٣ ٪ انهم لعبة في ايدي الموظفين الاجانب ، وينهبون المساعدات . وقال ٣ ٪ انهم طيبون ، وقال شخص واحد (٠،٦ ٪) انهم يخدمون مصلحة شعبهم ، بينما قال شخصان (١،٢ ٪) انهم يعطفون على شعبهم . ولم يعط ٥ ٪ منهم جوابا . ومن الاجوبة المفصلة عن هذه الفئة من الموظفين : « بعضهم رجال تدربوا على ايدي المخابرات البريطانية ايام الانتداب على فلسطين وبعد النزوح كان عليهم ان يقوموا بالدور المطلوب لتنفيذ سياسة الاونروا المرسومة في البيت الابيض وتل ابيب وسابقا في لندن . ومن الطبيعي ان يغلفوا خدماتهم في ثوب انساني من تدبير انصار ومحاسيب صغار في تنفيذ مآربهم . ونظرا للوضع المعقد الذي يعيشه شعب فلسطين من الطبيعي جدا ان يكون بين هذا الطابور اناس طيبون وجدوا في الاونروا مصدرا لمعيشتهم ، ولا مانع ان يكون ماضيهم الوطني لا غبار عليه وذلك كي تظهر الاونروا للشعب بانها منظمة انسانية لا هدف لها الا الاغاثة » . الموقف الاساسي الذي وقفته اكبر فئة من افراد العينة (٣٨،٢ ٪) من موظفي الاونروا العرب الصغار هو انهم يعملون مع الاونروا من اجل العيش ومن اجل اعالة عائلاتهم . وتلتها فئة تعتقد انهم طيبون (١٤،٧ ٪) ، واخرى تعتقد انهم يخدمون مصلحة شعبهم

(١١،١ ٪) ، واخرى تعتقد انهم يعطفون على شعبهم (٧،٦ ٪) . امـا الفئات التي تقف موقفا معاديـا من هؤلاء الموظفين فتعتقـد الاولى منها (١٣،٥ ٪) انهم عمـلاء للاونروا ، وتعتقد الثانية (٣،٥ ٪) انهم اعداء لشعبهم . امـا الفئة الثالثة (٧،٦ ٪) فتعتقد انهم آلات توجهها الرئاسة والموظفون الكبار ، وانهم ينهبون المساعدات مثـل رؤسائهم . ولم يعط ٣،٥ ٪ جوابا .

يمكن الاستنتاج اذن ان معظم الفلسطينيين لديهم رأيا سيئا جدا بموظفي الاونروا بشكل عام ، وخاصة بالموظفين الاجانب وكبار الموظفين العرب اذ يعتبرونهم اما عملاء مباشرين للاستعمار وجواسيس له أو عملاء للاونروا واعـداء للشعب الفلسطيني أو مرتزقة ينفذون مخططات الاونروا لقاء تأمين المكاسب والمنافع التي تقدمها لهم الاونروا . لكن لا يخلو هؤلاء الموظفون من عدد من الاشخاص الطيبين الذين يعملون بصدق واخـلاص لخدمة الشعب الفلسطيني . اما النظرة العامة الى صغار الموظفين العرب فهي انهـم طيبون يعملون لاعالة عائلاتهم ويتعاطفون مع شعبهـم ولا قوة ولا سلطـة لديهم على مجرى الامور في الاونروا .

٧ ــ مدى اعتماد الفلسطينيين في لبنان على الاونروا ورغبتهـم في استمرار عملهـا :
نهدف من هذا السؤال الى معرفة مدى رغبة الفلسطينيين في استمـرار عمل الاونروا اكثر مما نهدف الى معرفة نسبة الذين يتكلون عليها اتكالا تاما ، أو جزئيا أو الذين لا يعتمدون عليها بتاتا . فالشطر الاول يهتـم بمعرفة شعور الفلسطينيين ازاء استمرار اغاثة الاونروا لهم ، بينما يصبح الشطـر الثاني واردا اذ طـرح موضوع انهاء عمل الاونروا جديا . قال ٦٤،٤ ٪ من افراد العينة انهم لا يعتمـدون على الاونروا بتاتا . وقال ٢٦،٢ ٪ انهم يعتمدون عليها اعتمادا جزئيا ، وقال ٣ ٪ انهم يعتمـدون عليها الى حد كبير ، وقال ٢،٥ ٪ انهم يعتمدون عليها كليا . ولم يعط ٣،٧ ٪ جوابا . وكانت عينة المدن مشابهة لعينة المخيمات هنا اذ قـال ٧٥،٥ ٪ منهم انهم لا يعتمدون عليها بتاتا ، وقال ١٤ ٪ انهم يعتمدون عليها جزئيا ، وقال ٧،٥ ٪ انهم يعتمدون عليها الى حد كبير . ولم يقل اي شخص انه يعتمد عليها كليا . وعند سؤال الذين يعتمدون على الاونروا كليا او جزئيا حول ما اذا كانوا يودون التخلص من ذلك الاعتماد اجابوا جميعهم بـ « نعم » . وهذا الجواب الاجماعي مؤشر يدل على ان الفلسطينيين غير مرتاحين الى الاتكال على الاونروا في معيشتهم ومشاكلهم الحياتية الاخرى . وقد سألنا الذين قالوا انهم يحبون ان يتخلصوا من الاتكال على الاونروا كيف سيفعلون ذلك ، فتوزعت اجاباتهم كالتالي : قال ٦٥،٢ ٪ منهم انهم يرون التخلص من ذلك الاتكال من خلال مضاعفة جهودهم في العمل والعمل الثوري الذي سيؤدي في النهاية الى العودة والتحرير . وقال ١١،٧ ٪ منهم انه يجب طرد الاونروا فورا للتخلص من ذلك الاتكال . ولم يعط ٢٣،١ ٪ منهم جوابا .

يمكن الاستنتاج اذن ان كل فلسطيني يود التخلص من الاتكال على الاونروا بكل اشكاله، وان معظمهم يرون في العمل الثوري وتصاعد الثورة السبيـل الى خلاصهم من ذلـك الاتكال البغيض .

وقد سألنا سؤالا اضافيا حول رد فعل الفلسطينيين في حال توقف خدمات الاونروا وهو: « كيف تتدبر معيشتك في حال توقف خدمـات الاونروا : تعتمد على نفسـك وتضاعف مجهودك في العمل ، تحاول الحصول على خدمات مجانية من منظمة التحرير ، تحاول الحصول على خدمات مجانية من جامعة الدول العربية ، غير ذلك (حدد) ، لا جواب / لا ادري » . هنا ايضا قال ٦١،١ ٪ منهم انهـم سيعتمدون عـلى انفسهم ويضـاعفون جهودهم في العمل ، وقال ٧،٥ ٪ انهـم لا يتأثرون بذلـك . وقال ٤،٣ ٪ منهم انهـم سيحاولون الحصول على خدمات مجانية من منظمة التحرير ، بينما قـال ١،٢ ٪ انهم سيحاولون الحصول على خدمات مجانية من جامعة الدول العربية ، ولم يعط ٢١،٩ ٪

جوابا . ويظهر من هذه الاجابات ان معظم الفلسطينيين عازمون على الاعتماد على انفسهم في تدبير معيشتهم ، وان فئة قليلة لا تزيد على ٥٪ منهم ما زالت تفكر بالاعتماد على دول او مؤسسات لتدبير معيشتها . ولو كانت نفسية الفلسطينيين قد تحولت الى نفسية « شحادين » واتكاليين لكان رد فعلهم المتوقع الاحتجاج والتظاهر والمطالبة الجماعية باستمرار الاونروا في تقديم خدماتها .

٨ ـ **رأي الفلسطينيين بالاغاثة والمساعدات بشكل عام** : لكي نعرف مدى تغلغل فكرة الاعتماد على المعونات والاغاثة عند الفلسطينيين كمصدر لمعيشتهم راينا ان نسألهم سؤالا اكثر تحديدا وهو : « اذا كان لك ان تختار من بين عدة مصادر للاغاثة ، اي مصدر تفضل ولماذا ؟ »

وقد توزع المجيبون حول هذا السؤال كالتالي : قال ٥٠٪ من افراد العينة انهم لا يريدون اية اغاثة (ولا واحدة منها) . ولم يعط ٣٦ر٦٪ منهم جوابا . اما الباقون فقد اختاروا اساسا اغاثة عربية (١٩ر٣٪) واغاثة اسلامية (١٨ر١٪) ، وقالت فئة صغيرة انها تفضل اغاثة دولية كالاونروا (٤ر٣٪) ، بينما قالت فئة صغيرة اخرى (٥ر٦٪) انها تقبل اية اغاثة (اي واحدة منها) . يبدو ان نصف الفلسطينيين في لبنان تقريبا ما زالوا يتقبلون فكرة الاغاثة ، خاصة اذا كانت من مصدر صديق كالدول العربية او الاسلامية . لكن هذه النتيجة تتناقض مع ما وجدناه عندما سألنا كيف ستتدبر معيشتك في حال توقف خدمات الاونروا اذ بدا ان ٥٪ فقط من الفلسطينيين يفكرون بطلب اغاثة . ونحن نرجح نظرا لدقة السؤال الثاني (اذا كان لك ان تختار فاي اغاثة تفضل) ان معلوماته افضل وان الذين لم يجيبوا على السؤال الاول (٢٢٪) قد حددوا موقفهم في السؤال الثاني .

وقد حاولنا معرفة من يتقبل فكرة الاغاثة ومن لا يتقبلها (اي ما هي اعمار ومهن ومستوى تعليم الذين اختاروا اغاثة عربية او اسلامية او غيرها) ، لكننا فشلنا في ايجاد اية علاقة بين الموقف من الاغاثة وبين هذه العوامل الثابتة كما يظهر من جدول قياس الموقف من الاغاثة والعمر ادناه .

مصدر الاغاثة	العمر ١٦ـ١٩	٢٠ـ٢٩	٣٠ـ٣٩	٤٠ـ٤٩	٥٠ او اكثر	المجموع
دولية كالاونروا	١	١	٢	٢	١	٧
عربية	٥	١٤	٥	٢	٥	٣١
اسلامية	٨	٨	٤	٤	٥	٢٩
اي واحدةمنها	١	—	٢	١	٣	٧
ولا واحدة منها	٢١	٣٤	١٧	٦	٢	٨٠
لا جواب	—	١	٣	٢	—	٦
						١٦٠

عند السؤال عن السبب في اختيار اغاثة معينة اعطى الذين اختاروا اغاثة اسلامية الدافع الديني والاخوي كسبب لاختيارهم ، واعطى الذين اختاروا اغاثة عربية الدافع القومي كسبب لاختيارهم . السبب في هذه الحالات واضح ومتوقع . اما الناحية التي ركزنا عليها فهي سبب رفض اية اغاثة من قبل نصف الفلسطينيين تقريبا . ويظهر الجدول ادناه الاسباب المختلفة التي اعطتها الفئة الرافضة ووزن كل سبب منها .

يمكن القول بناء على الجدول التالي ان الفلسطينيين الذين يرفضون الاغاثة يفعلون ذلك

لسببين اساسيين هما الحفاظ على كرامتهم وتفهمهم للثمن السياسي الذي سيدفعونه مقابل الاغاثة ، ووعيهم الى ان لا شيء في عرف الدول والحكومات يعطى لوجه الله .

السبب في رفض اية اغاثة	العدد	النسبة المئوية
أ — لان اية مساعدة تقيد حركتنا وتشكل ورقة ضغط علينا	٩	١١،٢
ب — لا دولة تعطي دون اخذ اضعاف ما تعطي	١٠	١٢،٥
ج — لاني اريد لشعبي ان يعاني ويثور	١١	١٣،٧
د — يجب ان نتوقف عن الشحادة	١٨	٢٢،٥
هـ — لان معظم الدول التي ذكرتها تخدم الاستعمار او هي دول رجعية	١٤	١٧،٥
و — المساعدات أداة للتخدير	٧	٨،٧
ز — غير ذلك (المساعدات توقف البروليتاريا الثورية عن عملها)	١	١،٢
ح — لا جواب	١٠	١٢،٥
المجموع	٨٠	٩٩،٨

٩ — مدى وطبيعة الضرر والافادة التي لحقت بالفلسطينيين من جراء الاونروا : لقد انشئت الاونروا لافادة ومساعدة الفلسطينيين . ويمكن لرئاسة الاونروا ان تعدد بالارقام مقدار مساعداتها للشعب الفلسطيني خلال ربع القرن الماضي فتقول علمنا كذا شخص ووزعنا كذا مواد غذائية وعالجنا كذا مريض . لكن هذا لا يكفي ولا يعطي الصورة الحقيقية عن الافادة الفعلية او الضرر الفعلي لهذه المساعدات. ان الفلسطينيين هم وحدهم القادرون على تقييم الافادة والضرر الفعليان لهذه المساعدات ولعمل الاونروا واشرافها عليهم ، وهم وحدهم القادرون على القول أين اصابهم اكبر قدر من الضرر ومن الفائدة وفي أية نواحي . لذلك سنهمل في تحليلنا هذا الجانب الكمي والعيني لما قدمته الاونروا ، ونركز على ما يعتقده الفلسطينيون ويقولونه بأنفسهم . بناء على هذا التصور سألنا الاسئلة التالية : ١ — « برأيك ، هل أفادت (نفعت) الاونروا الفلسطينيين ، كثيرا ، بعض الشيء ، قليلا ، لم تفدهم ، (اذا كانت قد أفادتهم ، كيف أفادتهم ، في اية نواحي) . ٢ — برأيك ، هل أضرت الاونروا بالفلسطينيين ؟ (نفس ترتيب السؤال الاول) . ٣ — هل تعتقد ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين اتكاليين ؟ — نعم — كلا — لا جواب/لا اعرف . (اذا « نعم » . كيف) . ٤ — هل تعتقد ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين مثل الشحادين ؟ — نعم — كلا — لا جواب/لا اعرف . كيف ؟

حول السؤال الاول ، قال ٣،٧ ٪ من أفراد العينة ان الاونروا قد أفادت الفلسطينيين كثيرا ، وقال ٢٥،٦ ٪ منهم انها قد أفادت بعض الشيء ، وقال ٢٨،١ ٪ منهم انها قد أفادت قليلا ، وقال ٣٦،٨ ٪ منهم انها لم تفدهم ، ولم يعط ٥،٦ ٪ جوابا . اذا أخذنا الافادة بغض النظر عن مقدارها نجد ان ٦٠ ٪ من الفلسطينيين يعتقدون ان الاونروا قد أفادتهم بدرجة او بأخرى . اما نواحي الافادة في نظر هؤلاء فتنحصر في رأيهم بالامور الحياتية . وقد نال التعليم الحظ الاوفر من الثناء ، اذ قال ٤٣،٤ ٪ من الذين يعتقدون بأن الاونروا قد أفادت الفلسطينيين « انها أفادت في التعليم فقط » . وقال ١٨،٩ ٪ من هذه الفئة انها أفادت في توزيع الطعام (الاعاشة) . وقال ١١،٣ ٪ انها أفادت في التعليم والعلاج (خاصة المستشفيات) ، وقال ٨،٤ ٪ أنها افادت في التوظيف (تأمين العمل للفلسطينيين) . وقال ٢،٨ ٪ انها أفادت في كل جوانب الحياة . ولم يذكر ١٥ ٪ من هذه الفئة نواحي الافادة . حول السؤال الثاني ، قال ٦٠ ٪ من أفراد العينة ان الاونروا قد أضرت كثيرا بالفلسطينيين ، وقال ١٥ ٪ منهم انها أضرت بعض الشيء ، وقال ٥،٦ ٪ انها أضرت قليلا . وقال ٧،٥ ٪ فقط انها لم تضر بالفلسطينيين .

ولم يعط ١١،٨ ٪ منهم جوابا . يمكن القول بشكل عام ، وبغض النظر عن الدرجة ، ان ٨٠ ٪ من الفلسطينيين يعتقدون ان الاونروا قد أضرتهم بشكل او بآخر .

قد يبدوللوهلة الاولى ان هناك تناقضا هائلا في رأي نفس الاشخاص فيما اذا كانت الاونروا قد أفادتهم أو أضرتهم . لكن يبدو ان المسألة ليست أسود أو أبيض بالنسبة لتأثير الاونروا ، وان تأثيرها في الواقع يجمع الاثنين معـا الضرر والفائدة وان كان بدرجات مختلفة وفي نواحي مختلفة . وان أي عملية تقييم للضرر أو الافادة اللذيـن أحدثتهما الاونروا يجب أن تعتمد أساسا على نواحي الضرر ونواحي الافادة او على نوعية الضرر ونوعية الافادة . لكن قبل الانتقال الى عملية التقييم هذه علينا أن نرى النواحي التي يعتقد الفلسطينيون ان الاونروا قد أضرتهم فيهـا . يبدو ان تصـور الفلسطينيين للضرر الذي ألحقتـه بهم الاونروا يمس ثـلاث نواحي أساسية وهي : (أ) ـ الناحية السياسية (أضرت بالقضية الفلسطينية وبالنضال الفلسطيني) ، (ب) الناحية النفسية (الكرامة الشخصية ، الاتكالية ، سلب الرجولة ، سلب الارادة). (ج) الناحية الحياتية (التعليم السيىء ، المواد الغذائية السيئة) . فقد قال ٣٧ ٪ من أفراد العينة ان الاونروا أبعدت الفلسطينيين عـن قضيتهم وأخمدت روح الثورة عندهم وقال ٣،٥ ٪ أنها حققت أهداف الاستعمار . وقال ١١،١ ٪ منهم انها جعلتهم اتكاليين ، وقال ٨،٨ ٪ انها خدرتهم كالمورفين ، وقال ٤،٧ ٪ انها سلبتهم ارادتهم ، وقال ٢،٣ ٪ انها سلبتهم رجولتهم ، وقال ٤،٧ ٪ انها أعطتهم تعليما سيئا ، بينما قال ٦،٤ ٪ انها أضرت من جميع النواحي ، وقال ٣،٥ ٪ انها أضرت بالتجسس علـى الفلسطينيين ولم يذكر ١٤،١ ٪ نواحي الضرر .

اذن يركز ٤٠ ٪ من الفئة التي تعتقـد ان الاونروا أضرت بالفلسطينيين على الناحية السياسية ، بينما يركز ٢٧ ٪ منهم على الناحية النفسية ، ويركز ٨ ٪ على الناحية الحياتية . وللتأكيد نود ان نذكر ان عينة المدن لها الاراء نفسها حول مدى وطبيعة الافادة والضرر الذي سببته الاونروا للفلسطينيين .

واذا قارنا راي الفلسطينيين بافادة الاونروا ورايهم بضررها نجد ما يلي : من ناحية الكمية هناك فرق شاسع بين الذين يعتقدون ان الاونروا أفادت كثيرا (٣،٧ ٪) والذين يعتقدون انهـا أضرت كثيرا (٦٠٪) . ومن الناحيـة النوعيـة نجد ان الافادة قد اقتصرت على الخدمات (التعليـم ، الطعام والعلاج) وهـي خدمات يشكو منهـا الفلسطينيون بمرارة كبيرة وبشكل دائم ، والتي لم يرض عنها ٧٦،٣ ٪ من افراد العينة التي شملتها الدراسة . فالتعليم مشكوك بقيمته العلمية من ناحية ، ويتعارض مـع الوضع السياسي للفلسطينيين من ناحية أخرى ، اي انه تعليم أبعد ما يكون عن النضال والدفع الثوري . والمواد الغذائية من أدنى المستويات ولا تفي بحاجات الجسم وطاقاته. والعلاج رديء بشكل عام ، وجيد في حالات معينة ، ويمكن القول انه يخفف قليلا من مصائب الفلسطينيين . امـا الضرر ، من الناحية النوعيـة أيضا ، ففادح . الضرر الاساسي كان في الناحيتين السياسية والنفسية . ففـي الناحية السياسية حـاولت الاونروا ، من خلال عدة مشاريع كبرى ، توطين اللاجئين في الدول المضيفة وحاولت خلق واقع جديد لهم لكنها فشلت في ذلك نظرا للوعي الوطني الفلسطيني ولقوة ارتباط الفلسطيني بأرضه.وذلك الدور الذي لعبته الاونروا كان بحد ذاتهخدمة كبرى للاستعمار وخدمة أكبر لاسرائيل ولتثبيتها فوق أرض فلسطين عن طريق تثبيت الشعب الفلسطيني خارج أرض فلسطين . وفي الناحيـة النفسيـة لعبت الاونروا بواسطة مساعداتها وبطريقة توزيع تلك المساعدات دورا نشطا في كسر ارادة الفلسطيني وسلبه رجولته وتخديره واذلاله . بناء على هذه المقارنة الواضحة لكفتي الافادة والضرر الذي سببته الاونروا للفلسطينيين يمكن الاستنتاج بأن الاونروا قد أضرت ضررا فادحا بالشعب

الفلسطيني ولم تفده في شيء لانها رغم تقديمها لضرورات الحياة اليومية (المأكل والملبس والعلاج) فقد كانت هذه الخدمات سيفا ذا حدين أضر أكثر مما نفع لانه اضر نفسيا ونفع جسديا . فقد قال ٤٠،٦ ٪ من افراد العينة ـــ ردا على السؤال الثالث ـــ ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين اتكاليين ، بينما قال ٤٦،٨ ٪ انها لم تجعلهم كذلك ، ولم يعط ١٢،٥ ٪ جوابا . وقال معظم أفراد الفئة الاولى ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين اتكاليين باعتمادهم على الاعاشة وبتأمين الاكل والتعليم والطب لهم .

وقال ٥٥،٦ ٪ من أفراد العينة ـــ ردا على السؤال الرابع ـــ ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين مثل الشحاذين ، بينما قال ٣٢،٥ ٪ انها لم تجعلهم كذلك ، ولم يعط ١١،١ ٪ جوابا . ويعتقد معظم أفراد الفئة الاولى (٧٠ ٪) ان الاونروا قد جعلت الفلسطينيين مثل الشحاذين بطريقة توزيع الخدمات : الانتظار والتدافع للحصول على الاعاشة ، الوقوف على أبواب العيادات ، توسلهم للموظفين والممرضات كي يسهلوا أمورهم ، وتحملهم الاهانات من المسؤولين عن توزيع الخدمات المختلفة . ويشدد ٨ ٪ من هذه الفئة على ناحية هامة لكن غير ملفتة للنظر ـــ مثل طريقة توزيع الخدمات ـــ وهي اعلان الاونروا كل عام في الجرائد وكافة وسائل الاعلام عن عجزها عن تأمين الخدمات للفلسطينيين مما يطعن الفلسطيني في كرامته .

١٠ ـــ رأي الفلسطينيين بأمور عامة تعكس قيمهم وحالتهم النفسية : طرحنا بضعة أسئلة تهدف الى اختبار مدى صحة الصورة الشائعة للفلسطيني ، على الاقل قبل الثورة ، والتي تكونت على الشكل التالي : الفلسطيني أصبح انسانا اتكاليا فاقد الارادة لا يثق بنفسه ، فاقدا كرامته ، ومستسلما لقدره . سألنا الاسئلة التالية حول موقف الفلسطيني من الارادة ونظرته الى ارادة شعبه ثم الى تأثير الثورة الفلسطينية على وزن أرادة الفلسطينيين : « هل تعتقد ان ارادة الفلسطينيين تؤثر في تقرير مصيرهم ؟ » ـــ « هل تكفي الارادة وحدها لتغيير مجرى الامور ؟ » ـــ « هل أعطت الثورة الفلسطينية أي وزن لارادة الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ؟ »

قال ٤٦،٨ ٪ من أفراد العينة ان الارادة تكفي دائما لتغيير مجرى الامور ، وقال ٢٢،٥ ٪ انها تكفي أحيانا لتغيير مجرى الامور . وقال ٢٦،٢٥ ٪ انها لا تكفي أبدا . ولم يعط ٤،٣ ٪ جوابا . وقال ٨١،٢ ٪ من أفراد العينة ان ارادة الفلسطينيين تؤثر في تقرير مصيرهم الى حد كبير ، بينما قال ١١،٢ ٪ أنها تؤثر في تقرير مصيرهم الى حد ما . وقال ٣،٧ ٪ فقط انها لا تؤثر اطلاقا في تقرير مصيرهم . ولم يعط ٣،٧ ٪ جوابا . وقال ٧١،٢ ٪ من أفراد العينة ان الثورة الفلسطينية قد أعطت وزنا كبيرا لارادة الفلسطينيين ، بينما قال ١٥،٦ ٪ أنها أعطت وزنا معقولا لارادة الفلسطينيين ، وقال ٦،٢ ٪ انها أعطت وزنا بسيطا لتلك الارادة . وقال ٥ ٪ من أفراد العينة ان الثورة الفلسطينية لم تعط أي وزن لارادة الفلسطينيين . ولم يعط ١،٨ ٪ جوابا .

وتعكس هذه الارقام التي أتت كحصيلة السؤالين الاولين ثقة عالية في النفس عند الفلسطينيين ، كما تعكس شعور الفلسطينيين بتأثير ارادتهم في تقرير مصيرهم . وهذه الصورة أبعد ما تكون عن صورة الانسان الفاقد لارادته والمستسلم . وقد جاءت النسبة العالية للذين يؤمنون بارادة شعبهم مغايرة تماما لما يتوقعه المراقبون نظرا للظروف الاجتماعية والنفسية التي خضع لها الفلسطينيون قبل انطلاق ثورتهم . ويبدو ان العامل الاساسي في انعاش تلك الارادة وفي ايقاظ تلك الثقة بالنفس كانت الثورة الفلسطينية التي أعادت لشعب مسحوق ومغلوب على أمره ثقته بنفسه وبقدراته .

وسألنا سؤالين حول موقف الفلسطينيين من العمل ونظرتهم الى السبب الذي يعمل من

اجله الانسان هما : ١) « هل توافق أو لا توافق على أن العمل شقاء وتعب بلا فائدة وبالتالي فمن يعيش على حساب الاونروا عايش مثل الذي يشتغل ويتعب » . ٢) « هل اشتغلت من أجل : ـــ تحسين وضعك المادي فقط ، ـــ الحفاظ على كرامتك فقط ، ـــ تحسين وضعك المادي والحفاظ على كرامتك ، ـــ لان العمل يفيد ويرفع المعنويات ، ـــ للتخلص من الملل ، ـــ غير ذلك (حدد) ، لا جواب/لا أعرف » . قال ٨٧،٥ ٪ من افراد العينة انهم لا يوافقون على الكلام الذي ورد في السؤال الاول . وقال ٧،٥ ٪ منهم فقط انهم يوافقون على ذلك الكلام . ولم يعط ٥ ٪ منهم جوابا . ان هـــذا الموقف الاجتماعي يثبت بشكل قاطع ان الفلسطينيين لم يصبحوا كالحشرات الطفيلية التي تقبل العيش على حساب دول أخرى دون أن تبذل أي مجهود لاعالة نفسها ، فهم لا يوافقون على ان « العيش » كله واحد ، ويميزون بين مصادر العيش ، ويعطون وزنا كبيرا لطريقة تحصيل المعيشة .

وتأتي اجاباتهم على السؤال الثاني لتؤكد موقفهم هذا ، اذ قال ٦٦،٩ ٪ منهم أنهم قد اشتغلوا من أجل تحسين وضعهم المادي والحفاظ على كرامتهم . وقال ٢٣،٦ ٪ منهم أنهم اشتغلوا من أجل الحفاظ على كرامتهم فقط . بينما قال ٤،٧ ٪ منهم انهم اشتغلوا من أجل تحسين وضعهم المادي فقط . وقال ٣،٩ ٪ انهم اشتغلوا لان العمل يفيد ويرفع المعنويات . بينما قال شخص واحد (٠،٨ ٪) انه اشتغل للتخلص من الملل . يظهر هنا بوضوح مدى تشديد الشعب الفلسطيني على كرامته ، ويثبت لنا أنه شعب يهمه الحصول على خبزه بكرامة . ولولا هذا الموقف وهذه القيمة لتحول الشعب الفلسطيني منذ سنين عديدة الى شعب اتكالي يكتفي بالمعيشة عن طريق الاغاثة التي تقدمها له الاونروا . فالعمل بحد ذاته يشكل قيمة عند الفلسطيني لانه مرتبـــط ارتباطا وثيقا بالكرامة .

الاستنتاج العام للبحث :

بناء على الحقائق التي وردت في هذا البحث ، يمكننا تسجيل نظرة الفلسطينيين في لبنان الى الاونروا على النحو التالي : ان الغالبية الساحقة من الفلسطينيين في لبنان (٩٠ ٪) يعتبرون الاونروا مؤسسة استعمارية أوجدتها الدول الاستعمارية الغربية وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، بينما يذهب قسم منهم لحد الاعتقاد بأنها مؤسسة يهودية أو صهيونية خلقت لخدمة الاهداف السياسية الصهيونية. وهناك ١٠ ٪ فقط من فلسطيني لبنان يعتبرون الاونروا مؤسسة دولية خيرية انشئت من أجل مساعدتهم . وبالتالي فان معظم فلسطيني لبنان يكرهون الاونروا وعملها ويمقتون كل ما تجسده هذه المؤسسة أو تمثله . يمكن الاستنتاج ، بشكل عام ، من هذه الحقائق ان العلاقة بين الفلسطيني والجهاز الاداري المتحكم به هي علاقة كره عميق وريبة كبيرة وانها لم تتحول في أي يوم من الخمسة وعشرين عاما الماضية الى أدنى مستوى من الحب أو الثقة . والاونروا بصورتها الحالية مرفوضة من قبل الفلسطيني لكنها مفروضة عليه فرضا .

اما موقف الفلسطينيين من جهاز الاونروا بالتفصيل فهو : يعتقد معظم الفلسطينيين في لبنان ان الهدف الاساسي من انشاء الاونروا هو تصفية قضية الشعب الفلسطيني نهائيا، والعمل على اسكانه حيث هو ، والحيلولة دونه ودون التفكير بالعودة أو النضال من أجلها . ويعتقدون أيضا ان الدول الاستعمارية الغربية ، وخاصة اميركا ، تمول الاونروا من أجل تحقيق هذا الهدف . ويعتقدون بالتالي ، وكمحصلة طبيعيـــة ، ان المعسكر الامبريالي بكافة اطرافه ، وخاصة أميركا ، يسيطر على الاونروا ، وان تلك السيطرة تعني ابقاء الشعب الفلسطيني خارج أرضه وتثبيت وجـــود اسرائيل والقضاء على الشخصية الفلسطينية وتخدير الفلسطينيين ومنعهم من الثورة .

وان معظم الفلسطينيين في لبنان غير راضين عن خدمات الاونروا ومستاءون الى ابعد الحدود من الطريقة التي توزع بها تلك الخدمات لانهم يلمسون فيها دوسا لكرامتهم وجرحا لعزتهم وكبريائهم . كما انهم يعتبرون موظفي الاونروا الاجانب عملاء للاستعمار وأعداء للشعب الفلسطيني وجواسيس عليه ، ويقفون أيضا موقفا معاديا من موظفيها العرب الكبار لانهم يعتبرونهم عملاء للاونروا واتباع للموظفين الاجانب ينفذون رغباتهم ويسكتون على مؤامراتهم على الشعب الفلسطيني . اما فئة صغار الموظفين (العرب) فتحظى بعطف الشعب الفلسطيني ولا تعتبر شريكة في المؤامرة .

يهمنا فيما يتعلق بمدى الضرر أو الافادة التي لحقت بالفلسطينيين ان ننقل مشاعرهم فقط : يشعر معظم فلسطينيي لبنان أن الاونروا قد أفادتهم في التعليم (أي تعليم أبنائهم) وفي جزء من العلاج الطبي (ادخالهم الى المستشفيات) . ويشعرون انها قد أضرتهم في ناحيتين أساسيتين هما الناحية السياسية والناحية النفسية . فمن الناحية السياسية ، يشعر الفلسطينيون بأن الاونروا قد أضرت وعرقلت نضالهم وانها دفعتهم للاندماج في الدول المضيفة وساعدتهم على اكتساب المهارات اللازمة للاندماج في تلك المجتمعات مما أثر على قضيتهم الاولى وهي العودة واستعادة أرضهم واعادة بناء مجتمعهم الخاص بهم . ومن الناحية النفسية ، يشعر الفلسطينيون بأن الاونروا كانت تحاول ، ونجحت في بعض الحالات ، في دوس كرامتهم وسلبهم رجولتهم واخضاع ارادتهم وجعلهم يتكلون عليها . قد يبدو ان هناك تناقضا أو استحالة الجمع بين الشعور بالضرر السياسي والضرر النفسي لانه كيف يمكن للاونروا التي تعلم الفلسطيني مهارات تمكنه من العمل والنجاح — وبالتالي الاندماج — في المجتمعات المضيفة ان تحاول في الوقت نفسه جعله اتكاليا ومسلوب الارادة . في الواقع أن من عايش تحكم الاونروا بالفلسطينيين يتفهم امكانية الجمع بين الامرين . فالاونروا تمارس عملية الاذلال واخضاع الارادة وخلق الروح الاتكالية أولا ، ثم تقوم بتعليم هذا الانسان المسلوب الارادة حرفة ما أو تؤمن له عملا ما يضمن اندماجه وتأقلمه حيث يقيم .

لكن هل حققت الاونروا الهدف الذي يعتقد معظم الفلسطينيين في لبنان انهـا قامت لتحقيقه ؟ الجواب الواضح هـو كلا . ووضوح الجواب لا يأتي فقط مـن اجابات الفلسطينيين على أسئلة معينة حـول بعض القيم ، وانما يأتي مـن ويتمثل بالثورة الفلسطينية نفسها . فالشعب الذي ثار بعد عشرين عاما شعب لم يهزم ولم تهزمه أو تثبط عزيمته الاونروا بمشاريعها المختلفة . انشئت الاونروا أساسا لمدة عامين فقط ، ثم مدد لها عامان آخران ، ثم مدد لها أعوام أخرى واستمرت الى اليوم . لماذا أنشئت الاونروا لمدة عامين ولماذا مدد لها كل هذه السنوات ؟ لان من ورائها من المستعمرين اعتقدوا ان مشاريعهم الاستيطانية كفيلة بتصفية القضية خلال عامين . خاب أملهم فمددوا عامين آخرين ، وخاب مرة أخرى فمددوا أيضا . وفي الوقت الذي كانت الاونروا تحاول فيه تفتيت الشعب الفلسطيني ومحو شخصيته وترتيب أوضاعه حيث يقيم بشكل نهائي كانت تردد الجملة الجوفاء « شرط ألا تمس هذه المشاريع حقوقهم في العودة أو التعويض كما نصت عليها قرارات الامم المتحدة » .

اما فيما يتعلق بالمدلولات السياسية لعمل الاونروا ومشاريعها ، فنحن نعتقد ان الاونروا بكيانها الحالي وطريقة عملها الحالية تتعارض مع أي عمل ثوري يقوم به الفلسطينيون ومع المجرى العام للثورة الفلسطينية وتصاعدها . ونحن ندعو الى المزيد من العمل الثوري في أوساط الجماهير الفلسطينية ، وخاصة الـى انشاء مجالس شعبيـة في المخيمات تحقق للفلسطينيين ادارة ديمقراطية في أماكن تجمعهم وتكفل لهم تسيير شؤونهم باستقلالية وبشكل يعطي دفعا وزخما لمسيرة ثورتهم الطويلة نحو النصر والعودة .

اسرائيل والعمليات الخارجية للمقاومة

شحاده موسى

مقدمة : اكتسبت العمليات التي قامت بها حركة المقاومة خارج الارض المحتلة في عام ١٩٧٢ اهمية خاصة لارتباطها بما يمكن اعتباره مرحلة جديدة ليس في أسلوب مواجهتنا مع العدو فحسب بل وفي المسيرة النضالية الفلسطينية والعربية معا . فعلى الصعيد العربي جرت عدة تطورات تركت انطباعات لدى الجماهير بأن ما يجري يدل على العجز العربي ، والسير في عكس اتجاه المعركة . وعاشت حركة المقاومة سلسلة من التوترات الداخلية والضغوطات الخارجية أدت الى ما يمكن اعتباره تجميدا للعمل الفدائي من لبنان . وتعرضت حركة المقاومة لموجة من الارهاب الاسرائيلي ــ الصهيوني في الدول العربية وفي العالم الخارجي ، باسم محاربة الارهاب العربي . وأعلنت اسرائيل انها في حرب شاملة مع منظمات المقاومة ، وربطت صراحة بين قبولهـا بالتسوية السلمية وتصفية المقاومة ، ومارست ضغوطات مختلفة على الدول العربية لاخماد صوت المقاومة على أراضيها .

ولقد واجهت الاوساط الاسرائيلية والصهيونية عمليات عام ١٩٧٢ ، وتحديدا عمليتي اللد وعملية ميونيخ بردود فعل غير معهودة من حيث شمولها وحدتها وطابعها الانفعالي الشديد ، وعكست نظرة جديدة في استراتيجية اسرائيل تجاه المقاومة . فهي لم تعد تكتفي بهدف شل الفعالية العسكرية لحركة المقاومة ، وانما تطلب الغاء وجودها كله . ان ما الحقته هذه العمليات باسرائيل من خسائر ، في الارواح والممتلكات ، كان طفيفا بالنسبة لعمليات المقاومة الاخرى ، فلماذا جاءت ردود الفعل الاسرائيلية والصهيونية على هذا المستوى ؟ من الصعب فهـم السلوك الاسرائيلي بمعزل عـن الستراتيجية الاسرائيلية تجاه حركة المقاومة بشكل خاص . ومع ان هذه المقالة لا تعالج مثـل هذه الستراتيجية* ، الا انه يمكن القول ، خاصة بعد مجزرة أيلول عام ٧٠ وتصفية المقاومة في الاردن ، **أن هذه العمليات تخرق اطار فهم اسرائيل ودعايتها حول حركة المقاومة** . فقد دأبت اسرائيل على تصوير المقاومة بأنها أحد الجوانب المترتبـة على حرب الايام الستة ، والمرتبطة بسياسة الدول العربية « لارغام » اسرائيل على القبول بتسوية سياسية . أي ان المقاومة ظاهرة طارئة ، محدودة الفعالية والاثر .

تتركز هذه المقالة على استعراض الموقف الاسرائيلي تجاه عمليات ١٩٧٢ أو ما أسمته بالارهاب العربي ، وكما انعكس هذا الموقف في وسائل اعلام العدو وتصريحات مسؤوليه ثم الاجراءات السياسية والعسكرية التي قام بها . واذا كان لمثل هذا الاستعراض من هدف ، فهو ابراز ما جسدته ردود فعل العدو من قضايا ينبغي ألا تغيب عن فهمنا لطبيعة معركتنا مع العدو ، ومن ثم لمسيرتنا النضالية . ولكي يتم وضع ردود الفعل هذه في

---

* راجع في هذا المجال كتاب ابراهيم العابد ، **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** ، منشورات مركز الابحاث، بيروت : ١٩٧١ ، الفصل الاخير .

سياقها الصحيح ، يحسن أن نستعيد كيف واجهت اسرائيل عمليات المقاومة اجمالا طيلة أعوام نشاطها ، أي اننا سنتكلم بايجاز عن مواجهة اسرائيل لعمليات الداخل والعمليات الخارجية القديمة ، ثم عمليتي اللد وميونيخ بشكل خاص .

١ ــ **عمليات الداخل** : نعني هنا بعمليات الداخل كل عمليات المقاومة الموجهة مباشرة ضد الوجود الصهيوني فوق الارض الفلسطينية سواء تمت على يد خلايا المقاومة داخل الارض المحتلة ، أو عبر الحدود ، وذلك مقابل العمليات الخارجيـــة المتمثلة بخطف الطائرات او ضد الوجود الاسرائيلي والصهيوني خارج المنطقة . ويبدو ان اسرائيل كانت تشعر بقدرتها على المواجهة **السياسية ــ الاعلامية** لحركة المقاومة ، وخاصة اذا استطاعت حصر عملياتها في نطاق الحدود . واعتمدت اسرائيل في ذلك على مبدأ طمس حقيقة المقاومة وهويتها الفلسطينية والسياسية ، وذلك بأن دأبت على الصاق العمل الفدائي بالدول العربية بغية تشويهه واستخدامه في الوقت ذاته في دعاية معادية مضللة تكرر قصة تعرض اسرائيل الدائم لخطر العداء العربي . فقد حرصت اسرائيل باستمرار على محاولة طمس الهوية الفلسطينية وانكار وجود شعب فلسطيني . فبروز الشخصية الفلسطينية من خلال ممارسة المقاومة كحركة تحرير وطنية سيجعل السؤال الفلسطيني مطروحا على صعيد دولي وبشكل جديد . وخطورة ذلك لا تتمثل بما يمكن أن يحدثه من ردود فعل رسمية او في أروقة الامم المتحدة فقط، بل بما ستنجزه حركة المقاومة من علاقات مع حركات التحرير والاوساط التقدمية في العالم وتكسب تأييدها . وبالمقابل ، سوف يتضح موقع اسرائيل كمخفر امامي للامبريالية ، ودورها المضاد لحركات التحرر في منطقة الشرق الاوسط . وسوف يدحض هذا الوضع بالملموس الزعم الصهيوني القديم والذي حاولت اسرائيل أن تجعله بمثابة الحقيقة المسلم بها حول الصحراء التي حولت الى جنة وأقيمت عليها اسرائيل .

لم يكن بامكان اسرائيل الا اطلاق تعبير « المخربين العرب » و« تنظيمات التخريب » على العمل الفدائي ، بمعنى ان الفدائيين ليسوا سوى « أشخاص » يتسللون عبر الحدود ، بدفع من الدول العربية ، ويقومون بتخريب منشآت مدنية أو يقومون بقصف المستوطنات المدنية من خلف الحدود ، اي ان اسرائيل تواجه **تخريبا عربيا** . من جهة أخرى ، يبدو ان اسرائيل لم تجد نفسها محرجة كثيرا من الناحية السياسية ــ الاعلامية نتيجة لعمل المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة . فبالاضافة للاعتبارات السابقة لا تنكر اسرائيل ظاهريا ان هذه المناطق محتلة ، وهي تطلق عليها اسم المناطق المدارة، وتدعي ان بقاءها فيها مرهون بالتسوية السلمية مع الدول العربية .

اما في **المواجهة العسكرية** فقد كان يهم اسرائيل ان تظل عمليات المقاومة بعيدة عن قلب اسرائيل أو ما يسمى بالحزام الاخضر ، أي أن تظل بعيدة عن المناطق الصناعية والمكتظة بالسكان . وذلك بهدف الحفاظ على شعور المواطنين الاسرائيليين بالاطمئنان . وللغاية ذاتها حاولت اسرائيل ، وكان بمقدورها حين يكون العمل الفدائي بعيـــدا عن قلـــب اسرائيل ، التخفيف اعلاميا من خطر المقاومة واخفاء أخبارها وتشويه أعمالها . وسلامة قلب اسرائيل أيضا أمر مهم لعناصر حيوية في وجود اسرائيل واستمرارها ، مثل الهجرة والسياحة والاستثمارات الاجنبية . واتبعت اسرائيل وسائل عديدة للحد مـــن نشـــاط المقاومة مثل الاعتقالات والابعاد ونسف البيوت في الاراضي المحتلة ، وشق الطرق واقامة الاسلاك الشائكة على طول الحدود ، وضرب قواعد المنظمـــات والمدنيين بهـــدف عزل المقاومة عن جماهيرها ... الخ(١) .

٢ ــ **العمليات الخارجية القديمة** : يمكن القول ايجازا ، ان مواجهة اسرائيل لعمليات ما قبل عام ٧٢ اتسمت بالاجراء الدفاعي أو رد الفعل ، أي ان اسرائيل كانت تقوم بعمل ما في أعقاب كل عملية . فقد أعلنت اسرائيل أن هجومها على مطار بيروت مثلا في نهاية

عام ٦٨ واحراق عدد من الطائرات اللبنانية كان ردا على مهاجمة فدائيي الجبهة الشعبية لطائرة اسرائيلية في مطار اثينا . وردا على اختطاف الجبهة الشعبية لعدة طائرات وانزالها في مطار الثورة شمالي الاردن في أوائل ١٩٧٠ ، قامت اسرائيل باعتقالات جماعية في الاراضي المحتلة مهددة بأن مصير المعتقلين متوقف على مصير الرهائن في الاردن ، وحاولت تدويل القضية في محاولة لتجنيد الرأي العام العالمي ضد المقاومة والدول العربية وتمهيدا لاي عمل قد تقوم به ، وممارسة ضغوط قوية على الدول العربية ، وخاصة الاردن آنذاك ، لتصفية حركة المقاومة . كما كانت اسرائيل تقوم في أعقاب كل عملية بمهاجمة قواعد الفدائيين ، الا أن كل ذلك ظل في اطار رد الفعل او الاجراء الدفاعي . غير ان أصواتا كانت قد بدأت ترتفع في اسرائيل مطالبة بأن تبادر اسرائيل الى الهجوم المختلف نوعيا عن الردود السابقة والمقتصرة على مطاردة الجيش للفدائيين وضرب قواعدهم . وقد يكون مفيدا أن نستعيد بعض وجهات النظر هذه ، ذلك ان اسرائيل قد تبنتها عمليا بعد العمليات الخارجية للمقاومة في عام ٧٢ . فبعد عدة عمليات (معظمها قامت بها الجبهة الشعبية) ضد الطائرات او المؤسسات الاسرائيلية والصهيونية في الخارج ، وتحديدا بعد اختطاف طائرة أميركية من قبل الجبهة الشعبية وانزالها في دمشق في أواخر آب ٦٩ ، كان عليها بعض الاسرائيليين ، وقيل يومها ان المقصود بالعملية كان اسحق رابين سفير اسرائيل في واشنطن ورئيس أركان الجيش الاسرائيلي في عدوان ٦٧ . بعد ذلك بدأت تظهر في اسرائيل دعوات للقيام بعمليات ارهابية داخل الدول العربية . فدعا المحرر السياسي لصحيفة هآرتس الى اقامة وحدات من الجيش الاسرائيلي للقيام بأعمال تخريبية « صغيرة » داخل البلدان العربية ، بالاضافة الى عمليات الانتقام الكبيرة التي يقوم بها الجيش . فقال ان معنى الارهاب هو سلسلة متلاحقة من عمليات صغيرة تبادر اليها ولا تكون مرتبطة بعملية تخريب معينة ، وهدفها زعزعة الحياة في كل دولة تنفذ منها عمليات ارهابية من أي طراز ضد اسرائيل أو ضد اسرائيليين في الخارج(٢) . وأكد ذلك عميحاوي باجلين ، رئيس قسم العمليات في الارجون سابقا ، (اعتقل في اسرائيل مع عناصر بارزة في رابطة الدفاع اليهودية ، بعد عملية ميونيخ بتهمة تهريب أسلحة الى الولايات المتحدة للقيام بأعمال ارهابية ضد العرب هناك) اذ قال « ان الرد على الارهاب يجب الا يكون بواسطة عمليات رد على ما يقوم به العرب ، بل يجب أن تكون هناك مبادرات من جانبنا ضمن نطاق برنامج عملي عسكري مخطط ... اذ ليست مهمة جيش الدفاع الاسرائيلي أن يلتزم بحرب على المواقع ... »(٣) . وكتبت مجلة هاعولام هازيه لذلك العام تفسر نظرية « الارهاب المضاد » بقولها « ... وحين يصبح الموضوع أعمال ارهاب خارج حدود اسرائيل ، مثل اوروبه فان جيش الدفاع الاسرائيلي لا يستطيع أن يتدخل مطلقا . لذلك فان الطريقة الوحيدة الباقية لمحاربة انتشار الارهاب هي أن تقوم منظمات لا تعرف صلتها باسرائيل، ولا تنشر العمليات التي تقوم بها في البيانات الرسمية ، ولا تتحمل حكومة اسرائيل أية مسؤولية تجاهها . لمحاربة الارهاب العربي يجب اتباع نفس الاساليب التي يتبعها الارهاب . صحيح انه لا حاجة لنسف طائرة مدنية عربية كرد على نسف طائرة اسرائيلية أو طائرة تحمل ركابا لاسرائيل ، لكن يمكن القيام بأعمال تبرهن لمنظمات الارهابيين وللدول المضيفة لهم ، بأن هذا النوع من الحرب له وجهان وان استمرارهم فيه لا يفيدهم . ان الهدف من حرب الارهاب المضاد سيكون : نقل الحرب الى داخل الدول العربية ووضع المخربين في موقع الدفاع بدلا من مواقع الهجوم » . وحددت المجلة بعض النواحي التي ينبغي أن يتوجه اليها هجوم مضاد شامل، مثل (أ) ضرب القواعد الفدائية بصورة مستمرة ، (ب) القيام بعمليات ارهابية في العواصم العربية، (ج) القيام بنشاط سري ضد تشكيلات المخربين في أوروبه وضد أولئك العرب المقيمين في الدول الاوروبية والمشتبه بأنهم على صلة بمنظمات الارهاب(٤) .

بالاضافة الى هذا التفكير الارهابي ، أكدت عملية الاختطاف الجماعية للطائرات في ٦ أيلول عام ٧٠ أمرا مهما هو عدم استعداد اسرائيل للتفاوض مع حركة المقاومة ، وعدم استعدادها لاطلاق سراح الاسرى من الفدائيين . فقد قامت اسرائيل يومها باعتقال حوالي ٥٠٠ شخص قالت هآرتس انهم من الوجهاء والشخصيات المختلفة ومن العائلات، من بينهم نساء كثيرات من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهم من أبناء عائلات ينتمي بعض أفرادها الى الجبهة الشعبية ، وذلك كوسيلة ضغط ضد الجبهة(٥). وصرح أبا ايبن في ٦ أيلول أن حكومة اسرائيل مصممة على عدم اجراء مفاوضات رسمية الا مع حكومات فقط(٦). وفي الوقت ذاته حذر رئيس رابطة الدفاع اليهودية شبه العسكرية في الولايات المتحدة ، الحاخام مئير كهانا ، في مؤتمر صحفي يوم ٨ أيلول في نيويورك ، بأن رابطته ستبادر الى اتخاذ اجراءات انتقامية ضد العرب والطائرات العربية في حالة تعرض الرهائن في الاردن للخطر . وقال « لهذا قررنا العزم على ملاقاة العرب بالعمل المماثل ، فاذا قتلوا فسنقتل نحن أيضا »(٧). وهكذا تصاعدت لدى الاوساط الاسرائيلية والصهيونية الدعوة للقيام بعمل ارهابي ضد عناصر المقاومة ، وعدم الاكتفاء بمهاجمة القواعد ، وذلك لقناعة هذه الاوساط بأن مثل هذا العمل هو الذي يرغم المقاومة على ترك هذا الاسلوب .

٣ ــ **اسرائيل في مواجهة عمليات ١٩٧٢** : تعرضت حركة المقاومة بعد مجزرة أيلول الى سلسلة من التراجعات بحيث أصبح حجم العمل الفدائي على حدود الاراضي المحتلة أو عبرها ، ضئيلا جدا في عام ٧٢ قياسا بما كان عليه في السابق . وقد ساعدت المجزرة وما تلاها ، اسرائيل للتفرغ لضرب قواعد المقاومة في جنوب لبنان ، حيث كانت المستوطنات الاسرائيلية في الشمال تتعرض لحالة شبيهة بما تعرضت له مستعمرات الغور من قبل . ومع أوائل عام ٧٢ أصبح العمل الفدائي في جنوب لبنان بحكم المجمد . جاءت عمليات عام ٧٢ لتقطع هذا السكون المخيم ، وكان شنها في الوقت الذي تعرضت فيه حركة المقاومة لضغوط عربية مختلفة يضعف الى حد ما الحجة الاسرائيلية بأن حركة المقاومة ما هي الا عناصر مخربة مدفوعة من الدول العربية . وهذه العمليات انتهت بشكل مأساوي كان لا بد وأن يترك ردود فعل مختلفة على مستوى دولي . واستمرار مثل هذه العمليات لا يساعد اسرائيل في محاولتها طمس الهوية الفلسطينية وانكار وجود شعب فلسطيني . وبالفعل تناولت عدة صحف غربية بعد هذه العمليات مسألة شعب فلسطين وضرورة وضع حد لمأساته ، بل وطرح أيضا أن تسوية وضع الفلسطينيين ضرورة للتسوية العامة في الشرق الاوسط . وامتازت هذه العمليات أيضا بأنها توجهت الى **قلب اسرائيل** ، وتناولت **المواطن الاسرائيلي** ، وهو ما تحرص اسرائيل على الا يصله عمل المقاومة . وهكذا كان لا بد وأن يكون الرد الاسرائيلي مختلفا في حدته وشراسته ونوعيته .

عملية اللد الاولى : تمت هذه العملية على يد أربعة عناصر من منظمة أيلول الاسود حيث استولت على طائرة تابعة لشركة سابينا وانزلتها في مطار اللد يوم ٧٢/٥/٨ ، وطالبت بالافراج عن مئة من الفدائيين والا نسفت الطائرة بمن عليها . كانت تلك هي المرة الاولى التي يتم فيها انزال طائرة في اسرائيل ، بما يمثل ذلك من جـــرأة وتحد مباشر للحراب الاسرائيلية . وحول ذلك كتب المعلق العسكري لصحيفة هآرتس ، زئيف شيف ، في ٧٢/٥/١٠ يقول : « يجب أن نعترف بأن الفدائيين الاربعة الذين خطفوا طائرة سابينا تمتعوا بمستوى كبير من الجرأة ، ليس لمجرد خطف الطائرة وانما لفكرة دخولهم عرين الاسد ، اسرائيل ، واجراء مفاوضات لتحرير فدائيين من السجن الاسرائيلي ، بينما طائرتهم محاطة بالجنود الاسرائيليين . ومن هذه الناحية ، فقد وصلت جرأتهم الى قمة لا مثيل لها في أعمال الخطف السابقة والصدام مع مسافرين غير مسلحين » . وقد أشار

المعلقون الاسرائيليون الى أن السلطات الاسرائيلية لم تفاجأ بوقوع حادثة الخطف ذاتها، لكن الذي فاجأها هو خطف الطائرة الى مطار اللد بالذات ، وان هذه العملية تدل على ان فتح بدأت هي الاخرى تسير على طريق المنظمات الفلسطينيـــة المتطرفة . ومثلت العملية مشكلة خطيرة بالنسبة لاسرائيل بدت مظاهرها مـــن خلال اهتمام المسؤولين الاسرائيليين وحضور عدد منهم الى المطار، وبقائهم هناك للاشراف على مجريات الامور. كذلك قررت الحكومة الاسرائيلية في الحال تفويض معالجة الوضع الى وزيري الدفاع والمواصلات ، دايان وبيرس ، وأعلنت ما يشبه حالة الطوارىء بين أعضائها ، فطلب من جميع الوزراء البقاء على اتصال دائم استعدادا للطوارىء . فقد وضع الفدائيون اسرائيل أمام خيارين كل منهما مشكلة بحد ذاته . فتدمير الطائرة بركابها ـــ لو تم ذلك ـــ يرتب على اسرائيل مسؤولية خطيرة يصعب تجنب وزرها . كما ان ذلك سيكون بمثابة الاعلان الصريح لكل قادم الى اسرائيل بأن سلامته ليست مضمونة ، وأن هناك اعتبارات اخرى بالنسبة لاسرائيل أهم من سلامة القادمين . أما الاختيار الآخر فكان يعني هزيمة معنوية لاسرائيل ، اذ سيكون ذلك بمثابة الاغراء لعمليات مشابهة . ولا تكمن الخطورة في احتمال تفريغ سجون اسرائيل من الفدائيين ، وانما في اضطرار اسرائيل للتفاوض مع الفلسطينيين والاعتراف الضمني بوجودهم كشعب وكحركة مسلحة مستقلة. وهذا الامر ترفضه اسرائيل بشدة ، اذ ربما كان ذلك بداية طرح جديد للمسألة مؤداه ان في الشرق الاوسط قضية خاصة بين اسرائيل وشعب فلسطين . وذلك يقلب الطرح الاسرائيلي ـــ الصهيوني للمسألة ، والذي يقفز كليا عن هذه المشكلة ليقول ان أزمة الشرق الاوسط أو النزاع العربي ـــ الاسرائيلي ناجمة عن عداء الدول العربية لاسرائيل . لذلك كان القرار الاسرائيلي منذ اللحظة الاولى **هو عدم الرضوخ** لطلبات الفدائيين ، بأي شكـــل ومهما كلف الثمن ، والقت مسؤولية العملية على الدول العربية . ولجأت الى المماطلة والخداع بأن أوهمت الفدائيين انها أطلقت سراح مئة فدائي سجين ، واستغلت الصليب الاحمر الدولي ، حتى تمكنت من انهاء العملية على النحو المعروف . وعكست بعض التعليقات الصحفية الموقف الاسرائيلي فعلقت هآرتس في افتتاحيتها يـــوم ٥/١٠ على الحادث بقولها : « ان عملية الخطف هذه التي انتهت بالتغلب السريع على المخربين ، كانت من النوع الذي لا يجوز معه اعطاؤهم جائزة عن طريق الاستجابة لطلباتهم . واذا كان ثمة مجال ، في الحالات الماضية ، لاتفاقية مبادلة ، فلم يكن ذلك جائزا هذه المرة ، لان قصدنا هو عدم تشجيع الارهابيين على الاستمرار في عملهم . ان ما ينطبق على مطار اللد لا ينطبق على مطار الجزائر أو الزرقاء مثلا . ولو حررنا ارهابيين محكومين من السجن ، استجابة لعمل القرصنة هذا الذي لا يوجد أوقح منه ، لما عاد باستطاعتنا ، في المستقبل الطلب من أية حكومة معارضة ابتزاز المخربين » . وعلقت معريف في اليوم ذاته (٥/١٠) تقول « ان هدف العملية الاسرائيلية بالاستيلاء علـــى الطائرة لم يكن انسانيا فقط (انقاذ ركاب الطائرة) وانما كان الهدف الجوهري هدفا عسكريا وسياسيا بالدرجة الاولى : بتر ذراع الارهاب على أرض اسرائيل ، والبرهنة علـــى ان خطف الطائرات ، المسافرة الى اسرائيل ، هو عملية خطرة لا تتم » . كذلك صرح دايان بعد العملية بقوله ان نجاح هذه العملية كان سيعني اعطاء العمل الفدائي تحركا كبـــيرا للانطلاق .

وحول مسؤولية الدول العربية أعلنت اسرائيل ان خاطفي الطائـــرات يتمتعون بتأييد الحكومات العربية وعلى الخصوص مصر والجزائر وسوريا ولبنان . واتهم السفـــير الاسرائيلي جوزف تكواع ، في رسالة بعث بها الى فالدهايم ، هذه الحكومات بالسماح بتمركز قواعد الفدائيين ومنظماتهم ، وان أعمال هذه المنظمات تنطلق من أراضي تلك الدول(٨). كذلـــك ذكر المراسل العسكري لصحيفة هآرتس في ٥/١٠ ان الحكومـــة الاسرائيلية قررت توجيه تحذير الى لبنان . وقالت الصحيفة ان تل أبيب تعتبر بيروت

مسؤولة عن جميع الاعمال الفدائية التي تقوم بها احدى المنظمات الفلسطينية المتطرفة التي لها قواعد في لبنان حتى لو وقعت هذه الاعمال خارج اسرائيل .

عملية اللد الثانية : جاءت هذه العملية قبل أن يمر وقت طويل على العملية الاولى . كانت اسرائيل لا تزال مزهوة « بانتصارها » على مجموعة الشهيد علي طه ، جاءت العملية الجديدة في ٣٠ ايار وعلى يد ثلاثة فدائيين يابانيين ينتمون الى الجبهة الشعبية، واشتركت معهم احدى الخلايا السرية العاملة في الارض المحتلة ، ونفـذت في مطار اللد ذاته وكانت حصيلتها مقتل ٢٦ شخصا واصابة ٨٧ بجـراح واعطاب طائرتين ، واستشهاد اثنين من الفدائيين وأسر الثالث . وقد ولدت العملية حالة ذعر هستيرية في المطار وأفقدت اسرائيل صوابها وتجلى ذلك في ردود فعلها الانفعالية العصبية . فهذه العملية تقلب الصورة بالنسبة لطرفي النزاع : الجماهير الفلسطينية واسرائيل . اصبحت اسرائيل الآن ملاحقة في عقر دارها ، والمقاومة لا زالت قادرة على الرد ، والرد الموجع. وحملت العملية أبعادا عميقة . فأعطت للمسألة بعدا أمميا تجسد بعلاقة الجبهة الشعبية ومنظمة الجيش الاحمر اليابانية التي قام عناصر منها بتنفيذ العملية. وأعطت انعكاسات عربية تأرجحت بين الاستحسان الشعبي والخوف الرسمي . كما طرحت العملية سؤالا كبيرا بالنسبة لاسرائيل : ماذا لو استمرت مثل هذه العمليات ؟ ان حركة المقاومة الان قد استطاعت لا أن تكسب المزيد من الاصدقاء فحسب ، ولكنها توسع الجبهة المستعدة لمقاتلة اسرائيل والموت في سبيل قضية الشعب الفلسطيني الذي يحارب ضد احدى جبهات الامبريالية ـــ واسرائيل قد حاولت باستمرار ان تبعد هذه الصفة عنها . ومثل هذه العمليات تعطي مردودا معنويا قويا بالنسبة للجماهير الفلسطينية . وهي علـى الصعيد الاسرائيلي تعني عدة أمور : انها تصيب قلب اسرائيـل ، وتهزم بذلك سعي اسرائيل الدائم لغرس الطمأنينة في نفوس مواطنيها واقناعهم بأن عمل « المخربين » لا يستطيع ان يتخطى الحدود ، والجيش الاسرائيلي غير قادر هنا على تأمين الحماية ، كما يصعب على المؤسسة الاسرائيلية اخفاء أخبار هذه العمليات بتفاصيلها . وهي فوق ذلك تؤثر ماديا وبشكل مباشر على حركة السياحة والسفر الى اسرائيل ، وتغير صورة اسرائيل بنظر القادمين اليها ، ففيها التعرض للموت الاكيـد الآن وليس التجـول والاستمتاع بحرية . وعلى سبيل المثال نقلت احدى وكالات الانباء بعيد العملية ، عن احدى السائحات قولها حين سئلت ان كانت ستبقى في اسرائيل لمدة شهر فأجابت « هل تمزح ؟ انني راحلة من هنا بأسرع ما يمكن »(٩). وتأثرت السياحـة الاسرائيلية فعلا نتيجة للعملية . فقد نسبت صحيفة هآرتس في ١٦ حزيران الى جهات مسؤولة عن قطاع السياحة ان هناك انخفاضا في حركة السياحة الى اسرائيل ، وقالت انه وصلت الى بعض الفنادق اشعارات بالغاء الحجز الذي كان قد تم لشهري تموز وآب . وقالت داهار في ٢٦ حزيران انه « في اعقاب كارثة اللد انخفض عدد الشباب اليهود الذين سيحضرون الى معسكرات الصيف في اسرائيل بنسبة ٧ ـــ ٨ بالمئة بالمقابلة بعدد المسجلين » . ولا يقل عن كل ذلك اهمية ان هذه العمليات المأساوية بما تتركه من انعكاسات على مستوى دولي ـــ في ظل المحاصرة العربية للمقاومة ـــ ربما أعادت مع الزمن المسألة الفلسطينية ـــ الاسرائيلية الى وضعها الطبيعي : **هناك شعب فلسطيني ، وليس ارهابيون عرب** ، يرفض اسرائيل ويناضل من أجل تحرير وطنه المغتصب .

لهذا كله كان رد الفعل الاسرائيلي انفعاليا ومتوترا بشكل لم يسبق له مثيل ، وعكست ردود الفعل هذه قناعة اسرائيل بأن عدم الرضوخ لمطالب الفدائيين وعدم مفاوضتهم لم يعد كافيا ، بل يجب ان تتوقف هذه العمليات فهي خطيرة فعلا . ووسيلة ذلك : اثارة الرأي العام العالمي ضد « الارهاب العربي » ، وممارسة ضغوط اسرائيلية ودولية فعالة ضد الدول العربية ، وضرب **رأس** حركة المقاومة . فعلى صعيد دولي ، حاولت اسرائيل

منذ اليوم الاول للعملية اشعار كافة الدول وشركات الطيران بأن الأمر يعنيها كما هو بالنسبة لاسرائيل تماما وان على هذه الدول وشركات الطيران ان تتخذ الاجراءات الكفيلة بوقف الارهاب . فذكرت وكالة رويتر في ٦/١ ان الدبلوماسيين الاسرائيليين قدموا مذكرات الى العواصم الاجنبية تتضمن : ١ — يجب منع تكرار مثل هذه الاعمال الفظيعة . ٢ — يجب ان يتحمل لبنان ومصر خاصة مسؤولية مثل هذه الاعمال . ٣ — يجب المحافظة على مراقبة دقيقة فيما يتعلق بنشاط العرب في العديد من البلدان . ٤ — يجب وضع مراقبة شديدة على مكاتب الجامعة العربية في البلدان الاجنبية لان كل طفل يعرف انها واجهة لنشاط الارهابيين . وفي الخطاب الذي ألقته جولدا مئير أمام الكنيست في ٥/٣١ حول الحادث حاولت القاء المسؤولية على شركات الطيران الاجنبية فقالت : « اننا نتخذ الاحتياطات لحماية طائراتنا وهي آمنة فعلا اذ أننا اتخذنا كافة الاجراءات لحماية اي شخص يأتي الى اسرائيل او يغادرها على طائراتنا . ولكن ما لم تحذ البلدان الاخرى حذونا فسيظل الخطر قائما »(١٠). وحذا الون حذو مئير حين قال في اليوم ذاته « أنا لا أفهم لماذا تقف شركات الطيران الاجنبية غير مبالية بهذا الشكل تجاه المسألة » . وفي ٦/١ بعثت جمعية وكلاء السفر والسياحة الاسرائيلية برسائل الى جميع شركات الطيران التي تقوم برحلات الى اسرائيل أعلنت فيها انها ستحذر زبائنها من السفر مع أية شركة لا تتخذ الاحتياطات الضرورية . كذلك أعلن الاتحاد العام لنقابات العمال الاسرائيلية ان على العمال في جميع انحاء العالم وخاصة عمال النقل الجوي أن يندوا بالهجوم الذي وقع في اللد . وحث على أن تكون الخدمات التي تقدم للطائرات التي تقوم برحلات للدول العربية ومنها مشروطة بتنفيذ اجراءات أمن مناسبة في جميع المطارات(١١) . وتلقت شركة ايرفرانس ، وهي الشركة التي سافر الفدائيون اليابانيون على احدى طائراتها ، تهديدات في فرنسا ، كما قام متظاهرون صهيونيون في نيويورك بمحاصرة مكاتب الشركة احتجاجا على عدم توفر اجراءات الامن من قبل الشركة(١٢). وفي ٦/٦ أعلنت جمعية الطيارين الاميركية انها ستقاطع كل بلد يمنح حق اللجوء لخاطفي الطائرات . من جهة اخرى ، كانت هذه التصريحات تخدم اسرائيل على الصعيد الذاتي في اقناع مواطنيها بكفاءة اجراءات الامن الاسرائيلية ، والقاء المسؤولية على شركات الطيران الاجنبية .

وفي الوقت ذاته تركزت التصريحات والتهديدات الاسرائيلية على الدول العربية ، وخاصة لبنان ومصر ، محملة اياها المسؤولية الاولى في العملية . ففي خطابها المذكور أمام البرلمان قالت مئير « ليس سرا ان بيروت تقدم تسهيلات كاملة لمنظمات الارهاب التي تقيم مراكزها في وسط المدينة . فهناك يجري تخطيط العمليات ، ومن هناك ينطلق أصحابها الى الدول الاخرى ، ومن هناك تذاع انتصاراتهم . فهل يمكن للحكومات وشركات الطيران ان تقبل بذلك؟ » . وبعث جوزف تكواع رسالة الى رئيس مجلس الامن جاء فيها انه « على الرغم من الدعوات المتكررة التي وجهتها اسرائيل وطلبت بموجبها انهاء هذه النشاطات الاجرامية ، فان لبنان والدول العربية واصلت ايواء منظمات الارهاب في أراضيها وواصلت تأييد عملياتها . وترى اسرائيل ان عليها أن تصر على ان الحكومات العربية وعلى الاخص لبنان ، التي تواصل المنظمات الفدائية عملياتها من أراضيها وبرعايتها وبحرية تامة ، أن تضع فورا وبصورة فعالة حدا لهذه النشاطات الشنيعة »(١٣). وفي ٦/٥ وجه دايان في مقابلة اذاعية مع راديو العدو تحذيرا الى مصر ولبنان جاء فيه انه ليس اسهل من قيام اسرائيل بشل مواصلاتهما الجوية « اذا حاول أي منهما ان يشل خطوط مواصلاتنا بمساعدة من الارهابيين » . وفي اليوم التالي صرح شمعون بيرس ، وزير المواصلات ، بأن على الدول العربية أن تدرك أمرين هما اما ان تكون كافة المطارات في الشرق الاوسط مفتوحة لاستقبال المسافرين او لن يكون هناك اي مطار مفتوح . وفي ٦/٥ انهى الكنيست مناقشاته حول الحادث واتخذ قرارا جاء فيه

ان «على الحكومات التي تعمل منظمات القتل والاغتيال تحت رعايتها ان تتحمل مسؤولية هذه الاعمال ، وان اسرائيل ستعمل ضد المنظمات والذين يقدمون لها المساعدات ، وذلك بدافع من حق اسرائيل بالدفاع عن نفسها وعن مواطنيها ، ولن تسلم بأي اساءة تلحق بحياة رعاياها ورعايا شعوب أخرى يجيئون اليها » .

وشنت الصحف الاسرائيلية حملة عنيفة ضد الدول العربية والمنظمات الفدائية وطالبت بضرورة الرد العنيف على عملية اللد . فكتبت صحيفة هآرتس في ٦/١ تقول ان الحكومة اللبنانية تحولت الى شريك للقتلة وان اسرائيل ستلاحق الفدائيين أينما وجدوا ولن تقبل أن تقوم حكومات مثل حكومة بيروت بايوائهم . وقالت جيروزاليم بوست في اليوم نفسه ان التساهل وعدم الاكتراث الذي أبدته بعض الحكومات وشركات الطيران أوهم الفدائيين بأنهم يتمتعون بتأييدها . وقالت سوف يتضح لجورج حبش في النهاية انه حتى بيروت ستضطر الى العمل ضد منظمته من اجل أن تحفظ مصالحها الخاصة .

أما بالنسبة للمقاومة فكانت ردود الفعل الاسرائيلية تتلخص بالمطالبة براس المقاومة ، وذلك على مستويين : التهديد العنيف للدول العربية وخاصة لبنان — حيث التواجد الرئيسي للمقاومة — بوجوب وضع حد لنشاط المقاومة، والا تعرضت للانتقام ، والاعداد لضرب المقاومة مباشرة وبأسلوب جديد . وبالنسبة للناحية الاولى ، رأينا نماذج من التهديدات الاسرائيلية والتي لم توجه الى لبنان وحده وانما شملت دولا أخرى خاصة مصر حيث أشارت الصحف المصرية في ٦/٣ بعناوين بارزة الى التهديدات الاسرائيلية . وفي ٦/٤ قال رئيس الاركان الاسرائيلي ، اليعازر ، « ان لبنان هو المتهم الاول في الحادث لكنه ليس المتهم الوحيد ، فالدول العربية الاخرى التي تشجع الارهابيين مشتركة في الجريمة ويجب محاسبة هذه الدول » . وكانت صحيفة الجيروزاليم بوست قد ذكرت في ٦/٣ ان اسرائيل وجهت انذارا الى لبنان عن طريق دولة غربية كبرى وحددت مهلة زمنية للانذار ، وان الانذار ذكر بالتحديد ان اسرائيل ستهاجم الطيران المدني اللبناني ومنشآته ان لم يضع لبنان حدا للعمل الفدائي . ثم كرر أبا ايبن أن لبنان مسؤول عن نشاطات حركة الفدائيين التي تعمل في كل انحاء العالم لان مقر قيادات الفدائيين في لبنان . ولم تكتف اسرائيل باعلان لبنان عن وقف النشاط الاعلامي للجبهة الشعبية على أرضه. فأكدت الدوائر السياسية الاسرائيلية ان قرار الحكومة اللبنانية هذا لا يكفي وسيلة جادة لمعالجة المشكلة ، وان ما ينبغي عمله هو اعتبار المنظمات الفلسطينية خارجة على القانون ، واغلاق القواعد التي يتدرب فيها الفدائيون ، ومنعهم من استخدام الاراضي اللبنانية منطلقا لنشاطهم(١٤).

وبالنسبة للناحية الثانية ، أي الرد المباشر على المقاومة ، كانت التهديدات الاسرائيلية وتعليقات الصحف واضحة . ففي خطابها أمام الكنيست قالت مئير « أنا واثقة من أن اسرائيل ستجد علاجا وطريقة تضمن أن لا يتكرر مثل هذا العمل » . وفي ٦/٢ قال اسرائيل جاليلي ، أحد أقرب مستشاري مئير « لن يكون الرد الاسرائيلي متسرعا وتحت ضغط الرأي العام المطالب بسرعة الانتقام ، ولكنني أود أن أؤكد من جديد أن دم الضحايا لن يذهب هدرا وسنثأر له »(١٥). وفي ٦/١٧ نسبت صحيفة المحرر اللبنانية الى أوساط صحفية مطلعة في باريس قولها ان الحكومة الاسرائيلية اتخذت قرارا سريا بتكليف أجهزة المخابرات تدبير عملية الرد على حادثة اللد والتخطيط لها . واستبعدت تلك الاوساط أن يقوم الجيش الاسرائيلي برد كلاسيكي وقالت أن أجهزة سرية تلقت مهمة اعداد خطة دقيقة مفاجئة قد تأخذ في الغالب الطابع التخريبي .

وبدأت الصحف الاسرائيلية تحرض على ملاحقة قادة المقاومة في أشخاصهم ، وتذكر أسماء ومعلومات عن هؤلاء القادة وخاصة بالنسبة للجبهة الشعبية . فكتب الدكتور الياهو بن — اليشر في هآرتس في ٦/١٢ عن النشاط العلني الذي يبديه قادة المقاومة

والمتحدثون باسمها في التنقل ومقابلة رجال الصحافة ، فقال : « يجب أن نسأل أنفسنا من أين يستمد أشخاص كجورج حبش وياسر عرفات وآخريـــن مثل هذا الشعـــور بالحصانة والامن . ألا يوجد هنا حقا اخفاق اسرائيلي ؟ بدلا مـــن الانصراف الى لوم أنفسنا على الفشل في اللد ، أو الى تحديد مسؤولية الحكومات العربية التي لم يكن متوقعا أن تتخذ موقفا مغايرا للموقف الذي اتخذته ، من الاجدى أن نسأل انفسنا اذا كنا قد فعلنا حقا كل شيء من أجل المطالبة بثمن الدم الذي سفكه زعماء المخربين أنفسهم، اولئك الزعماء الذين يسافرون من بلد الى بلد ويظهرون باستمرار في الاماكن العامة . . . والحقيقة ان جميع هؤلاء القادة والمتحدثين العرب لم يرتأوا النزول الى السرية لان اية جهة اسرائيلية لم تجبرهم على ذلك . وحتى الآن ، لم يتم افهامهم انهم قـــد يدفعون شخصيا ثمن الجرائم التي ينفذها مبعوثوهم . . . » واشار الكاتب الى ان اسرائيل لجأت في السابق الى ملاحقات من هذا النوع (مصطفى حافظ ، حافظ اسماعيل ، العلماء الالمان في مصر) ليخلص الى ان اسرائيل لم ترفض ، بصورة مبدئية ، سياسة العنف الشخصي ضد مخططي القتل ومساعديهـــم . وقال « منذ مدة كتب جون بولوك ، في صحيفة صنداي تلغراف ، ان عملاء اسرائيليين حـــاولوا التعرض للدكتور وديع حداد ببازوكا وضعت مقابل مكتبه وسط بيروت . وحداد نفسه ، كما هو معروف ، هو الدماغ الذي يقف حتى هذا اليوم ، وراء معظم عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، بما في ذلك خطف الطائرات . كما انتشرت شائعات بأن ليلى خالد أنقذت بمعجزة من محاولة القتل . لهذا لا مكان للاعتقاد ان اسرائيل تنفر من استخدام الوسائل غير التقليدية » . وحرض الكاتب على القيام بمثل هذه الملاحقات في بيروت بالذات ، « فهي المدينة المفتوحة والعالمية حيث عشرات الآلاف من السياح الغربيين وآلاف الاجانب يسكنون فيها بصورة دائمة . . . » . وكشف الكاتب عن ان « أصواتا كثيرة طالبت في الايام الاخيرة ، باقامة منظمة يهودية خاصة من المتطوعين ، لمحاربة المخربين في قواعدهم » لكنه عارض هذه الدعوة ودعا حكومة اسرائيل الى القيام بهذا العمل في اطار مؤسساتها .

وذكرت معريف في ٦/٦ ان أحد اعضاء الكنيست طالب اثناء الجلسة « بانزال عقوبـــة شديدة بما في ذلك الموت بالنازيين ومساعديهم بما فيهم الجبهة الشعبية التـــي يرئسها جورج حبش » . وفي ٦/٩ نشرت الصحيفة ذاتها مقالا بقلم أوري دان ، جاء فيه « ان جورج حبش هو الاب الروحاني للارهاب ، وصاحب النظرية المتطرفة الداعية للاجرام والتي انبثقت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ويظهر ان نشاطه الان محدود بعد اصابته بمرض القلب ، ولكن ينوب عنه في الادارة مساعده وديع حداد وغيره مثل غسان كنفاني . كما ان هناك بعض الشخصيات المتطرفة مثل نايف حواتمه . وبالطبع من الصعب ايقاع العقوبة بكل شخص متطرف وكل مسؤول فلسطيني ، ولكن يمكن انزال العقوبة برؤساء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والذين يشكلون مثالا يقتدى به أمام الآخرين . ومنذ أربع سنوات وهؤلاء يسددون الضربات لاسرائيل دون أن تفعل شيئا ضدهم حيث اعتبرت ان مثل تلك التصرفات هي مشكلة عابرة ، بل والكثيرون سخروا بالفلسطينيين . لقد نجح الفلسطينيون بأن توغلوا في كل أنحاء العالم وهم يشكلون خطرا لاسرائيل في كل مكان بما في ذلك ارض اسرائيل » .

وجاء الرد الاسرائيلي على جنوب لبنان والمقاومة ليؤكد ان المطلوب هو راس المقاومة وايقاف نشاطها في لبنان . بالنسبة للبنان جاء العدوان منفذا للتهديدات الاسرائيلية بان لبنان سيدفع الثمن غاليا ما لم يوقف نشاط الفدائيين على ارضه ، وتعمدت اسرائيل ضرب المدنيين اللبنانيين بهدف توليد ضغط شعبي ومبرر منطقي للحكومة اللبنانية لكي تأخذ الخطوة الحاسمة بايقاف العمل الفدائي. ففي ٢١ حزيران تعرضت حاصبيا لعدوان عنيف تركز على المدنيين وأسفر عن اكثر من ٥٠ قتيلا و٧٥ جريحا بالاضافة للتدمـــير

الواسع الذي اصاب البلدة . وفي ٢٣ حزيران تعرضت عدة قرى في الجنوب لقصف المدفعية الاسرائيلية ، ثم اغارت الطائرات على دير العشاير وادت الى مقتل حوالي ٤٠ شخصيا وتدمير عدد كبير من منازل البلدة . واتبعت اسرائيل ذلك بالتمركز في بعض المناطق موحية باستعداد اسرائيل لاحتلال الجنوب ما لم ينفذ لبنان المطلوب منه تجاه الفدائيين . فكتبت صحيفة يديعوت احرونوت في يوم العدوان تقول ان الرد المطلوب هو ان يقوم الجيش الاسرائيلي بعمليات فعالة لاعادة الهدوء الى « فتح لاند » ليس على طريقة اضرب وانسحب وانما عن طريق الضرب والبقاء في المنطقة. وعلقت عل هشمار على العدوان قائلة ليس المطلوب عقد اتفاق مع الفدائيين بل ابعادهم وطردهم من منطقة الحدود ، اذ بهذا فقط تصبح الحدود هادئة . وحذر اليعازر ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، في ٦/٢٤ لبنان من عمليات اخرى داخل حدوده اذا لم يغير سياسته. وقال ان اسرائيل ستواصل اتخاذ كافة الخطوات اللازمة لتضمن الامن والهدوء على الحدود الشمالية . وبالفعل عقدت سلسلة من المحادثات السرية بين المقاومة والسلطات اللبنانية انتهت بالاعلان عن تجميد نشاط العمل الفدائي من لبنان . ولكن مع ذلك استمر تواجد القوات الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية . ففي ٧٢/٨/١٦ اذاع راديو العدو ان مراقبي الامم المتحدة على الحدود اللبنانية — الاسرائيلية ارسلوا تقارير الى مقر الامم المتحدة في نيويورك تشير الى تواجد القوات الاسرائيلية داخل الاراضي اللبنانية ، وان المسؤول عن وفد لبنان في الامم المتحدة صرح للمراسلين بأن لبنان قد يطلب مساعدة مجلس الامن لسحب القوات الاسرائيلية من اراضيه(١٦).

بالنسبة للمقاومة لم ينحصر الرد الاسرائيلي في ضرب القواعد في جنوب لبنان ، وانما اتبعه بمسلسل ارهابي يستهدف زعماء المقاومة وذلك تنفيذا للتهديدات الاسرائيلية الصريحة بهذا الشأن . وقد اعلن في ٦/٢٧ ما يفيد ان الرد الاسرائيلي قد انتقل الى مرحلة الهجوم فقال ان التشديد في الفترة القادمة سيكون على ردع الفدائيين ومنعهم من القيام بنشاطاتهم من داخل الاراضي اللبنانية اكثر مما سيكون على التدابير الدفاعية داخل الاراضي الاسرائيلية(١٧).

وفي شهر تموز ٧٢ قامت اسرائيل بتنفيذ عدة عمليات ارهابية في مدينة بيروت استهدفت قادة حركة المقاومة وقادة الفكر والاعلام الفلسطينيين . ففي ٨ تموز وضعت متفجرة في سيارة المناضل الشهيد غسان كنفاني ، الناطق الرسمي بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورئيس تحرير مجلة الهدف ، ادت الى استشهاده مع ابنة شقيقته . وفي ١٧ تموز ارسل طرد متفجر الى « ابي الحسن » ، احد مسؤولي فتح ، وقد اكتشف الطرد وتم تفجيره . وفي ١٩ تموز انفجرت رسالة ملغومة بين يدي الدكتور انيس صايغ مدير عام مركز الابحاث ورئيس تحرير مجلة شؤون فلسطينية ، وادت الى اصابته بجراح . وفي ٢٠ تموز اكتشفت ثلاث رسائل ملغومة موجهة الى غسان كنفاني ، وشفيق الحوت ، مدير مكتب منظمة التحرير في بيروت ، ومروان دجاني . وفي ٢٥ تموز ارسل لغم داخل كتاب الى بسام ابو شريف ، احد مسؤولي الجبهة الشعبية ، انفجر بين يديه واصابه بجراح ، وفي اليوم نفسه اكتشف طرد من النوع ذاته مرسل الى صلاح صلاح ، ممثل الجبهة الشعبية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. وكانت رسالة ملغومة قد انفجرت بنائب مدير بنك الريف ، مرسلة الى مسؤول فدائي لم يعرف اسمه ، بعد ان اعيدت الى عنوان البنك الذي استعمل اسمه للتضليل .

وقد تناولت الصحف الاسرائيلية هذه الحوادث بلهجة متشفية وكأنها تريد ان تقول ان هذا هو الرد الاسرائيلي المناسب على « الارهاب » ، وهذا هو الثمن الذي يجب ان يدفعه زعماء المقاومة . كذلك كانت هذه الصحف تورد معلومات دقيقة عن الاشخاص المستهدفين . فتعليقا على استشهاد غسان كنفاني كتب زئيف شيف مقالا في هآرتس

بتاريخ ٧٢/٧/٩ ركز فيه على علاقة غسان « بجماعة السفاحين اليابانيين اعضاء الجيش الاحمر » ، واضاف : « بحسب جميع الدلائل ، كانت له علاقة مباشرة بعملية تخطيط المذبحة في مطار اللد »، وقال شيف « ان المخربين سيفهمون موت كنفاني على انه انتقام لمجزرة اللد». ووصف كنفاني بأنه الرجل الثالث في الجبهة الشعبية بعد جورج حبش ووديع حداد ، وانه كان مكشوفا أكثر منهما بسبب مهمته كناطق باسم الجبهة ومحرر لمجلتها ، الهدف . وأوفدت هآرتس أحد مراسليها الى عكا ونشرت معلومات عن غسان وعائلته قبل النزوح . وعلقت دافار على الحادث فقالت « ان موت كنفاني هو ثمرة نشاطه في حياته . أن التحريض على الارهاب وتبريره هو جزء لا يتجزأ من تدبيره وتنفيذه . ولجميع الذين يمارسونه المصير نفسه . ان العبرة غير محصورة بشخص واحد ، وقد تسري على جميع اولئك الذين يساعدون الارهاب ، ونهايتهم دفع الثمن بالعملة نفسها التي جعلوها هم انفسهم متداولة ... ان هذا الامر لا ينطبق فقط على المخربين من القاعدة الذين يفقدون حياتهم ، وانما على الذين يرسلونهم ايضا ، والذين يظهرون بمظهر السياسيين والكتاب » . وعلقت معريف في ٧/١٠ مفسرة **الردع** الذي تكلم عنه دايان فقالت : « ان بيانات المخربين تربط مقتل كنفاني باسرائيل وتتهمها بهذه العملية . ان اسرائيل لا تنفي ذلك ولا تؤكده . لكن يكفي ان يعيش فلسطينيون من « الجبهة » وقد سيطر عليهم الشعور بان يد اسرائيل طويلة . ان هذا ينطوي على الردع ... » « ينبغي ان يكون مقتل غسان كنفاني بالنسبة اليهما (جورج حبش ووديع حداد) انذارا صريحا . لكن لا يجوز ان يكون مقتل كنفاني عملا ينفذ مرة واحدة ... وينبغي اليوم اكثر من أي وقت مضى ، أن يكون الزعماء الفلسطينيون مكشوفين للارهاب الشخصي . ان مقتل كنفاني يدل على ان الامر ممكن ، ولا ينطوي على صعوبات خاصة » .

وحول الطرد الذي ارسل الى « ابي الحسن » قالت دافار ان الشخص هو هاني الحسن احد رؤساء حركة فتح البارزين ، وهو الثاني من ثلاثة اخوة عاملين في حركة المخربين . وذكرت الصحيفة معلومات عن نشاطه منذ كان رئيسا لمنظمة الطلاب الفلسطينيين في المانيا الغربية . وتكلمت الصحيفة في العدد نفسه عن الدكتور انيس صايغ (في اليوم الثاني لاصابته) فقالت « انه يبلغ من العمر ٤١ عاما ، ينتمي لعائلة من طبريا ، عرف ان بعض افرادها قاموا هناك بأعمال معادية لاسرائيل . وقد الف عدة كتب حول المشكلة الفلسطينية وكذلك كتب ضد الهاشميين ، وله عشرات المقالات ويعمل منذ عدة سنوات كرئيس لمركز الابحاث الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهذا المركز له أهميته من حيث المعلومات التي يصدرها بخصوص الصراع الاسرائيلي ــ العربي . كما ان انيس صايغ هو محرر المجلة الشهرية التي تصدر عن المركز باسم شؤون فلسطينية . هذا وله نشاطات متعددة لخدمة المخربين والجامعة العربية . وهو اخ الدكتور فايز صايغ والدكتور يوسف صايغ وكلاهما من الرجال البارزين في الميدان الفكري العربي بخصوص المشكلة الفلسطينية » . وكتبت معريف في ٧/٢٦ حول حادثة بسام ابو شريف فقالت ان الياباني الذي بقي حيا بعد عملية مطار اللد اعطى قائمة باسماء ستة من رجال الجبهة الشعبية ، واسم بسام شريف في رأس القائمة ، حيث افاد بأنه تعرف عليه في اليابان عندما كان بسام يشكل ضابط ارتباطات بين الجيش الاحمر والجبهة الشعبية » . وهكذا تطور رد الفعل الاسرائيلي من عدم الرضوخ الى مباشرة الهجوم واعتماد الارهاب الشخصي ضد قادة حركة المقاومة .

عملية ميونخ : لم يمض وقت طويل على عملية اللد حتى جاءت عملية ميونخ التي لم تقل عنها اثارة واثرا . فبعد ثلاثة أشهر من عملية اللد ، وتحديدا في الخامس من ايلول قام ثمانية فدائيين من منظمة ايلول الاسود باقتحام مقر البعثة الاسرائيلية في مدينة الالعاب

الاولمبية في ميونخ بالمانيا الغربية ، واحتجزوا نخبة من اعضائها ، وقتلوا اثنين اثناء عملية الاقتحام . وحدد الفدائيون مطلبهم باطلاق سراح ٢٣٠ فدائيا أسيرا في المعتقلات الاسرائيلية، والا قتلوا الرهائن الاسرائيليين ورفضوا كل الاغراءات التي قدمتها حكومة المانيا الغربية . ثم طلبوا ، ازاء الرفض الاسرائيلي ، ان يتم نقلهم مع رهائنهم الى عاصمة عربية ، وفي هذه الاثناء كان قد تم اتفاق بين المانيا واسرائيل على اعداد كمين لاطلاق سراح الرهائن حتى ولو ادى ذلك الى مقتلهم ، وحضر مسؤول اسرائيلي كبير الى المطار العسكري القريب من ميونخ حيث أعد الكمين وادى الاشتباك الى مقتل الرهائن الاسرائيليين واستشهاد خمسة من الفدائيين واعتقال ثلاثة منهم [افرج عنهم في عملية ميونخ الثانية عن طريق « منظمة الشبيبة القومية العربية لتحرير فلسطين »] .

جاءت عملية ميونخ بعد ان قامت اسرائيل بتنفيذ عمليات ارهابية ضد قادة المقاومة ، وبعد ان عززت اجراءات الامن على مؤسساتها ، وكأن العملية أتت لتؤكد لاسرائيل امكان تحقيق الاحتمالات التي توقعتها لهذه العمليات ، أي زعزعة الطمأنينة في نفوس المواطنين الاسرائيليين ، وبروز الشخصية الفلسطينية ، وطرح السؤال الفلسطيني على صعيد دولي . كما انها أدت الى ازدياد حراجة الموقف الاسرائيلي بالنسبة للقادمين اليها والمسافرين على طائراتها ، فاذا كانت اسرائيل مستعدة للتضحية بأرواح مواطنيها فهل يمكن ان تحرص على سلامة الآخرين في حال تعرضهم للخطر ؟ كما جاءت العملية لتعزز حقيقة كون الفدائي الفلسطيني لا يهاب الموت . فقلبت بذلك التقديرات الاسرائيلية التي كانت تقوم على فرضية ان الفدائيين في النهاية يؤثرون النجاة على الموت .لذلك جاء رد الفعل الاسرائيلي اكثر انفعالا من الرد السابق،ومكملا لاطار ذلك الرد على الصعيد العملي دوليا وعربيا وتجاه المقاومة .فلم يعد مطلوبا مجرد استنكار دولي للارهاب وضغط على الدول العربية وانما اجراءات عملية . ولم يعد يكفي تهديد الدول العربية بضرب مصالحها ، بل لا بد من ضربها مباشرة ، وخاصة قواتها العسكرية . اما بالنسبة للمقاومة فلم يعد المطلوب رأسها فقط وانما جثتها كاملة أي انهاء وجودها .

عبر البيان الذي أصدرته حكومة اسرائيل في ٩/٦ ، اثر جلستها الطارئة ، حول حادث ميونخ ، عن الموقف الاسرائيلي بأبعاده الثلاثة ، وكشف عن مخطط اسرائيلي للعمل على هذه المستويات . فألقى البيان المسؤولية على كافة الدول ، وأوضح ان ضربات اسرائيل لن تقتصر على منظمات المقاومة . جاء في البيان : « ان عملية كهذه تؤكد الهوية الاجرامية لمنظمات الارهاب العربية ، وتظهر الخطر الذي تمثله ليس على دولة اسرائيل ومواطنيها فحسب بل على سلامة كافة الشعوب ... وستستمر اسرائيل في حربها ضد منظمات الارهاب ولن تعفي من يساعد هذه المنظمات من تبعة عمليات الارهابيين ، وستطالب الحكومة حكومات العالم باتخاذ تدابير فعالة ضد خلايا وبعثات المنظمات الارهابية بغية وقف اعمالها وتدمير قواعدها»(١٨) .وجاءت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين بعد ذلك لتؤكد المخطط الاسرائيلي وتعلن ان اسرائيل قررت شن حرب ابادة على حركة المقاومة ليس في قواعدها ، وانما على امتداد الوجود الفلسطيني في العالم . ففي تأبين القتلى الاسرائيليين قال اسرائيل غاليلي ان الشعب اليهودي سينتقم لدماء ابنائه . وقال حاييم بارليف : « على العالم أجمع ان يستخلص من هذا العمل الاجرامي العبر والنتائج ، ونأمل ان تقوم الدول والشعوب المحبة للسلام باجتثاث هذا المرض من بين ظهرانيها . وواجبنا نحن ، ان نعمل في المجال الدولي لتحقيق هذه الغاية ، وامتنا كأمة ودولة ترى لزاما علينا ان نحارب منظمات الارهاب هذه ونسحقها ونبيدها ونقضي عليها » . وقال شمعون بيرس « ان شعب اسرائيل لن يهدأ او يرتاح حتى يجتث الارهاب من جذوره ويقهر هذه المنظمات الهمجية »(١٩) . وفي ٩/٨ عقد ابا ايبن ، وزير خارجية اسرائيل ، مؤتمرا صحفيا في تل ابيب أكد فيه الموقف الاسرائيلي وأوضح ان لا تسوية سلمية بوجود

حركة المقاومة . قال ايبن ان اسرائيل « ترى مهمتها الاساسية الآن هي محاربة الارهابيين في اي مكان يتواجدون فيه وبكل ما اوتيت من قوة ... انني لا أفكر في هذه اللحظة بالسلام ، وانما بكيفية ازالة هذا الوباء من العالم » . ودعا حكومات العالم الى اتخاذ اجراءات عملية ضد « الارهاب »(٢٠). وفي ٩/١٦ اذاع راديو العدو مقابلة مع ابا ايبن حول نتائج الجهود الدبلوماسية الاسرائيلية على الصعيد الدولي جاء فيها قول ايبن : في محادثاتنا الثنائية مع دول العالم نحاول تحقيق ما يلي : « ان نضمن ان تنظر الدول المعنية لهذه القضية على انها قضية دولية تستلزم ضرورة تحملها مسؤوليتها . وان نضمن ، ثانيا ، بان يحيطوا الارهاب العربي بجو عدائي والرغبة في استئصاله . ولقد بحثنا مع هذه الدول في وسائل استئصال الارهاب ، وقد تم احراز تقدم معين في الآونة الاخيرة » .

على صعيد دولي كان هناك « استنكار » رسمي شبه شامل للعملية ، ولكن في الوقت ذاته كان هناكتركيز واضح ، في التصريحات وحتى في الصحف اليمينية الكبرى ، على الارهاب والظلم الذي أحاق بالشعب الفلسطيني ، وان ذلك هو سبب هذا النوع من العمل . وكان أبرز المواقف المعادية ، موقف المانيا الغربية وموقف الولايات المتحدة . ولم ينحصر موقف حكومة المانيا الغربية بالتواطؤ مع اسرائيل في اعداد كمين المطار الذي أنهى العملية بالشكل المعروف ، وانما امتد الى اتخاذ اجراءات معادية تجاه الفلسطينيين والعرب عموما . وتمثل ذلك في عدم اعطاء تأشيرات دخول لعدد كبير من العرب ، ثم بأعلان حكومة المانيا اتحادي طلاب وعمال فلسطين منظمتين غير شرعيتين، وشنت الشرطة الالمانية في كافة المدن الالمانية ، حملة ارهابية ضد العرب والفلسطينيين بشكل خاص ، بحيث كانت تداهمهم حتى اثناء نومهم ، لتعتقلهم وتصادر ممتلكاتهم وتبعدهم الى الخارج . وقد ابعد كثير منهم الى الاردن حيث تكون المعتقلات الاردنية بانتظارهم.أما الولايات المتحدة فقد أخذت المبادرة لتنظيم عملية قمع دولية ضد المقاومة. فبعث وزير خارجيتها بمذكرة الى كافة الدول التي لاميركا علاقات دبلوماسية معها ، أشار فيها الى انه ونيكسون على قناعة تامة بأن حكومات العالم تستطيع ، وهي ملزمة ايضا ، باتخاذ خطوات أكثر فعالية ضد «الارهابيين» ، واقترح ان توقع جميع الحكومات على اتفاقات دولية بشأن الاعمال التي تتم ضد الطيران المدني . وصادق مجلس الشيوخ على مشروع قرار طالب الرئيس نيكسون بالنظر في تجميد المساعدات الاقتصادية للدول التي تمنح المأوى « للارهابيين » . وتبنت الولايات المتحدة موضوع الارهاب في الامم المتحدة وقدمت مسودة ميثاق دولي لمنع الارهاب ومعاقبة الذين ينفذونه . ولما فشلت بذلك حذرت من ان بعض الدول ستضطر الى اتخاذ اعمال مستقلة وان ذلك قد يلحق الضرر بالمواصلات والعلاقات الدولية .

على الصعيد غير الرسمي صبت التعليقات الاسرائيلية في اطار الموقف الرسمي كما تمثل بتصريحات المسؤولين وقرار الكنيست في جلسته الطارئة ، وخاصة بالنسبة للمقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، حيث عبرت هذه التعليقات عن يقظة الفكر الارهابي الصهيوني بتحريضها على توسيع الارهاب الشخصي ضد الفلسطينيين الى خارج المنطقة ، والدعوة الى حرب ابادة شاملة ضد حركة شعب فلسطين النضالية . تناول زئيف شيف ، المعلق العسكري لصحيفة هاآرتس ، الموضوع في عدة مقالات في الصحيفة المذكورة . كتب في ٩/٨ يقول : « ان الحرب ضدهم ، الفدائيين ، يجب ان تدور دون رحمة ودون توقف يمكنانهم من استعادة قواهم . والسبيل الوحيد الذي يجب انتهاجه نحو هؤلاء السفاحين هو اسلوب الملك حسين بالذات ــ ابادة ومطاردة حتى النهاية ». وطالب بان تتناول الاعمال الارهابية الدول العربية ايضا ، فقال « كان من المعتقد حتى مقتل غسان كنفاني ان حياة زعمائهم محصنة جدا . ومن قتل كنفاني اثبت انه قادر على

عمليات ناجحة مع من اراد ذلك . ومن المهم ان نؤكد ان عنوان هذه الضربات ليس المخربين وحدهم ، فمنظمات المخربين تعتمد اليوم على الدول العربية أكثر من أي وقت مضى » . وفي مقال آخر (٧٢/٩/١٢) دعا شيف الى انتهاج اسلوب الارهاب الشخصي خارج المنطقة ، واشار الى اعمال اسرائيل السابقة في ارسال الطرود المتفجرة والى حادثة كنفاني ، وقال « فالارهاب الشخصي خارج حدود المنطقة لن يحل كل شيء ... لكن دون اسلوب الارهاب الشخصي ... نكون كأننا القينا ، بأيدينا سلاحنا جانبا » . وتحدثت معاريف في ٩/٦ حول الموضوع فقالت « الوقت غير مناسب لاجراء حسابات صغيرة مهما كانت أهميتها ، فحسابنا أكثر شمولا وعمقا ، انه حساب الدم مع المخربين ومرسليهم ، كما اننا لن نفعل مثلهم بل سننقل الميدان الى اماكن بعيدة ونضربهم في عقر دارهم ... لقد بدأت مرحلة جديدة ، ليست مرحلة استنكار او شجب ، ولا مرحلة مشاركة بالاسى والاسف من جانب شعوب العالم ، بل مرحلة القضاء على المخربين ». وقالت دافار : « ان الحرب الدفاعية هامة ولكنها ليست كافية ، وان التحول سيطرأ عندما تأخذ اسرائيل زمام المبادرة لتصفية المخربين في كل مكان يتواجدون فيه » . اما عل همشمار فقالت في ٩/١١ انه يتوجب على دول أوروبا الغربية ، التي يتجمع فيها المخربون ، العمل على قطع دابرهم من اراضيها . وربطت هآرتس في ٩/٢٤ بين الحل السلمي وتصفية المقاومة حين قالت « من الضروري ان نؤكد على تجميد كل جهد سياسي طالما لم تعلن الدول العربية عن رغبتها في انهاء الارهاب » . وأكدت صحيفة اومر ، في اليوم ذاته ، على اهمية تأييد الولايات المتحدة لموقف اسرائيل « والذي يقضي بعدم الدخول في أية مباحثات للوصول الى اتفاق طالما ظل الارهاب العربي قائما » . وفي ٩/٢٢ نقل راديو العدو تصريحا لدبلوماسي اسرائيلي لم يكشف هويته للصحفيين في واشنطن ، قال فيه « لن توافق اسرائيل على حل سياسي في الشرق الاوسط الى ان تتوقف عمليات المخربين ... وسنضرب هؤلاء في الشرق الاوسط وخارجه، ولن ننتظرهم حتى يضربوننا »(٢٢).

من جهة اخرى ظهرت دعوات لفرض عقوبة الاعدام على الفدائيين . فطالب أمنون روبنشتاين ، عميد كلية الحقوق في جامعة تل ابيب ، والمعروف بآرائه الليبرالية في موضوع العلاقات بالعرب في اسرائيل والمناطق المحتلة ، طالب باصدار احكام اعدام ضد الفدائيين المعتقلين ، وقال : « ينبغي في نطاق محاربة الارهابيين ، اعادة النظر في مسألة فرض عقوبة الاعدام . لقد تحدد الموقف الرسمي ضد عقوبة الاعدام — الذي أيده كاتب هذه الاسطر — خلال أيام كنا نمارس فيها حربا صغيرة ضد جماعات من المخربين كانت تعبر نهر الاردن . في اطار هذه الحرب لم يكن هناك سبب وفائدة من فرض عقوبة الاعدام ... ولكن تغيرت الظروف اليوم تغيرا تاما ... »(٢٣). وشكلت اسرائيل لجنة لبحث قضية فرض عقوبة الاعدام على الفدائيين ، وأكد ذلك يعقوب شابيرا ، وزير العدل الاسرائيلي ، الذي أكد في حديث اذاعي يوم ٧٢/١٠/١٠ وجود مثل هذه اللجنة ونفى الاخبار التي انكرت وجودها . ومما قاله شابيرا ان اكثرية اعضاء اللجنة رأت ان لا مبرر لتغيير الوضع القائم ، لانه اذا ما فرضت تلك العقوبة فسيكون وقعها سيئا على عرب المناطق ، وانها لن تؤدي الى تقليص اعمال الارهاب »(٢٤).

وعلى الصعيد الخارجي اخذت المنظمات الصهيونية الارهابية تمارس نشاطا مماثلا لما كانت تقوم به قبل ١٩٤٨ . ففي ٧٢/٩/١٩ اعلن اعضاء رابطة الدفاع اليهودية في تل ابيب عن عزمهم على انشاء منظمة يهودية « مضادة للارهاب » ، ودعوا يهود العالم للاتصال بهم لهذا الغرض . وأعلن اعضاء الرابطة في مؤتمر صحفي بأن أحد رفاقهم قد اعتقل قبل اسبوع بتهمة محاولة ارسال صندوق اسلحة وذخيرة الى اعضاء الرابطة في الولايات المتحدة ، وان الهدف من ارسال الاسلحة هو استخدامها في ضرب السفارات

العربية ومكاتب « الارهابيين » في الولايات المتحدة واوروبا(٢٥). ومن المعروف انه جرى في تلك الآونة اعتقال زعيم رابطة الدفاع اليهودية الحاخام كهانا وبعض زعمائها مثل عميحاوي باجلين ويوسف شنايدر بتهمة تهريب اسلحة الى خارج اسرائيل ، ثم افرج عنهم ، وأجرت الاذاعة الاسرائيلية حديثا مع كهانا قال فيه « لقد حان الوقت لان تعلم دولة اسرائيل انها تمثل جميع الشعب اليهودي ، وعليها ان تدافع عن جميع اليهود حيث كانوا »(٢٦). وفي ١٠/٤ أعلنت حركة مسادة انها المسؤولة عن نسف المكتبة الفلسطينية في باريس قبل يوم واحد . كذلك ذكرت هآرتس في ١٠/٨ ان جماعة صغيرة من الفتيان اليهود الذين ينتمون الى جبهة الطلبة اليهود الغربية من « بيتار » (منظمة الشبيبة التابعة لحركة حيروت) ، تقوم بعمليات ملاحقة وأعمال تجسس في اوساط كبار المتعاطفين مع حركة فتح في القنصليات العربية ، ووفود الدول العربية في الامم المتحدة . وكشفت هآرتس أن موشيه عميرام ، رئيس فرع بيتار في نيويورك ورئيس منظمة الطلبة الاسرائيليين في الولايات المتحدة ، يرئس مكتبا ميزانيته ١٢ الف دولار سنويا يقدمها قسم الشبيبة في الوكالة اليهودية .

الرد الاسرائيلي : جاء الرد الاسرائيلي سريعا ولا زال مستمرا ، خاصة على الجبهة السورية ، فهي حرب دائمة كما أعلنت اسرائيل الى ان يتم ايقاف حركة المقاومة على الارض العربية . وجاء الرد ينفذ التهديدات الاسرائيلية ، اي توجيه ضربات مباشرة الى الدول العربية وتحديدا سوريا ولبنان ، وضد المقاومة بمختلف الاساليب . على الصعيد **العربي** كان التهديد الاسرائيلي واضحا من خلال تصريحات المسؤولين الاسرائيليين وتعليقات الصحف ، والذي لخصه قرار الكنيست في الجلسة الطارئة يوم ٩/١٢ اذ جاء في القرار « ان اسرائيل ستعمل بصورة متواصلة ضد منظمات الارهاب وقواعدها والذين يقدمون لها المساعدة حتى يتم وضع حد لعملياتهم » . واستهدف الرد الاسرائيلي هذه المرة ضرب القوات العسكرية العربية ، والمدنيين العرب ـ لا مجرد انتهاك الحدود لضرب قواعد الفدائيين ـ بهدف ارغام الدول العربية على منع العمل الفدائي تفاديا لاستمرار الضربات الاسرائيلية المباشرة . وقد نجح العدو الاسرائيلي في لبنان ، بعد العدوان الاسرائيلي الواسع على القطاع الاوسط في جنوب لبنان ، حيث نشبت أزمة قوية بين المقاومة والسلطات اللبنانية انتهت بالاتفاق على استمرار تجميد النشاط الفدائي ، وخروج الفدائيين من المدن والقرى اللبنانية(٢٧). أما على الجبهة السورية فلا زال العدوان مستمرا حيث تقوم اسرائيل ، ردا على عملية فدائية في منطقة الجولان المحتلة ، بالاغارة على مواقع القوات السورية ، وعلى القرى السورية ، وتتوغل الطائرات الاسرائيلية أحيانا الى العمق السوري حتى اللاذقية لتضرب قواعد عسكرية سورية . وبالمقابل أعلنت سوريا مرارا وعلى لسان رئيسها ، انها لن تتوقف عن دعم حركة المقاومة . وتقوم بالتصدي ، **وحيدة** ، في الجو والبر للقوات الاسرائيلية ، وتوجه ضربات نارية كثيفة الى القوات والمستوطنات الاسرائيلية في منطقة الجولان ، ردا على الاعتداءات الاسرائيلية وضرب المدنيين .

بعد عملية ميونيخ بثلاثة أيام ، أي في ٨ أيلول ، شنت اسرائيل سلسلة من الغارات الجوية الوحشية على سوريا ولبنان ، استهدفت المدنيين بالدرجة الاولى . ففي لبنان ضربت الطائرات الاسرائيلية مخيم نهر البارد وقرية الرفيد وراشيا الوادي ، وأدت الى مقتل نحو ٢٠ شخصا وجرح نحو ٤٠ ، معظمهم من الاطفال والنساء. وفي سوريا اغارت الطائرات على عدة مناطق في الساحل الشمالي ومنطقة دمشق والسويداء ومخيم للاجئين السوريين في سحم الجولان . وأسفرت هذه الغارات عن مقتل أكثر من ٢٠٠ شخص وجرح عدد مماثل . في اليوم التالي ردت سوريا بضرب المواقع العسكرية الاسرائيلية ، تلا ذلك اشتباكات جوية خسرت فيها سوريا ثلاث طائرات ، واسقطت لاسرائيل ثلاث

طائرات ايضا . وفي ٩/١٦ ، اي بعد مضي اسبوع على العدوان الاول ، قامت اسرائيل بهجوم واسع على جنوب لبنان حيث توغلت القوات الاسرائيلية حوالي ٢٠ كلم في الاراضي اللبنانية ، ووصلت الى مشارف صور . وقصفت الطائرات الاسرائيلية مواقع الجيش اللبناني بالاضافة الى الاشتباكات البرية بين الجانبين . كانت خسارة لبنان كبيرة اذ فقد ١٨ شهيدا و٤٦ جريحا من العسكريين ، و٨٠ شهيدا من المدنيين عدا الخسائر في المعدات والممتلكات . وخسرت المقاومة ٢٠ شهيدا . وعكست التعليقات الاسرائيلية بأن المقصود من ذلك دفع لبنان لايقاف العمل الفدائي كليا على أرضه . فقالت جيروزاليم بوست في ٩/١٩ : ان الهدوء سيخيم على المنطقة فقط عندما يقوم لبنان بايقاف عمليات « المخربين » من اراضيه . وقالت صحيفة الانباء ان لبنان يجب ان يلوم نفسه فقط لان الاتفاق الذي وقعه في القاهرة مع منظمات « التخريب » قد انزل الحكومة الى مستوى هذه المنظمات . واوضح المعلق السياسي في الاذاعة العبرية مطلب اسرائيل ، حين رد في ١٠/٤ على تصريحات رئيس الحكومة اللبنانية بأن « الفلسطينيين فعلوا كل ما هو مطلوب لعدم اعطاء اسرائيل ذريعة لمهاجمة لبنان » ، وقال المعلق : « ان موضوع الامن على الحدود لا ينتهي بمجرد ان يستجيب المخربون لطلب الحكومة ولا يدخلوا القرى . ان مجرد وجود المخربين خطر على أمن الحدود »(٢٨) .

اما بالنسبة لسوريا ، فقد ذكرنا أن العدوان الذي بدأ عقب عملية ميونيخ يعتبر انه لا زال مستمرا واصبح توقع حدوثه ممكنا . ففي كل مرة تعلن اسرائيل عن اكتشاف لغم في الجولان المحتل او عن تعرض قواتها لهجوم فدائي ، تتبع ذلك بهجوم على المواقع السورية . واصبح مألوفا ايضا ان ترد سوريا سريعا على كل اعتداء . وكان من أبرز الاشتباكات الاسرائيلية السورية يوم ١٠/٣٠ ، اي في اليوم التالي لاختطاف طائرة لوفتهانزا واطلاق سراح فدائيي ميونيخ ، قامت الطائرات الاسرائيلية بضرب أربع قواعد فدائية في منطقة دمشق . ردت القوات السورية عند الظهر بقصف القوات الاسرائيلية في الجولان ، ثم عادت الطائرات الاسرائيلية بعد الظهر وضربت معسكرا للجيش السوري في تل كلخ . وعقد اليعازر ، رئيس الاركان الاسرائيلي مؤتمرا صحفيا في ١٠/٣١ قال فيه « ان هناك دلائل تثبت ان السوريين ينوون الاستمرار في السماح للمخربين في البقاء في الاراضي السورية والعمل من هناك . وهذه نية لا نحتملها »(٢٩) . وعلقت هآرتس بقولها : ليس في نية اسرائيل توسيع الحرب لكنها ستواصل العمل ضد المخربين والذين يقفون وراءهم . في ١١/١١ أعلن قائد القوات الاسرائيلية في منطقة الشمال ان الجيش الاسرائيلي تبنى سياسة جديدة تقضي بمهاجمة قواعد الجيش السوري وليس مخابىء الفدائيين العرب . وفي ١١/٢١ جرت اشتباكات اسرائيلية ـ سورية عنيفة في البر والجو استمرت اكثر من عشر ساعات . وقد أوقعت سوريا خسائر بشرية ومادية كبيرة في المستوطنات الاسرائيلية ، باعتراف اليعازر ، اضافة للخسائر العسكرية ، اذ اطلقت القوات السورية في ذلك اليوم اكثر من الفي قذيفة(٣٠) . وفي الايام الاولى من العام الجديد وقع اشتباكان ، الاول كان اشتباكا جويا في ٢ ك٢ ، امتد الى الاجواء اللبنانية ، وحدث الثاني في ٨ ك ٢ في البر والجو واستمر حتى المساء وتوغلت الطائرات الاسرائيلية حتى اللاذقية حيث ضربت موقعا للجيش السوري هناك . أعلنت سوريا انها خسرت ٣ طائرات واسقطت للعدو اربع . وعقد ضابط اسرائيلي كبير مؤتمرا صحفيا قال فيه ان هدف العمليات هو اقناع السوريين باحترام وقف اطلاق النار والتزام الهدوء . وقالت دمشق عبر الاذاعة ان التأييد العربي المعنوي لا يكفي ، فالسكوت يعطي العدو فرصة لقفزة توسعية جديدة(٣١) .

اما بالنسبة **للمقاومة** فكان الرد الاسرائيلي اعلان حرب شاملة تمثلت بضرب القواعد والمخيمات (نهر البارد والنبطية) وتوسيع نطاق الارهاب الشخصي على اعتبار ان

ضرب القواعد وحدها لا يكفي لاخماد حركة المقاومة بشكل كلي وهو هدف اسرائيل الواضح كما عبر عنه اليعازر في ١٠/٢٥ اذ قال ان حرب اسرائيل لم تنته ، وانه طالما هناك قواعد « للمخربين » فانه ينبغي علينا المبادرة بشن حرب هجومية شاملة . وبعد العدوان الكبير على لبنان كتبت يديعوت احرونوت في ٩/٢٤ تقول هل ستكتفي اسرائيل بعملية محدودة في لبنان ، والم يحن الوقت بعد لضرب كل المكاتب واجهزة البحث التابعة لمراكز الارهاب المختفية في بيروت . لكن اسرائيل حرصت في هذا الجانب من نشاطها ، أن تحيطه بالسرية الكاملة وتلجأ الى أساليب الخداع . فبعد عملية ميونيخ قتل موظف في السفارة الاسرائيلية في بلجيكا تبين فيما بعد ان الذي قتله كان يعمل لحساب المخابرات الاسرائيلية . وفي أعقاب العملية بدأت رسائل ملغومة تصل الى السفارات الاسرائيلية في مختلف دول العالم والى داخل اسرائيل نفسها ، واستمرت حملة الرسائل هذه حوالي شهرين ، ولكنها جميعها اكتشفت قبل وصولها الى اصحابها ، باستثناء رسالة انفجرت يوم ٩/١٩ في أحد موظفي السفارة الاسرائيلية في لندن وأدت الى مقتله . أما الرسائل التي وجهت الى عناصر فلسطينية فلم يكتشف معظمها وانفجرت بمن أرسلت اليهم ، خاصة في أوروبا . لجأت اسرائيل في عمليات الارهاب الشخصي الى السرية من جهة والى توكيل المهمة الى الاجهزة الاسرائيلية نفسها ورفضت باصرار ان تقوم منظمات صهيونية بهذا العمل ، لما في ذلك من احراج دولي تريد اسرائيل أن تتجنب مأزق الدخول فيه . ففي ٩/٢٩ أجرت اذاعة العدو مقابلة مع الجنرال حاييم هرتسوغ ، رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق ، حول أساليب مواجهة « الارهاب » الفلسطيني . اكد هرتسوغ ان هذا الموضوع يجب أن يكون بعيدا عن النقاش العلني ، وان لا يناقش أيضا في جلسات الحكومة . واعتبر هرتسوغ ان قيام منظمات صهيونية بتنفيذ الارهاب الاسرائيلي بمثابة « كارثة قومية » . واتفق هرتسوغ بذلك مع رئيس المخابرات الاسرائيلية في حديثه للاذاعة يوم ٩/٢٧ والذي تكلم فيه عن أساليب أخرى لمحاربة « الارهاب » غير العمليات العسكرية ضد القواعد الفدائية . وبالطبع لم يذكر هذه الاساليب بل رد على المذيع حين سأله عن ذلك بقوله « هل تنتظر مني أن أجيبك على هذا السؤال ؟ »(٣٢) . وعلى الصعيد التنفيذي وقعت عدة حوادث ، وبوسائل مختلفة ، لعناصر فلسطينية ، كما فشلت عدة محاولات أخرى . ففي ١٠/١٦ اغتيل المناضل وائل زعيتر في روما . في ١٠/٢٤ اكتشفت في القاهرة رسالة ملغومة موجهة الى الاخ فاروق القدومي . في ١٠/٢٥ انفجرت رسالة ملغومة في الاخ ابو خليل مسؤول منظمة التحرير في الجزائر . وفي اليوم نفسه انفجرت رسالة بين يدي مصطفى زيد ، موظف في مكتب منظمة التحرير في ليبيا . في ١٠/٢٦ اكتشفت ٣ رسائل في القاهرة انفجرت احداها بضابط مصري كان يحاول ابطال مفعولها . وفي ١٠/٢٨ اكتشف حارس بناية في بيروت رسالة ملغومة موجهة الى شاب فلسطيني يقيم في البناية . وفي ١١/٢٩ انفجرت رسالة بالسيد عدنان حماد داخل منزله . وفي اليوم ذاته انفجرت رسالة في ستوكهولم بعمر صوفان ، وانفجر طرد في مكتب البريد في تونس أصاب ٣ موظفين بجراح . وفي اليوم التالي انفجرت في كوبنهاجن رسالة بالسيد احمد عوض الله . وفي ١٢/٨ وقع انفجار في منزل محمود الهمشري ، ممثل منظمة التحرير في باريس أصابه بجراح خطيرة ، ما لبث ان فارق الحياة على اثرها بعد حوالي شهر .

النتائج : لقد أكدت العمليات الخارجية التي قامت بها حركة المقاومة ضد اسرائيل عام ٧٢ وقبله ، عدة نتائج بالنسبة للمقاومة والجماهير الفلسطينية ، وبالنسبة لاسرائيل ذاتها . فهذه العمليات شديدة الاثر على اسرائيل ومن النوع الذي لا يمكن أن تتحمل السكوت عليه . ذلك ان هذه العمليات تشكل لاسرائيل ، داخليا وخارجيا ، اشكالات عدة . ولذا تطورت ردود الفعل بسرعة تجاه هذه العمليات في عام ٧٢ ، وانتقلت ردود الفعل من عدم الاعتراف بحركة المقاومة وعدم الرضوخ لمطالبها الى شن حرب ابادة

شاملة ومستمرة ، واشترطت صراحة تصفية المقاومة عربيا كمقدمة للتسوية السلمية ومن انتهاك الحدود العربية لضرب قواعد المقاومة الى ضرب هـذه الدول مباشرة . وشنت حملة ارهاب شخصية تطورت من محاولة تصفية قادة المقاومة في بيروت الى محاولة تصفية كافة العناصر البارزة في العمل الوطني الفلسطيني ، على امتداد الساحة العالمية . وها هي تتفرغ بصورة متواصلة للاعتداء على سـوريا وضرب مواقعهـا العسكرية والمدنية . وكشفت عمليات اسرائيل انها تعرف عنا ما لا يجب ان تعرفه .

ولقد ردت حركة المقاومة على عمليات اسرائيل ، وبشكل موجع ، حين كانت اسرائيل تعلن انها وجهت ضربة قاسية للمقاومة . كما ان ردود الفعل الاسرائيلية قـد أكدت بالملموس ابعاد المعركة التي كانت جماهيرنا تعرفها منذ وقت طويل . فجماهيرنا تدرك ان حربنا مع اسرائيل هي بالفعل حرب ابادة بكل معانيها . وجماهيرنا اندفعت للقتال وهي تعي ذلك ولكنها لا تخشاه . ورغم ان اسرائيل قد وسعت حربها الارهابية الا انها تخاف امتداد مثل هذه المواجهة وتوسعها لانها ليست في صالحها . فنحن شعب لا يملك ما يخسره غير بؤسه وقيوده ، أما هم فعندهم كل شيء يخسرونه . ان دخول العدو في حرب ارهابية طويلة ، سيفضح بديهيات وجوده المزيفة ، ويجلـو صورة المأسـاة الفلسطينية المشوهة ، ويعيد الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى أساسه : دولة عنصرية قامت على الارهاب والتوسع من جهة ، وشعب يريد حريته وارضه في الجهة المقابلة.

---

١ ـ راجع ابراهيـم العـابد ، **مدخل الـى الاستراتيجية الاسرائيلية** ، منشورات مركـز الابحاث ، ١٩٧١ ، الفصل الاخير .
٢ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .
٣ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٧ .
٤ ـ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٨ ـ ١١١ .
٥ ـ صحيفة **هآرتس** الاسرائيلية ، ١٩٧٠/٩/١٤ .
٦ ـ صحيفة **عل همشمار** ، ٧٠/٩/٧ .
٧ ـ صحيفة **معريف** ، ٧٠/٩/٩ .
٨ ـ صحيفة **النهار** اللبنانية ٧٢/٥/١٢ .
٩ ـ صحيفة **البناء** اللبنانية ، ٧٢/٦/٣ .
١٠ ـ صحيفة **نيويورك تايمز** ، ٧٢/٦/١ .
١١ ـ صحيفة **الانوار** اللبنانية ، ٧٢/٦/٢ .
١٢ ـ **المصدر نفسه** .
١٣ ـ صحيفة **الحياة** اللبنانية ، ٧٢/٦/١ .
١٤ ـ صحيفة **الاهرام** القاهرية ، ٧٢/٦/٦ .
١٥ ـ صحيفة **لندن تايمز** ، ٧٢/٦/٣ .
١٦ ـ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » اليومية ، مركز الابحاث الفلسطينية .
١٧ ـ **المصدر السابق** .
١٨ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٦ .
١٩ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٧ .
٢٠ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٨ .
٢١ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/١١ .
٢٢ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/٢٢ .
٢٣ ـ نشرة **مؤسسة الدراسات الفلسطينيـة** ، عدد ١٨ ، ١٦ ايلول ١٩٧٢ ، ص ٥٤١ .
٢٤ ـ **رصد اذاعة اسرائيل** ، ١٩٧٢/١٠/١٠ .
٢٥ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/٩/١٩ .
٢٦ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/١٠/٦ .
٢٧ ـ راجع **شؤون فلسطينية** ، عـدد ١٥ ، شهريات المقاومة ، ص ٢١٧ ـ ٢١٩ .
٢٨ ـ **رصد اذاعة اسرائيل** ، ١٩٧٢/١٠/٤ .
٢٩ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/١٠/٣١ .
٣٠ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٧٢/١١/٢٢ .
٣١ ـ صحيفة **النهار** ، ١٩٧٣/١/٩ .
٣٢ ـ صحيفة **النهار** ، ١٩٧٢/٩/٢٧ .

تحليل اجتماعي للتكييف الايديولوجي بواسطة وسائل الاعلام *

ج. مون كراو
ابن الاشقر

يعالج هذا التحليل النصوص التي نشرتها بعض الصحف الفرنسية والبلجيكية بصدد الاحداث التي وقعت أثناء الالعاب الاولمبية في ميونيخ في أيلول ١٩٧٢ . لقد كان هذا البحث ثمرة جهد جماعي مشترك وقد ارتكز علـى الصحف السياسية التالية : في بلجيكا : لا سيتي (٨ أيلول) لوسوار (٨ أيلول) لا ليبر بلجيك (١١ أيلول) . في فرنسا : لوموند (١٠ ، ١١ أيلول) لو فيغارو (٧ أيلول) ، لورور (٦ ، ٩ ، ١٠ أيلول) لا نوفيل ريبيبليك (٧ أيلول) ليكيب (٧ أيلول) لو كوريبه دو لويست (٦ أيلول) باري ماتش (١٦ أيلول) . كما تمت مراجعة الصحيفة اليومية الاميركية التي تصدر في باريس : الهيرالد تريبون .

لقد بدا لنا من المناسب ، ازاء اجماع هذه الصحف على استعمال التعابير نفسها لادانة عمل الفدائيين الفلسطينيين ، أن نشير الى مصادرنا بشكل مجمل ودون تسمية كل مصدر باسمه حتى لا يكون النص مثقلا بالاشارات والمراجع . ذلك أن صحيفة اللوموند كانت الوحيدة التي عبرت عن آراء اكثر اعتدالا . أما بالنسبة الى الصحف الاخرى فمن المؤكد انها لم تستعمل جميعها كل التعابير والاحكام التي استشهدنا بها ، الا انه من الواضح ان الصحافة الغربية في معظمها وقفت بقوة ضد الفلسطينيين كما لم تفعل ذلك الا نادرا في حالات اخرى من هذا النوع .

« هل تتمكن ألعاب العصور الحديثة ، هذه الالعاب التي نكبت بهـذه المأساة وتلوثت بالدم من البقاء والاستمرار مع العلم بأن الالعاب القديمة كانت قد انقرضت بعد انحطاط طويل عندما تم القبول بمشاركة البرابرة فيها بعد أن كانت في الاساس مـن امتياز الهيلينيين الانقياء ؟ »

(لو كوريبه دو لويست ــ ٦ أيلول ١٩٧٢)

١ ــ شيء من علم اجتماع الايديولوجية :

ان الصحافة المكتوبة أو الناطقة ، مثلها في ذلك مثل المدرسـة والاحزاب السياسية ونقابات العمال او ارباب العمل والكنيسة والمؤسسات القضائية الخ ... يمكـن أن **تحلل** بصفتها جهازا ايديولوجيا وذلك لانها تنتج كلاما عن النظام الاجتماعي . اذن ، لكي

* قدمت هذه الدراسة التحليلية لردود فعل وسائل الاعلام الغربية تجاه حادث ميونيخ الى الندوة العالمية الثانية للمسيحيين من أجل فلسطين التي انعقدت في كنتربري (انكلترا) بتاريخ ١١ ــ ١٦ أيلول ١٩٧٢ وسوف تنشر قريبا في كتاب يضم كل وثائق الندوة العالمية .

ندرك تماما تأثير الصحافة ، علينا أن نحلل كلامها بصفته نتاجا ايديولوجيا . ان علم اجتماع الايديولوجية الذي أتى به ماركس وانجلز في « الايديولوجية الالمانية » يقدم لنا أدوات تحليل ، ما زالت حتى الآن جنينية . ونجد هذه الادوات كذلك عند مفكرين كلويس التوسير وأنور عبدالملك وفيدال وبولنتزاس(١) .

لنبدأ أولا بتحديد موجز للايديولوجية وصياغة بعض الملاحظات النظرية الاساسية حول هذا الموضوع . « ان الأيديولوجية السائدة هي الاطار البنيوي — الفوقي — الافكار ، النظريات ، الاساطير ، المعتقدات — الذي يبرر ، على صعيد البنية الفوقية الظاهرة والضمنية ، عقلانيا وشعوريا ، النظام السياسي — الاجتماعي أي أنه يبرر نمط أو طريقة ابقاء تشكيلة أو مجموعة تشكيلات اجتماعية اقتصادية وطنية بشكل دائم في مجتمع ما في مرحلة معينة من تطوره التاريخي » (أنور عبد الملك ، **الجدلية الاجتماعية** ، ص ٢٤) . وهذا ما يدفعنا الـــى التأكيد على بعض الافكار :

أ — ان كل ايديولوجية هي تتابع : فهي ليســـت بنظام قيم سابقة الوجود بالنسبة الى النظام الاجتماعي الذي يكون والحـــالة هذه قائما عليها بل أنها على العكس من ذلـــك تتابع هذا النظام الاجتماعي وهذا التتابع يتغير بتغير النظام . فنحن لا نبني مثلا نظاما اجتماعيا باحتراف مبادىء الديمقراطية مثلا بل اننا ننتج نظام القيم المسمى بالديمقراطية لتبرير نظام اجتماعي قائم ولاضفاء الشرعية بممارسات اقتصادية وسياسية محددة . الا ان النتيجة الاولى التي تعطيها الايديولوجية هي أنها توهمنا بالعكس فتجعلنا نعتقد ان النظام الاجتماعي هو نتاجها وان القيم هي التي تملي او تفرض الممارسات .

ب — الايديولوجية السائدة هي من تتابع الاجهزة الايديولوجية (العائلة ، المدرسة ، الكنيسة ، وسائل الاعلام الخ ..) التي تقيمها طبقة مسيطـــرة لتبرر ممارساتهـــا الاقتصادية والسياسية ولتحافظ على النظام الاجتماعي الذي تفرضه . ذلك أنه ليس هناك الا طريقتين للابقاء والمحافظة على الاستغلال الاقتصادي الذي تمارسه طبقة ضد أخرى : الطريقة الاولى ذات طبيعة سياسية وهي القوة والقمع والعنف القانوني التي تحولت الى مؤسسات من خلال الاجهزة السياسية . أما الطريقة الثانية فتتلخص في جعل المستغلين لا يدركون أنهم مستغلون فيجدون أن المكان الذي يحتلونه في العلاقات الاجتماعية هو مكانهم الطبيعي والعادي والمقبول : وهذا ما يسمى بالايديولوجية .

ج — تنتج الايديولوجية السائدة ثلاثة تأثيرات : ١ — تأثير من جهة **المعنى** : فهي تعطي معنى للعلاقات الاجتماعية وتحدد مغزى الممارسات الاقتصادية والسياسية . ٢ — تأثير من جهة **النظام** : فهي تبرر النظام الاجتماعي الاقتصادي القائم وتضفي عليه غطاء من الشرعية وتعطي مظهر الوحدة والاجماع . وهكذا تحول دون نشوء وعي طبقي ، وعي صراعي — صدامي وتحول بالتالي وتعوق الصراع الطبقي . ٣ — تأثير من جهة **الحركة** : فهي تعبىء العناصر العاملة في المجتمع وتعطيها اندفاعا وحماسا ورغبة في العمل والانتاج داخل نظام العلاقات الاجتماعية التي حددتها الطبقة السائدة .

د — لا غنى عن الايديولوجية في أي حياة اجتماعيـــة (فهي ليست شـــرا ولا خيرا) والانسان ، بدون الايديولوجية ، لا يستطيع أن يعيش . وهي ضرورية في المحافظة على سيطرة ما (الايديولوجية المسيطرة) بقدر ما هي ضرورية للنضال ضدها (الايديولوجية

---

١ — كارل ماركس وف. انجلز : **الايديولوجية الالمانية** .
— لويس التوسير : ١ — **دفاعا عن ماركس** . ٢ — **الايديولوجية والاجهزة الايديولوجية للدولة** .
— انور عبد الملك : ١ — **الجدلية الاجتماعية** . ٢ — **الايديولوجية والنهضة الوطنية** .
— د. فيدال : ١ — **ملاحظات عن الايديولوجية** . ٢ — **محاولة عن الايديولوجية** .
— بولنتزاس : ١ — **السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية** . ٢ — **الفاشية والدكتاتورية** .

الاصلاحية أو الثورية) . وبحثنا الآن سيقتصر على حالة تطبيقية مستمدة من الايديولوجية السائدة (المسيطرة) .

٢ ــ ميونيخ : ايديولوجية الصحافة :

المسألة هنا مسألة اظهار **كيف وبأية وسائل وطرق** ، انتجت الايديولوجية المسيطرة ، من خلال ادوات تعبيرها وكلامها ، غطاء من الشرعية على الممارسات الاقتصادية والسياسية . وبصورة أدق في هذا الوضع المحدد الذي يهمنا كيف أن الصحافة الفرنسية والبلجيكية ، من خلال كلامها عن أحداث ميونيخ، قد أنتجت غطاء من الشرعية على الممارسات الصهيونية في فلسطين والشرق الاوسط وخلقت تعبئة للرأي العام ضد الفلسطينيين والعرب . ولاظهار هذا سوف نلجأ الى الاستعانة **بسبعة مبادىء لتحليل الايديولوجية السائدة** : وسيظهر كل مبدأ الطريقة التي تم الحصول فيها على الشرعية والتعبئة .

[١] مبدأ تعريف العناصر العاملة : ان الايديولوجية السائدة تنتج تأثيراتها بنشرها لتحديد خيالي للعناصر العاملة وعملها وشركائها أو أخصامها بشكل يبدو فيه هذا التحديد ، في نظر الاشخاص الموجه اليهم ، طبيعيا وعاديا وأكيدا ومقبولا .

وهكذا فقد حددت الصحافة ، بمناسبة أحداث ميونيخ ، مجموعة الفدائيين الفلسطينيين بأنها « **عصابة من الارهابيين** » ، من « **الخارجين على القانون** » و « **المتعصبين** » و« **المذنبين** » و« **اليائسين** » و« **المجرمين الواعين والمنظمين** » و« **المجرمين الجبناء** » و« **المجانين المنعزلين** » و« **الاشخاص الذين أعماهم الانتقام والحقد** » و« **المتطرفين المغامرين** » و« **المرضى** » و« **القتلة الذين لا شعور عندهم** » و« **الاشخاص المنحطين والشيطانيين** » .

كما حدد عملهم على أنه « مجزرة » ، « فظاعة » ، « مأساة مؤلمة » ، « شناعة » ، « مذبحة بغيضة » ، « كابوس » ، « حمام دم رهيب » ، « هجوم وحشي » ، « بربرية دموية » ، أو في أحسن الحالات ، كما جاء في الصحف الاقل صهيونية (لوموند ، لاسيتي ، والاومانيته كذلك) ، « كعمل يائس قام به مغامرون غير مسؤولين اساءوا فيه الى قضيتهم ذاتها » . لقد كان عملهم يحدد دائما على أنه « ثورة عنيفة جاءت لتعكر صفو نظام أو هدنة أو جزيرة سلام أو نشاط هادىء وبريء وغير سياسي » .

أما الشعب الفلسطيني فكان يحدد ، عندما يجري الكلام عنه ، بأنه « شعب بائس محروم من وطنه وبيته وقابع في المخيمات وتحت رحمة الاحسان العالمي » .

وبالنسبة الى الرهائن الاسرائيليين فقد حدد وضعهم على أنهم « ضحايا بريئة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ومقيدة ومربوطة تماما مثل تلك النخبة الرياضية التي كانت ملأى بالحيوية والقوة ثم فجأة حطمت ودمرت بشكل عنيف واعتدي عليها » .

أما اسرائيل والشعب اليهودي اللذان يتم الخلط بينهما بشكل دائم فقد حددا على أنهما « معتدى عليهما ومهاجمان » . وقد تم التذكير بتاريخ هذا الشعب الطويل « الذي تعذب كثيرا وبصورة خاصة في المانيا ــ داخاو ليست بعيدة ــ على أيدي النازيين » . و« طالما أن هذا الشعب قد هوجم فمن الطبيعي أن يدافع عن نفسه » . فقد كتب ريمون كارتييه في مجلة باري ماتش : « ان الانتقام الذي يسلط سيفه ليس انتقاما الهيا بل بشريا » . ان هذا الانتقام هو عنف مشروع وقانوني وعلى كل حال فان اسرائيل ليست ارهابية ولم تكن كذلك في يوم من الايام ! طبعا لا بد من ذكر الارغون وشترن ولكن ألم يعارضهما بن غوريون ؟ أما دير ياسين فكانت خروجا على القاعدة أدين رسميا ! وبعد كل ردود انتقامية سيقولون بأنه لم تكن لدى الطيارين الاسرائيليين ارادة القتل **نفسها** .

وتحدد بلدان الشرق الاوسط بأنها ملجأ « القتلة » من مختلف المنظمات الفلسطينية : ويوصف موقف هذه البلدان بصورة تثير سخط المجتمع الدولي : فالقاهرة تتجرأ وتفاخر بانسانية الفلسطينيين . وفي بعض الحالات يشار الى حيرة وعجز هذه البلدان عن اتخاذ موقف حاسم : فهي لا تريد أن تتورط فتتبرأ من المسألة . والمسؤول العربي الوحيد الذي جاءته اللياقة لادانة الفدائيين بشكل واضح كان حسين ملك الاردن . ولا بد من ان نذكر هنا أن « أيلول الاسود » الذي حملت اسمه هذه المنظمة الفلسطينية هو أيلول سنة ١٩٧٠ الذي قدم فيه الجيش الاردني الى اسرائيل خدمة لا تقدر بثمن عندما ضرب قسما مهما من المقاومة الفلسطينية .

أما السلطات الالمانية فتحدد بأنها قد ارتبكت وطار صوابها وتخطتها الاحداث . لقد فعلت هذه السلطات كل ما في وسعها لكي ينسى العالم فظائع الحربين العالميتين وتقدم صورة جديدة عن المانيا الا أن « العاب الفرح » هذه انقلبت فجأة الى العاب الحقد والدم . وقد تركت الصحافة مجالا للشك في مسؤولية السلطات الالمانية التي وجهت اليها اسرائيل اللوم لانها لم تعرف كيف « تنقذ لها فتيانها » .

وأخيرا فان المجتمع الدولي (أي الغربي) قد حدد بأنه ساخط وحزين ومصاب بصدمة عنيفة وغاضب وثائر على سرطان الارهاب وقلق وبشكل خاص منزعج في طمأنينته لجره الى قضية لا تعنيه ، قضية تخص العرب والاسرائيليين . وفي كل الاحوال فان كل عواطفه الودية وتعازيه تتجه صوب اسرائيل .

ان هذه التحديدات تدفعنا الى ابداء ملاحظتين :

ـ ان العناصر العاملة المتجابهة التي وضعت أمامنا [أي من جهة القتلة ومن جهة اخرى الضحايا البريئة] ليست العناصر العاملة الحقيقية في الصراع الذي نشب بمناسبة أحداث ميونيخ . ان العناصر العاملة الحقيقية هي تلك العناصر التي انتجتها العلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي اقيمت في الشرق الاوسط وعلى الاخص في فلسطين ، بواسطة التغلغل الصهيوني ، أي ان هناك من جهة الطبقة الاسرائيلية الشوفينية والامبريالية المسيطرة التي تعبىء وراءها قسما كبيرا من الشعب الاسرائيلي وتعتمد على الدول الامبريالية العظمى ، ومن جهة ثانية **الطبقة الفلسطينية المسيطر عليها** التي تشكل غالبية الشعب الفلسطيني . الا انه من خلال هذا المنظور علينا الا ننسى وجود طبقة مسيطر عليها في اسرائيل بدأت تعي تدريجيا المضمون الحقيقي للممارسات الصهيونية ووجود طبقة فلسطينية مسيطرة كذلك فقدت الان سلطتها بعد أن سهلت كثيرا حتى سنة ١٩٤٨ التغلغل الصهيوني في فلسطين .

ان القارىء ، من خلال اطلاعه على ما قالته الصحافة عن أحداث ميونيخ ، يرى ان الصراع العربي الاسرائيلي هو صراع بين الطيبين والاشرار ، بين الشرفاء والخونة ، بين المتمدنين والبرابرة ، بين الخارجين على القانون و« النظاميين » الخ ... اذن الصراع يدور بين عناصر عاملة وهمية بمعنى أن هذه العناصر ليست حقيقية بل من انتاج ما أفرزته الايديولوجية السائدة من خيال وتصورات .

ـ ان هذه التصورات الايديولوجية وهذه التحديدات للعناصر العاملة تبدو طبيعية وعادية وأكيدة ومقبولة بالنسبة الى من توجه اليهم أي الى القراء الفرنسيين والبلجيكيين . ذلك أن ما قالته الصحافة لا يعدو كونه تطبيقا بسيطا على حدث خاص للمنطق الايديولوجي للطبقات المسيطرة ، هذه الطبقات التي استخدمت وما زالت تستخدم حتى الان لاضفاء الشرعية ، في المجتمعات الغربية ، العلاقات الاقتصادية والسياسية التي تقيمها مع البلدان « النامية » . ان منطق الغرب الامبريالي ، الذي أرسيت أسسه منذ مدة طويلة ، يقابل هو ايضا بين متمدنين وهمجيين ، بين مسالمين

وبرابرة . وكل ما فعلته أحداث ميونيخ هو أنها أعادت بشكل آلي احياء وعي ايديولوجي (هذا اذا كان هنـــاك من حاجة الى مثل هذا الاحياء) ، يتراوح مـــن العنصـــريه الاشد تشنجا الى الابوية الاكثر «انسانية» ، وعي متأصل بعمق في الثقافة الغربية الحديثة .

[٢] مبدأ تحديد العلاقات : ان الايديولوجية السائدة تنتج تأثيراتها بتحديدها الشروط العملية لامكانية العلاقات بين العناصر العاملة وبشرحها للاسباب العملية التي تبرر هذه العلاقات . ان الايديولوجية المسيطرة لا تنكر وجود صراع : انها تنكر فقط وجود تناقض . انها تقر باختلاف المصالح الا أنها تسعى الى وضع الصراع ضمن حدود مؤسساتها وذلك بتحديدها لقوانين اللعبة التي يجب أن تحترم حتى تكون العلاقات ممكنة ، لا متناقضة . أنها تقول ما هو قانوني وما هو غير قانوني ، ما هو مسموح وما هو ممنوع .

وهكذا فقد كلمت الصحافة قراءها ، بمناسبة أحداث ميونيخ ، عن قوانين اللعبة التي ينبغي على الفلسطينيين أن يحترموها اذا أرادوا أن يحلوا مشكلاتهـــم مع الاحتفاظ بعلاقات ممكنة ومقبولة ونظامية مع المجتمع الدولي ومع اسرائيل .

لقد كان على الفلسطينيين الا يخلقوا تعارضات أو تناقضات مهما كانت الظروف ذلك ان هذه لا تخدم قضيتهم . عليهم أن يحترموا قوانين التضامن والاخاء الدولية . وقد قالت الصحافة آنذاك لقرائها بأنه ليس هناك تعارض بين الشرق والغرب ، بين الشمال والجنوب بل هناك تعارض فقط بين أناس يريدون ان يعيشوا بسلام وأناس «ارهابيين» يهددون الاخاء الانساني بضربة قاضية .

كان عليهم (أي الفلسطينيين) أيضـــا ان يمروا بالمؤسسات القائمة لحل مشـــكلاتهم ضمن حدود الشرعية لا ان يأتوا ويعكروا صفو نشاطات « غير سياسية » لا علاقة لها البتة مع هذه المسائل . (من المفيد الاشارة هنا الى ان الامم المتحدة قد أدانت اسرائيل ٦٣ مرة منذ ١٩٤٨ لاظهار مدى عجز هذه المنظمة عن تنفيذ مقرراتها) .

كان عليهم ان يحترموا القيم الانسانية لحضارتنا كما كان عليهم ، بشكـــل خاص الا يعكروا صفو الهدنة الاولمبية . عليهم ان يفهموا انه من غير المناسب توسيخ الروح الرياضية ، فالقضية لا تتحمل مثل هذا الاستخفاف . لقد سبق وتمت خسارة المعركة الاولى حين تم الخضوع لابتزاز الافريقيين بصدد روديسيا : ان الروح الاولمبية ليست هكذا والا فلنغلق ابواب الملاعب !.. عليهم ان يفهموا ان العالم ، بالضرورة ، غير كامل فلا يطالبوا بكمال مستحيل . عوضا عن ان يكونوا متطرفين الى هذا الحد ، عليهم ان يسعوا الى التفاوض والمساومة ، عليهم ان يكونوا واقعيين وتجريبيين ويقبـــلوا بالتسويات ويفتشوا عن الحلول السياسية والتعايش السلمي . لماذا لا يستجيبون لدعوات اسرائيل الى السلام ؟ وهنا يوجه الاتهام اليهم بأنهم يريدون على العكس ان يفسدوا مبادرات السلام لانهم يعلمون ان الخطر الاكبر بالنسبة الى الثورة الفلسطينية هو في السلام الذي قد ينتج عن التسوية .

عليهم أخيرا ، وبشكل خاص ، عدم استعمال هذه الوسائل المنفرة التي يسمونهـــا ارهابية ، هذه الاساليب الجنونية ، المغامرة ، المتطرفة ، الطفولية ، اللاواعيـــة ، اللامسؤولة واللاانسانية والتي لا تخدم قضيتهم بل تؤدي في النهاية الى اظهار التفوق **الاخلاقي** لخصمهم . ان هذه الاساليب هي غير فعالة ، **اذن** لا اخلاقية ولا شرعية .

اما اذا كان لا بد ، في اقصى الحالات ، من العنف فليكن عنفا نظيفا كما هي الحـــال بالنسبة الى النظام القائم وبالنسبة الى الجيوش النظامية . الا ان هذا « الاعـــدام التعسفي » للرهائن هو عنف قذر لا يمكن القبول به . وبالمقابل فان « الردود الثأرية » (قصف القرى والمخيمات بالنابالم) هو أمر انساني ، مفهوم ، فعال ، شرعي ومنتظر ! طبعا ليس هذا بحل الا انه شيء مفهوم : انه شريعة الثأر الموجودة في التقاليد التوراتية

والتي تقول : العين بالعين والسن بالسن . على كل حال كان من الضروري على اسرائيل ان تظهر قوتها لتقابل التأثير النفسي الذي احدثته عملية ايلول الاسود في الجماهير العربية .

وكما نرى فان هذا المنطق الوعظي الاخلاقي الذي تبثه الصحافة الغربية الساخطة كان هدفه تحديد شروط **امكانية العلاقات** بين العناصر العاملة المتواجدة . وفي الحالة التي تعنينا هنا ، وبشكل عام ، تعظيم فوائد وفعالية المفاوضة في حل المشكلة المطروحة . وهكذا فان الايديولوجية المسيطرة تعرض التفاوض والقبول بتسوية « عادلة » والسعي وراء الحل السياسي على شعب مسحوق تحت اقدام قوة اقتصادية وعسكرية مسيطرة تملي عليه شروط التسوية وحدودها. ان المسألة هنا هي التصرف كما لو ان قوة الطرفين متساوية ونكران واخفاء اختلال ميزان القوى بينهما .

واذا خاطر هذا الشعب المسحوق ورفض عرض المفاوضات او ، وهذا اسوأ ، تجرأ واستعمل ، للدفاع عن نفسه ، نفس الاسلحة التي سحقته فعندئذ يعم السخط المجتمع الدولي فيغضب ويهدد بردود ثأرية ويطلق على الذين قاموا بهذه الجريمة صفة البرابرة والقتلة . ان الاسلوب واضح : اذ ان المسألة هنا تتعلق بادخال هذه العلاقات الصراعية بين أطراف غير متساوية ضمن مؤسسات الوضع القائم وتثبيت هذه العلاقات غير المتساوية والابقاء عليها .

[٣] **مبدأ الاستجواب** Interpellation : **ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها باستجواب العناصر الاجتماعية العاملة باسم مطلق وهمي (باسم مفهوم معين للانسان وللعالم) . وعلى هذه العناصر ان تؤمن او تخضع لهذا المطلق مقابل مكافأة للذين يؤمنون به أو تهديد بالعقوبات للذين لا يستجيبون له .**

من هذه المطلقات : ملكوت الله ، التاريخ ، الوطن ، العائلة ، الواجب ، الديمقراطية ، العدالة ، الحرية ، الشرف ، التقدم ، الطبيعة ، العلم ، الشريعة ، المدنية ، التنمية ، الاشتراكية ، الامة ، المصلحة العامة ، السلام ، ارض الميعاد ، الخ...

ان كل ايديولوجية تكون مبنية حول مطلق مسيطر أو غالب الا ان هذا لا ينفي توجهها الى مطلقات اخرى غيره .

وهكذا فان الصحافة في الحالة الخاصة التي هي احداث ميونيخ قد توجهت الى الاطراف المعنية ، والى الراي العام باسم **النظام** من جهة وباسم السلام من جهة اخرى . لقد كانت الالعاب الاولمبية تجسد هذين المطلقين الايديولوجيين في وقت واحد معا . لقد كانت جزيرة سلام وهدوء ومسرح مجابهة من أهدأ المجابهات وأكثرها استقامة وفي الوقت نفسه كانت تعبر كذلك عن النظام السياسي الاجتماعي العالمي القائم على التعايش السلمي . وعلى كل حال ففي كل مرة كانت تلغى فيها هذه الالعاب كان النظام العالمي القائم هو السبب بسبب دخوله في حروب وصدامات . لقد عكر الفدائيون الفلسطينيون صفو هذه الالعاب ، من الخارج ، باقتحامهم « بعنف وبربرية هذا الانسجام البريء ، غير السياسي والشريف ، هذا اللهو غير المؤذي » ، راحة الضمير هذه التي كان الغرب يحاول ان يتظاهر بها . ان الالعاب الالمبية تجسد تماما الايديولوجية البورجوازية : التضامن ، تآخي الرياضيين ، تكافؤ الفرص ، تخطي الارقام القياسية الفردية ، الشجاعة ، الارادة ، التنافس النزيه ، روح الفريق ، ان مهاجمة هذه الالعاب التي تشكل نموذجا مصغرا عن الحضارة البورجوازية كان يعني وضع هذا الضمير الراضي بذاته وهذه الصورة الجميلة التي كانت هذه الحضارة البورجوازية تختلقها لنفسها من أجل انكار اللامساواة والصراعات التي هي مسؤولة عنها موضع التساؤل والشك .

لقد تعاقب ، في تاريخ الايديولوجية الامبريالية ، مـــن النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى أيامنا هذه ، مطلقان مسيطران (أو غالبان) تم باسمهما التوجه الى العناصر العاملة وما زالا حتى الان متأصلين وراسخين بعمق في الوعي الغربي . لقد كان هناك اولا **الحضارة الانسانية والكونية الشاملة** وكان يراد بها فرض مفهوم الانسان والمجتمع الغربي على العالم أجمع ، ثم كان هناك ، انطلاقا من سنة ١٩٤٥ ، **حـــركات التحرر الوطني** في معظم البلدان المستعمرة (بفتح الميم) التي أدت ، في خلال عشرين عاما ، الى حصول هذه البلدان على استقلالها السياسي الشكلي . ومنذ ذلك الحين صار من الصعب على المنطق الايديولوجي الغربي وصف هذه الشعوب بالبربرية والهمجية : من مثلا يجرؤ على الادعاء بأنه يمدن المصريين ؟ بات اذن من الضروري ايجاد شيء آخر يستطيع ان يضفي الشرعية على العلاقات الجديدة والممارسات الاقتصادية والسياسية التي يمارسها الاستعمار الجديد . وهنا أصبح **التعلق بالسلم** المطلق المسيطر والغالب : التعايش السلمي ، المفاوضة ، المحافظة على النظام ، اللاعنف ، السعي وراء الحلول السياسية ، ادخال العلاقات بين الاطراف الى مؤسسات الوضع القائم بهدف تغطية او تجميد عدم المساواة في القوى . وقد جاء حادث ميونيخ ليزعزع هذين المطلقين زعزعة عنيفة .

[٤] مبدأ التحويل : ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها عن طريق تحويل مرمى العلاقات الاجتماعية ، من خلال مبدأ التحديد والاستجواب، من صعيد حقيقي ومحسوس الى صعيد وهمي وأخلاقي وشعوري . وتتخذ عملية النقل وتغيير المواقع هذه ، في حال التعارض ، شكل انقلاب في مواقف المتخاصمين .

وفي معظم الاحيان تعطي عملية النقل هذه انطباعا وهميا بأن عدم المساواة قد اختفت من العلاقات بين الاطراف المعنية .

لقد عرضنا سابقا باختصار كيف كانت العلاقات الحقيقيـــة المحسوسة التي فرضها التغلغل الصهيوني في فلسطين : لقد كان الهدف من هذه العلاقات اقتصاديا وسياسيا . وكان هذا الوضع السبب الاساسي لاحداث ميونيخ ولم يكن هدف الايديولوجية التي كانت تبثها الصحافة الغربية الا نقل هذه العلاقات الحقيقية الى مستويات أخرى .

فقبل كل شيء نقلت الصحافة المشكلة الاقتصادية السياسيـــة الى صعيـــد شعوري وأخلاقي . ويكفي برهانا على ذلك ان نعيد قراءة التعابير المستعملة لتحديد الاطراف المعنية : الحزن ، الغضب ، التأثر ، الخجل ، الذهول ، المجزرة ، المذبحة ، الفاجعة الخ ... ثم تقلص الحدث الى مستوى « عمل مجـــرم ودنيء » وكانت بعض عناوين الصحف تذكرنا أحيانا بعناوين الروايات البوليسية : ضرب الفدائيون عند الفجر ، قتلة الفجر ، مافيا المجرمين . أما قائد المجموعة الفلسطينية فقد شبه بآل كابوني كما تم التلميح الى ان منظمة أيلول الاسود تعمل في تهريب المخدرات . وجرت الاشارة الى تفصيل مثير وهو أن غلاف المخدرات يحتوي على صورة بالالوان لفدائي مسلح .

كما أن بعض النصوص (وكانت قليلة) أرجعت الحدث الى صعيد العنصرية المعادية للسامية فكتبت صحيفة الاورور في ٦ أيلول : « لقد سقط ايضا المزيد من ضحايا روح ميونيخ . ان العالم يريد ان يعرف ما اذا كان الرهائن التسع قد قتلوا في ميونيخ اللعينة لمجرد أنهم من اليهود » . وكتب ريمون كارتييه في باري ماتش : « لقد وقعت فاجعـــة يهودية جديدة في المانيا ، على بعد بضعة كيلومترات من مكان داخاو المخزي » . وبما ان الحدث وقع في المانيا فان الايديولوجية لم تكن لتترك الفرصة تفوتها دون التذكير بلاسامية النازيين .

واخيرا فان بعض النصوص اشارت الى علاقات المنظمات الفلسطينية بمنظمات أقصى

اليسار الاوروبي وحتى بمنظمات الفوضويين (مجموعة بادر ـــ ماينهوف العدمية في ألمانيا) .

وكما نرى فان هذه التغييرات في المستويات تؤدي الى تحويل مرمى العلاقات الاجتماعية الى غير محله . فلم يعد الامر بالنسبة الى الصحافة اظهار التعارض بين الطبقة الصهيونية والامبريالية المسيطرة وبين الطبقة الفلسطينية المسحوقة بل بين النظام والفوضى ، بين السلام والارهاب ، بين الحضارة والبربرية ، بين الشرف والجريمة ، بين البراءة والشر ، بين الشجاعة والجبن ، بين الحب والحقد ، بين الحياة والموت .

بالاضافة الى ذلك علينا ان نشير الى **الانقلاب الكامل في المسؤوليات** الذي قامت به الصحافة على مستوى الصراع الاسرائيلي العربي . ان أصل هذا الصراع كان التغلغل الصهيوني المتتابع في فلسطين منذ سنة ١٨٩٠ وبصورة خاصة منذ سنة ١٩٤٨ . تاريخيا اذن الصهيونية ، « هي التي بدأت » وهي التي تتحمل مسؤولية الصراع .

الا أن الصحافة كانت تضع اسرائيل في موقع المهاجَم ، المعتدى عليه . أما الغارات الجوية على القرى والمخيمات في لبنان فكانت تسميها « ردود ثأرية » يطالب بها شعب يطالب « بالانتقام » . ان اسرائيل تدافع عن نفسها «كما ينبغي» ضد الاعمال العدوانية . ان أي أمة لن تجرؤ على ادانة اسرائيل ببراءة . وهكذا فان انقلاب المسؤوليات واضح .

[٥] مبدأ العمل : ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها بتحفيزها العناصر العاملة على العمل أي بعرضها عليها أهدافا عملية ووسائل استراتيجية وتكتيكية من أجل الوصول اليها . ان الايديولوجية توظف قوتها التعبوية في جهاز ايديولوجي مسيطر .

وهكذا فبعد أحداث ميونيخ شددت الصحافة على ضرورة حل مشكلة الارهاب ، هذا السرطان الحامل بذور الحقد . وقد وجه الرئيس نيكسون ، مستنكرا ، نداء الى كل الشعوب لوضع الوسائل الفعالة من أجل الحفاظ على النظام والسلام موضع التنفيذ . الا انه ينبغي ايضا قطع الشر من جذوره والاسراع بالمفاوضات بهدف الوصول الى سلام دائم في الشرق الاوسط . وقبل كل شيء ينبغي حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . ويعتقد البعض (ستروي رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي في افتتاحية لصحيفة لا ليبر بلجيك) أن العرب والاسرائيليين عاجزون عن حل هذه المشكلة بأنفسهم ويقترح هذا البعض ما يشبه « مشروع مارشال » يهدف الى اسكان الفلسطينيين في منطقة واعطائهم البنية التحتية الاساسية في النمو الاقتصادي . (لم تعر الامم المتحدة اقتراح السيد ستروي أذنا صاغية) كما اقترح البعض الحد من الارهاب والعنف بواسطة التربية والنظام . أما بعض الانكليز فقد عبروا عن روح هجومية واضحة عندما أعلنوا عن استعدادهم للانخراط في الجيش الاسرائيلي لتصفية المقاومة الفلسطينية (أوردت هذا الخبر صحيفة لا نوفيل ريبيبليك) . وتم الايعاز ايضا ببعض الاعمال الرمزية : فجرى ، هنا وهنالك ، الوقوف دقيقة (أو عدة دقائق) صمت حدادا على الرياضيين الاسرائيليين . الا أن ما يهم الصحافة بشكل خاص كان عدم الوقوع تحت تأثير صدمة هذه الاحداث و« انقاذ الالعاب » وعدم الخضوع للابتزاز واستئناف الالعاب الاولمبية .

وهكذا كما نرى فان الصحافة ، انطلاقا من اقتراحات مستمدة من مشكلة تم اقتلاعها من أسسها السياسية والاقتصادية ، تواجه وسائل عمل هي الاخرى وضعت في غير محلها اذ أنها لا تضع الصهيونية المجسدة في دولة اسرائيل والتي هي أصل المشكلة موضع الشك والاتهام .

[٦] مبدأ الزمنية : ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها بوضعها العناصر العاملة في المجتمع ضمن أطار الزمان وببنائها لها ماضيها من خلال اعادة تأويله (من أين جئنا ؟) وبرسمها لها مستقبلها (الى أين نحن ذاهبون ؟) .

وتنبغي الاشارة هنا الى عنصرين متعلقين بهذا المبدأ وردا في اقوال الصحف : ـ لقد تم التذكير بتاريخ الالعاب الاولمبية وبروح هذه الالعاب وبشكل خاص بالطابع المقدس للهدنة الاولمبية . وتم التذكير كذلك بالحروب التي كانت السبب في الغاء هذه الالعاب اربع مرات : ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ ـ ١٩٤٤ . وتذكرت الصحافة ايضا سنة ١٩٣٦ التي كانت فيها الالعاب ذريعة لاقامة عيد كبير للفاشية المسببة والمعلنة للحرب. ثم جرى التعبير عن القلق حول مستقبل الالعاب : لقد ظلت القيم الاولمبية والرياضية من أواخر القيم التي لم تشملها حركة الرفض التي شملت في كل مكان تقريبا سلطة المدرسة والكنيسة والعائلة ... هل هذه آخر ألعاب اولمبية ؟ لقد ماتت الالعاب واحترقت حية مع الضحايا ! اننا الان نشهد احتضار الروح الاولمبية ! هل سيكون مصير الالعاب الاولمبية في العصر الحديث مصيرها نفسه في العصور القديمة عندما زالت واندثرت مع قبول البرابرة في المشاركة فيها ؟ الم يكن من الافضل الابقاء على هذه الالعاب وقفا على « الهيلينيين الغربيين الانقياء » ؟

ـ ثم تم التذكير بتاريخ الشعب اليهودي وربطه بقسوة بتاريخ النازية . وظهر رسم كاريكاتوري يمثل هتلر بثياب رياضي ينقل الشعلة الاولمبية الى شخص عربي . العرب يخلفون النازيين لاضطهاد الشعب الاسرائيلي . ويتم التذكير بالبدايات الصعبة للمستوطنين الصهاينة الذين كانوا هدفا لفظاعات الفلسطينيين التي كانت أسوأ من الفظاعات النازية . أما في اسرائيل فقد وجه الاتهام الى الالمان : هل من الممكن أن نأمل أن ينقذوا أرواحا يهودية ؟

[٧] مبدأ الارتباط والارتكاز (التمفصل) : الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها بالارتباط والاستناد الى ايديولوجيات أخرى وبشكل خاص الى الايديولوجيات السياسية والدينية المسيطرة في وسط اجتماعي ـ تاريخي معين . وتعتمد قوة التأثيرات الايديولوجية (اعطاء المعنى ، اضفاء الشرعية ، التعبئة) على تماسك هذا الربط وهذا التركيب .

ان الوعي الغربي يشبه الآلة الميكانيكية الحسنة التزييت التي تحتوي على عدد واسع من القيم الانسانية والشمولية التي تعرف الصحافة أن تلعب بها بمهارة . في الحالة التي تهمنا ، المطلق المسيطر بالنسبة الى هذا الوعي هو النظام المسالم . الا أن الصحافة أشارت الى العديد من المطلقات الاخرى التي تصيب الاوتار الحساسة للنفس الغربية :

ـ **الدين** لقد انتهك الفلسطينيون الروح المسيحية واحترام القريب والاخاء والمحبة وداسوها بأقدامهم . لقد كان الملعب مثل حرم مقدس وكان انتهاكه يشبه انتهاك كاتدرائية أو جامع . ـ **الحرية** لا يمكن اجبار الناس على الاطلاع على مشكلة سياسية لا يريدون الاطلاع عليها رغما عنهم والاهتمام بالمشكلة في الوقت الذي قرروا فيه أن يتفرغوا للهو بريء . ـ **المدنية** لقد وقعت ضحية اقتحام بربري عنيف ، جاء من الخارج ، من عالم لا تعترف به كمتمدن . ـ **الشرف** لقد جرت المقابلة بين شجاعة ونبل وكرم الرياضيين وبين جبن الفلسطينيين الذين أطلقوا النار بكل برود على أبرياء مربوطين ومقيدين وعاجزين عن الدفاع عن أنفسهم . ـ **التاريخ** لقد لطخ الفلسطينيون التاريخ . ـ **الوطن** لقد نكست الاعلام . ـ **العائلة** جرى التفكير بعائلات الرياضيين الاسرائيليين اللابسة ثياب الحداد . ـ **القدر** الحظ والقدر الاعمى يتحالفان للحيلولة دون الوصول الى حل سعيد للقضية . ـ **النازية** التي جرى التذكير بفظائعها . ونحن نعلم مدى حساسية الفرنسيين والبلجيكيين بالنسبة الى هذه النقطة . ـ **العنصرية** جرى التذكير بالمعاداة للسامية وبدأت العنصرية المعادية للعرب بالانفلات من عقالها . ـ **الطبيعة** جرى التذكير بالحق الطبيعي للانسان بالحياة . وصار هناك اتجاه الى فرض القبول بالنظام الاجتماعي الذي يدافع عنه على أنه نظام طبيعي وبالتالي تحديد اللذين يهاجمونه

بأنهم ضد الطبيعة : انهم مجانين ، لا واعين ، لا مسؤولين ، منحطون ، عقول مروضة .
وتترابط كل هذه المطلقات بشكل ممتاز في الوعي الغربي الذي يجمع فيما بينها وينسقها .
ان الهجوم على نظام التعايش السلمي أدى الى زعزعة كل النظام الايديولوجي وحصره في موقع الدفاع . لقد داس الفلسطينيون في ميونيخ النظام الايديولوجي « الانساني » المتماسك في الغرب . وهذا ما يفسر هيجان الصحافة الخارق للعادة . وبالمقابل فعندما يكون النظام هو الذي يقتل في فلسطين أو فيتنام أو في أي مكان آخر فان الصحافة تنقل ببرود الروايات الرسمية للأحداث فتحصي عدد القتلى والدبابات والطائرات والشاحنات المدمرة . في هذه الحالة يكون العنف قانونيا وشرعيا وطبيعيا فلا تحول الصحافة القضية الى مأساة .

٣ ــ التحالف بين منطق الصحافة الغربية والايديولوجية الصهيونية :

في نهاية هذا التحليل للكلام الايديولوجي الذي كتبته الصحافة بصدد حدث خاص ، من المفيد والمناسب الانتقال الى مستوى كاف من التجريد لاستخلاص بعض الاستنتاجات الكلية :

نستطيع أن نحدد النظام الاجتماعي ، بشيء من التبسيط ، بأنه بنية العلاقات الاجتماعية . وتحتوي هذه البنية على مستويين : البنية التحتية الاقتصادية والبنية الفوقية السياسية والايديولوجية . والذي يحدد ، في المطاف الاخير ، شروط الوجـــود الاجتماعي للبشر (البنية الفوقية) هي شروط انتاج واعادة انتاج الحياة المادية (البنية التحتية) .
ولكي تؤمن الطبقة المسيطرة اعادة انتاج علاقات الانتاج فانها تضع موضع العمـــل طريقتين تنتميان الى عالم البنية الفوقية : ــ **جهاز سياسي قمعي** : يحدد هذا الجهـــاز أصول وقواعد اللعبة التي يسمح بها النظام الاجتماعي فيوضح ما هو ممنوع وما هو مسموح ، ما هو قانوني وما هو غير قانوني ، ما هو وارد وما هو غير وارد . ــ **أجهزة ايديولوجية** : وهي عبارة عن أساليب تنتمي الى عالم البنية الفوقية وميزتها أنها تمارس ضغطا أكثر « لياقة » وأكثر « نظافة » وأكثر دواما وفعالية من الجهاز السياسي القمعي .
ونعني بالاجهزة الايديولوجية للدولة عددا معينا من الوقائع التي تظهر أمـــام المراقب المباشر بشكل مؤسسات متمايزة ومتخصصة : الجهاز الديني ، المدرسي ، العائلي ، القانوني ، السياسي (نظام الاحزاب) ، النقابي ، الثقافي (أدب ، فنون جميلة ، رياضة الخ ...) وكذلك الجهاز الايديولوجي **الاعلامي** (وسائل الاعلام والاتصال) .
ان هذه الاجهزة الايديولوجية لا تمارس « عنفا مباشرا » كما هي الحال بالنسبة الى الجهاز القمعي .
ان الوظيفة الايديولوجية لهذه الاجهزة هي اعادة انتاج علاقات الاستغلال بدون اللجوء الى « القوة » العنيفة . انها تهدف الى جعل الناس « يمشون مـــن تلقاء أنفسهم » ويقبلون الوضع الذي وضعوا فيه على أنه وضع طبيعي وألا يدركوا الاستغلال اللاحق بهـــم .
وهكذا تصبح الايديولوجية في الوقت نفسه تمثيلا للواقع وتشويها وطمسا له . من هنا فليس هناك اي انسان يعيش خارج نظام قيم ايديولوجية ، أو أكثر من ذلك ليس هناك انسان حر ازاء الايديولوجية المسيطرة التي تنتج ضغوطها الثقافية اليومية . ويمكن أن تظن الارادة أنها حرة طالما أنها تجهل تماما العوامل التي تحددها .
ليس هناك اي حاجة للضغط العنيف في وضع كهذا طالما ان كل كلمة وكل حركة هي في الواقع من افرازات مؤسسات الايديولوجية السائدة . وهكذا فان المواقع والبنى

القائمة تبدو وكأنها قواعد طبيعية **وبديهيات** . وانطلاقا من هنـــا يتم تكريس الواقع وتقديس التقاليد ويصبح كل تساؤل أو شك كفرا فظيعا .

ان هذا الحصار الثقافي الذي يريد أن يحصر الاطراف الاجتماعية العاملة ضمن شبكة من الانماط المفروضة هو ، الى حد كبير ، من انتاج « **وسائل الاعلام والاتصال** » . من هنا جاءت ضرورة كشف ، على الصعيد النظري والمنهجي ، طرف عمل الايديولوجية كما تبدو في كتابات الصحفيين والمذيعين والسينمائيين وفضح التحويرات التي تحدثها في الوقائع المحسوسة . لقد أردنا أن نظهر كيف ان هذا المنطق الايديولوجي ينتج معنى وهميا للعلاقات الاجتماعية فيضفي عليها الشرعية ويبررها ويعبىء الجمهور ويؤطر عمله ويوجهه وفق الاتجاه الذي يتناسب مع أمنيات الطبقة المسيطرة وحاجاتها .

ان دراسة منظمة للانتاج الايديولوجي للطبقة المسيطـــرة لا بد وأن يقودنا الى طرح سؤال أساسي : كيف تساهم الايديولوجية المسيطرة في الابقاء والمحافظة على العلاقات الاجتماعية للسيطرة العالمية واعادة انتاج هذه العلاقات ؟ ان القضية ، بالنسبة الى الحالة الخاصة التي ندرسها هنا الآن ، هي معرفة كيف يساهم المنطق الايديولوجي لوسائل الاعلام في ادامة العلاقات الامبريالية بين الغرب والعـــالم العربي وعلاقات السيطرة التي يمارسها الصهاينة في فلسطين .

لقد أتاح لنا هذا البحث توضيح **التحالف العميق بين الصهيونية والطبقات الامبريالية** . ويعبر هذا التحالف عن ذاته أيضا في المنطق الايديولوجي لوسائل الاعلام . ان تحليلا قصيرا **للايديولوجية الصهيونية** ، استنادا الى المبادىء التي ذكرناها أعلاه ، يكفي لاظهار هذا التحالف . ان منطق الصحافة الذي حللناه أعلاه يعالج بالضبط نفس المقولات كما يعالجها المنطق الايديولوجي الصهيوني . فلنحلل هذا الاخير :

١ ـــ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل ايديولوجية الطبقة الامبريالية ، قد أنتجت ، منذ بداية استيطان فلسطين ، غطاء شرعيا للعلاقات الاجتماعية وذلك بعرضها على الاطراف المعنية **تحديدا خياليا** لانفسهم وللطرف الآخر ، تحديدا كان يبدو طبيعيا ، اكيدا وعاديا ومقبولا من الذين كان يوجه اليهم هذا المنطق . وهكذا فان الصهاينة كانوا يظهرون أنفسهم كرسل مدنية في حـــين ان الفلسطينيين كانوا يوصفون ضمنيا بأنهم برابرة . وقد كتب هرتزل ، مؤسس الصهيونية : « بالنسبة الى أوروبا ، سنبني هناك جزءا من الحصن الذي يقف في وجه آسيا وسنكون حارسا متقدما للمدنية ضد البربرية» . لقد كان هذا التصريح يتناسب تماما مع روح ذلك العصر . ذلك ان الشعور بالتفوق الاوروبي كان قد زرع في العقول فكرة ان كل أرض خارج أوروبا يمكن أن تكون مكانا قابلا للاحتلال الاوروبي . كان لا بد من ايجـــاد أرض فارغة . وفارغة هنا لا تعني بالضرورة الغياب الحقيقي للسكان بل نوع من « الفراغ الثقافي » . وكما كان يقول مترنيخ فقد كان بالامكان ، خارج حدود المدنية ، زرع « مستعمرات » أوروبية وسط شعوب متخلفة دون أن يكون هذا ضدها ، بكل حرية لان هذه المستعمرات لا يمكن أن تكون الا « أقطاب تنمية وتطور » .

بالاضافة الى ذلك كانت الايديولوجية الصهيونية تحـــدد الفلسطينيين بأنهم **حساسية سياسية** وليس كقضية انسانية وقضية ضمير . ان وجود العرب ، في نظرهم ، لم يكن الا أمرا **عارضا** تماما كما هي الحال بالنسبة الى بعض قطع الاثاث التي ينساها أصحابها في شقة أجرت بشكل مؤقت الى غرباء . . . لقد كان الصهاينة يطلبون من العرب أن « يظلوا ساكتين » وأن ينظروا اليهم ، دون أن يبدوا حراكا ، وهم يستولون على بلدهم ويحكمونه **بكفاءة ومقدرة** لمصلحة الجميع . وهكذا فان الايديولوجية الصهيونية تصف اليهودي الذاهب الى فلسطين كـ « ممدن ، كفوء وكريم » لانه يأتي اليها للعمل لمصلحة

الجميع . كان اليهودي المهاجر يعتبر نفسه عضوا من « الجنس المختار » في حين أن العربي كان يجد نفسه في « وضع أدنى بالنسبة اليه » . وكانت فلسطين توصف بأنها صحراء وكان الشعار الذي كان الجهاز الايديولوجي الصهيوني يطلقه هو : **أرض بلا شعب** لشعب بلا أرض .

وبعد انشاء دولة اسرائيل استمرت الايديولوجية في تقديم الاسرائيليين ك « رواد » و« عمال » و« ديمقراطيين » وأناس منفتحين على « الحوار » و« عشاق سلام » و« مزارعين » يدافعون عن أنفسهم . وبالمقابل كان الفلسطينيون يوصفون «بالخياليين» و« الارهابيين » و« التنابل » و« الكسالى » و« المعتدين » . ان الصحافة البورجوازية تتناقل هذه التحديدات الخيالية للاطراف المعنية المتواجهة وتجعل الرأي العام الغربي يقبلها على نطاق واسع .

٢ ــ ان الايديولوجية الصهيونية تؤدي الى اضفاء الشرعية على العلاقات الاجتماعية بتحديدها للظروف العملية للعلاقات بين العناصر الفاعلة المعنية . وبهذا الصدد من المناسب ذكر نص من وثيقة صادرة عن الاشتراكيين الاسرائيليين : « عندما بدأت الهجرة الصهيونية المنظمة تصب في فلسطين في بداية هذا القرن لم يعد بالامكان تجاهل الواقع **المذهل** وهو أن البلاد كانت آهلة بالسكان . وككل مجتمع مستعمر (بكسر الميم) فقد كان على المستوطنين الصهاينة ان يخطوا لهم سياسة محددة تجاه السكان المحليين ... لم تكن الصهيونية ترغب فقط في الاستيلاء على موارد فلسطين بل كانت تريد أيضا الاستيلاء على البلاد بالذات ، هذه البلاد التي استخدمت لانشاء دولة قومية جديدة . لقد كان مقدرا أن يكون لهذه الامة الجديدة طبقاتها الاجتماعية الخاصة بما فيها الطبقة العمالية وبالتالي فان العرب لم يكونوا هدف الاستغلال بل كان عليهم **ان يزاحوا** كلية » . كان شعار « عمل يهودي ــ انتاج يهودي » موجها لتغطية أعمال استغلال واقتلاع السكان العرب من فلسطين . انطلاقا من هذا الواقع ، فان العلاقات بين الاطراف الفاعلة كانت علاقات **اغتصاب سياسي** (لان المستعمرين الصهاينة احتكروا كل سلطة لاتخاذ القرارات السياسية) **واقتصادي** (لان العرب أخرجوا بكل بساطة من الدورة الاقتصادية اليهودية باسم شعارات تبريرية) **وثقافي** (لان المستعمرين فرضوا قيمهم وتصوراتهم الخاصة على تفكير كل السكان) .

وبعد انشاء دولة اسرائيل وطرد مليونين من الفلسطينيين من منازلهم والابقاء على مليون ثالث تحت الاحتلال انقلبت الايديولوجية الصهيونية الى ايديولوجية « اليد المحدودة » و« التفاوض » و« المشاورات » و« الحوار » .

وتقدم الايديولوجية الامبريالية المسيطرة في هذه المناورة دعما ايديولوجيا قويا الى اسرائيل . ذلك أن الزمن الذي كانت ترفع فيه القيم المطلقة كالحضارة المسيحية أو الغربية قد ولى تقريبا . لقد جاء الآن زمن التفاوض و« التعايش السلمي » . ان هذا من آثار الايديولوجية المسيطرة التي تنفي التناقضات او التعارضات وتتصور ان صراع الطبقات ناتج عن **سوء تفاهم** وقابل للحل عن طريق **التسوية** .

ان كل « تفاوض » يرمي في الواقع الى طمس عدم المساواة الحقيقية في ميزان القوى بين الاطراف المتواجدة . انه يفترض الابقاء على الامبريالية المتمثلة في فلسطين بالاستيطان الصهيوني المميز كما يفترض أيضا استمرار البورجوازية في الاحتفاظ بسلطتها مع تجنب عدم تجاوز الخط الذي قد يؤدي الى قيام الطبقة المسحوقة (وهي هنا في فلسطين غالبية الشعب الفلسطيني الذي انتزعت منه كل سلطة على اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية) بردود فعل خطرة . ان التفاوض ، اذا نظر اليه من هذه الزاوية ، هو

سلاح ايديولوجي وسياسي في خدمة « النظام الاجتماعي القائم » (وفي اسرائيل ، في خدمة الامر الواقع) .

٣ ــ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل الايديولوجية الامبريالية المسيطرة التي هي جزء لا يتجزأ منها ، تنتج تأثيراتها عن طريق التوجه الى الاطراف الاجتماعية العاملة ومناداتها باسم مطلق خيالي عليها أن تؤمن به وتخضع له . وهكذا فان الجنس اليهودي والشعب المختار وأرض الميعاد والفردوس والعمل اليهودي والانتاج اليهودي والوطن والدولة والوحدة المقدسة هي كلها مطلقات بنيت الايديولوجية الصهيونية حولها واستمرت في المحافظة على التماسك القومي وعلى اضفاء الشرعية على الممارسات الاقتصادية والسياسية التي ادت ، في الوضع الفلسطيني ، الى مقاطعة اليد العاملة العربية (باسم العمل اليهودي والانتاج اليهودي) والى اقتلاع الفلسطينيين من أراضيهم (باسم أرض الميعاد والشعب المختار) والى توسيع حدود اسرائيل (باسم اسرائيل الكبرى والامر الواقع) والى اخضاع أهالي المناطق المحتلة (باسم مبدأ الاقوى) .

أما بالنسبة الى مطلق « الوحدة المقدسة » فقد أتاح للطبقة الحاكمة أن تطمس استقلالها وراء شبح « العدو الخارجي » الذي « يدور حول حدود اسرائيل ويسعى الى رمي الجميع في البحر » . ان الصراع الطبقي داخل اسرائيل قد أوقف وتم اطفاء حدته بواسطة هذا المطلق الايديولوجي . وقد نتج عن ذلك أن امكانية ربط صراع الطبقة العاملة الاسرائيلية بنضال الحركة الثورية في المنطقة قد جمدت . ان على المنظمات الثورية داخل الدولة الصهيونية أن تعري المناورات الايديولوجية التي تقوم بها الطبقة المسيطرة وتساهم في خلق وعي طبقي قائم في البداية على قاعدة سياسية .

٤ ــ ان الايديولوجية الصهيونية تنتج تأثيراتها عن طريق نقل مرمى العلاقات الاجتماعية، من خلال التحديد والتوجه ، من صعيد حقيقي ــ محسوس الى صعيد خيالي ، أخلاقي ، ديني وشعوري . ان المرمى الحقيقي للعلاقات القائمة في فلسطين هو عبارة عن استيطان الصهاينة في أرض عربية منذ آلاف السنين . لقد هاجر الصهاينة الى فلسطين واحتلوها في الواقع ثم بعد انشاء دولة اسرائيل بدأوا يشرعون ويسنون القوانين لتبرير هذا الاحتلال قانونيا . لقد حور الصهاينة ، بفضل أجهزتهم الايديولوجية مرمى العلاقات ونقلوه الى صعيد ديني عن طريق وصفهم للصراع بأنه صراع أديان .

لقد وصف العرب بأنهم « معادون للسامية » مخيفون و« نازيون » (يجري دائما التذكير برحلة مفتي القدس الى برلين) ويريدون القيام « بحرب مقدسة » (الجهاد) ليطردوا خارجا اليهود الصغار المساكين الذين يوصفون كلهم بأنهم « داود الصغير » . كما جرى التحوير والتشويه على الصعيد الاخلاقي . ذلك ان الفلسطينيين لم يريدوا أن يستعيدوا فلسطين الا لان الصهاينة ، كما يؤكدون ، قد استغلوها . ولان الدول العربية لا تريد أن تستوعب الفلسطينيين ولان الفلسطينيين ليس عندهم علما وطنيا الخ ...

وتغير اسرائيل كذلك حقيقة المشكلة عندما تصفها على انها قضية حدود ينبغي بالضرورة التوصل الى حل لها اذا كان هناك رغبة في احلال السلام في المنطقة . ان النقاش الذي كان يدور في الاساس حول سبب الاستعمار الصهيوني لفلسطين واقتلاع أهلها منها تغير الان وحور فأصبح يدور على رسم الحدود . وتساهم الايديولوجية الامبريالية في هذا التحوير وتباركه (قرارات الامم المتحدة ، مشروع روجرز ، مشروع الملك حسين ، مشروع دايان ، مشروع آلون الخ ...)

وتقلب الايديولوجية الصهيونية المشكلة الحقيقية وتحولها الى مشكلة لاجئين . الم يكن هناك دائما في تاريخ هذه الانسانية المعذبة لاجئون ؟ لقد كان هناك ، يقول الاسرائيليون،

دائما لاجئون . ان الفلسطينيين ليسوا الوحيدين الذين اقتلعوا وشردوا . ان هـذه الاقتلاعات ، والتي كان سببها على كل حال الدعاية العربية لا الارهاب اليهودي ، كانت شرا لا بد منه ، على حد قول الايديولوجيـة الصهيونية . وفي أقصـى الحالات فان الاسرائيليين يعلنون عن استعدادهم للمساهمة مع كل الدول الاخرى لاعادة توطين الفلسطينيين في اي مكان آخر غير فلسطين . على كل حال الم يعرض رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي بول ستروي «مشروع مارشال» لاعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين؟ وهكذا فان الايديولوجية الصهيونية ، بتحويرها للمشكلة ، تصل الى **قلب المسؤولية** ، كما قلنا أعلاه . فيصبح الفلسطينيون المطرودون من أراضيهم والذيـن يفتقرون الى وسائل الانتاج في قفص الاتهام في حين يوضع الصهاينة في موقع المعتدى عليهم والذين يدافعون عن أنفسهم كما يستطيعون .

٥ ـ ان الايديولوجية الصهيونية ، مثلها في ذلك مثل الايديولوجية المسيطرة ، تدعو الى العمل . ففي بداية الاستيطان الاستعماري الصهيوني كان ينبغـي العمل لتحويـل « فلسطين الى بلد يهودي كما ان انكلتره هي انكليزية » . ولتحقيق ذلك تم وضع أهداف عملية ووسائل استراتيجية وتكتيكية . فأنشىء الصندوق القومي اليهودي والوكالة اليهودية والهستدروت والحرس القومي والكيبوتزات والاحزاب السياسية . وبعد انشاء دولة اسرائيل وجه نداء الى شتات اليهود في العالم « للعودة الى أرض الاجداد » ووجهت نداءات من أجل التماسك القومي و« رص الصفوف » و« الوحدة المقدسة » . وأمام « المد » الفلسطيني اقترح انشاء مخططات ارهابية مضادة لاقناع العرب بالاستسلام .

٦ ـ ان الايديولوجية الصهيونية تنتج تأثيراتها بوضعها للاطراف الفاعلة ضمن اطار زمني عن طريق اعادة تأويل ماضيها وعرض مستقبل عليها . وهكذا يتم التذكير بأرض الميعاد ، بأرض الجدود التي كان يسيل فيها اللبن والعسل ، بالهيكل ، بحائط المبكى وبالثورات اليهودية المثالية ضد الرومان . كما يتم التشديد على الهوية اليهودية المتميزة التي حفظت اليهود من العدوى ببقية الاجناس . وبالمقابل فان وجود الفلسطينيين في فلسطين يوصف بأنه كان وجودا عابرا ولم يغير شيئا في طابع البلاد « اليهودي » . على كل حال فان هذا الوجود لم يكن أبدا في يوم من الايام وجودا مستقلا كما يقولون . لقد كان الفلسطينيون تحت الاحتلال التركي ثم البريطاني . ان مبدأ الزمنية هذا يهدف الى اعلاء شأن الماضي وتفخيمه وتقييم التراث اليهودي مع رفض كل حق للفلسطينيين في الرجوع الى ماض أو حاضر .

٧ ـ وتستعمل الايديولوجية الصهيونية باستمرار مبدأ الارتباط (التمفصل) . فالصهيونية هي من نتاج الموجة القومية البورجوازية والامبريالية في الغرب ومن هنا فانها تنقـل وتحرر قيم وأفكار وأساطير ومعتقدات المجتمع الذي أنتجها . ان الايديولوجية الصهيونية ترتكز ، مثلها مثل الايديولوجيات المسيطرة في البلدان الامبرياليـة ، على العوامـل الايديولوجية الاخرى المسيطرة في المجتمعات الغربية . وهذا ما يفسر لجوء الايديولوجية الامبريالية باستمرار الى قيم الدين ، الحرية ، المدنية ، الشرف ، النفوذ ، التاريخ ، الامة ، القدر ، الجنس (المعاداة للسامية) .

ان المنطق الصهيوني والصحافة الغربية عندما يتوجهان الى الشعبين الفرنسي والبلجيكي فانهما يعيران الاحداث المميزة التي طبعت تاريخ هذين البلدين المعاصر اهتماما خاصا . فمن الاساسي مثلا التذكير بفظائع النازية كما ان من الاساسي جدا أن يجهل هذان الشعبان الى اي حد تشبه المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيونـي المقاومة التي قادهـا الوطنيون في هذين البلدين ضد الاحتلال النازي من سنة ١٩٤٠ حتى ١٩٤٥ . ذلك انه اذا ظهر مثل هذا التشابه فمن الممكن ان يغير الرأي العام الغربي مواقفه .

وهكذا فان البناء الايديولوجي الصهيوني ينكشف أمام المراقب المباشر على انه صورة مصغرة عن النظام الايديولوجي الغربي . لذلك فان كل وضع لهذا البناء الاسرائيلي موضع شك وتساؤل وكل مجابهة شاملة معه وكل رفض للممارسات الاقتصادية والسياسية الحقيقية لاسرائيل يعتبر في الغرب كفرا واعتداء على المقدسات .

خاتمة : يجب أن يفهمنا القارىء بوضوح : ان هذا النص لا يهدف الى تأييد أو ادانة ما تسميه الايديولوجية المسيطرة « بالارهاب » بكل بساطة . ان موت انسان ، أيا كان هذا الانسان ، هو أمر يؤسف له .

ان لهذا العمل هدفان : الاول نظري ومنهجي . انه يريد أن يعطي القارىء للصحافة ، ولكل ما هو ايديولوجي ، الوسائل البسيطة لفضح محتواها الايديولوجي واكتشاف التحويرات والتشويهات التي تحدثها بالنسبة الى الوقائع التي تتكلم عنها .

الثاني سياسي . انه يريد أن يكشف عن التحالف العميق الذي نشأ بين الصهيونية وأجهزة الصحافة التي تسيطر عليها الطبقة الامبريالية الغربية بقوة . انه يهدف بالتالي الى ابراز الطبيعة الامبريالية للصهيونية . وهو يريد أيضا أن يظهر العنصرية المعادية للعرب المتأصلة في وعي الفرنسيين والبلجيكيين . وأخيرا ، انه يريد أن يلفت الانتباه الى التشابه القائم بين المقاومة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني في البلدان التي يقال عنها أنها في طور النمو : ان الهدف في الحالتين واحد وهو كسب معركة الاستقلال والتنمية ضد الامبريالية .

An International Law Appraisal of the
Juridical Characteristics of the
Resistance of the People of Palestine :
the Struggle for Human Rights

by
W. T. MALLISON, Jr

and
S. V. MALLISON

Published recently by the

PALESTINE RESEARCH CENTER

P. O. Box 1691 - Beirut

46 pages
Price: 1.00 Lebanese Pound or equivalent a copy
Plus postal charges: 0.50 L.L. Arab World
1.00 L.L. Europe
2.00 L.L. Other countries

المجالس الوطنية الفلسطينية والوحدة الوطنية الفلسطينية

الدكتور سعيد حمود

مدخل عام : لهذه الدراسة غرض أساسي تسجيلي تاريخي يتتبع مشاريع الوحدة الوطنية الفلسطينية على امتداد المجالس الوطنية والمؤتمرات التي عقدها الفلسطينيون منذ بداية عملهم الثوري مع محاولة أولية تتناول جوهر المشاريع وبنودها ، ووصولا الى تصور جديد محدد للوحدة الوطنية فلا بد أن تكون أمام حركة المقاومة الآن وأمام قيادات المستقبل وكذلك أمام الباحثين والدارسين والمهتمين صورة متسلسلة مترابطة عن الكيفية التي قارب بواسطتها الفلسطينيون قضية أساسية مثل الوحدة الوطنية عبر تعرجات المراحل المختلفة : ومن ناحية ثانية ، ومع كون الوحدة الوطنية سلاحا حاسما من أسلحة المرحلة الحالية ، فانه من الحيوي جدا أن يستنير العمل الفلسطيني بتجربته وبتصور محدد نابع منها ومن دروسها . وستتجنب هذه الدراسة عن عمد الدخول في مناقشة الظروف الموضوعية والذاتية التي رافقت مسيرة الوحدة الوطنية الفلسطينية واحاطت بها على أمل ان تكون هذه المناقشة موضوعا لدراسة اخرى .

مقدمة : صرف من الجهد ، كتابة وخطبا ومناقشات واجتماعات (على مختلف المستويات) على قضية الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ما لا يمكن حصره او تسجيله . وبرغم ذلك ، فاننا اذا وجهنا سؤالا محددا الآن الى كافة الاطراف الفلسطينية الرئيسية ، حول ماهية هذه الوحدة التي ينشدون ، أي حول تعريف محدد لها ، لاختلفت التعبيرات والمواقف اختلافا غريبا . وكذلك اذا أردنا أن نذهب خطوة ابعد في السؤال قاصدين السبب أو الاسباب التي لم تتحقق الوحدة من أجلها ، لتباينت الاقوال والمحركات بشكل يكاد لا يصدق . من هنا فلعله مجديا ان نحاول وضع تعريف شامل للوحدة الوطنية أولا ، وأن نصيغ تحديدا شاملا لاسباب فشل الوصول اليها ، ثانيا .

أولا : الوحدة الوطنية الفلسطينية هي لقاء الفصائل المقاتلة فيما بينها والجماهير الفلسطينية معها حول برنامج سياسي محدد وبرامج عمل مشتركة ومحددة أيضا ، (يقول لي ذوان السكرتير الاول للجنة المركزية في الحزب الشيوعي الفيتنامي) : « ان الجبهة تجمع في وحدة متناقضة عديدا من الطبقات الاجتماعية تختلف الواحدة منها عن الاخرى ، وتتوحد كلها على أساس برنامج نضال مشترك ومحدد ... » (الثورة الفيتنامية المشاكل الرئيسية والمهمات الرئيسية ــ دار الطليعة ، بيروت ، كانون الاول ١٩٧١ ، ص ٢٢) .

انها اداة أساسية من أدوات النضال الفلسطيني في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي التي يخوضها الآن . (على هذا الاساس فالوحدة الوطنية ليست بحد ذاتها هدفا ، وانما العمل على تحقيقها يمثل فقط هدفا مرحليا) ، **وهي في الوقت نفسه الاطار العام**

الذي يحتوي في داخله الاختلافات في وجهات النظر والصراع عليها . (يقول لي ذوان : « ان وحدة من جانب واحد ، وبدون صراع ستنتهي في الواقع بتدمير الوحدة ، وبتصفية الجبهة الوطنية . ومعرفة كيفية ادارة صراع مؤسس على المبادىء أي على أساس برنامج سياسي مشترك وبهدف تحقيق هذا البرنامج ، لن يؤدي الى تحطيم الوحدة أو الى اضعاف الجبهة ، على العكس ، ذلك هو الشرط الوحيد لتعزيز الوحدة ولدعم الجبهة . » المرجع السابق ، ص ٢٣ .)

يعطي هذا التعريف الوحدة الوطنية الفلسطينية ثلاثة مضامين ، نرى من الضروري الاطلال عليها تفصيليا ، تحقيقا لمزيد من الوضوح وتجنبا للصيغ العامة التي يمكن أن تعني أي شيء وكل شيء :

١ ــ **الوحدة الوطنية هي لقاء حول برنامج سياسي محدد وبرامج عمل مشتركة محددة ،** ولقد تمكن العمل الفلسطيني من التوصل الى وضع برنامج سياسي محدد ، وذلك في المؤتمر الشعبي وفي المجلس الوطني الاستثنائي العاشر المنعقدين في القاهرة بين ٦ و ١٢ نيسان ١٩٧٢ . يمكننا هنا تلخيص أهم بنود البرنامج السياسي على اساس المحاور الاستراتيجية الاربعة (مع التفصيلات اللازمة) التي ستركز منظمة التحرير الفلسطينية نضالها عليها :

أ ــ « مواصلة وتعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطن وخارجه في حرب شعبية طويلة المدى من أجل التحرير الشامل واقامة المجتمع والدولة الديموقراطيين » . في هذا الصدد اكد البرنامج على ضرورة مواصلة الكفاح المسلح من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ، وأيضا على النضال ضد كافة مشاريع التسوية ، وضرورة تعزيز روابط الوحدة الوطنية بين جماهير شعبنا في الداخل والخارج ، وعلى مقاومة سياسة تفريغ الارض وتعبئة الجماهير في الضفة والقطاع للدفاع عن أراضيها ، وكذلك على ضرورة العناية بالمؤسسات النقابية وبدعم صمود العمال والفلاحين في الاراضي المحتلة عام ٦٧ والعناية بأوضاع شعبنا في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وبمصالح شعبنا في كل مجال يوجد فيه . كما اكد البرنامج السياسي على دور منظمة التحرير في التشبث بحقوق الشعب الفلسطيني وبتقرير مصيره .

ب ــ « لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير أردنية ــ فلسطينية تقوم الى جانب مهامها على الساحة الفلسطينية بالنضال لتحرير الاردن من النظام الملكي العميل ، الذي يشكل قناعا هاشميا للسيطرة الصهيونية الفعلية على الضفة الشرقية وحارسا مأجورا شرسا للاحتلال الصهيوني نفسه على فلسطين » . في هذا المجال حلل البرنامج السياسي حقيقة السياسات التي ينتهجها النظام الملكي في الاردن ، متيحا المجال فيها للسيطرة الصهيونية والامبريالية ، والمؤدية الى الافقار المتزايد للجماهير الاردنية ــ الفلسطينية ، والى قهرها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . كما اشار البرنامج الى هجمة ايلول الشرسة على المقاومة والى الهجمات التي تلتها مؤكدا على ضرورة قيام الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية لتتولى المهام التالية : الاطاحة بنظام الحكم في الاردن وتحرير كامل التراب الفلسطيني والعمل على تنمية نضالات الجماهير وصولا الى هذه الاهداف والى : تعبئة وتنظيم الجماهير ، اشراك ابناء الشعب الاردني بالكفاح المسلح ، التأكيد على حرية الثورة الفلسطينية في العمل في الاردن ومنه ، مقاومة الاجراءات البوليسية الارهابية ، وغيرها من المهام النضالية على الساحة الاردنية .

ج ــ « ربط النضال الفلسطيني ، والفلسطيني ــ الاردني بالنضال العربي العام من خلال جبهة لكل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار

الجديد » . بعد أن حدد التقرير السياسي مضمون مرحلة انجاز الثورة الوطنية الديموقراطية العربية بالنقاط التالية : تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل ، والقضاء على كل اشكال الوجود الامبريالي ، وتحرير فلسطين من الكيان الصهيوني — الامبريالي ، وتحرير الجماهير العربية العاملة في الريف والمدينة من كل أشكال الاستغلال ، ووضع موارد الأمة العربية الاقتصادية والذهنية في خدمة تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية ، أكد على « ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الفلسطيني — الاردني ، بحكم الحتمية التاريخية والمصيرية ، وبحكم الضرورة الموضوعية لا يمكن أن يكون الا جزءا لا يتجزأ من الثورة الديموقراطية العربية » . من هنا فان مهمة الثورة الملحة هي « السعي للالتحام بكافة فصائل النضال الوطني العربي » باقامة جبهة تقدمية عربية تكون منطلقاتها : الدعم الايجابي للثورة الفلسطينية وللنضال الفلسطيني الاردني ، النضال ضد كل مشاريع ما يسمى بالحلول السلمية أو التسويات الجزئية ، النضال لتصفية اشكال الوجود الامبريالي في الوطن العربي ، مع منطلقات أساسية أخرى نابعة منها . (ولقد توصلت قيادة منظمة التحرير مع القوى العربية التقدمية مؤخرا في ١٩٧٢/١١/٢٨ الى اعلان تشكيل جبهة عربية مشاركة للثورة الفلسطينية لتتولى تحقيق المهام المذكورة ، وذلك في مؤتمر شعبي عربي واسع عقد في بيروت .)

د — « التفاعل مع حركة النضال العالمي ضد الامبريالية والصهيونية ، من اجل التحرر الوطني » . أكد البرنامج السياسي في هذا الصدد على « ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الديموقراطي العربي هما جزء لا يتجزأ من حركة النضال العالمي ضد الامبريالية — العنصرية ، ومن أجل التحرر الوطني » . وثبت البرنامج جملة مبادىء لعلاقات الثورة أمميا : النضال الوطني العربي هو بشكل حاسم وثابت الى جانب وحدة كل قوى الثورة العالمية ، ان اسهام النضال العربي في حسم اية خلافات في الحركة الثورية العالمية يتمثل بالتوجه لمعالجة قضاياه ثوريا وبنجاح ، « ان اهداف النضال العربي واساليبه الآخذة بالقوانين العامة للثورة العالمية التي هي خلاصة تجارب حركات التحرر الوطني العالمية هي من شأن القوى الوطنية التقدمية العربية » ، مع ابقاء الابواب مفتوحة للاستماع المخلص والايجابي للاحظات ونصائح الاصدقاء .

هذه باختصار أهم عناصر البرنامج السياسي الذي أقرته اللجنة التنفيذية بعد المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الاخيرين . اذن ، فنحن امام برنامج سياسي محدد ، نابع من فهم طبيعة المرحلة، شامل لمهماتها وأساليبها ، ولا يجوز مطلقا التأخر او التردد في صب الجهود من اجل ارساء الصيغ العملية التي تتيح لهذا البرنامج طريقه للتحقيق . ولعلنا اذا تمكنا من الاشارة المحددة الى بعض البرامج المشتركة القابلة للتنفيذ ، نسهم في اغناء المضمون الاساسي الاول لقضية الوحدة الوطنية كما عرفناها من جهة ، ونشترك ايجابيا في عملية ارساء الصيغ الممكنة لتحقيق البرنامج السياسي من جهة ثانية :

— العمل في المخيمات وفي أماكن تجمع الفلسطينيين ، حيث توجد سلسلة من القضايا تتعلق بحياة هؤلاء اليومية متدرجة من المشاكل الحياتية والتعليمية اليومية حتى مشاكل التوعية والتعبئة السياسية . هذه القضايا ذات طبيعة مشتركة بين الجماهير ، فهي ، اذن ، تقع داخل اطار الاهتمامات المشتركة لجميع الفصائل .

— العمل داخل الارض المحتلة كلها ، حيث كل القضايا المعيشية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، هي قضايا مشتركة بين الجماهير وكذلك بين الفصائل الفلسطينية المقاتلة . موضوعيا وعمليا فان التوجه لها جديا سوف ينتج سلسلة من البرامج التطبيقية المشتركة .

ـــ العمل على صعيد الاردن ، يتطلب بداية تشكيل لجنة مشتركة من أجل تحديد برامج عمل مشتركة ومحددة . وهذا الامر قابل للتنفيذ حالا طالما حدد البرنامج السياسي المتفق عليه الخطوط العريضة للعمل على الساحة الاردنية . هناك ثمة قضايا (في هذا المجال او غيره) قد تختلف وجهات النظر حولها ، فليكن التركيز ، اذن ، على القضايا المحسوم أمرها : مثل اقامة الجبهة التقدمية الاردنية ـــ الفلسطينية ومثل قضايا العمل النقابي الخ .. (مع ضرورة التنبه الى ابقاء الحوار مفتوحا حول القضايا المختلف عليها) . لو أردنا البحث اكثر عن مجالات عمل مشتركة لوجدنا العديد منهـــا ، المهم ان تكون واضحة ومتواضعة وقابلة للتنفيذ .

٢ ـــ والوحدة الوطنية هي **أداة أساسية من أدوات النضال الفلسطيني في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي التي يخوضها الآن** . ان الثورات الوطنية في مواجهة الامبريالية وجبروتها وتقدمها العلمي والتكنولوجي وقبل كل هذا شراستها في سحق قوى الثورة في كل مكان حفاظا على مصالحها الممتدة ومطامعها الدائمة والمتصاعدة ويقظتها ويقظة عملائها كلهم . ان الثورات الوطنية في مواجهة هذه الامبريالية تملك عدة أسلحة : الوعي الثوري والتيقظ المقابل والجماهير الفقيرة المسلحة والمنظمة نخوض بهـــا ومعها حرب الشعب الثورية (الطويلة الدؤوبة المليئة بالتضحيات) ، ولعل أهم أسلحة الثورات فتكا في الامبريالية ومخططاتها هو تماسكها وتضامنها وتجنيدها لكافة القوى صاحبة المصلحة بالثورة أي **جبهتها الوطنية** وكذلك الاممية . دون هذه الجبهة تصبح أسلحة الثورة الاخرى ، أسلحة مؤقتة قليلة الفعالية لا تلبث الامبريالية أن تتمكن من الفتك بها ومن تقطيعها واحدة بعد الاخرى اربا اربا . ومع اتساع معسكر اعداء الثورة ، تزداد قيمة الجبهة الثورية كأداة حاسمة في المجابهة . ان نظرة سريعة على معسكر اعداء الثورة الفلسطينية كفيلة بأن تبرز مدى ضخامة واتساع وقوة هذا المعسكر ، في المقابل ، فان نظرة مماثلة على اوضاع معسكر الثورة واصدقائها تبرزها في المرحلة الراهنة مترددية ضعيفة قابعة في مواقع الدفاع وقبل كل هذا مفتتـــة متفرقة مشرذمة . مـــن القراءة الموضوعية لهذا الواقع تنبع جدية فهم الوحدة الوطنية نواة لجبهـــة ثورية عريضة ، كأداة أساسية من أدوات النضال الفلسطيني .

٣ ـــ الوحدة الوطنية هي أيضا **الاطار العام الذي يحتوي في داخله الاختلافات في وجهات النظر والصراع عليها** . تعمدنا تثبيت هذا المضمون في تعريف الوحدة الوطنية حتى يكون جليا أمامنا ، أن الجبهة الوطنية لا تعني بأي حال من الاحوال انسجاما فكريا أو عقائديا كاملا بين القوى المكونة لها ، انها **لقاء حول برنامج سياسي محدد** في مرحلة معينة من مراحل النضال . القضية هنا ليست ارادية ، فالجبهة الوطنية تعني لقاء عدة اطراف وقوى ذات منطلقات ومواقع واتجاهات مختلفة (لو كان الامر غير ذلك لما كان هناك داعيا لجبهة وطنية) . في هذا الصدد يقول لي ذوان : « واذا كانت هناك بعض الطبقات لها مصالح اساسية متشابهة، فان هناك طبقات اخرى لا ترتبط مصالح كل منها بمصالح الاخرى الا بقدر معين . وكل طبقة اجتماعية ، من أجل مصالحها الخاصة ، ومن أجل المصلحة المشتركة تدخل في وحدة مع الطبقات الاخرى في اطار الجبهة الوطنية . وفضلا عن ذلك فان هذه المصلحة المشتركة ذاتها تتصورها كل طبقة من وجهة نظرها الخاصة» . (المرجع السابق ، ص ٢٢) ثم ان الصراع حول وجهات النظر المختلف عليهـــا (داخل الجبهة وخارجها) يعتبر أمرا حاسما ، اذ انه من العوامل الاساسية المحركة لانبثاق الحزب القائد الحقيقي داخل الجبهة وفي مرحلة النضال المعينة . وبدون الحزب القائد المستقطب للجماهير التي تتطابق مصلحتها والمصلحة الوطنية بشكل كامل ، فان الجبهة الوطنية تفقد عمودها الفقري . (ان دور الحزب قائدا للجبهة الوطنية بحاجة الى تحليل شامل في ضوء ظروف العمل الفلسطيني ، ربما لا يكون هنا مجاله المناسب) . من هنا

فانه من الخطأ الفادح تصور وحدة وطنية دون خلافات في وجهات النظر ودون صراعات. المهم ان يكون الاتفاق على البرنامج السياسي المحدد وعلى تطبيقه متوفرا وقائما وفعالا .

ثانيا : قد يساعدنا تعريف الوحدة الوطنية كما بيناه آنفا في الاجابة الدقيقة على السؤال المطروح وهو : لماذا لم يحقق الفلسطينيون حتى الان وحدتهم الوطنية ؟ والاجابة الدقيقة على هذا السؤال ، بدورها ، تستهدف تحقيق أمرين : الاول ، انهاء حالة الاجتهادات والتبريرات (العقيمة في غالب الاحيان) حول اسباب تعثر الوحدة الوطنية ، تلك الاجتهادات والتبريرات التي برهنت التجربة العملية انها ساهمت في تعميق التعثر وليس ، كما هو مفروض ومنطقي ، ان تكون ، عاملا مساعدا في تخطي الازمة. الثاني ، ارساء قاعدة عملية شاملة ينطلق منها التوجه الوحدوي ، ولا يعود الى ما ورائها (طبعا اذا توفرت القناعات حولها كاملة) .

لماذا لم يحقق العمل الفلسطيني وحدة وطنية حتى الآن ؟ لان فصائل حركة المقاومة غير واعية لماهية الوحدة الوطنية المنشودة في هذه المرحلة وبالتالي هي خائفة منها ومن أحكامها وأيضا فهي عاجزة عن تغليب فهمها للفوائد المشتركة الممكنة من وحدة وطنية حقيقية (في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي) **وعلى فهمها لمصالحها الفئوية الخاصة ونتيجة لكل هذا لم تتبلور ارادة جماعية جادة بالوحدة الوطنية .** لهذا السبب ظلت قضية الوحدة الوطنية مرتعا للمزايدات ولاحكام المواسم وللمشاريع الفوقية غير القابلة للتنفيذ. ولعل جوهر العقدة يكمن في أن حركة المقاومة منذ انطلاقها (برغم تفاوت مشاربها ومنطلقاتها) لم تتسلح باطلالة جادة على التجربة الثورية في العالم وخاصة فيما يتعلق بموضوعة الجبهة الوطنية . وأكثر من ذلك ، فبرغم تجربتها الطويلة المكثفة احيانا والمليئة بالعبر والدروس ، فقد ظلت عاجزة عن استخلاص النتائج الموضوعية المؤدية الى فهم عميق لماهية الوحدة الوطنية المطلوبة ولحجمها يقضي على المخاوف ويغلب فهم الفوائد المشتركة الممكنة للمرحلة على فهم المصالح الخاصة والفئوية . ان الفهم الحقيقي لماهية الوحدة المنشودة لا يجيز ولا يستدعي اطلاقا مناورات الكواليس المعهودة بحثا عن مكسب خاص ولهثا وراء تسجيل موقف معين — ان الفهم الحقيقي لماهية الوحدة الوطنية ولدورها كأداة حاسمة في هذه المرحلة كفيل بأن يريح المنظمات من « عذاب » الكواليس وان يوفر وقتا لتحرك مفيد وايجابي .

قد نتساءل هنا حول امكانية وقدرة القوى والعلاقات القائمة فيما بينها ، في هذه المرحلة، على احداث عملية التغيير في ضوء التعريفين المحددين للوحدة الوطنية ولاسباب تعثرها. وقد نجيب انه في ظروف نضالنا القائمة لا بد من احداث التغيير وانه من الممكن احداثه باعادة نظر جذرية في قواعد وأساليب المسيرة . وقد يكون الجواب ان الامر مستحيل ولا بد من تغيير أكثر جذرية في كافة الاوضاع والقوى القائمة . غير اننا نترك الجواب النهائي في ثنايا التطورات القادمة . ان التجربة العملية تبقى المحك الاصيل الوحيد والحقل المتاح لصقل اجابة موضوعية وحاسمة .

اطلالة على المجالس الوطنية الفلسطينية :

نحاول في هذه الاطلالة متابعة القرارات الخاصة بالوحدة الوطنية وحيثياتها التي شهدتها المجالس السابقة ، بالطبع ، دون الخوض في التفاصيل والمشاكل التي كانت تنشأ حسب ظروف كل مرحلة . وسنعتمد في هذا الصدد على الوثائق الصادرة عن منظمة التحرير المتوفرة في مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية . ومن حيث المنهج ، فان تقسيم الموضوع الى مرحلتين يبدو أمرا ضروريا : المرحلة الاولى تعني بالمجالس الوطنية الثلاثة الاولى التي عقدت في المواعيد التالية :

ـ المؤتمر الاول بين ٦٤/٥/٢٨ و١٩٦٤/٦/٢ (في القدس) ، ـ المؤتمر الثاني بين ٦٥/٥/٣١ و١٩٦٥/٦/٤ (في القاهرة) ، ـ الدورة الثالثة بين ٦٦/٥/٢٠ و٦٦/٥/٢٤ ١٩٦٦ (في غزة) . ويمكن وصف هذه المرحلة من حياة منظمة التحرير بأنها مرحلة ما قبل المنظمات ، اي قبل دخول فصائل حركة المقاومة الى مجالس منظمة التحرير (وحتى قبل نشوء العديد منها) . ومن هنا فان الاطار الذي تناقش ضمنه قضية الوحدة الوطنية يختلف بشكل واضح عن اطار المرحلة الثانية .

اما المرحلة الثانية فتشمل المجالس الوطنية التالية : ـ المجلس الوطني الرابع بين ١٩٦٨/٧/١٠ و١٩٦٨/٧/١٧ (في القاهرة) ، ـ المجلس الوطني الخامس بين ١/٢/ ١٩٦٩ و١٩٦٩/٢/٤ (في القاهرة) ، ـ المجلس الوطني السادس بين ١٩٦٩/٩/١ و١٩٦٩/٩/٦ (في القاهرة) ، ـ الدورة السابعة بين ١٩٧٠/٥/٣٠ و١٩٧٠/٦/٤ (في القاهرة)، (تلت هذا المجلس دورة استثنائية بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٧ في عمان)، ـ الدورة الثامنة بين ١٩٧١/٢/٢٨ و١٩٧١/٣/٥ (في القاهرة) ، ـ الدورة التاسعة بين ٧/٧/ ١٩٧١ و١٩٧١/٧/١٣ (في القاهرة) ، ـ الدورة العاشرة (وكانت استثنائية) بين ١٩٧٢/٤/٦ و٧٢/٤/١٢ (في القاهرة) .

على اساس مقارنة بين الموضوعات والقضايا التي تناولتها دورات هذه المرحلة (من حيث نسبة المناقشات والوقت والصياغات) فان قضية الوحدة الوطنية تحتل المكان الاول ، مما يتيح لنا وصف هذه المرحلة بأنها مرحلة **حيوية ونضوج البحث عن الوحدة الوطنية** .

١ ـ **المرحلة الاولى** (الممتدة بين ١٩٦٤/٥/٢٨ و١٩٦٦/٥/٢٤) . ميز هذه المرحلة افتراض قيادة منظمة التحرير وجود وحدة (بحد أدنى) بين الفلسطينيين حول الميثاق الوطني الفلسطيني ، لذلك لم تشهد المؤتمرات الاولى الثلاثة لجانا لبحث قضية الوحدة الوطنية بشكل خاص . غير ان هذه المؤتمرات قاربت الموضوع بشكل أو بآخر . من هنا يمكننا متابعة الموضوع عبر الميثاق الوطني نفسه وكذلك عبر القرارات العامة التي خرجت بها المؤتمرات .

أ ـ المؤتمر الفلسطيني الاول (في القدس بين ٦٤/٥/٢٨ و ١٩٦٤/٦/٢) . انعقد المؤتمر الاول للفلسطينيين بعد فترة طويلة من الضياع والتخبط (وكان المؤتمر ومنظمة التحرير الفلسطينية التي انبثقت عنه ، بالاضافة الى شعور الفلسطينيين بالحاجة اليها والسعي نحوها ، ثمرة مؤتمر القمة العربي الاول الذي انعقد في القاهرة في ١٩٦٤/١/١٤) . لذلك كان العاملان الموضوعيان المحركان اللذان سيطرا على التوجه في ذلك الحين هما : ابراز الشخصية الفلسطينية وارساء الكيان الفلسطيني بمعنى وضع الفلسطينيين في اطار مؤسسة واحدة ذات أهداف واحدة ونظام اساسي واحد . على هذا الاساس وعلى أساس فهم المسؤولين في تلك الفترة لطبيعة المرحلة جاء في الميثاق الوطني الفلسطيني حول الوحدة الوطنية ما يلي : **المادة ٩** : « المذاهب العقائدية سياسية كانت أو اجتماعية او اقتصادية لا تشغل أهل فلسطين عن واجبهم الاول في تحرير وطنهم ، والفلسطينيون جميعا جبهة وطنية واحدة يعملون لتحرير وطنهم بكل مشاعرهم وطاقاتهم الروحية والمادية » . **مادة ١٠** : « يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات ، الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير ، وبعد أن يتم تحرير الوطن يختار الشعب الفلسطيني لحياته العامة ما يشاء من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

المادة ٢٥ : « تكون هذه المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما

تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي » (المرجع : م. ت. ف. المؤتمر الفلسطيني الاول وثائق مركز الابحاث م. ت. ف. ٨١ ، ص ٤٥ و٤٩) .

كما جاء في النظام الاساسي: **مادة ٣** : « تقوم العلاقات داخل المنظمة على اساس الالتزام بالنضال والعمل الوطني في ترابط وثيق بين المستويات المختلفة من قاعدة المنظمة الى قيادتها الجماعية ، وعلى أساس احترام الاقلية لارادة الاغلبية وكسب ثقة الشعب عن طريق الاقناع ومتابعة الحركة النضالية والعمل على استمرار الدفع التحريري لدى الجماهير ... » **مادة ٤** : « الفلسطينيون جميعا اعضاء طبيعيون في منظمة التحرير الفلسطينية يؤدون واجبهم في تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » . (المرجع السابق ص ٥٠) .

ربما كانت بعض المقتطفات من كلمة الاستاذ أحمد الشقيري (رئيس المؤتمر ورئيس المنظمة بعد انتهاء المؤتمر) تعيننا في تأكيد المنحى الفكري الذي كان سائدا آنذاك فيما يتعلق بقضية الوحدة الوطنية (نؤجل مناقشة خلفيات وأصول هذا المنحى والنهج الذي اتبع في التعبير عنه الى ما بعد تسجيل الدلائل العملية على خصوصية المرحلة الاولى في النظرة الى قضية الوحدة الوطنية) : « ... ولكن مؤتمرنا هذا في يومنا هذا ليعلن للدنيا بأسرها اننا نحن اهل فلسطين أصحابها الشرعيين قد التقينا ، قد اجتمعنا ، قد التقينا واجتمعنا على تحرير فلسطين ... ونحن هنا لا نمثل الفلسطينيين في سوريا ولبنان والعراق وقطاع غزة ولكننا نحن هنا شعب واحد ووطن واحد وكفاح واحد ... وهذا المعنى الكبير الذي يتجلى في تجمع الشعب الفلسطيني بجاوره في جلاله وخطره ذلك هو اجتماع الامة العربية ممثلا بيننا ... واذا كان الركب العربي قد خطا خطوات واسعة في ميدان القوة العسكرية والاقتصادية فقد بقي علينا نحن الشعب الفلسطيني أن نسير في موازاة هذا الزحف العربي فنبني كياننا ونجمع صفوفنا ونعبىء كل طاقاتنا وكفاءاتنا فتعود القضية لشعبها ويعود الشعب لقضيته ... ولهذا فاني أتقدم اليكم بهذا الهيكل العام (الميثاق والنظام الاساسي) ، اعرضه ولا افرضه ومن كان لديه مشروع آخر يمكن تحقيقه ويستطيع ان يضع يده على الوسائل التي تيسر الانجاز والتنفيذ فاني مستعد أن أسير وراءه بأن أعمل في خدمته وأن أضع يدي تحت تصرفه فان قضية فلسطين تتطلب منا جميعا التجرد والاخلاص والتفاني وانكار الذات ... الكيان الفلسطيني تنظيم فلسطيني لجميع فئات الشعب اللاجىء والمقيم ، الطلاب والشباب ، الرجال والنساء ، فالكيان للشعب وفي خدمة الشعب ومفتوح لكل افراد الشعب . ومن شاء أن يعمل ومن شاء أن يبني فليتفضل . ان ميدان العمل رحب فسيح للذين يعملون للذين يعزمون على البناء ... » (المرجع السابق صفحات ٢٦ — ٣٩) . هذه العناوين والشعارات كانت السائدة في المؤتمر الفلسطيني الاول ، وفي ظلها جرت عملية وضع أسس منظمة التحرير الفلسطينية . غير انه من الضروري أن نذكر ان تناقضا ما كان قائما حتى في تلك المرحلة حول العديد من القضايا الاساسية بين من كان يمثل الافكار المطروحة في المؤتمر وبين القوى المنظمة التي كانت موجودة في الساحة (واستمر غالبها بشكل أو بآخر كما سنبين في الاطلالة على المرحلة الثانية) .

ب — المؤتمر الفلسطيني الثاني (في القاهرة بين ٦٥/٥/٣١ و١٩٦٥/٦/٤) لم يخرج المجلس الوطني الفلسطيني (كان المؤتمر الاول قد اتخذ قرارا بتسمية نفسه مجلسا وطنيا) في دورته الثانية عن الاطار العام الذي بيناه آنفا ، من زاوية الافكار المحددة حول الوحدة الوطنية . « أقر المجلس قانون التنظيم الشعبي كأداة قادرة على حشد الفلسطينيين بكل طاقاتهم وكفاءاتهم لتحرير فلسطين .. وحتى يقوم العمل على اساس الالتزام بالنضال والكفاح وعلى مفهوم وجوب التضحية والفداء بالمال والنفس وعلى عنصر الايمان ... وحدد النظام الاساسي للتنظيم الشعبي ان سبيل تحرير الوطن هو

الجهاد والنضال المسلح ... وان مرحلة التحرير تقضي ايجاد الترابط الوثيق بين قاعدة المنظمة وهي الشعب وبين قياداتها الجماعية ». (المرجع : الاتحاد العام لطلبة فلسطين، الهيئة التنفيذية « المجلس الوطني الفلسطيني في دورات انعقاده » ، ص ١ ، وثائق مركز الابحاث م.ت.ف. ٧٣) . يلاحظ من النظام الاساسي للتنظيم الشعبي — ودون الخوض التفصيلي في مناقشة أحكامه وخلفياته — أن المبدأ الرئيسي الذي هيمن على عملية وضعه ، انما ارتكز على قاعدة تجميع الفلسطينيين بكافة فئاتهم وتنظيماتهم (مهما اختلفت مشاربها) وتجمعاتهم في اطار منظمة واحدة ذات نظام واحد وتوجه واحد ، وهذا ما يعكس النظرة التي كانت سائدة في ذلك الحين الى قضية الوحدة الوطنية .

جـ — الدورة الثالثة للمجلس (في غزة بين ١٩٦٦/٥/٢٠ و١٩٦٦/٥/٢٤) : اعتبر الاجماع الذي أقر به المجلس قرارات وتوصيات اللجان مؤشرا أساسيا لتحقيق الوحدة الوطنية التي جمعت أبناء فلسطين (تقرير الامين العام للمجلس حول كلمة رئيس المجلس في ختام الدورة : الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني — غزة — ٢٠ — ٢٤ أيار (مايو) ١٩٦٦ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٨٢ ، ص ١١) .

وقد جاء في خطاب الافتتاح الذي القاه رئيس المنظمة — رئيس المجلس : « ... ايها الاخوان بقي علي أن أختم حديثي اليكم ، في أمر كان محل اهتمام المجلس الوطني يوم انعقد في القاهرة ، واتخذ بشأنه قرارا غير مدون طلب فيه الى رئيس المنظمة ان يتصل بالمنظمات الفلسطينية كلها سرية أو علنية عقائدية أو حزبية عسكرية أو شبه عسكرية ، بغية توحيد العمل الفلسطيني ، واني استجابة لضميري ولتوصيتكم غير المدونة ، عملت كل جهدي في اللقاء مع الاخوان جميعا المنتسبين الى هذه المنظمات والى هذه الحركات.. الشعب الفلسطيني رفع شعار الوحدة القوميـــة .. الشعب الفلسطيني ملتف حول منظمة التحرير لانها أمل الشعب .. لانها رمز الشعب .. عنوان كفاح الشعب ونضال الشعب من أجل التحرير ، والتقى اخواننا من هذه المنظمات في اجتماعات متتالية في بيروت ، حضرت بعضها لوضع منهاج لتوحيد العمل الثوري وأريد أن أعلن هنا ان قيام هذه المنظمات وتعدد هذه المنظمات كان أمرا طبيعيا في الماضي .. كانت مرحلة لا بد منها ... (وأشار الى أن التعدد كان تعبيرا عن حيوية شباب فلسطين ولقائهم من أجل العمل لوطنهم وتفكيرهم الدائم به وبقضاياه) ... كانت هناك نخبة من رجالنا ومن شبابنا يفكرون في الوطن وماذا يصنعون للوطن وبهذا نشأت منظمات بعضها عسكري وبعضها عقائدي وبعضها حزبي ، حمدت لهم هذا النشاط لانهم عبأوا جانبا من الفراغ ، تلك مرحلة مضت أحمد لهم فيها اخلاصهم وتفانيهم وتجردهم ، ولكن المرحلة التي نحن فيها هي مرحلة وحدة النضال ، وحدة القوى الثورية كلها ، وحدة الشعب الفلسطيني كله ، ومن اجل هذا فان لقاء اخواننا في بيروت قد انتهى الى مرحلة طيبة .. هناك أبحاث ودراسات استطاعوا بها أن يجدوا نقاط تلاق فيما بينهم ، ووضعوا لهم منهاجا نظريا ... اننا اليوم في هذه المرحلة ، مرحلة الوحدة الوطنية الثورية التي تجمع كل طلائعنا كل شبابنا كل رجالنا وكل قواتنا الثورية » . (المرجع السابق : صفحات ٤٥ ، ٤٦ و٤٧) .

نلاحظ باستمرار ان مقاربة الوحدة الوطنية في تلك المرحلة كانت تتم عبر الدعوة الى الانضمام في اطار المنظمة الواحدة ذات النظام الواحد والاداة الواحدة . ولعل المجلس الوطني الثالث كان أوضح وأكثر مباشرة من سابقيه في التعبير عن هذا المنحى ، اذ جاء القرار السياسي الثاني المتخذ في تلك الدورة تحت عنوان : وحدة العمل الثوري . « لما كان النضال الفلسطيني من أجل استعادة فلسطين يتطلب توحيد جميع القوى الوطنية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية وعلى اساس مخطط ثوري للعمل ، ولما كانت القوى الثورية الفلسطينية قد أقرت مبدأ توحيد عملها تمهيدا لتوحيد تنظيمها كلـــه ، وأقرت

المبادىء التي يقوم عليها هذا التوحيد والصيغة التنظيمية التي تتجسد بهـا ، لذلك :
(١) يؤيد المجلس الوطني هذه الخطوة التي بادرت قيادة منظمة التحرير الى اتخاذها والتي تعتبر ولا شك نقطة تحول هامة في مسيرة النضال الفلسطيني باعتبار ان توحيد القوى الثورية يشكل الدعامة الشعبية الراسخة لمنظمة التحرير الفلسطينيـة ويدعو جميع الفئات والتنظيمات الثورية الى الاشتراك الهادف للانصهار في هذا العمل الموحد.
(٢) يفوض المجلس رئيس اللجنة التنفيذية بأن يقدم الى هذا التنظيم جميع التسهيلات التي يتطلبها لوضع التنظيم أمام مسؤولياته الجسيمة في هذه الفترة الحاسمة من فترات نضالنا لاسترداد الوطن السليب . (٣) يطلب المجلس انبثاق القيادة الجماعية الثورية عن هذا العمل الثوري الموحد انسجاما مع طبيعة المرحلة الجديدة التي وصلت اليها قضية فلسطين . (٤) الى ان يتم انصهار القوى الثورية انصهارا تاما يطلب المجلس من رئيس اللجنة التنفيذية أن يتعاون مع هذه القوى حتى يتحقق هذا الهدف (المرجع نفسه : صفحات ٦٤ و٦٥) .

باختصار كانت هذه مرحلة فهم الوحدة الوطنية على أساس انها تجميع كافة القوى وحشد كافة الطاقات في اطار منظمة التحرير ، بأسلوب تميز بالمناشدة والدعوة الى الالتقاء وترك الخلافات جانبا، وبتصور انه من الممكن تحقيق ذلك طالما اتفق الفلسطينيون على ميثاق وطني وعلى نظام أساسي . غير ان المرحلة انتهت دون ان تشهد وحدة وطنية فلسطينية حقيقية .

٢ ــ **المرحلة الثانية** (الممتدة بين ١٩٦٨/٧/١٠ و١٩٧٢/٤/١٢) . اذا كان الافتراض الذي ميز المرحلة السابقة قد ارتكز على انه بوجود الميثاق الوطني والنظام الاساسي وباستمرار التركيز على الدعوة للانضواء في اطار منظمة التحرير تتوفر العوامل الكفيلة بتحقيق الوحدة الوطنية ، فان المرحلة الثانية ، التي نحن بصددها ، قد تميزت بتصور آخر لبلوغ الغاية ذاتها . ارتكز التصور على دعامتين : الاولى تتمثل بصياغة المشاريع الكبيرة المتكاملة حول الوحدة (مثلا صيغ الوحدة العسكرية ، والتوحيد المالي والاعلامي والتنظيمي) ، والثانية تنشد اعلان المنظمـات المختلفة موافقتها علـى هذه الصيغ واستعدادها للتقيد بها وتنفيذها . بعد هزيمة حزيران ازداد ثقل المنظمات نوعا وكما ، وغدا هذا الثقل محورا رئيسيا للوحدة الوطنية ، وبالذات لان الفصائل دخلت منظمة التحرير وتسلمت قيادتها .

أ ــ المجلس الوطني الرابع (في القاهرة بين ١٩٦٨/٧/١٠ و١٩٦٨/٧/١٧) ربما يكون المجلس الوطني الرابع ، باعتماد مؤشرات المشاركة الشاملة ، وحيوية المناقشات وجديتها والتركيز على قضية الوحدة الوطنية ، مـن اهم المؤتمرات التي عقدهـا الفلسطينيون في مرحلة عملهم الثوري الراهن ، فيه جرت تعديلات اساسية على الميثاق الوطني والنظام الاساسي ، وفيه بدأت نغمة المشاريع الوحدوية الكبيرة (مع العلم ان احد الاعضاء أو مجموعة منهم كانوا متنبهين الى قضيـة التدرج الطبيعي في مقاربـة الوحدة ، غير أن هذا الامر لم يعكس نفسه بقوة على قرارات المجلس)، وفي هذا المجلس اتخذ القرار بانشاء مركز التخطيط . وكانت القرارات السياسية شاملة ودقيقة ، بحيث يمكن اعتبارها قاعدة جيدة لبرنامج سياسي مرحلي واستراتيجي .

وقد جاء في الميثاق الوطني الفلسطيني (الميثاق كما وضعه المؤتمر الاول كان يسمى الميثاق القومي) الذي أقره المؤتمر : « المرحلة التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني هي مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين ولذلك فان التناقضات بين القوى الوطنية الفلسطينية هي من نوع التناقضات الثانوية التـي يجب ان تتوقف لصالح التناقض الاساسي فيما بين الصهيونية والاستعمار من جهة ، وبين الشعب العربي الفلسطيني من جهة ثانية ، وعلى هذا الاساس ، فان الجماهير الفلسطينية سواء من كان منها في

أرض الوطن أو في المهاجر ، تشكل منظمات وأفرادا ، جبهة وطنية واحدة ، تعمل لاسترداد فلسطين وتحريرها بالكفاح المسلح » (المرجع : م. ت. ف. المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة من ١٠ ــ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، باب الميثاق الوطني الفلسطيني ، المادة (٨) ، وثائق مركز الابحاث م. ت. ف. ٥٢ ، ص ٢١) . كما نصت المادة (١٠) على ان : « العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية وهذا يقتضي تصعيده وشموله وحمايته وتعبئة كافة الطاقات الجماهيرية والعلمية الفلسطينية وتنظيمها واشراكها في الثورة الفلسطينية المسلحة وتحقيق التلاحم النضالي الوطني بين مختلف فئات الشعب العربي الفلسطيني وبينها وبين الجماهير العربية ضمانا لاستمرار الثورة وتصاعدها وانتصارها » . المادة (١١) : « يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات : الوحدة الوطنية ، والتعبئة القومية ، والتحرير » . (المرجع السابق : صفحات ٢١ و٢٢) .

وجاء في القرارات السياسية تحت : ثالثا : الاداة ، وفي فقرة التطبيق العملي في مجال الكفاح المسلح : « ١) منظمة التحرير الفلسطينية هي تجمع للقوى الفلسطينية في جبهة وطنية من أجل ثورة مسلحة تحرر الارض . ٢) ولهذه المنظمة ميثاق يحكم سيرها ، ويحدد أهدافها ، وينظم عملها ، ولها مجلس وطني وقيادة تنفيذية يختارها المجلس الوطني ، كما يحدد ذلك النظام الاساسي . وتقوم اللجنة التنفيذية بوضع خطة عامة موحدة للعمل الفلسطيني على مختلف مستوياته وفي كافة مجالاته ، يصير تنفيذها من خلال أدوات الثورة التي جرى لقاؤها داخل هذا المجلس . وعليها جميعا ان تكون ملتزمة بدورها فيها ، وبما يصدر عن هذه القيادة من قرارات » . (المرجع السابق : ص ٣٩) . وتضمنت التوصيات الاعلامية : « ٣) أن يراعي الاعلام الموجه الى العرب الفلسطينيين نشر المبادىء التالية والتأكيد عليها : ... ب) ان العمل الوطني أساسه الوحدة الوطنية » . (المرجع نفسه : ص ٦١) . أما القرارات العسكرية فقد احتوت في البند (ب) ــ توحيد القوى المقاتلة الفلسطينية كما يلي : « ١ ــ تشكل قيادة عسكرية لقوات المنظمات الفدائية الممثلة في المجلس الوطني . ٢ ــ تسمى هذه القيادة مؤقتا ــ قيادة قوات الفدائيين ــ الى أن يتم الاتفاق على أسم جديد . ٣ ــ تضع هذه القيادة مشاريع الانظمة والقوانين والصلاحيات التي ترتأيها مناسبة لتحقيق حسن سير العمل والغاية المرجوة من هذه القيادة وترفعها الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ليصار الى مناقشتها واقرارها وبالتالي لتكون نافذة المفعول بعد ذلك . ٤ ــ تقوم هذه القيادة باتخاذ الاجراءات اللازمة لتحقيق الوحدة الكاملة لقوات المنظمات الفدائية خلال أقصر فترة ممكنة . ٥ ــ تصدر البلاغات العسكرية عن هذه القيادة مع ذكر الجهة التي قامت بالتنفيذ ــ مرحليا ــ . ٦ ــ تقوم الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية بالتنسيق بين قيادة الجيش وهذه القيادة من جهة والربط بين هاتين القيادتين واللجنة التنفيذية من جهة اخرى . ٧ ــ تكلف اللجنة التنفيذية بتنفيذ هذه القرارات » . (المرجع نفسه : صفحات : ٦٤ و٦٥) . وفي القرارات العامة جاء ما يلي : « ٩ ــ تلتزم كافة الفئات الفلسطينية المقاتلة والممثلة في المجلس الوطني المنعقد في القاهرة يوم ١٠/٧/ ١٩٦٨ باصدار بيانات تتضمن لقاءها وتوجهها منحى الوحدة والاخاء مع ضرورة شرح فحوى هذه البيانات على افراد المنظمات وابلاغهم ضرورة الالتزام والامتناع عن كل ما يسيء لهذا التوجه الجديد . ١٠ ــ تصدر اللجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا على الشعب العربي الفلسطيني يوضح هذا اللقاء والالتزامات التي ترتبت عنه » . (المرجع نفسه ص ٦٦) .

في المجلس الوطني الرابع جرت عملية استبدال النظام السابق للتنظيم الشعبي وجاء في مقدمة قرارات التنظيم الشعبي « ... وانتناعا من

المجلس الوطني بالدور البطولي لشعبنا يرى حتمية وضرورة تنظيم صفوف الشعب وحشد طاقاته في وحدة وطنية تصعد بالثورة حتى النصر ... » (ص ٦٧) . وفي القرارات نفسها : « ٣) أ ــ يلتزم المجلس الاعلى بمقررات المجلس الوطني واللجنة التنفيذية فيما يختص بالتنظيم الشعبي ويعمل على تنفيذها بما يحقق الوحدة الوطنية » (ص ٦٩) . وجاءت القرارات المالية منسجمة ايضا مع المنحى التوحيدي الذي أقره المجلس وعكسه في الميثاق الوطني وكافة القرارات الآنفة الذكر (انظر صفحة ٧٢) لقد تجلت ، في المجلس الوطني الرابع ، روح الشعور بالمسؤولية وقناعة المنحى العلمي في توجيه النضال ، ومعاني الفهم المسؤول للعمل الموحد ، والمناشدات الكبيرة من أجل ضرورة الالتزام بالقضايا المتفق عليها . وكان اشتراك كافة المنظمات العاملة شاملا ، مما أعطى لهذا المؤتمر أهمية تاريخية خاصة .

ب ــ المجلس الوطني الخامس (في القاهرة بين ١٩٦٩/٢/١ و ١٩٦٩/٢/٤) ، كانت مناقشات هذه الدورة في اطار المنحى الذي اعتمده المؤتمر السابق ، وقد شاركت فيه تقريبا المنظمات الفلسطينية كافة واعتمدت في قراراتها توصيات وقرارات المجلس الوطني الرابع . وجاء في القرارات العسكرية « ٣ ــ تنفيذ ما ورد في القرارات الصادرة عن المجلس الوطني الرابع بخصوص توحيد القوى المقاتلة الفلسطينية وخاصة ما يتعلق منها بتشكيل قيادة عسكرية واحدة للعمل الفدائي » (المرجع : منظمة التحرير الفلسطينية ، المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة أول شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، وثائق مركز الابحاث ، م.ت.ف. ١٧ ص ٨) كما جاء في البيان السياسي الصادر عن المجلس الوطني الخامس ما يلي : « ان المجلس الوطني الفلسطيني اذ يحقق خطوة أساسية محورية هامة في طريق بناء الوحدة الوطنية القتالية ، يناشد جميع أبناء الشعب الفلسطيني وقواه العاملة الى تعميق الوحدة الوطنية لزيادة قدرات حركة المقاومة وتصعيدها . ولا يسع المجلس الوطني في هذا المجال ، الا أن يؤكد الحقيقة المطلقة : ان السلاح الذي يحمله المقاتلون ، انما يحملونه لتصويبه نحو هدف واحد فقط . هو العدو الصهيوني باعتبار أن التناقض الاساسي في هذه المرحلة هو التناقض مع العدو الصهيوني والاستعمار . وانه يجب أن تتوقف كافة التناقضات الاخرى الداخلية باعتبارها تناقضات ثانوية . » (المرجع السابق ، ص : ٣ من البيان السياسي) .

في الناحية المالية تقرر « ١ ــ التأكيد على القرار الذي اتخذه المجلس الوطني الرابع بتوحيد الجباية المالية وتكليف اللجنة التنفيذية بوضع الخطة اللازمة لتنفيذه ، مع مراعاة أن تؤدي تلك الخطط الى زيادة الموارد المالية . والى أن يتم توحيد الجباية يقوم كل تنظيم فدائي بالانفاق على نفسه ، ويستثنى من ذلك كل تنظيم يحل نفسه ويذوب في قوات التحرير الشعبية . ٢ ــ العمل على توحيد المكافآت الممنوحة لعناصر العمل الفدائي في كافة المنظمات الفدائية . » (المرجع السابق ، ص : ٨)

ج ــ المجلس الوطني السادس (في القاهرة ، بين ١٩٦٩/٩/١ و ١٩٦٩/٩/٦) ، كان موضوع عضوية هذا المجلس أحد المؤشرات في قضية الوحدة الوطنية ، اذ تمت فيه عمليات تثبيت عضوية شملت المنظمات كافة تقريبا ، وبلغ عدد أعضاء المجلس ١١٢ عضوا . في هذا المجال (عضوية المجلس) اتخذ المجلس قرارا « ٥ ــ بتكليف مكتب رئاسة المجلس الوطني واللجنة التنفيذية بمتابعة الحوار مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من أجل المشاركة في أعمال المجلس الوطني ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية » (المرجع : قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة المنعقد بالقاهرة من ١/٩ ــ ١٩٦٩/٩/٦ ، أولا ــ عضوية المجلس ، ص ١ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٤) .

ثم جاء في القرارات التي اتخذت بعد مناقشة تقارير اللجان المحالة الى المجلس ، في الناحية المالية : « ٩ ــ تكليف اللجنة التنفيذية الاسراع في اتخاذ الاجراءات اللازمة لتوحيد الجباية المالية ..... ١٠ ــ تكليف اللجنة التنفيذية المبادرة في توحيد الجباية المالية في الاردن فورا وبموجب الاجراءات التالية : أ ــ يورد كل ما يجمع من المال في الاردن لحساب الصندوق القومي الفلسطيني . ب ــ يضع الصندوق القومي ثلثي حصيلة الجباية الموحدة في الاردن تحت تصرف اللجنة التنفيذية لصرفها على قيادة الكفاح المسلح والقوات المقاتلة الموضوعة تحت تصرفها فعليا من المنظمات الفدائية المشتركة في قيادة الكفاح المسلح والمجلس الوطني ..... » (المرجع السابق : ص ٤)

اما في المجال العسكري وفيما يتعلق بالجانب التوحيدي فكانت القرارات التالية : « ٢٦ ــ اللجنة التنفيذية هي التي تقر عضوية أية منظمة جديدة تطلب الانضمام الى الكفاح المسلح الفلسطيني ، وهي التي تقر انهاء عضوية أية منظمة من المنظمات الاعضاء وذلك بناء على توصية من قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني . ٢٧ ــ تلتزم منظمات الكفاح المسلح الفلسطيني الالتزام الكامل بقرارات وتعليمات وتوجيهات وأوامر قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني . وقد احتوت القرارات من ٢٨ لغاية ٣٦ تفاصيل عديدة في صدد التوحيد ». (المرجع السابق : صفحات ٦ و٧) . في كافة قرارات هذه الدورة « تأكيد الحرص على متابعة الجهود لتحقيق الوحدة الوطنية على الوجه الاكمل لتكون اداة فعالة في تصعيد الكفاح المسلح وتطويره » (وثائق مركز الابحاث ، م.ت.ف. ٧٣ ، ص ٩) .

وكانت التوصيات السياسية لهذه الدورة قد تضمنت : « على الصعيد الوطني ١ ــ لا يمكن للوحدة الوطنية الفلسطينية ان تكون تامة ومنسجمة مع معطيات العلم والتجربة ، الا بتوافر الوحدة والهدف والاسلوب والاداة والمسيرة والقيادة ، ولما كانت منظمة التحرير الفلسطينية تمثل تجمعا للقوى الفلسطينية في جبهة وطنية واحدة من أجل ثورة مسلحة تحرر الارض ولها ميثاقها الذي اتفق عليه وعلى تطويره من خلال التفاعل الحي بين القوى المشتركة فيها ، فان المجلس الوطني يقرر تطوير اللقاء الجبهوي القائم بين منظمات حركة المقاومة الفلسطينية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية الى شكل من أشكال الجبهة القائمة على برنامج عمل محدد (يلاحظ هنا التنبه الى هذه الناحية) ، ويترك للمنظمات حرية الحوار من أجل الوصول الى هذه الصيغة المتقدمة . ٢ ــ لما كان تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية لكافة القوى والعناصر الوطنية يمثل خطوة ضرورية ولا بد من انجازها والمحافظة عليها ، فان من الواجب ان لا يسمح بتحول هذا الشعار الى ستار يحمي القوى الرجعية الفلسطينية المضادة للثورة والنزعات الطائفية والعائلية والفردية والمحلية التي لا بد من تعريتها وعزلها . ٣ ــ يلاحظ المجلس أن هنـاك منظمات تنشأ دون أن يكون لنشوئها مبرر تاريخي فكريا كان أم سياسيا . وهذه الظاهرة تزيد في تفتيت المقاومة المسلحة ، كما ان أي تبني عربي لها ، يزيد المشكلة تعقيدا ، ويمثل خطرا على أمن المقاومة ومستقبل القضية الفلسطينية ، ولذلك يطالب المجلس بوقف تشكيل مثل هذه المنظمات التي لا مبرر لها ، كما يطالب أنظمة الحكم العربية بوقف تبنيها لمثل هذه المنظمات . (توصيات اللجنة السياسية والاعلامية للمجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة ــ وثائق مركز الابحاث ، م.ت.ف. ١٢ صفحات ١ و٢) ، اما في التوصيات الاعلامية فقد ورد : « ح ــ توحيد الاعلام الفلسطيني في جهاز واحد ، والتركيز على الدعوة للقضية الفلسطينية ومنطلقات الثورة » (المرجع نفسه : ص ٦) .

لقد وردت الاشارة سابقا الى أن جهود التوحيد لم تكن فقط في اطار المجالس الوطنية . اذ ان البحث عن الوحدة الوطنية كان محورا لكافة اللقاءات والاجتماعات .

ولعلنا نجد تعبيرا صادقا عن هذه الحالة في البيان الذي أصدرته القيادة الموحدة في السادس من أيار ١٩٧٠ ، وكانت قد تداعت للاجتماع بعد انتهاء الدورة السادسة ، وتحت ضغط التطورات السياسية وخاصة على الساحة الاردنية ، وهذا ملخص ما جاء في البيان الهام : « عقدت جميع فصائل المقاومة المشتركة بالقيادة الموحدة سلسلة من الاجتماعات بعد انتهاء أزمة ١٩٧٠/٢/١٠ للبحث في الوصول الى وحدة وطنية متماسكة مرتبطة ببرنامج عمل سياسي وعسكري يمثل برنامج الحد الادنى الذي تم الاتفاق حوله في مناقشات القيادة الموحدة : في الصيغة التنظيمية : اعتبار منظمة التحرير الاطار العريض للوحدة الوطنية ــ القضايا المتفق عليها يلتزم بها جماعيا والقضايا الاخرى يمارسها كل فصيل ضمن رؤياه مع اعتبار الجماعية فيما يتعلق بأمن الثورة ــ اشتراك الجميع في المجلس الوطني والمؤسسات دون أن يصبح موضوع الحجوم موضوع بحث ــ تشكيل لجنة مركزية تحل محل القيادة الموحدة (اللجنة التنفيذية زائد ممثلين عن المنظمات ورئيس المجلس وقائد الجيش وبعض المستقلين . ثم جرى تثبيت خطوط سياسية عريضة منسجمة مع الميثاق الوطني ومقررات المجالس المتعاقبة ..... » وقعت هذا البيان في عمان اثنا عشرة منظمة بتاريخ ١٩٧٠/٥/٦ . (المرجع : وثائق مركز الابحاث م. ت. ف. ٧٣ : صفحات ١٠ ــ ١٣)]

د ــ المجلس الوطني السابع (في القاهرة بين ١٩٧٠/٥/٣٠ و ١٩٧٠/٦/٤) : كانت الساحة الاردنية تغلي بالتحركات والاحتمالات عندما عقد المجلس الوطني دورته السابعة . وقد انعكس ذلك بشكل جلي على القرارات التي اتخذها المجلس من حيث الموافقة الكلية على بيان القيادة الموحدة الصادر في ١٩٧٠/٥/٦ . الموافقة على تأليف اللجنة المركزية بقرار من المجلس الوطني على الشكل التالي (كما ورد في القرارات السياسية) :

ا ــ رئيس المجلس الوطني ، ب ــ اعضاء اللجنة التنفيذية ، ج ــ القائد العام لجيش التحرير (بحكم مناصبهم) د ــ ثلاثة من المستقلين من اعضاء المجلس الوطني تنتخبهم اللجنة التنفيذية بالتشاور ، هـ ــ مندوب قيادي يمثل كل منظمة من المنظمات الفلسطينية الموقعة على اتفاق ٥/٦ مفوض بكافة الصلاحيات ولا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من بين أعضاء المجلس الوطني . ويكون رئيس اللجنة التنفيذية رئيس اللجنة المركزية . تبقى اللجنة المركزية قائمة ما لم يقرر المجلس الوطني تعديلها أو استبدالها أو حلها . تمثل اللجنة المركزية القيادة العليا للنضال الفلسطيني في الامور التي تطرح عليها وذلك ضمن صلاحياتها وتقوم بما يلي : ا ــ البت في الامور والقضايا العاجلة والطارئة بما لا يتعارض وأحكام الميثاق الوطني الفلسطيني . ب ــ العمل باستمرار على ايجاد صيغ أكثر تقدما وأكثر عمقا واتساعا للوحدة الوطنية . ج ــ متابعة تنفيذ قراراتها وقرارات المجلس الوطني . د ــ مناقشة الامور المطروحة عليها من اللجنة التنفيذية أو أحد أعضائها وتتخذ القرارات الملزمة وفق النظام الداخلي الذي تقرره اللجنة المركزية . (المرجع : قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده السابعة من ٥/٣٠ حتى ١٩٧٠/٦/٤ ، ج. ش. ت. ف. ؛ وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٠٨ ، ص ١) . واحتوت القرارات العسكرية الامور التالية : « الوحدة العسكرية للمقاتلين : ١ ــ تكلف اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بانشاء قيادة عسكرية واحدة للثورة الفلسطينية تتكون من : ا) مجلس عسكري يضم أعلى القيادات العسكرية في التنظيمات والمؤسسات الموجودة في الساحة الفلسطينية . ب) هيئة أركان تنبثق عن المجلس العسكري . ... ٣ ــ توضع القوات العسكرية العاملة في الثورة الفلسطينية تحت تصرف هذه القيادة التي يكون لها الحق في قيادة هذه القوات وتطويرها وتحريكها وتوجيه عملياتها » . وتلا ذلك سلسلة من القرارات التوحيدية العسكرية . (المرجع

السابق : ص ٤) ، وايضا قرارات تؤكد ضرورة التوحيد المالي) المرجع السابق : ص ٦) . وكان بيان رئيس المجلس الوطني قد أشار الى محاولات التوحيد التي تمت في المجالس وخارجها (قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني والقيادة الموحدة ...) مستخلصا في النقطة (٨) من بيانه : « وها نحن اليوم ، نعقد الدورة السابعة للمجلس الوطني الفلسطيني ، وقد قررت جميع المنظمات القائمة المشاركة في أعمال هذه الدورة ، التي سيكون في مقدمة أعمالها ولا ريب ، دراسة الاسباب التي حالت دون تنفيذ كثير من القرارات التي سبق أن قررها المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته السابقة ، خصوصا تلك القرارات المتعلقة بتوحيد الجهود السياسية والعسكرية والمالية ، والاعلامية ووضع الخطط اللازمة لحماية الثورة الفلسطينية ، ولمواجهة الحلول التصفوية ولتعبئة الطاقات والامكانات الفلسطينية والعربية ولتحقيق الوحدة الوطنية .... » (المجلس الوطني الفلسطيني ــ الدورة السابعة ــ بيان رئيس المجلس حول تقييم المرحلة التي يمر بها العمل الفلسطيني ــ وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ص ٣) ثم عدد الاخطار وابرزها : « ج ــ تعدد المنظمات ... ، د ــ قيام تناقضات بين القوى المتعددة .... هـ ــ عدم الانضواء تحت قيادة واحدة ... » (المرجع السابق : ص ٤) قائلا : « أن مجرد الاتفاق النظري ، لم يعد كافيا لتحقيق ما يطلبه شعبنا ، كما أن مجرد اللقاءات لم يعد كافيا لتحقيق ما تنشده جماهيرنا ، ولا بد من توفر الثقة ، ونبذ العصبيات التنظيمية الضيقة ، ومواجهة الموقف بتجرد ، ونزاهة ، واخلاص . » (المرجع نفسه : ص ٥) . وجاء في المقترحات التي قدمها رئيس المجلس والحقها ببيانه ضرورة اصدار قرار « يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني ضرورة المباشرة فورا لتوحيد العمل الفلسطيني في جميع المجالات ، وخصوصا في المجالات العسكرية ، والسياسية ، والمالية ، والاعلامية ، ويدعو اللجنة التنفيذية الى اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ ذلك » . وقدم جملة مقترحات أخرى تدعو للتوحيد واخضاع التناقضات لصالح التناقض الرئيسي (انظر المرجع السابق ــ المقترحات صفحات ٣ ، ٤ ، ٥ و ٦) .

وفي بيانها امام المجلس استعرضت اللجنة التنفيذية نشاطاتها على الصعيدين العربي والدولي وعدد من المخاطر المحدقة بالثورة والتحديات التي تواجهها ثم خلصت الى القول « ... وعلى هذا الاساس فان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تؤكد لكم أن الوحدة الوطنية شرط اساسي من شروط نجاح مرحلتنا القادمة ويتوقف عليها مستقبل واستمرار هذه الثورة . ومع ان المنظمة حققت خلال المرحلة السابقة خطوات في مجال هذه الوحدة لا يجوز اغفالها واستطاعت أن توفر اطارا شكليا للقاء القوى العاملة في الساحة ، كما أن قيادة الكفاح المسلح تمثل الحد الادنى للتنسيق الا أن هذا الحد لم يعد مقبولا لدى الجماهير ، هذه الجماهير التي ادركت بحسها السليم ان الانتقال الى مرحلة جديدة من الكفاح المسلح يقتضي خلق صيغ للوحدة الوطنية أقوى فعالية وأشد تماسكا ، فعندما حلت أزمة ١٠ شباط في الاردن لم تجد القيادات الفلسطينية بدا من الاجتماع والتداول في اسلوب مواجهة تحديات مرحلة جديدة ، فالتقى تحت صيغة القيادة الموحدة لحركة المقاومة جميع الفصائل التي تمثلونها ..... لنسير على الدرب اخوة في السلاح رفقاء عمل واحد وتنظيم واحد وأمل واحد ومصير واحد » (المرجع : المجلس الوطني الفلسطيني الدورة السابعة ، القاهرة أيار ١٩٧٠ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٨ ، ص ١٠ و ١١) .

[مباشرة بعد انتهاء دورة المجلس الوطني السابع تحركت السلطة الاردنية لضرب حركة المقاومة (في ٧ حزيران ١٩٧٠) ، اجتمعت اللجنة المركزية اجتماعا طارئا دعت

على اثره المجلس الوطني لعقد دورة استثنائية في عمان لبحث الموقف واتخاذ القرارات المناسبة لحماية الثورة والقضية الفلسطينية من التصفية . انعقد المجلس الوطني في عمان بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٧ . واتخذ قرارات اكد فيها على قراراته السابقة برفض قرار مجلس الامن وكافة المشاريع الاستسلامية ، واكد على وحدة الساحة الاردنية — الفلسطينية ، وعلى حق المجلس في تمثيل الشعب الفلسطيني الرافض للاستسلام . وقرر « أ — ان وحدة القيادة ووحدة التحرك النضالي لجميع فصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة شرط أساسي هام للنجاح ولاحباط المشاريع والخطط التصفوية لذلك يجب ان تعزز صلاحيات اللجنة المركزية وكافة القيادات والاجهزة التي تتوحد من خلالها جميع فصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة وبصفة خاصة القيادة العسكرية التي يجب أن تصبح قادرة على السيطرة والقيادة للقوات المسلحة لكافة المنظمات وتحريكها بشكل مركزي فعال »... (المرجع : وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٧٣ ص : ٢٠) بالاضافة الى جملة من القرارات السياسية الهامة .]

هـ — المجلس الوطني الثامن (في القاهرة بين ١٩٧١/٢/٢٨ و ١٩٧١/٣/٥) .

(يجدر التذكير هنا ، اننا في متابعتنا للمجالس الوطنية المتعاقبة ، نركز فقط على ابراز القرارات والتوصيات المتعلقة بقضية الوحدة الوطنية دون التوغل في الجوانب الاخرى ، ذلك بهدف ابقاء الدراسة ضمن اطارها المرسوم ، ربما كان من المفيد أن يتم ، في دراسة أخرى ، الاطلال على الكيفية التي عالج بها الفلسطينيون ، في مجالسهم الوطنية ، جوانب نضالهم المتعددة) .

تندرج دورة المجلس الثامن تحت المؤتمرات الفلسطينية ذات الاهمية (من حيث المشاريع والبرامج الشاملة سياسيا وتنظيميا) ، اذ انها نجحت في ارساء برنامج عمل سياسي وتنظيمي للثورة الفلسطينية ، وكذلك عقد في اطسار هذه الدور مؤتمر وطني أردني — فلسطيني (في ١ و ١٩٧١/٣/٢) ، دعت اليه المقاومة بهدف ارساء قاعدة لوحدة وطنية في الاردن بعدما آلت اليه الاوضاع هنا في ايلول ١٩٧٠ وبعد ذلك . وايضا كانت حصيلة مناقشات ومقررات هذه الدورة نغمة « ... وتحقيقا لذلك ، قرر المؤتمر توحيد النضال الفلسطيني سياسيا وعسكريا وماليا واعلاميا في اطار منظمة التحرير الفلسطينية » ، طبعا « على اساس الالتزام بالميثاق الوطني الفلسطيني ، وبمقررات المجلس الوطني في دوراته المتعاقبة ، وبالبرنامج السياسي الذي اقره المؤتمر في هذه الدورة » .

جاء في برنامج العمل السياسي : « على الصعيد الفلسطيني ١ — ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد لجماهير الشعب العربي الفلسطيني بمختلف منظماته المقاتلة والسياسية ، وبجميع هيئاته واتحاداته وجمعياته مهما تكن أتجاهاتها وأفكارها شريطة التزامها التام بمبادىء الميثاق الوطني الفلسطيني وقرارات الاجهزة التشريعية والتنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبالبرنامج السياسي والعسكري واللائحة الداخلية للمنظمة ، قدر التزامها ايضا بالنضال في سبيل تحرير كامل التراب الفلسطيني ، وعودة الشعب الفلسطيني الى وطنه ، ولا يجوز على الاطلاق استبعاد اي فرد أو فريق من عضوية المنظمة ، الا في الحالات التي تمس أمن الثورة أو تشكل خروجا على مبادىء الميثاق الوطني ..... » (المرجع : برنامج العمل السياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية ، كراس « فتح » ناطقة بلسان اللجنة المركزية للمنظمة صفحات ٦ و ٧ ، أنظر ايضا وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٥٨ ، ص ٢) ... « طبيعة الثورة الفلسطينية ١ — .... وهذا يعني ان الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وفئاته وسائر منظماته وجماعاته على اختلاف أفكارها ومبادئها ، مدعو الى الانخراط صفا واحدا متماسكا في ثورته الوطنية المسلحة ... » (المرجع السابق ، ص ٩) .

واحتوى البرنامج التنظيمي الاحكام التالية : « مبادىء عامة : تقوم الوحدة الوطنية على الاسس التنظيمية التالية : اولا : منظمة التحرير هي الاطـار الذي يضم كافة القوى الثورية الفلسطينية ..... تقوم القيادة بوضع خطة عامة موحدة للعمل الفلسطيني على مختلف مجالاته يصير تنفيذها من خلال مؤسسات المنظمة التي تضم كافة أدوات الثورة . ثانيا : تشترك كل المنظمات الفدائية والقوى المقاتلة والهيئات والاتحادات والشخصيات الوطنية في الوحدة الوطنية ..... ثالثا : ان الاندماج بين المنظمات الفدائيـة ذات الايديولوجيـة الواحدة او المنطلق الفكري السياسي الواحد في منظمة واحدة هو ضرورة وطنية ، والى أن يتحقق ذلك فان من حق كل منظمة أن تحافظ على وجودها التنظيمي على أن تحل كافة مؤسساتها الاخرى وتدمج جميع هذه المؤسسات في منظمة التحرير . يراعى في المؤسسات التشريعيـة للمنظمة وفي المؤسسات التنفيذية العليا الالتزام بقاعدة المركزية الديموقراطية والقيادة الجماعية والتزام الاقلية بالقرارات التي تصدرها الاكثريـة ..... رابعـا : يضع المجلس الوطني استراتيجية مرحلية ، سياسية وعسكريـة واعلامية ومالية ملزمة للجميع . خامسا : تشكل قيادة تتولى مسؤولية قيادة النضال الفلسطيني في كافة أوجهه ومجالاته . سادسا : الالتزام بقرارات القيادة شرط اساسي لوحدة المسيرة . » (المرجع السابق : صفحات ٢٠ ــ ٢٣ ، وايضا وثائق مركز الابحاث ، م.ت.ف. ٥٧) أما الهيكل التنظيمي فقد أرفق بالبرنامج التنظيمي متخذا الشكل التالي : « ١ ــ مجلس وطني ، ٢ ــ لجنة مركزيـة ، ٣ ــ المكتب السياسي ، ٤ ــ الاجهـزة والمؤسسات والدوائر والمكاتب ، ٥ ــ قيادة عسكريـة للثورة الفلسطينيـة ، ٦ ــ الصندوق القومي » . وتحت باب مهام القيادة العسكرية وردت جملة أحكام توحيدية ، وفي باب الصندوق القومي جرى تأكيد على توحيد مالية الثورة الفلسطينية . (المرجع السابق صفحات ٢٤ ــ ٢٨ ، وايضا وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ٥٧) . لم يكن بلوغ هذه القرارات عملية سهلة علـى العمل الفلسطيني ، لقد جاءت بعد مخاض طويل وتجارب متراكمة ومناقشات واختلافات لا حد لها ولا نهاية .

و ــ المجلس الوطني التاسع (في القاهرة بين ١٩٧١/٧/٧ و ١٩٧١/٧/١٣) : مرة أخرى اعتبرت مشاركة الفصائل كافة في هذا المجلس مؤشرا بارزا على طريق الوحدة الوطنية . « لقـد جاء تكوين المجلس حسب القرار المتخذ في الدورة الثامنة ، بحيث تمثلت فيه جميع الفصائل المقاتلة للثورة الفلسطينية بواقع ٨٥ عضوا ، والنقابـات والاتحادات المهنية بواقع ٢٦ عضوا ، وأصحاب الكفاءات الفكرية والاختصاصية بواقع ٤٤ عضوا ، وبذلك جاء ملبيا لارادة الشعب الفلسطيني في الوحدة الوطنية » . (المرجع: المجلس الوطني الفلسطيني ــ الدورة التاسعة ــ من ٧ ــ ١٣ تموز (يوليو) ١٩٧١ ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٢٥ ، ص ٨) . يبدو أنه ، تحت ضغط الاحداث الجسيمة التي كانت تعيشها المقاومة ، (خاصة في الاردن في ذلك الحين ، حيث بدأت تتفاقم هجمة السلطة الشرسة على بقايا المقاومة في أحراش جرش وعجلون) . حدث ارتفاع شاهق في حرارة الدعوة الى الوحدة الوطنية ، وانصب تقريرا اللجنة التنفيذية حول هذا الموضوع خاصة تقرير رئيس اللجنة ، حيث قال « ... لا خيار أمامنا ، في سبيل انجاح ثورتنا وتحقيق وحدة اداتها ، الا الطريق الديموقراطي لهذه الوحدة ، وان المجلس الوطني في دورته هذه ، بتمثيله لكافـة القوى الفلسطينية ، قد حقق الجبهة الوطنية العريضة التي تتسع لكافة القوى الوطنيـة والثوريـة في مرحلـة التحرر الوطني » . (المرجع السابق ، ص ١٢) كما تركز النقاش الذي دار حول تقرير اللجنة التنفيذية وتقرير الصندوق القومي ، على أهمية وضرورة الوحدة الوطنيـة وتحقيقها بسرعة وبالاسلوب الديموقراطي . ولاول مرة في مؤتمرات المرحلـة الثانيـة التي نستعرضها تتألف لجنة خاصة بالوحدة الوطنية (أي ان المؤتمر التاسع كان أول مؤتمر

تشكلت فيه لجنة خاصة لمناقشة قضية الوحدة الوطنية) ، مع العلم ، وكما اتضح معنا من الاستعراض حتى الآن ، ان هذه القضية اخذت مداها الكامل من حيث المناقشات والقرارات . أما فيما يتعلق بتوصيات اللجنة فقد اتخذ المجلس القرار التالي : « رد توصيات لجنة الوحدة الوطنية والاستعاضة عنها بالبرنامج السياسي والهيكل التنظيمي الذي أقره المجلس في دورته الثامنة ، وطلب المجلس من اللجنة التنفيذية القادمة تطبيق البرنامج السياسي بحرفيته ، كما طلب اليها الغاء كل المؤسسات والمظاهر التي تتنافى والوحدة الوطنية او التي تثبت التعدد ، وذلك بشكل فوري » (المرجع السابق : ص ١٥) ، وكانت توصيات اللجنة قد تضمنت توصيات في صدد « اعتماد صيغة الوحدة الجبهوية على المستوى السياسي ابتداء من العضوية في المجلس الوطني وانتهاء باللجنة التنفيذية . وتشكيل لجنة مركزية تنبثق عن المجلس الوطني تكون ابرز مهماتها تمثيل المجلس الوطني اثناء غيابه في حالة انعقادها . وكذلك بعض الاحكام في انعقاد ومهمات وكيفية تشكيل هذه اللجنة » . (المرجع : المجلس الوطني — الدورة التاسعة ، وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٠١ ، ص ٢) . أما في القرارات الاعلامية فقد جاء « أولا : العمل على خلق جهاز مركزي لاعلام الثورة الفلسطينية يكون من حقه ممارسة التخطيط المسبق والرقابة اللاحقة على كل النشاطات والاجهزة الاعلامية الثقافية الفلسطينية بما يمكن هذه الاجهزة مجتمعة من أن تبلور رأيا عاما موحدا ومتماسكا ازاء القضية الفلسطينية ... ثم سادسا : يقرر المجلس التركيز الشديد على ضرورة توحيد جميع وسائل اعلام الثورة ، بحيث تعكس صوت الثورة قويا موحدا » . (المرجع : وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٢٥ صفحات ٢٧ و ٢٨) . وكذلك فقد احتوت القرارات في المجال العسكري تأكيدا على قضية الوحدة وأحكاما عديدة في صددها .

ز — المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الاستثنائي العاشر (في القاهرة بين ٧٢/٤/٦ و ١٩٧٢/٤/١٢) : بسبب كون هذه الدورة للمجلس الوطني عقدت فقط لاقرار ومباركة انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، فان الامر الذي طبع المناقشات والابحاث هو اجواء المؤتمر الشعبي نفسه . وايضا نظرا للظروف العامة التي عقد في اطارها المؤتمر الشعبي فان حدة المناشدة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية ارتفعت بشكل شديد . وبرغم ان الانجاز الاساسي للمؤتمر الشعبي كان الاتفاق على برنامج سياسي موحد رفع كتوصية للمجلس الوطني (وقد لخصنا محتوياته في مقدمة هذه الدراسة) فان دعوة الوحدة الوطنية كانت مهيمنة على اجواء المؤتمر . وشهدت مناقشات لجنة الوحدة الوطنية حيوية وحوارات على درجة كبيرة من الاهمية . يمكننا تلخيص التوصيات في هذا الصدد على الشكل التالي : « ان لجنة الوحدة الوطنية .. ترى ان الظروف الراهنة تحتم ... ضرورة الوصول الى صيغة متقدمة للوحدة الوطنية الفلسطينية يبدأ تنفيذها فورا وعلى مراحل ... واللجنة تعرب عن أسفها واستيائها من عدم تنفيذ معظم قرارات المجالس الوطنية السابقة المتعلقة بالوحدة الوطنية ومن عدم تحقيق اية خطوات فعالة في هذا المجال ... وتوصي : اولا اعتبار الخطوط الاساسية التي تضمنها مشروع البرنامج التنظيمي لتوحيد فصائل الثورة الفلسطينية الذي أعده مركز التخطيط .... اساسا لوضع برنامج عملي ومرحلي لتحقيق وحدة فصائل الثورة وقوى الشعب الفلسطيني في منظمة التحرير .. وفق الاسس التالية : تشكيل الهيئات القيادية على أسس جبهوية — توحيد جميع القوات المسلحة في مؤسسة عسكرية واحدة ... يتم التوحيد الكامل لجميع مصادر الجباية وجميع مجالات الصرف ... — يتم توحيد أجهزة الاعلام ووسائله ... في جهاز مركزي واحد ... — يتم توحيد جميع أجهزة العلاقات الخارجية ... — تشكيل لجنة لدراسة الاوضاع التنظيمية في الوطن المحتل والاردن لوضع الصيغة الملائمة للتوحيد ضمن الظروف

النضالية والامنية ... ــ يحتفظ كل فصيل باستقلاله الايديولوجي والتنظيمي الداخلي .. ثانيا : ــ تعلن فصائل المقاومة فورا الوحدة الوطنيـــة وفق الاسس العامة .. خامسا : ينتخب المجلس من بين أعضائه لجنة لمتابعة تنفيذ القرارات الوحدوية ... على ان تبدأ خطوات التنفيذ في فترة لا تتعدى الثلاثة اشهر الخ .... » (المرجع : وثائق مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٣٧ ، صفحات ٧٢ ــ ٧٥ .)

(ولقد نشرت « شؤون فلسطينية » تقريرا عن أعمال لجنة المتابعة في العدد ١٣ صفحة ٨٣ ، كما ان لجنة المتابعة قدمت تقريرا شاملا عن أعمالها أمام المجلس الوطني العاشر في القاهرة بتاريخ ١٩٧٣/١/٦) .

خـــاتمة :

مـــا تقـــدم يمثـــل قليـــلا من كثير ، يمثـــل جزءا مـــن الجهود المضنيـــة من أجل تحقيق الوحـــدة الوطنية ، هنـــاك مواقف المنظمـــات وبيـــاناتهـــا حـــول هـــذا الموضوع ، هنـــاك الاجتماعـــات واللقاءات الثنائية وغيرها ، وهناك الجهـــــود تتعثر ولا نلمس آثار أي تقدم يذكر على صعيد الواقع . انها ليست لعنة مكتوبة على العمل الفلسطيني أن لا يتوحد ، ولا هي حتمية تاريخ ، ولا هي نوايا تآمرية مركزة وشديدة الاثر ، انها باختصار قضية ارادة من جهة ، وقضية ايجاد الاسلوب الصحيح من جهة ثانية . ولا يمكن أن تعبر عن ارادة حقيقية كافة المناورات والمزايدات ، ولا يمكن أن يكون الاسلوب الصحيح بالمناشدات والضغوطات العاطفية . ان قيام الجبهة الوطنية الصلبة المقاتلة في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي ، عملية تاريخية ، ولا يمكن أن تكون مقاربتها الا في مستوى تاريخي . ان محاولة تعريف الوحدة وتحديد أسباب تعثرها ، التي تمت في مقدمة هذه الدراسة ، قد تعين في بلورة الارادة وبلوغ الاسلوب الصحيح . ان تثبيت هذا الامر لا ينفي مطلقا الادراك العميق بأن لا بديل عن جبهة وطنية فلسطينية في مرحلة نضالنا الراهنة ، ولا مجال لسحب رؤوسنا من عملية المناطحة والمحاولة من أجل اجتراح معجزة الوحدة الوطنية . لن نحقق النصر الذي نؤمن به مع اكتمال شروط النصر ، الجبهة الوطنية تعتبر من الشروط الاساسية بعد أي تحليل .

دليل حركة المقاومة الفلسطينية

غازي خورشـــيد

من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

(ص. ب ١٦٩١ ــ بيروت)

٢٨٢ صفحة من القطع الكبير

٨ ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في ســـائر الدول .

بناء امبريالية جديدة : اسرائيل والضفة الغربية

شيلا ريان

بعد أن ضاعفت حرب حزيران عام ١٩٦٧ المساحة التي تخضع لسيطرة اسرائيل اكثر من ثلاث مرات ، حصل نقاش في اوساط الطبقة الحاكمة الاسرائيلية حول كيفية التصرف بالمناطق المحتلة حديثا . فبالنسبة للبعض ، مثل الوزير بنحاس سابير ، كانت الاراضي المحتلة تشكل حصان طروادة يضم مليون عربي هدفهم « تدنيس » يهودية دولة اسرائيل وحضارتها . واذا حاولت اسرائيل ابتلاع المناطق الجديدة فانها ستختنق . وبالمقابل ، فان انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة ذات الكثافة السكانية العربية الكبيرة لا يعني تنازلها عن اي شيء ، بل يعني « تحررها من عبء » كما تقول جماعة « اسرائيل الصغيرة »(١) .

ويتفق هذا الرأي تماما مع الاستعمار الاستيطاني الغريب في نوعه الذي بنيت دولة اسرائيل على أساسه . فبعكس المستعمرين الفرنسيين في الجزائر والبريطانيين في روديسيا — الذين استولوا على مساحات شاسعة من الاراضي واعتمدوا على العمال الوطنيين الذين يشتغلون بأجور زهيدة من أجل جعل زراعتهم مربحة — قام الصهاينة بتمويل محصولهم الزراعي ، على أرض معزولة عن الفلاحين الفلسطينيين ، من التبرعات الصهيونية الضخمة من الخارج . وقاموا أيضا بتشغيل العمال الزراعيين اليهود وطرد معظم العمال الفلسطينيين عام ١٩٤٨ . وتذكرت جماعة « اسرائيل الصغيرة » ايام حملات « العمل العبري » ، اثناء الانتداب البريطاني ، عندما جرت مقاطعة اليد العاملة العربية من أجل بناء (وحماية الوضع الجيد) للطبقة العاملة اليهودية .

وكان هذا النوع من الاستعمار فعالا جدا ، لسوء الحظ ، من حيث تمكين المستوطنين من غرس جذور عميقة وتثبيت أنفسهم بمتانة في فلسطين . ومنذ انشاء اسرائيل ، اعتمد الصهاينة على المساعدة العسكرية الاميركية والغربية الاخرى من أجل المحافظة على ابقاء اسرائيل دولة يهودية بحتة .

ولكن انتصار اسرائيل عام ١٩٦٧ شكل بداية النهاية بالنسبة لسيطرة هذا النوع من الصهيونية ، ووضع أساس نوع جديد من الامبريالية الذي حدده ابا ايبان بقوله ان اسرائيل ترغب في أن تكون علاقتها بالدول العربية كعلاقة الولايات المتحدة بأميركا اللاتينية(٢) .

ومنذ نشوء اسرائيل ، قامت الدول المجاورة بعزلها تجاريا ضمن اطار المقاطعة العربية التي شكلت قيدا قاسيا على الاقتصاد الاسرائيلي . وكما أشارت دراسة حديثة لمؤسسة راند « ان الاسواق الاكثر طبيعية لاسرائيل هي الدول العربية » ، ولكن اسرائيل أجبرت

أساسا على التجارة مع العالم الصناعي : تذهب ٧٠٪ من صادراتها الى أوروبا الغربية واميركا الشمالية (٣). وهناك عدة عقبات هامة تقف في وجه استمرار نمو الصادرات الاسرائيلية الى الدول الرأسمالية المتقدمة . فالحمضيات التي كانت تشكل عام ١٩٥٠ نصف الصادرات الاسرائيلية اصبحت اليوم تشكل ١٥ ٪ منها فقط . واذا اخذنا بعين الاعتبار مشاكل المنافسة في الاسواق الاوروبية ونضوب الارض الخصبة ومصادر المياه، لا يبقى سوى نسبة ضئيلة من نمـــو صادرات الحمضيات الاسرائيليـــة على المدى البعيد(٤). والالماس المصقول ، احد الصادرات الاسرائيلية الرئيسية (شكل اكثر من سدس مجموع صادرات اسرائيل عام ١٩٦٨ ، اي ١٩٤ مليون دولار) « أصبح عاملا مهيمنا في السوق العالمي ولكن من المتوقع ايضا ان تقل نسبة نموه في المستقبل »(٥). كما ان الصادرات الصناعية الاسرائيلية الرئيسية ـــ الورق ، الخشب ، الاسمنت ، العجلات ، وغزل القطن ـــ لم تنم الا قليلا في السنوات الاخـــيرة بسبب « المنافسة الحادة في السوق العالمي ، والتي كان بعضها مع الدول النامية ... اما اهم عامل في نمو تلك الصادرات في الماضي فكان تشجيعها بوسائل اصطناعية مثل المعاهدات التجارية الثنائية ، ونسب التبادل العالمي ... والاتفاقيات التي تشكل حماية للسوق المحلي . ولكن هذه الحماية خفت مع مرور الزمن ... »(٦). والصادرات ذات اهمية حيوية بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي لانه يعتمد الى حد كبير على الواردات ، وخاصة العسكرية منها . وتقع اسرائيل تحت عجز هائل في ميزان المدفوعات يبلغ بليون دولار تقريبا في السنة .

وكأي اقتصاد رأسمالي آخر ، يسير الاقتصاد الاسرائيلي بحافز الربح . كما ان توفير مستوى معيشة عال أمر ضروري جـــدا بالنسبة لليهود الاوروبيـــين في اسرائيل لان المهاجرين الاوروبيين (وخاصة المهاجرين الروس حاليا) لن يبقوا في اسرائيل الا اذا قدمت لهم مستوى معيشة غير واقعي ومرتفعا بالنسبة لاقتصاد الشرق الاوسط . فقد توقف تدفق المهاجرين غير المهرة من شمال افريقيا وآسيا الى اسرائيل ، وبالتالي تجد اسرائيل نفسها مضطرة لطرق ابواب جديدة لكي تجد الناس الذين يقبلون القيام بالاعمال التي تحتقرها الطبقة المميزة في اسرائيل . وان هذا العامل بالاضافة الى البحث عـــن الاسواق يشكلان حافزا لدمج اقتصاد المناطق المحتلة حديثا بالاقتصـــاد الاسرائيلي . وعندما ترددت غولدا مائير في السماح بتشغيل ابناء الضفة الغربية في اسرائيل ، كتب اسرائيلي غاضب في جريدة **هاآرتس** ، « اذا كانت السيدة مائير تشعر بمتعة من رؤية العمال العبريين ينضحون عرقا في أيام الصيف الحارة فهذا شأنها . ولكن لا يمكن ان يصبح هذا هو المقياس الوطني الذي نستعمله لاقناع الجمهور بأنه لا يجب علينا دمج اقتصاد الضفة الغربية ... ان كل أم يهودية تريد أن ترى ابنها ينهي الدراسة الثانوية والجامعية ويصبح كيماويا ، او مهندسا ، أو فنيا ، أو على الاقل سمكريا مدربا . من الذي يدرب الشبان الصغار اليوم على المهام البسيطة مثل نقل اوعيـــة الاسمنت او الاسفلت لتعبيد الطرق ؟ لا بد ، خلال الوقت ، ان نحتاج الى العمال العرب للبنـــاء والزراعة والصناعة . والمهاجرون الجدد الذين يفدون كل عام يمتلكون حرفا أبعد ما تكون عن تلك المهام البسيطة »(٧).

ويشكل هذان العاملان الاقتصاديان ـــ الرغبة في الاسواق القريبة المربحة واليد العاملة الرخيصة ـــ أساس سياسة موشي دايان فيما يتعلـــق بالاراضي المحتلة . فقد نقلت صحيفة **نيويورك تايمز** عن دايان قوله : « ان الحل الممكن الوحيد الذي تقبله اسرائيل يجب ان يعتمد على علاقة مسالمة وعلى التبادل التجاري بين اسرائيل وجيرانها العرب». واضاف انه يجب زيادة التعـــاون الاقتصادي بين اسرائيل والمناطق المحتلة اذا كانت ادارة هذه المناطق ستتم بشكل مربح(٨).

تأثيرات الاحتلال : ان تصور موشي دايان لحكومة الضفة الغربية هو ان تقوم هذه الحكومة بالاندماج الاقتصادي مع اسرائيل والابقاء على منفذ اقتصادي الى الضفة الشرقية (الاردن) ، على ان تتولى الزعامات التقليدية الامور الادارية ، وان يؤجل اتخاذ قرار حول مستقبل الوضع السياسي للضفة الغربية(٩).

وقد تم في أقل من خمس سنوات من الاحتلال اعادة توجيه اقتصاد الضفة الغربية بشكل جذري بعيدا عن الضفة الشرقية وباتجاه اسرائيل . فقبل الحرب ، لم تشتر الضفة الغربية طبعا ، كسائر العالم العربي ، اية بضائع من اسرائيل . ولكن حصة اسرائيل من واردات المناطق المحتلة بلغت ٧٦ ٪ عام ١٩٦٨ ، و٨٠ ٪ عام ١٩٦٩ ، وارتفعت الى ٨٦ ٪ عام ١٩٧٠(١٠).

وقد قالت وزارة الدفاع الاسرائيلية في تقريرها ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** : « في الواقع ، ان حرب الايام الستة قد ادت الى ازالة «الخط الاخضر» الذي كان يفصل اسرائيل عن المناطق التي تديرها حاليا، ومن الطبيعي والمحتم ان تعتمد هذه المناطق الآن على اسرائيل في كل الخدمات والمسائل الاقتصادية »(١١). ولكن تشدد اسرائيل في منح رخص الاستيراد عبر نهر الاردن هو المسؤول — وليس التوجه الطبيعي — عن تدني حصة الضفة الشرقية من صادرات المناطق المحتلة من ٨ ٪ عام ١٩٦٨ الى ٤ ٪ عام ١٩٧٠(١٢). وان ضآلة هذه النسب تدهش أكثر عندما نعلم ان كل واردات الضفة الغربية ، قبل حرب حزيران ، كانت تأتي عبر نهر الاردن — البضائع الاجنبية، والبضائع الصناعية ، وكمية كبيرة من الحبوب والقطعان — من الضفة الشرقية نفسها .

وكان سوق منتجات الضفة الغربية الزراعي والصناعي ، ما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ، يقع عبر النهر . ففي النصف الثاني من عام ١٩٦٨ كانت الضفة الشرقية ما تزال تستورد ٧٩ ٪ من صادرات المناطق المحتلة ، ولكن التدني منذ ذلك الحين كان كبيرا : من ٤٧ ٪ عام ١٩٦٨ الى ٤١ ٪ عام ١٩٧٠(١٣). وقد ارتفعت حصة اسرائيل من صادرات الضفة الغربية ، في الوقت نفسه ، من لا شيء قبل الحرب الى ٤٠ ٪ عام ١٩٧٠(١٤). وقد وصفت وزارة الدفاع الاسرائيلية هذا الوضع ببلاغة في تقريرها عن **التنمية والوضع الاقتصادي في يهودا والسامرة وقطاع غزة وشمال سيناء** ، حين قالت : « تعتبر هذه المناطق سوقا مكملا للبضائع والخدمات الاسرائيلية من ناحية ، ومصدر عوامل انتاجية — وخاصة اليد العاملة — للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية اخرى »(١٥).

وتزداد أهمية المناطق المحتلة كسوق للاقتصاد الاسرائيلي بشكل مضطرد : فقد صدرت اسرائيل ، عام ١٩٦٩ ، ٩ ٪ من مجموع صادراتها الى المناطق المحتلة . ويشكل هذا الرقم زيادة ١٢ ٪ عن رقم السنة السابقة(١٦). وفي الوقت الذي تقوم فيه اسرائيل بزيادة أسواقها في المناطق المحتلة ، تقوم أيضا باستخراج المزيد من « العوامل الانتاجية » . كما ان سياسة اسرائيل في احتلال الضفة الغربية تهدف الى اعادة تنظيم اقتصادها بحيث يمكن استخراج « المزيد من العوامل الانتاجية » منها في المستقبل . ونتيجة لذلك ، تأخذ الضفة الغربية يوما بعد يوم ، من حيث التوظيف والزراعة والصناعة ، شكل مستعمرة اسرائيلية .

التوظيف : ان ابرز السياسات الاقتصادية الاسرائيلية التي تهدف الى استعمار الضفة الغربية ، هي سياسة تشغيل عمال الضفة الغربية في اعمال يدوية بأجور زهيدة في اسرائيل . فقد تم عام ١٩٧١ تشغيل خمس (١/٥) القوى العاملة للضفة الغربية في اسرائيل (هذا غير العمال الصناعيين للضفة الغربية الذين توظفهم اسرائيل بطريقة غير مباشرة في تلبية احتياجات الصناعة المحلية)(١٧). راجع جدول رقم ١ .

ويرجع قرار الحكومة الاسرائيلية بالسماح بتشغيل عمال الضفة الغربية وغيرها من

المناطق المحتلة في اسرائيل الى وجود نقص في القوى العاملة كان يهدد امكانية توسع الاقتصاد الاسرائيلي . فقد عارضت سلطات التخطيط الاقتصادي الاسرائيلية ، في تموز ١٩٦٧ ، تشغيل عمال المناطق المحتلة لانها تخشى ازدياد البطالة بين الاسرائيليين(١٨) .

جدول رقم ١

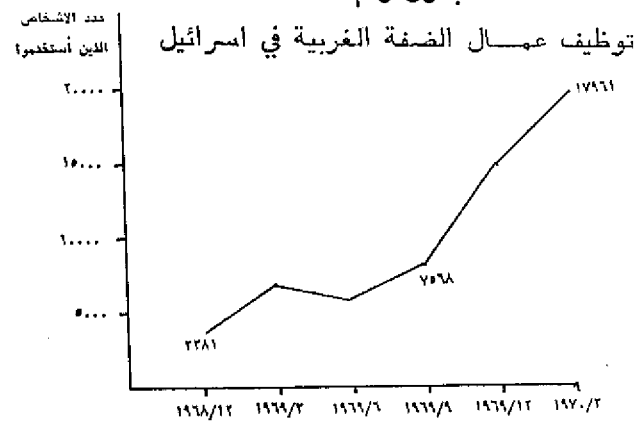

المصدر : منسق عمليات الحكومة في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، حزيران ١٩٧٠ ، ص ١٦ .

وقد قام موشي دايان بتعديل الخطة بعد عام وتم اقرارها بسبب النقص في القـــوى العاملة وبسبب حاجة الاقتصاد الاسرائيلي للمزيد من العمال . وحتى في ذلك الحين ، أصرت وزارة العمل على «التأكيد على ان ذلك لن يؤثر على المواطنين الاسرائيليين»(١٩) . وفي الحقيقة فقد زودت الضفة الغربية والمناطق المحتلة الاخرى الاقتصاد الاسرائيلي ، بالعمال الذين كان يحتاج اليهم للتوسع الذي تم بعد الحرب . وقد ورد في وثيقة لوزارة الدفاع ما يلي : « ... تشكل المناطق خزانا من القوى العاملة للاقتصاد الاسرائيلي : وكانت زيادة عدد العمال من المناطق المحتلة عام ١٩٦٩ تعادل خمس زيادة مجموع الاشخاص المستخدمين في اسرائيل من كل المصادر . وقد انخفض عدد الاسرائيليين ـــ من اليهود وغير اليهود ـــ المشتغلين بالزراعة عام ١٩٦٩ بنسبة ٢٫٥ ٪ وتم ملء الفراغ بعمال من المناطق المحتلة : وقد ارتفع عدد العاملين في المجال الصناعي ٦ ٪ وجاء ربع الزيادة تقريبا من المناطـــق المحتلة **وفي مجال البنـــاء شكلت زيـــادة القوى العاملة من المناطق المحتلة اكثر من نصف مجموع الزيادة** في عدد العاملين في هذا الحقل، ورافقتها عملية انسحاب خطيرة للعمال اليهود من قطـــاع البناء »(٢٠) . (نحن اضفنـــا التشديد) .

وفي عام ١٩٧٠ كان ٦٠ ٪ من عمال المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل يشتغلون في حقل البناء حيث « كانت الحاجة اليهم ملحة »(٢١) . وقد ساهم العمال العرب هنا ليس في تحقيق أهداف اسرائيل الاقتصادية القصيرة المدى فحسب بل وفي تحقيق الاهـــداف الاسرائيلية السياسية الاستراتيجية الطويلة الامد . وقد تم تشغيل الاف العمال العرب من المناطق المحتلة في بناء حلقة من المباني الاسرائيلية حول الجزء العربي من القدس مما ادى الى عزل القدس العربية عن الضفة الغربية ... وهذا كسب استراتيجي لاسرائيل في حال تجدد الحرب . وقد شيدت هذه المباني لاسكان المهاجـــرين اليهود ، وهي جزء اساسي من خطة اسرائيل لتحويل القدس الى مدينة يهودية .

ويزداد استغلال العمال الفلسطينيين من المناطق المحتلة يوما بعد يوم وتتناقص اجورهم ويصبحون جزءا من قطاع نصف المهرة او غير المهرة من الطبقة العاملة الاسرائيلية ، ولا توكل اليهم سوى الاعمال الحقيرة في البناء والزراعة (راجع جدول رقم ٢) . وقد ساهمت الحكومة الاسرائيلية مباشرة في جلب العمال من الضفة الغربية وضمهم الى القوى العاملة الاسرائيلية ، وتوزيعهم على فئات الطبقة العاملة .

وقد قامت سلطات الاحتلال ، على اثر سماح الحكومة الاسرائيلية باستخدام العمال من المناطق المحتلة في اسرائيل ، بفتح مكاتب توظيف في الضفة الغربية وغيرها من المناطق المحتلة . وهناك الان ما لا يقل عن ١٧ مكتب توظيف تعمل في الضفة الغربية(٢٢) . وهدف هذه المكاتب تجنيد ابناء الضفة الغربية للعمل في اسرائيل ، فقد تم تشغيل ٩٪ فقط من العمال الذين تقدموا بطلبات عمل لهذه المكاتب في اوائل عام ١٩٧٠ في الضفة الغربية(٢٣) (راجع جدول رقم ٣) .

جدول رقم ٢

المستخدمون حسب المصدر وحقل العمل في اسرائيل

المنطقة	مجموع المستخدمين	المستخدمون في البناء	المستخدمون في الزراعة	المستخدمون في الصناعة
المجموع	٪١٠٠،٠	٪١٠٠،٠	٪١٠٠،٠	٪١٠٠،٠
الضفة الغربية	١٤١	٦،٩	٢،٢	٠،٥
قطاع غزة وشمال سيناء	٠،٣	٢،٢	٠،٦	٠،٢
المجموع من المناطق المحتلة	١٤٤	٩،١	٢،٨	٠،٧
غير اليهود في اسرائيل	٩،١	٢٠،٧	٢١،٥	٧،٢
غير اليهود .. المجموع	١٠،٥	٢٩،٨	٢٤،٣	٧،٩
اليهود	٨٩،٥	٧٠،٢	٧٥،٧	٩٢،١

المصدر : وحدة تنسيق النشاط في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **التنمية والوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء : ١٩٦٧ — ١٩٦٩** ، ملخص .

تقوم سياسة الحكومة الاسرائيلية بتوزيع العمال الفلسطينيين على ناحيتين سلبية وايجابية : سلبيا برفض اعطاء تصاريح عمل للفلسطينيين من المناطق المحتلة لاية وظيفة يمكن ان يشغلها اسرائيلي عاطل عن العمل ، وايجابيا من خلال برامج التدريب المهني السريعة في المناطق المحتلة ، تشكل « تعزيزا غير مباشر للقوى العاملة » على حد تعبير مجلة **الايكونومست الاسرائيلية**(٢٤) .

ومنذ آب ١٩٦٨ قامت الحكومة الاسرائيلية بفتح ١٩ مركزا تدريبيا مهنيا في الضفة الغربية(٢٥) . وهناك تشديد كبير على مهنة البناء ، فمن أصل ١٢٦٠ شخصا أنهوا تدريبهم المهني عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ تعلم ٧٠٠ شخص مهنة البناء(٢٦) . ويعطى للذين يتدربون على مهنة البناء ٢١/٢ ليرة اسرائيلية عن كل يوم دراسة ، بدلا من ١٦٧٥ ليرة اسرائيلية التي تدفع للذين يتدربون على مهن اخرى(٢٧) . (يعطى المتدربون ، بالاضافة الى هذا المعاش ، كمية شهرية من الطعام توزعها جمعية (Care) من خلال برنامج « الطعام من اجل العمل »(٢٨) . وتستمر دورة تدريب البناء مدة ثلاثة اشهر بينما تبستغرق مدة دورات مهن اخرى سنة واحدة . وقد قال استاذ عربي من مركز التدريب المهني التابع للاونروا في غزة ، في صيف ١٩٧١ ، ان برامج التدريب الاسرائيلية تعلم المشتركين « كيف يفرقون بين المطرقة والمنشار . وعند انتهاء الدورة يكونون في احسن

الحالات نصف مهرة ... ولا يمكن القول انهم عمال مهرة . انهم يعلمون ما يكفيهم للعمل باشراف ناظر اسرائيلي »(٢٩). ويتفق مستوى التعليم المهني السيء الذي تقدمه اسرائيل مع الاتهامات التي ترتفع في الضفة الغربية بان الاسرائيليين يهتمون فقط بتشغيل العرب في اعمال حقيرة وانهم في الواقع يشجعون العمال المهرة في الضفة الغربية على الهجرة »(٣٠).

ويبذل الاسرائيليون جهدهم لتشغيل النساء ، اللواتي اعتدن العمل مجانا في مزارع العائلة ، (رغم ان هذا النمط بدا يتغير قبل احتلال ١٩٦٧ بوقت طويل) . وقد جاء في احدى وثائق وزارة الدفاع الاسرائيلية : « يبدو ان القوى العاملة من الرجال في المدن (الضفة الغربية) قد استهلكت تماما ، وبالتالي فان اي توسع للقوى العاملة لن يكون ممكنا الا بتشغيل النساء وبالزيادة الطبيعية للسكان الذين في سن العمل »(٣١). وقد خصصت سبعة من المراكز المهنية الاسرائيلية في الضفة الغربية لتدريب الفتيات والنساء على الخياطة ... وتحضيرهن خصيصا للعمل في مصانع الثياب الاسرائيلية . وفي عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ أتمت ١٨٠ امرأة تلك الدورات التدريبية(٣٢).

وهناك دلائل عديدة على ان اسرائيل تخطط لاستغلال القوة العاملة في الضفة الغربية الى ابعد حد ممكن . وقد استنتجت دراسة اشرفت عليها مؤسسة « رائد » ومولتها مؤسسة « فورد » وقام بها اربعة اساتذة جامعيين اسرائيليين ما يلي : « اذا استمر الاقتصاد الاسرائيلي بالتطور على اساس نسبة نموه الحالية، فيمكنه استيعاب ٣٠،٠٠٠ عامل اضافي من المناطق المحتلة عام ١٩٧٣ ، و ٢٠،٠٠٠ عامل اخر حتى عام ١٩٧٨ ، اي ان الاقتصاد الاسرائيلي سيوفر ٧٥،٠٠٠ وظيفة لابناء المناطق المحتلة عام ١٩٧٨ »(٣٣).

جدول رقم ٣

معلومات حول العمال الذين استخدمتهم مكاتب العمل الاسرائيلية من الضفة الغربية حسب أشهر معينة

الشهر	مجموع الذين طلبوا العمل	الذين استخدموا في المنطقة	الذين استخدموا في اسرائيل	الذين لم يجدوا عملا
كانون الاول ١٩٦٨	١١٠٧٤٧	٢٦٧١	٣٣٨١	٤٦٩٢
آذار ١٩٦٩	١٢٠٠٣٤	٣٤٣٥	٥٥٠٦	٣٠٩٣
حزيران ١٩٦٩	٨٠٨٢١	١٨٠٥	٥٠٩٧	١٩١٩
أيلول ١٩٦٩	١١٠٥٠٥	١٧٥٣	٧٥٦٨	٢١٨٤
كانون الاول ١٩٦٩	١٦٠٧٨٤	١١٥٣	١٣٠٠٢٦	٢٥٥٤
آذار ١٩٧٠	٢٢٠٠٠٨	١٦٢٤	١٧٠٩٦١	٢٤٢٣

المصدر : منسق العمليات الحكومية في المناطق المحتلة ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري ، ١٩٦٩ — ١٩٧٠**، حزيران ١٩٧٠ ، ص ١٥ .

الزراعة : قررت السلطات الاسرائيلية في الاشهر التي تلت الحرب اتباع سياسة « الجسور المفتوحة » ، اي السماح للضفة الغربية ببيع فائض انتاجها الزراعي والصناعي في الضفة الشرقية(٣٤). (الجسور «مفتوحة» باتجاه واحد طبعا ، ولا يسمح بحرية الاستيراد من الضفة الشرقية) . وان سياسة « الجسور المفتوحة » تساعد على المدى الطويل على حفظ الروابط الاقتصادية بين الضفة الغربية والمناطق العربية المجاورة ... وهذا اعتبار مهم جدا اذا كانت اسرائيل تأمل بتحقيق حلمها في النفاذ الى اسواق الدول المحيطة بها .

أما من الناحية الآنية ، فقد حلت هذه السياسة مشكلة اسرائيل في كيفية التخلص من فائض الانتاج الزراعي للضفة الغربية . فمن ناحية ، لو ترك ذلك الفائض دون ان يباع، لانهار اقتصاد الضفة الغربية تماما واصبح يشكل عبئا على الاقتصاد الاسرائيلي، وربما أدى الى زيادة مقاومة الاهالي في المناطق المحتلة . ومن ناحية اخرى ، لو وصل انتاج الضفة الغربية من الفواكه والخضار الى اسرائيل لانخفض بيع الانتاج الاسرائيلي من الفواكه بنسبة ٢٠ الى ٢٥٪ (٣٥). وقد عمد الاسرائيليون الى حصر بيع محصول الضفة الغربية في اسواق اسرائيل بعدد من القوانين تتطلب تصاريح خاصة، واجراء فحص صحي على الطعام المصنع ، وشهادة بان المحصول المستورد لن يؤدي الى وجود فسائض اسرائيلي(٣٦).

وقد وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ، بالتشاور مع وجهاء الضفة الغربية و« قادتها الزراعيين»، خطة جديدة لزراعة الضفة الغربية(٣٧). وقد هدفت هذه الخطة في الاساس الى تخفيض اعتماد مزارعي الضفة الغربية على الاسواق العربية ، وتغيير محصولاتهم لكي تلبي الاحتياجات الاسرائيلية وذلك بزرع مواد كانت اسرائيل تستوردها من الخارج ، وبتزويد الصناعة الاسرائيلية بمواد اخرى(٣٨).

والمثال الساطع على جهود سلطات الاحتلال الاسرائيلية لخفض اعتماد مزارعي الضفة الغربية على الاسواق العربية هو محاولة دفعهم لعدم زرع البطيخ والفواكه المائية الاخرى والتي تعتبر مادة مهمة للتصدير للدول العربية القاحلة(٣٩). وقد انخفض محصول الضفة الغربية من البطيخ ما بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ من ٣٦،٠٠٠ طن الى ٢٠،٥٠٠ طن(٤٠).

وتقوم اسرائيل بتحقيق خططها الزراعية للضفة الغربية من خلال تشجيع زراعة المحاصيل الجديدة المطلوبة بعدة وسائل : « المشاريع التجريبية » التي تقدم الحبوب للمزارع وتدفع له اسعارا اعلى من اسعار محصوله السابق ، « اللجان الزراعية » المؤلفة من الوجهاء وكبار المزارعين ، ثم من خلال نشاطات « مسؤول التسويق » الملحق بسلطات الاحتلال(٤١). فمثلا ، تنص الخطة الزراعية لعام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ على ما يلي: « نوصي بأن على المزارعين الذين يزرعون بندورة وباذنجان ان يصدروا فائض محصولهم الى اسواق اسرائيل خلال شهري آذار ونيسان . فخلال تلك الفترة يكون هناك طلب على هذه المحاصيل في الاسواق الاسرائيلية . ويمثل هذا البرنامج حافزا للمزارعين العرب لتوقيع عقود تصدير »(٤٢). ويضيف التقرير ايضا « ان العقود توقع الان ما بين المزارعين ومصانع التعليب الاسرائيلية بمساعدة وزارة الزراعة . وهكذا سيزيد المزارعون مساحة المحاصيل التي كان على اسرائيل استيرادها سابقا »(٤٣). ويزداد في الضفة الغربية انتاج المزروعات الصناعية التي تحتاجها المصانع الاسرائيلية: ما بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ مثلا ارتفع انتاج السمسم من ٧٠٠ طن الى ١٧٠٠ طن ، كما يجري تشجيع زيادة انتاج القطن والتبغ وقصب السكر ومزروعات صناعية اخرى(٤٤).

وقد ركزت الدعاية الاسرائيلية على « الفوائد العظمى » التي قدمتها التكنولوجيا الاسرائيلية « للزراعة المختلفة » في الضفة الغربية (بينما في الحقيقة ان مستوى انتاج المحاصيل كان متعادلا مع مستوى انتاج المزارعين العرب في اسرائيل)(٤٥). ومما لا شك فيه ان « الفوائد العظمى » عادت على صناعة الكيماويات الاسرائيلية في تنمية زراعة الضفة الغربية : لاحظت سلطات الاحتلال الاسرائيلية ان الزراعة الاسرائيلية تستعمل كمية من السماد في الدونم الواحد تزيد ٢٠ مرة على الكمية التي يستعملها مزارعو الضفة الغربية ، وشددت على قيمة المواد الكيماوية والسماد اثناء « الاستعراضات التجريبية » التي كانت تقدم للمزارعين العرب(٤٦). وتحتل الكيماويات

حاليا المرتبة الثانية (بعد العلف) في قائمة المواد الزراعية التي تستوردها الضفة الغربية من اسرائيل(٤٧) .

الصناعة : وكان لاسرائيل في حقل الصناعة ايضا خطط تتعلق بالضفة الغربية . فالصناعة في الضفة الغربية محدودة وعلى نطاق ضيق ، وبالتالي فان اغراق اسواقها بالمنتجات الصناعية الاسرائيلية — ٧٥٪ من صادرات اسرائيل للضفة الغربية بضائع من الانتاج الصناعي — لن يؤدي حتما الى تشجيع النمو المستقل لصناعة الضفة الغربية(٤٨) . واحد تأثيرات السياسة الاقتصادية الاسرائيلية على الضفة الغربية هو في الحقيقة منع لاي تصنيع بارز . وتستنتج دراسة راند التي اشرنا اليها سابقا ان الضفة الغربية ، مثل العرب في اسرائيل ، « لن تتمكن من احراز اي تقدم ملحوظ في مجال التنمية الصناعية »(٤٩) .

وقد بدأت اسرائيل ، مع ذلك ، محاولة السيطرة على صناعة الضفة الغربية . فقد اعلنت الحكومة الاسرائيلية ، في آب ١٩٦٩ ، عن تقديمها معونات مالية للمستثمرين الاسرائيليين والاجانب في المناطق المحتلة ، بما فيها الاعفاء من الضرائب وضمان الطمأنينة وتخفيض اسعار المواد الخام . (وفي حال قيام مشاريع مشتركة ، لا يحق للشريك المقيم في الضفة الغربية الحصول على تلك المعونات)(٥٠) . ولكن نظرا لان مستقبل المناطق المحتلة السياسي ما يزال موضع شك ، فقد ابدى الاسرائيليون ترددا في استثمار اموالهم هناك . وقد بدأت تظهر بعض المصانع الاسرائيلية في غزة حيث تقول الحكومة الاسرائيلية انها تنوي الاحتفاظ بها تحت الحكم الاسرائيلي .

وتقوم المصانع الاسرائيلية ، بدلا من الاستثمار المباشر ، باعطاء عقود عمل لمصانع الضفة الغربية وذلك للاستفادة من اليد العاملة الرخيصة . ففي عام ١٩٦٩ ، بعد مضي عامين فقط على الاحتلال ، كان ٩٪ من العمال الصناعيين في الضفة الغربية يعملون على تلبية الطلبات الاسرائيلية(٥١) . (راجع جدول رقم ٤) . وقد ذكرت صحيفة **جيروزاليم بوست** ان معامل الخياطة تنتشر في الضفة الغربية « لتلبية طلبات مصانع آتا، ركس ، بربير ، الاستكس وغيرها . وقد قال السيد بشار (مسؤول في وزارة التجارة والصناعة) «لدينا ثمانية مصانع اخرى مستعدة لتقبل الانتاج اذا كان هناك من يصنعه» . كما ان معامل المفروشات تعطي عقودا للضفة الغربية : فقد تعاقد معمل رامات في اللد مع شركات في بيت لحم ونابلس . وكانت احدى الشركات الاسرائيلية تعتزم بناء مصنع خاص بها للفراش المصنوع من الاسفنج ، لكنها تعاقدت عوضا عن ذلك مع مصنع في الضفة الغربية على القيام بالمهمة بمبلغ ٤٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ ، وستضاعف المبلغ هذا العام »(٥٢) .

ويقوم مسؤول التجارة والصناعة في الضفة الغربية ، وهو ملحق من قبل وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية بسلطات الاحتلال ، بالتنسيق ما بين صناعات الضفة الغربية واحتياجات اسرائيل . واحدى مهامه اقامة اتصالات بين الصناعيين الاسرائيليين الذين يمتلكون معدات مستعملة برسم البيع وبين صناعيي الضفة الغربية الذين يرغبون في شراء تلك المعدات ، وان معظم المعدات « الجديدة » التي تصل معامل الضفة الغربية هي في الواقع معدات اسرائيلية مستعملة جرى تجديدها . ومن مهام هذا المسؤول الاخرى : « اسداء النصح وتقديم المشورة العملية لاصحاب المصانع والمعامل حول كل ما يتعلق بشراء المواد الخام من اسرائيل والخارج ... وتقديم النصيحة الفنية حول كل جوانب مستوى الصناعة الاسرائيلية التي تدخل في انتاج المنتوجات المختلفة ... وتشجيع الصناعيين في المناطق المحتلة على الاشتراك في المعارض التجارية في اسرائيل والخارج ، وارسال عينات من منتوجاتهم لكي تعرض في المعارض الاجنبية »(٥٣) .

جدول رقم ٤

العقود مع المصانع الاسرائيلية (حسب المنطقة)

المنطقة	١٩٦٨	١٩٦٩
نابلس	٤٨٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	٨٨٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
رام الله	٣٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	٥٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
بيت لحم	٣٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	٤٣٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
الخليل	—	٢٥٤،٠٠٠ ليرة اسرائيلية
المجموع	٨١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية	١،٣٨٥،٠٠٠ ليرة اسرائيلية

خلاصة : لقد فرضت اسرائيل امبريالية حديثة على الضفة الغربية ، اذ اغرقت اسواقها بالبضائع الاسرائيلية واستغلت طبقتها العاملة في اعمال حقيرة في اسرائيل ، واستعملت زراعتها لتلبية حاجات المستهلك الاسرائيلي والصناعة الاسرائيلية . وهذا النمط يعني في النهاية ان السيطرة على الحياة الاقتصادية للضفة الغربية هي في يد اسرائيل ، وما لم يتم انهاء هذا النمط فان اي « تقرير مصير » سياسي يكون بلا معنى. وتمتد اهمية سياسة اسرائيل الاقتصادية في الضفة الغربية المحتلة الى ما وراء نهر الاردن . فان الشعب العربي في الشرق الاوسط يواجه مشروع سلام خطير جدا : ... هو عقد اتفاقية سلام مع اسرائيل تتم رغما عنه بعد القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية . ومن ثم توجه يميني في أنظمة الحكم العربية . والسلم يعني ، كما قال الاسرائيليون مرارا ، حدودا اقتصادية مفتوحة . وهذا النمط من مشاريع السلم انما يعني ان اشكالا مختلفة من الامبريالية الاقتصادية التي فرضت على الضفة الغربية ستفرض حتما على مناطق اخرى في المشرق العربي .

---

١ — اذاعة اسرائيل ، ٩ تشرين الثاني ١٩٦٨.

٢ — **تقارير** مريب (Merip) العدد ٣ ، تشرين الثاني ١٩٧١ .

٣ — ميخائيل برونو ، **مشاكل التنمية الاقتصادية في اسرائيل ١٩٧٠ — ١٩٨٠** ، راند ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٥٩ .

٤ — برونو ، ص ٣٥ .

٥ — برونو ، ص ٥١ .

٦ — برونو ، ص ٥٤ .

٧ — رسالة من ايلي مايس ليش ، وبيتر تكفاك الى **هآرتس** ، ١٥ أيار ١٩٦٩ . ترجم في ايسراكا (Israca) عدد ٢ ، حزيران — تموز ١٩٦٩ ، ص ٨ .

٨ — **نيويورك تايمز** ، ٣ حزيران ١٩٦٩ .

٩ — يعالج هذا الجزء من المقال اقتصاد الضفة الغربية بالذات . ان اقتصاد الضفة الغربية يختلف عن اقتصاد غزة ، وكذلك تأثيرات الاحتلال عليهما ، وبالتالي فان اقتصاد غزة يحتاج الى معالجة خاصة به . لقد تم « توحيد » القدس الشرقية مع القدس الغربية (اي ضمت الى اسرائيل) ، ويبدو ان غزة تهيأ لنوع ما من الاندماج السياسي والاقتصادي مع اسرائيل . وبما ان سياسة اسرائيل في الضفة الغربية هي سياسة الدمج الاقتصادي دون الامتصاص السياسي ، فمن المفيد ان ندرس اقتصاد الضفة الغربية لكي نستمد بعض المؤشرات حول الانماط المحتملة لعلاقة اسرائيل الاقتصادية بالعالم العربي اذا تم فرض حل سلمي على العرب . وحيث لا تتوفر معلومات عن الضفة الغربية وغزة ، بل على حدة ، نستعمل الارقام المتوفرة للمناطق المحتلة ككل .

١٠ — مكتب الاحصاء الاسرائيلي المركزي ، **النشرة الشهرية** ، كانون الاول ١٩٧٠ . **والايكونوميست الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٧١ .

١١ — منسق العمليات الحكومية في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، حزيران ١٩٧٠ ، ص ٤ .

١٢ ــ مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي ، **النشرة الشهرية** ، كانون الاول ١٩٧٠ و**الايكونوميست الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٧١ .

١٣ ــ **المصدر نفسه** .

١٤ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٧١.

١٥ ــ وحدة تنسيق النشاط في المناطق المحتلة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **التنمية والوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء : ١٩٦٧ ــ ١٩٦٩ ، ملخص** . تشرين الاول ١٩٧٠ ، غير مرقم .

١٦ ــ **المصدر نفسه** .

١٧ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، حزيران ١٩٧١ ، ص ٢٠٨ .

١٨ ــ **جيروزالم بوست** ، ٣١ تموز ١٩٦٧ .

١٩ ــ **نيو آوتلوك** ، تشرين الاول ١٩٦٨ ، ص ٥٤ .

٢٠ ــ **التنمية والوضع الاقتصادي ...**

٢١ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، تشرين الاول ١٩٧١ ، ص ٣١٩ .

٢٢ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ١٤ . تم فتح خمسة مكاتب في المناطق ، واحد في كل من الخليل ، وبيت لحم ، ورام الله ، ونابلس ، وجنين وطولكرم . وتم انشاء مكاتب قروية في مناطق الخليل ، ورام الله ، وجنين وطولكرم .

٢٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٥ .

٢٤ ــ **الايكونوميست الاسرائيلية** ، تشرين الاول ١٩٧١ ، ص ٣١٩ .

٢٥ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ١٧ .

٢٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٨ .

٢٧ ــ **المصدر نفسه** .

٢٨ ــ **المصدر نفسه** .

٢٩ ــ قام المؤلف باجراء المقابلة ، ٢٦ حزيران ١٩٧١ .

٣٠ ــ **المقاومة في الشرق الاوسط** ، خريف ١٩٧١ ، ص ٩ .

٣١ ــ **التنمية والوضع الاقتصادي ...**

٣٢ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ١٧ .

٣٣ ــ حاييم بن شاحار ، ايتان برجلاس ، ياير موندلاك ، وارزا سادان ، **البنيان الاقتصادي وآفاق التنمية للضفة الغربية وقطاع غزة** ، مؤسسة راند ، أيلول ١٩٧١ ، ص ١٢٦ . ويقول المؤلفون في مقدمتهم : « هناك افتراض واحد ذو طبيعة سياسية يقوم هذا التحليل على اساسه : انه ستكون هناك علاقات اقتصادية بشكل او بآخر بين المناطق المحتلة واسرائيل ». ص ١ .

٣٤ ــ يباع ثلث محصول الضفة الغربية الزراعي في الضفة الشرقية .

٣٥ ــ آن موسلي لش ، **احتلال اسرائيل للضفة الغربية ، أول سنتين** ، اطروحة ماجيستير ، دائرة العلوم السياسية ، جامعة كولومبيا ، ١٩٦٩ ، ص ٣٤ .

٣٦ ــ **جيروزالم بوست** ، ٢٢ تشرين الاول ، ١٩٦٧ .

٣٧ ــ أريه شسكين ، « اقتصاد الضفة الغربية بعد الحرب » ، تشرين الاول ١٩٦٩ ، ص ٢١ ، **نيو آوتلوك** .

٣٨ ــ وزارة الزراعة الاسرائيلية ، **الضفة الغربية وقطاع غزة : خطط التنمية الزراعية لعام ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠** .

٣٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢ .

٤٠ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٢٧ .

٤١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢٢ و ٢٤ .

٤٢ ــ **خطط التنمية الزراعية** ، ص ٣ .

٤٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢ .

٤٤ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٢٤ و ٢٧ .

٤٥ ــ لش ، ص ٣٥ .

٤٦ ــ وزارة الدفاع الاسرائيلية ، **ادارة اسرائيل في الضفة الغربية وغزة : سجل تقدم** ، ص ٤١ .

٤٧ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٢٨ .

٤٨ ــ **التنمية والوضع الاقتصادي ...**

٤٩ ــ بن شاحار وآخرون ، ص ١٠٤ .

٥٠ ــ **هآرتس** ، ١١ آب ١٩٦٨ . ترجم في ايسراكا أيار ١٩٦٩ .

٥١ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٣٢ .

٥٢ ــ **جيروزالم بوست اوفرسيز ويكلي** ، ١٧ شباط ١٩٦٩ ، ص ٧ .

٥٣ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري** ، ص ٣٣ .

اسرائيل واوغنده

محمد نعمان كنفاني

كان من الطبيعي في ظل الظروف المحيطة بالكيان الصهيوني — وحتى بعد مرور ربع قرن على قيامه — وفي ظل الرفض العربي لوجود هذا الكيان واستمراره والمتمثل في الحصار السياسي والاقتصادي ضده ، كان من الطبيعي ، وحتى يستطيع هذا الكيان الاستمرار في الوجود ، وفي أن يلعب دوره الاستعماري التوسعي تحت مظلة مباركة دولية ، ان يتوجه الى جميع الدول الاخرى ، وان يبذل كل ما يمكنه من أموال ، ويقدم لها كافة أشكال المساعدات ، حتى يضمن من جهة أولى هذه المباركة العالمية ، ومن جهة ثانية اسواقا لتصريف بضائعه ورؤوس أمواله وقواه العاملة الفائضة . ودول العالم الثالث — والافريقية منها خاصة — هي المؤهلة طبيعيا لان تكون الموقع الخصب للسياسة الاسرائيلية هذه ، بظروف استقلالها الحديث ، وبعدها عن تفاصيل القضية الفلسطينية ، وظروف تخلفها القاسية ، وحاجتها الى مشاريع تنمية واسعة لضمان حياة انسانية لمواطنيها ، والتي كانت عوامل مساعدة لان يأخذ التغلغل الاسرائيلي في أفريقيا حجما كبيرا وأشكالا متعددة ، ولا بد ان نذكر أيضا اثر الغياب العربي عن القارة الافريقية — مع وجود كل هذه الدول العربية الافريقية — ودوره في فتح الطريق واسعا أمام التقدم الاسرائيلي ، وان يجعل العقبات في طريقه نادرة الوجود .

وبالرغم من اننا لن نهمل الهدف الاقتصادي لاسرائيل من وراء تقديمها للمساعدات والخبرات وتنفيذها للمشاريع في دول العالم الثالث ، الا اننا نلاحظ ، ان الاعتبارات السياسية وتوكيد وجود الكيان الصهيوني وأمنه ، كان الهدف الاساسي لهذا التغلغل ، وان كان العامل الاقتصادي يلعب بالطبع دورا هاما وواسعا كمحصلة لهذا التغلغل على المدى الطويل ولكن ، وعلى المدى القصير كان الاعتبار الاقتصادي في الخطة الاسرائيلية هو المرتكز الجوهري في سبيل تحقيق الهدف السياسي . أي أن الاهتمام بالربحية للمشروعات والقروض كان يحل دائما في مرتبة الاهمية الثانية بالنسبة الى اسرائيل في أفريقيا .

وبالرغم من ان دراستنا تتعلق أساسا بالعلاقات الاسرائيلية الاوغندية ، الا ان القيام بهكذا دراسة ومتابعة التطورات الاخيرة التي طرأت عليها ، لا بد ان تكون مبتورة ، اذا قفزت فوق الوجود الاسرائيلي في القارة الافريقية كلها ، لان أوغندا في نهاية الامر ، ما هي الا حلقة في سلسلة تاريخ هذا الوجود الطويل ، وربما لم تكن هي الحلقة الاقوى (واردات اسرائيل من الجابون تعادل اربعة أضعاف وارداتها من أوغندا في ١٩٦٩(١)) . اضافة الى ان المواقف الرسمية الاوغندية من الحق العربي ظلت مواقف ايجابية بخطوطها العامة وذلك على عكس عدد غير قليل من الدول الافريقية الاخرى ، من هنا فان ربط دراسة العلاقات الاوغندية — الاسرائيلية بموضوع الوجود الاسرائيلي في كامل انحاء القارة ، يعكس في الحقيقة كون بتر الوجود الاسرائيلي من أوغندا ليس

هدفا بقدر ما هو خطوة على طريق تصفية كامل وجودها في القارة الافريقية ، ومن هنا تبقى أهمية التجربة الاوغندية — الاسرائيلية محصورة بدلالتها ، كمؤشر على فشل محتم تاريخيا للسياسة الاسرائيلية تجاه دول العالم الثالث ، لان العلاقات بينهما ، ومهما تعددت وجوهها ، تبقى علاقات دولة مستغلة (بكسر الغين) ودول مستغلة (بفتح الغين) ، وتبقى علاقات غير متكافئة ، استفاد منها طرف بظروف التخلف المريع الذي يعيشه الطرف الآخر .

وبهذا فان التخلص من الوجود الاسرائيلي لا يمكن الا ان يكون جزءا من القضاء على كافة اشكال التحكم الامبريالي في ثروات القارة ومقدراتها ، فمن الصعب تصور قدرة القارة على التخلص من التوسع الاسرائيلي فيها دون ان يرافق ذلك عمليات تغيير جذرية في هذه القارة على الصعيد السياسي والاقتصادي ، لان الخروج الامبريالي منها دون ان يرافق بهذه التحولات الاجتماعية (؟؟) مهدد دوما ، وفي أية لحظة ، بعودة مظفرة سواء عقب تغيير حكومة .. او بعد انقلاب عسكري ...

من هنا يصبح كشف العوامل والاهداف الحقيقية لهذا الوجود ، هو في النهاية الخطوة الاولى على الطريق الصحيح لقطع كل علاقة بين الاعداء الطبيعيين ، ولتوطيد وتعزيز وتوحيد صفوف الحلفاء الطبيعيين أيضا . دراستنا هذه ستتوقف قليلا عند الوجود الاسرائيلي في أفريقيا ، لنتابع بعدها دراسة العلاقات الاوغندية — الاسرائيلية ، ولدراسة تفاصيل الأزمة الاخيرة والتي انتهت بتصفية الوجود الاسرائيلي هناك .

— اسرائيل في افريقيا —

قد يتعذر الحصول على بضع دول افريقية لم يصل اليها الاخطبوط الاسرائيلي ، فالاطباء والمستشارون العسكريون ، والخبراء الزراعيون ، والتقنيون ، والمشرفون على نشاطات الشباب والمدربون الرياضيون الاسرائيليون ، يقومون بنشاطات واسعة في مختلف انحاء القارة الافريقية (في الدول غير العربية) .

ولقد تصاعد هذا التغلغل بشكل سريع بدءا من ١٩٥٨ . اذ ان اسرائيل واجهت قبل هذا التاريخ ١٩٥٠ — ١٩٥٧ هزائم شديدة في ميدان التنافس الدولي أدت الى عزلتها عن البلدان الافرواسيوية . فبالاضافة الى رفض الدول الاسيوية الكبرى (الهند ، باكستان ..) الموافقة على قرار التقسيم ، وعدم اعترافها مطلقا بشرعية الكيان الصهيوني ، ساهم انضمام اسرائيل الى الدول الغربية في الحرب الكورية عام ١٩٥٠ واقتراح « بن جوريون » على بريطانيا والولايات المتحدة التوقيع على معاهدة عسكرية عام ١٩٥١ ، واستعداد اسرائيل للموافقة على قيام قواعد عسكرية غربية في اراضيها اضافة الى تركيز الجهد الاسرائيلي في ذلك الوقت على الامور والمشاكل الداخلية .... ساهم كل هذا الى مزيد من حساسية دول العالم الثالث تجاهها بالتالي الى استبعاد دعوتها الى مؤتمر « باندونغ » الشهير في ١٩٥٥ والذي وضع اسس ودعائم دول العالم الثالث ككتلة مميزة وكوجود مستقل .

ولكن هذا الفشل الذي عانت منه الدبلوماسية الصهيونية في أول عهدها ، كان حافزا قويا لها لتوحيد الجهود وتركيز العمل ، واستغلال برامج المساعدات والمعونات في نطاق البلدان حديثة الاستقلال ، في افريقيا اساسا لتعويض ما خسرته في قارة اسيا . ولتعويض الرفض الكامل من قبل (الهند وباكستان والصين) لوجودها . اذن ، تنبهت اسرائيل الى القارة الافريقية كمخزن سياسي واقتصادي ثمين ، وعبر قادتها السياسيون عن أهمية الوجود الاسرائيلي في هذه القارة بمجالات عديدة . يقول « ليفي اشكول » بهذا الصدد : « ان مستقبل الإجيال المقبلة في اسرائيل مرتبط الى حد كبير بنشاطنا في القارة الافريقية(٢) » . ومن اجل ضمان « مستقبل الاجيال » هذا ،

قامت غولدا مائير بأول رحلة لها الى افريقيا عام ١٩٥٨ ، ومن ثم قامت في غضون السنوات السبع التالية بأربع زيارات غطت فيها كل بلدان القارة تقريبا ، ثم قام رئيس الدولة « بن زفي » بأول زيارة رسمية له عام ١٩٦٢ الى الكونغو (بطرفيها) وليبيريا والسنغال وافريقيا الوسطى ، وقام اشكول عام ١٩٦٦ بزيارة منهكة مضنية لرجل في مثل سنه الى سبع دول افريقية من ضمنها أوغنده ، هذا عدا الزيارات العديدة التي قامت بها الوفود على مستوى الوزراء ومستوى الاتحادات النقابية والاحزاب ، والتي كان ابرزها الزيارة الاخيرة لوزير الخارجية (أبا ايبان) لعدد كبير من الدول الافريقية وكان من ثمارها عدد من الاتفاقات المختلفة الاهداف . وهكذا وجهت اسرائيل كل ثقلها الدبلوماسي الى افريقيا ، وعرضت على دول القارة خبرتها في مجالات التنمية وفي المجالات العسكرية ، وساهمت الدول الاستعمارية ايضا بتمهيد الطريق للتقدم الاسرائيلي نحو بلدان هذه القارة قبل مغادرتها لها . وما ان حل عام ١٩٦٨ حتى كان لاسرائيل علاقات دبلوماسية مع ٣٠ دولة افريقية (بعد ان قطعت موريتانيا علاقاتها مع اسرائيل عقب حرب ١٩٦٧)(٣) .

وتنفق اسرائيل مبالغ طائلة في سبيل المحافظة على أوضاعها في افريقيا ، ومن أجل تعزيز وجودها هناك ويبلغ مجموع هذا الانفاق السنوي حوالي ١٠٠ مليون ليرة اسرائيلية (٣٣ مليون دولار)(٤) . وهناك ٦٥ دولة نامية تستفيد من البرنامج الاسرائيلي للتعاون الدولي(٥) . ولقد قام ثلاثون بلدا افريقيا بعقد اتفاقيات للتعاون التقني مع اسرائيل(٦) . ومع ان اسرائيل لا تنشر أي معلومات عن قروضها الموزعة وانما تلحقها ببنود الميزانية الاخرى الا اننا ومن مراجعة كتاب (لوفر) نستطيع ان نقدر هذه القروض بـ (٥٨) مليون دولار خلال الفترة ١٩٥٨ — ١٩٦٣ . اضافة الى ذلك يلعب الخبراء دورا هاما في استراتيجية هذا التغلغل . اذ يبلغ ما توفده الحكومة الاسرائيلية والمؤسسات القومية والشركات ، حوالي ٦٥٠ خبيرا في المتوسط سنويا(٧) يتوزعون على ثلاثين دولة افريقية . والوجه الآخر لهذا هو استقبال الطلاب والموظفين الافريقيين ليتابعوا دورات تدريبية في اسرائيل ، حيث يقدر عددهم سنويا بـ ١٥٠٠ طالب في معاهد التعليم العالي والمهني والدورات الخاصة(٨) ومن ناحية المساعدات العسكرية فلقد غطى نشاط اسرائيل بهذا المجال ١٦ دولة افريقية حتى ١٩٦٥ وارتفع الرقم الى ٢٣ دولة حتى ١٩٧٠(٩) . وتتراوح هذه المساعدات بين تدريب الجيوش واقامة المدارس العسكرية وادارتها ، وبيع الاسلحة ، واقامة القواعد العسكرية ومراكز الاستخبارات .

اما من ناحية المشاريع الانشائية بالقارة الافريقية ، فان اسرائيل تعتمد في تنفيذها على اسلوبين اساسيين أولهما الشركات الاسرائيلية وثانيهما الشركات المختلطة (بين الحكومات او بين الحكومة الافريقية والشركات الاسرائيلية) ويركز الاسرائيليون عادة على الاسلوب الثاني حيث يكفل ضمانات اكثر قوة لراس المال الاسرائيلي ويقلل من عامل المخاطرة فيه ، فضلا عن كونه مظهرا أكثر عدالة . ولقد قامت هذه الشركات والحكومة بأكثر من ٣٠٠ مشاركة وبراس مال يفوق ٥٠٠ مليون دولار خلال الفترة ١٩٥٨ — ١٩٦٦ ، ووفرت العمل لاكثر من ٥٠٠٠ خبير اسرائيلي ، وحققت ما يزيد عن ١٠٠ مليون دولار ارباحا صافية(١٠) . وتغطي الشركات الاسرائيلية العاملة بالقارة (سوليل بونيه التابعة للهستدروت ، مايرز اخوان ، اميران ...) كل النشاطات الاقتصادية وتسيطر بشكل فعال على عدة مجالات ابرزها أمور التجارة الخارجية (١١) . اما على صعيد التبادل التجاري فلقد كانت المبادلات التجارية شبه معدومة في عام ١٩٥٧ . وبدأتها اسرائيل من جانب واحد متحملة العجز في ميزانها التجاري مع بلدان القارة . ثم ما لبث ان تغير الوضع وبدأ الميزان التجاري يميل الى صالحها وارتفع

حجم التجارة بينهما من ٢٠ مليون دولار عام ١٩٦٢ الى اكثر من ٤٠ مليونا عام ١٩٦٧ ووصلت علاقاتها ببعض الدول الى حد الاحتكار الكامل لبعض اصناف منتجاتها الرئيسية كحال اثيوبيا ، والجابون ، واوغندا(١٢) .

ولاسرائيل دوافع عديدة لتغلغلها في افريقيا . فالى جانب توسيع رقعة الاعتراف الدولي بها وبسيادتها ، والاقرار بوجودها والى زيادة عدد الاصوات المؤيدة لها في الهيئات الدولية او الى تحييد اصوات هذه الدول على الاقل والى جانب ايجاد وفتح أسواق جديدة للسلع الاسرائيلية ولرؤوس الاموال المستثمرة كبديل للاسواق العربية وبهدف كسر الطوق المضروب حولها ، تلعب العلاقة بين اسرائيل والاحتكارات الغربية دورا هاما في اطار هذه الدوافع . فلقد كانت البلدان الغربية في بادىء الامر مرتابة نوعا ببرامج المساعدات الاسرائيلية الى دول العالم الثالث ، مما ادى الى وقوع خلافات وتعارض وتنافس بينهما أحيانا . ولكن سرعان ما زالت الشكوك ، واكتشفت الاحتكارات الغربية ان اسرائيل امتياز حقيقي لها ، اذ انها بتمويل المساعدات الاسرائيلية والوقوف خلفها يمكنها بسهولة ، ودون اثارة مخاوف او شكوك أحد من السيطرة على أسواق هذه البلدان ، ويتحدث سافران الاستاذ في جامعة هارفرد حول هذا الموضوع .. « اذا كان ثمة اية بواعث حقيقية لبرامج المساعدات الاسرائيلية الخارجية ، فهي تتمثل في املها بالحصول على مكافآت سخية من الولايات المتحدة ، لكونها تخدم الاغراض والغايات ذاتها التي تتوخاها الحكومة الامريكية من وراء برامج مساعداتها ... »(١٣)

ان هذا الاسلوب هو ما يطلق عليه اسم (اسلوب الدولة الثالثة) ، والفائدة التي تجنيها اسرائيل من وراء هذا كونها تستطيع ايجاد علاقات تجارية واقتصادية هامة وان تقدم مساعدات كبيرة وتساهم بمشاريع استثمار واسعة عن طريق استغلال كمية محدودة من رؤوس اموالها ، وذلك بأن يتم تحويل جزء من المساعدات الامريكية الى الدول النامية عن طريق غير مباشر ، اي عبر اسرائيل او المنظمات الدولية ، ولقد اثبت فريق افريقيا للابحاث في كراسة (داوود يتعاون مع جوليات في افريقيا) كيف ان المساعدات الخاصة والحكومية التي تقدمها اسرائيل الى الدول النامية تأتي اساسا وكما ذكرنا من المنظمات والحكومة الامريكية(١٤) . ولقد كان ارنولد ريفكين من طليعة الامريكيين الذين اظهروا علنا المواقف التي تبرر لامريكا الافادة من التقاء مصالحها مع المصالح الاسرائيلية : « ان دور اسرائيل كقوة ثالثة يمكن ان يقوى عن طريق استخدام وهمي لتقنية البلد الثالث . ان دولة من العالم الحر تريد أن توسع مساعداتها لافريقيا ، بامكانها ان تمرر جزءا من هذه المساعدات من خلال اسرائيل وذلك بسبب المواصفات الخاصة التي تتمتع بها اسرائيل ، والتي ظهر تقبلها لدى عدد من الدول الافريقية .. »(١٥) اي بسبب ان اسرائيل ليست من الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية ، اضافة الى كونها دولة اسيوية صغيرة .. مما يكسبها ميزة نفسية هامة جدا في أوساط الافريقيين المستقلين حديثا . أو كما تقول « غولدا مائير » : « اننا دولة ديمقراطية صغيرة ، ليست لها مطامع توسعية ، وتتمتع بالخصال التي تلفت نظر الافارقة فنحن مثلهم دولة جديدة ، واجهت وما تزال مشاكل متشابهة . ولقد اكتسبنا بعض الخبرات الفريدة في مناهج التنمية وأساليب العلاج التي تفيد هذه الدول كثيرا .. »(١٦)

هذه هي بعض الملامح الاساسية للوجود الاسرائيلي في افريقيا . وهي بالتأكيد تترك انطباعات عديدة في الاذهان وخصوصا بوجود ست دول عربية افريقية تسيطر على كامل الشمال الافريقي وتربطها علاقات (ان لم نقل تاريخية او روابط مصير واحد) جغرافية مع باقي معظم الدول الافريقية .

اكتسب شرق افريقيا موقعا هاما في مخطط التغلغل الصهيوني في افريقيا . وذلك منذ عام ١٩٥٦ عقب فتح خليج العقبة امام البواخر الاسرائيلية ، حيث شكل هذا المنفذ البحري لاسرائيل . ولقد قفزت حركة التفريغ والشحن من هذا الميناء (ايلات) من لا شيء عام ١٩٥٦ الى ٥٧٥ الف طن حتى عـــام ١٩٦٦(١٨) هـــذا باستثناء البترول . وازدادت اهمية هذه المنطقة ايضا عقب عام ١٩٦٧ بعد اقفال قناة السويس وذلك لان الطريق الذي يصل بين البحرين الابيض والاحمر عبر الطريق البري الاسرائيلي يوفر لبلدان شرق افريقيا ١٥٪ من تكاليف النقل عبر راس الرجاء الصالح(١٩) لذا لم يكن من المستغرب ان ترسل اسرائيل بعثة خاصة الى دول شرق افريقيـــا هذه مباشرة بعد حرب حزيران لاجراء الدراسات وتوثيق العلاقات . اضافة الـــى قرب هذه المنطقة « للمواقع » الاسرائيلية والى انها تشكل ظهر المنطقة العربية مما يكســـبها اهميـــة استراتيجية كبيرة . ويعني ان يحتل شرق افريقيا (اثيوبيه ، كينيا ، تنزانيا ، اوغنده) مكان الصدارة في الاولويات الجغرافية للوجود الاسرائيلي في افريقيا ككل .

تبلغ مساحة أوغنده ٩١٤٠٧٦ ميلا مربعا وعدد سكانهـــا ٨٬١٣٣٬٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٦٩ منهم نحو مليوني مسلم ، ويحدهـــا شمالا السودان وجنوبـــا تنزانيا وراوندي وشرقا كينيا وغربا الكونغو ولقد نالت استقلالها عـــام ١٩٦٢ حيث كانت مستعمرة بريطانية(٢٠) وانتسبت على اثر هذا الاستقلال الى الكومنولث البريطاني . وهي عضو في السوق المشتركـــة لدول شرق افريقيا منذ ١٩٦١ مع تنزانيا وكينيا ، وعضو منتسبة الى السوق الاوروبية المشتركة مع ٢١ دولة افريقيـــة اخرى(٢١) . وهي بالطبع ككل الدول الافريقية تعتمد النشاط الزراعي كمورد اساسي لدخلها القومي حيث يتولد ما يزيد عن ٧٠٪ من هذا الدخل نتيجة هذا النشاط ، ويرتفـــع الرقم اذا اضيف له النشاط الاقتصادي المرتبط بالارض كوسيلة انتاج . ويعمل في هذا القطاع ٩٥٪ من مجمل القوى العاملة الاوغندية . ويبلغ نصيب الفرد من الدخل القومي فيها ٧٨ دولارا سنويا فقط(٢٢) .

اهم انتاج اوغنده الزراعي القطن ، والبن ، والفستق ، والتبغ . ويشكل القطن ٧٩٪ من مجمل الصادرات الاوغندية ، والبن ١٦٪ من هذه الصادرات ، اي ان القطن والبن يشكلان ٩٥٪ من مجمل صادرات اوغنده الى العالم الخارجي(٢٣) . كل هذه الارقام تعكس لنا ظروف التخلف القاسية التي تعيشها اوغنده والتي جعلتهـــا فعلا فريسة سهلة امام مخططات ومشاريع التغلغل الصهيوني عبر برامج المساعدات والقروض وتقديم الخبرات .

اتخذ الوجود الاسرائيلي في اوغنده ومنذ ١٩٦٢ طابعا عسكريا وذلك عقب توقيع الاتفاقية الاولى للمساعدة العسكرية الاسرائيلية لتنظيم جيش اوغنده وتدريبه ، وقامت اسرائيل بتدريب هذا الجيش الذي لم يكن يزيد وقتذاك عن كتيبتين ، وسلاح طيرانه عن بعض الطائرات الاسرائيلية(٢٤) جميع طياريها كانوا من الضباط الاسرائيليين وتصاعدت هذه المعونات العسكرية واصبح الخبراء العسكريين الاسرائيليين يشرفون على كل فروع الجيش الاوغندي وينظمون قوات الحدود ويراقبونها . وحتى عام ١٩٧١ كان هناك ١٣٠ عائلة اسرائيلية موفدة من اسرائيل كخبراء عسكريين الى اوغندا ، منهم ١٠٠ عائلة تقيم في (انطابا) حيث يوجد هناك المطار الرئيسي للدولـــة والقاعدة الرئيسية لســـلاح الجو الاوغندي(٢٥) . ويســـاعد المدرسون والمستشارون هـــؤلاء في تدريب الطيارين وتدريب القوات البرية وتدريب الشرطـــة وصيانـــة الاسلحة والمعدات . اضافة لذلك كان الخبراء هؤلاء يعملون على بناء قوة بحرية اوغندية صغيرة على ضفاف بحيرة فكتوريا(٢٦) . وفي ١٩٦٣ اعادت اسرائيل تنظيم سلاح الجو ودربت ٥ طيارين

و ١٥ ضابطا واقامت مدرسة للطيران في اوغندا زودتهـا بأكثـر من ٦٠ مستشارا عسكريا . وباعت لها ٦ طائرات كعملية اعادة بيع وارسلت معها ١٢ خبيرا لتدريب الاوغنديين عليها(٢٧) وكانت هناك مباحثـات لبيع عـدد آخر من طائرات (عرفـا) الاسرائيلية(٢٨) وعند انهاء الوجود الاسرائيلـي توقفت المعامل الاسرائيلية لتركيب السيارات عن تنفيذ طلب ٦٠٠ عربة للجيش الاوغندي بعد أن تم تسليم ٢٤ منها حتى ذاك التاريخ(٢٩) وفي سنة ١٩٧٠ باعت اسرائيل الى أوغندا عشر دبابات (شيرمان) كانت قد اخرجت من الخدمة بالجيش الاسرائيلي(٣٠) وعند نهاية ١٩٧١ كانت البعثة الاسرائيلية العسكرية في اوغندا أكبر من اية بعثة اسرائيلية أخرى في انحاء العالم في أي وقت مضى(٣١) .

واذا تركنا الآن المجال العسكري الى بقيـة المجـالات فسوف نلاحظ ان الشركات الاسرائيلية (سوليل بونيـه اميران ، موتورولا ، لورد ..) تعمل بنشاط واسع في اوغنده ، حيث تبني معسكرات الجيش ومبانـي البنوك ومكاتب الحكومـة والمباني السكنية وتشق الطرق وتخطط لمشاريع الري ، والاسرائيليون في اوغندا يدرسون في الجامعات ويعملون على الآلات الحاسبة ويشرفون على مزارع الشاي والقطن ...(٣٢) ويمكن ان نوضح توسع نشاط اسرائيل في اوغندا بالاشارة الى توسع حجم البعثات الاسرائيليـة حيث كـان هـذا لا يتجـاوز ١٨ خبيرا في عـام ١٩٦٣(٣٣) فارتفـع الى ٧٠٠ شخص (بمـا فيهم اعضاء السفارة وخبراء موظفي الشـركات)(٣٤) . اما بالنسبة الى الشركات فيكفي ان نذكر (لنوضح حجم اعمالهـا هناك) ان شركة سوليل بونيه ــ وهي التـي انشأت ١٧٠٠ وحدة سكنيـة في كمبالا العاصمة وثكنتين عسكريتين ومصرفا حكوميا ــ نقلت الى اوغندا معدات تقدر قيمتها بـ ٣ ملايين ليرة اسرائيلية(٣٥) هذا بالاضافة الى ان شركة (رالي) الاسرائيلية ، كانت قد احتكرت كامل محصول البن الاوغندي واصبحت هي المصدر الوحيد له عبر البلاد ، علما انه يشكل ١٦٪ من مجمل صادرات اوغنده .

ولقد تعززت العلاقات الاوغندية ــ الاسرائيلية عقب الزيارة التي قام بهـا الرئيس الاوغندي لاسرائيل عام ١٩٦٦ والزيارات المختلفة التي قام بها المسؤولون الاسرائيليون الى اوغنده وابرزها زيارة اشكول عام ١٩٦٦ والزيارة التي قام بها ابا ايبان في ١٩٦٩ بدعوة من الحكومة . والتي كان يعقبها توقيع المعاهدات والاتفاقيات وابرزها توقيع اتفاقية ثقافية بين سفير اسرائيل ووزير الثقافة الاوغندية لزيادة التعاون بهذا المجال وتبادل البعثات الدراسية والوفود في عام ١٩٦٦ اضافـة الى الاتفاقات الاقتصادية واتفاقات زيادة حجم التبادل التجاري .

وعند انتهاء الوجود الاسرائيلـي من اوغندا ، كانت مجمل المطالب الاسرائيليـة من اوغندا (ومهما جاء على لسان دان هلبرن مستشار وزير المـال الاسرائيلي) تقـدر بـ ٢٩ مليون دولار وان كان قد صرح انه سيعاد النظر في الحساب لاقرار المبلغ بصورة نهائية(٣٦) .

ولقد كانت برامج الشركات الاسرائيلية في اوغندا عام ١٩٧١ تشمل المشاريع التالية : (٣٧) ــ اقامة ٣ فنادق سياحية مجموع اسرتها ١٠٠٠ سرير مما سيضيف الى خزينة اوغنده ٢٥٠ الف ليلة سياحية . وتبلغ الاموال التي ستثثمر في المشروع حوالي ٥ ملايين دولار ، ستقدم المصادر الاسرائيلية ٦٠٪ منها بقرض ــ مشروع مصنع للمبيدات الحشرية بمشاركة اسرائيلية ومصنع آخر للادوية . ــ اقـامة مصـنع لانتاج القهوة الجاهزة حيث تمول شركة (عيليت) ربع استثماراته أي ١٫٤ مليون دولار . وهي التي سوف تشرف على ادارة المصنع ايضا . ــ مشروع لاستغلال مصادر الميـاه المحلية والجوفية بكلفة ١٧ مليون دولار ويشمل مشاريع تنمية زراعية . ــ مزرعة لاشجار

الزيتون ، ومزرعة لانتاج لحم البقر تصدر انتاجها (١٢ مليون دولار) بالطائرات الى اوروبا . — مصنع لتركيب الادوات المنزلية بمساهمة شركة (ايزنبرغ) وستقوم هذه الشركة بالمساهمة في ثمانية مشاريع ، وستقوم ايضا بفتح مكتب دائم لها في كمبالا . ولقد تم تنفيذ بعض هذه المشاريع وتوقف البعض الآخر بسبب الاحداث الاخيرة .

اذا انتقلنا الآن الى العلاقات التجارية سوف نلاحظ ان هناك تطورا واسعا في حجم هذا التبادل وبمعدات مرتفعة . ففي السنوات ١٩٦٢ — ١٩٧٠ بلغت صادرات اسرائيل الى اوغندا بالدولار على التوالي : ٢٠،٠٠٠ — ٢٠،٠٠٠ — ١٥٠،٠٠٠ — ٢،٩٩٠،٠٠٠ — ٤٩٠،٠٠٠ — ١،٦٣٢،٠٠٠ — ٣،٥٨٠،٠٠٠ — ٣،٣٥٠،٠٠٠ — ٥،٦١٤،٠٠٠ . وبلغت واردات اسرائيل من اوغندا في الفترة ذاتها على التوالي : ٣٥٠،٠٠٠ — ٦٤٠،٠٠٠ — ٤٥٠،٠٠٠ — ٣٧٠،٠٠٠ — ١،٤٠٠،٠٠٠ — ٢،٨٦٩،٠٠٠ — ١،٨١٥،٠٠٠ — ١،٨٣٥،٠٠٠ — ٢،١٣٦،٠٠٠ (٣٨) .

وحتى نحصل على فكرة اكثر وضوحا عن التبادل التجاري بينهما لا بد ان نرجع الى تفاصيل المبادلات . وسنأخذ فقط بعض ارقام الميزان التجاري الاسرائيلي — الاوغندي لعامي ١٩٦٩ — ١٩٧٠ وهي على الشكل التالي :(٣٩)

١٩٦٩

القيمة (دولار)	واردات اسرائيلية	صادرات اسرائيلية	القيمة (دولار)
١،١٩٧،٠٠٠	حب البن	حديد وفولاذ	١،٥١١،٠٠٠
٦٤٦،٠٠٠	قطن	مبيدات حشرية	١٨٣،٠٠٠
		محركات وعربات	٧٧،٠٠٠
		المنيسوم	٧٠،٠٠٠
		« قهوة جاهزة »	٢٤،٠٠٠

١٩٧٠

١،٩١٩،٠٠٠	حب البن	حديد وفولاذ	٢،٤٨٦،٠٠٠
٢١٣،٠٠٠	قطن	محركات وعربات	٧٣٣،٠٠٠
		المنيسوم	٣٢٧،٠٠٠
		الواح بلاستيكية	٤٤٠،٠٠٠
		رب البندورة	٢٦،٠٠٠

نلاحظ من الجداول ان ٩٠٪ من مجمل صادرات أوغنده الى اسرائيل عام ١٩٧٠ كان البن . وانه منذ ١٩٦٢ وحتى ١٩٦٤ كان هناك عجز سنوي في الميزان التجاري لصالح اوغنده ولكن منذ ١٩٦٥ وحتى النهاية كان هناك فائض لصالح اسرائيل ، وكان هـذا الفائض بازدياد مستمر ، فضلا عن ان نظرة بسيطة الى تفاصيل الصادرات والواردات تعطي لنا انطباعا حول المميزات والفوائد التي تجنيهـا اسرائيل . فمعظم صادراتها صناعية وكل وارداتها زراعيـة . وذلـك بظل التدهور الذي يصيب شروط التبادل التجاري بين نوعي المنتجات هذين . اذ ان هناك دائما هبوطا مستمرا لاسعار المواد الزراعية بمقابل المواد المصنعة . وتحتاج اوغندا باستمرار الى كميات متزايدة من احجام المواد الزراعية المصدرة الى اسرائيل كي تحافظ على ميزان تجاري متعادل مقابل حجم الصادرات الصناعية الاسرائيلية نفسها . واهمية السوق الاوغندية بالنسبة الى اسرائيل تأتي من عجزها عن تصريف هذه البضائع الصناعية في أوربا (لذا فهي توجه كل صادراتها الزراعية الى هناك) وتشكل اسواق دول العالم الثالث المتخلفة الفرصة

الوحيدة امام الصناعة الاسرائيلية كي تضمن النمو والازدهار حتى تستطيع الوقوف على قدميها والحصول على خبرات أوسع وتكلفة أقل .

ومع كل هذه الارقام ، وكل هذا التوسع في الوجود الاسرائيلي هناك ، الا ان الموقف الاوغندي من القضايا العربيـــة ومن الصراع في الشرق الاوسط ظل ايجابيا في اطاره العام ، فعشية حـــرب حزيران اعلن وزير الخارجيـــة الاوغندي في الامم المتحدة « ان انسحاب القوات الاسرائيلية يجب ان يكون أول خطوة نحو الحل العادل ، وان بلاده اذ تؤيد وجود اسرائيل ووحـــدة أراضيها ، ترفض المكاسب القـــائمة على الغـــزو العسكري » ووقفت اوغندا ايضا مع الدول العربية بتأييد المشروع الافرواسيوي بشأن الارض المحتلة عقب حرب حزيران ١٩٦٧ ومع مشروع القرار الباكستاني المقدم الى الجمعية العموميـــة حول مصير القدس ، وعارضت أيضـــا مشروع القرار الامريكي اللاتيني مع الدول العربية والصديقة . وفي دورة ١٩٦٨ للامم المتحدة أكدت اوغندا مواقفها من جديد ، وطالب وزير خارجيـــة اوغندا بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة وباحترام الوحدة الاقليمية لجميع دول المنطقة(٤٠) . ولاوغنده تمثيل دبلوماسي مع ثلاث دول عربية على مستوى سفارة هي مصر وليبيا والسودان . ولقد كـــانت اسرائيـــل تتجاهل دوما في علاقاتهـــا مـــع اوغنده هـــذه المواقـــف ، ولا تناقشها او تجعلها عثرة في سبيل استمرار العلاقات الحسنة بينهما ، وذلك كحالها مع عدد كبير من الدول الافريقيـــة . ولكن الصبر الاسرائيلي نفذ كما يبدو ، وخرجت اسرائيل عن وقارها التقليدي في هذه المسألة عقب صدور البيان المشترك عن المحادثات التي اجراها الرئيس الاوغندي في ليبيا وذلـــك بمطلع ١٩٧٢ . فعلى اثر صدور هذا البيان طلب وزير خارجيـــة اسرائيل من السفير الاسرائيلي بكمبالا الاتصال بالجنرال عيدي امين وطلب التوضيحـــات حول هذا البيان ، وابلاغه رفض اسرائيل للتفسير الاوغندي للبيان بأنه لقاء مساعدات اقتصادية ، ويبدو ان السفير الاسرائيلي طلب أيضا من الرئيس الاوغندي التراجع عن بيانـــه السابق او ان ينشر بيانا مضادا متوازنا مع بيانه المشترك مـــع ليبيا(٤١) . وكان الاعتقاد السائد في أوساط وزارة الخـــارجيـــة الاسرائيلية انه لا يمكن لرئيس اوغنده بعد زيارته لاسرائيـــل وبعد الاستجابة لكـــل مطاليبه ، ان ينشر بلاغات بروح معادية كهذه ، حتى وان كانت لا تؤثر على العلاقات العمليـــة بين اسرائيل واوغنده . وتصاعد رد الفعل الاسرائيلـــي واستعرض مجلس الوزراء نص البيان الليبي ـــ الاوغندي المشترك والذي « وضع اسرائيل في صف واحد مع الدول التي تقدم مساعدات اقتصادية لاوغندا (امريكا ، روسيا ، الدول الاوروبية) » على حد تعبير وزير الخارجية الذي تابع .. « ان التخوف يزداد من تقرب عيدي أمين الى بعض الدول العربية والتي يواصل وصفها بالاخوة والشقيقات »(٤٢) . ولقد عبرت صحيفة (هآرتس) عن الاسباب التي جعلت ردة الفعل الاسرائيليـــة بهذه الحدة في افتتاحيتها بـ ١٩٧٢/٢/١٨ فكتبت تقول : « يسود الانطباع بأن البيان المشترك عن زيارة رئيس وزراء اوغندا الى ليبيا ، والذي يتماثل فيه مع جميع الشعارات العربية المعادية لاسرائيل ، يتجاوز قليلا الحد الذي عودنا عليه اصدقاؤنا بين زعماء افريقيا ... ولقد أذيعت بيانات معادية لاسرائيل (أقل شدة بكثير) وعادت اوغندا لتنفيهـــا من جديد ، ولكن يبدو ان المقصود حاليا هو ظاهرة لا يستطيع التسامح الاسرائيلي الشهير تجاه الافريقيين ان يتغاضى عنها بسهولة » .

وتوقف التصعيد الاسرائيلي علـــى صعيد رسمي لهذه المسألـــة عند هذا الحد ، دون استجابة مباشرة أو مؤيدة من أوغنده وذلك خوفـــا من ان يفلت زمـــام الامور من يد الدبلوماسية الصهيونية ، وان يؤدي هذا التصعيد الى نتائج خطيرة تؤثر على أوضاعها في انحاء القارة . ويبدو ان هذه الدبلوماسية كانت تريد ان تعرض عضلاتها ، وان

تقتل اي تحرك عربي في افريقيا وهو في المهد . وان تنهي اسس تلك اللعبة التي احتملتها مدة طويلة مع عدد من الدول الافريقية ، وذلك بأن تقدم مساعدات واسعة وقروضا ومشاريع لصالح هذه الدول ومع ذلك تكون لهذه الاخيرة مواقف غير ودية من اسرائيل على صعيد سياسي وتصوت غالبا ضدها في لجان الامم المتحدة . ولكن كان التمادي بهذا الاتجاه ومحاولة جعل اوغندا درسا كما ذكرنا يهدد بمشاكل حقيقية للدبلوماسية الصهيونية في ظل الموقف الاوغندي الصلب .

وفي الواقع لم يكن التصور الاسرائيلي يصل الى حد ان تقف اوغنده هذا الموقف ، خاصة وأن اسرائيل زادت من دعمهـا العسكري بشكل كبير عقب انقلاب عيدي أمين حيث ازداد حجم بعثتهـا العسكرية هناك بمقدار ٣٠ شخصا(٤٣) اضافة الى انـه عندما اطاح « امين » بـ« اوبوتي ».تريث الامريكيون والبريطانيون في موضوع المساعدات ، بينما أعادت اسرائيل فورا العلاقات الى حجمها الكامل ، لا بل زادت حجمها(٤٤) كذلك كان للزيارة التي قام بها « امين » الى اسرائيل (علما انه تدرب هناك مدة طويلة) في ١٩٧١ والمحادثات التي اجراها مـع معظم المسؤولين والاستقبال الحافل الذي لاقاه هناك ، اثرا في ان تعتقد الدبلوماسية الصهيونية ان تحركها يتم على ارض صلبة .

اذن .. ردة الفعل الاوغندية وموقفها المتصلب ، جعل اسرائيل تتريث قليلا في حملتها الدبلوماسية والاعلامية . ومن ناحية اخرى ربما دفعهـا لان تفكر جديا بتدبير امر للجنرال أمين قبل ان يتمادى اكثر في تقربه العربي . ولكـن الموقف الاوغنـدي كان سـريعا بأكثر مما تصور جميع المراقبين . فلقـد أعلن عيدي أمين في ١٩٧٢/٣/٢٣ بأنه لن يجدد الاتفاقات الخاصة بالتدريب العسكري بين بلاده واسرائيل ، وانه لن يجدد اية اتفاقات معها ، واتهم الحكومة الاسرائيلية بممارسة نشاط تخريبي ضد حكومته عن طريق سفارتها في كمبالا ، وانه اصدر اوامره الى رجال المخابرات الاسرائيلية باوغندا بأن يحزموا امتعتهم ويعودوا الى اسرائيل باسرع وقت ممكن . وفي اليوم التالي اذيع في كمبالا انه طلب الى اسرائيل ان تسحب بعثتها التي تقوم بتدريب الجيش الاوغندي وقوات المظليين فيها من البلاد . واصابت الدهشة المسؤولين الاسرائيليين ، وحاولوا جهدهم ان يطوقوا الازمة قبل اتساعها . فأعلن وزير الخارجيـة « ابا ايبان » عن استغرابه الشديد لقرار الرئيس الاوغندي ، وانه ليس لاسرائيل اي عملاء سريون . وقال انه ليس لديه اية معلومات بشأن تجميد العلاقات بين اوغندا واسرائيل(٤٥) .

وعقب صدور القرار الاوغندي بطرد البعثة العسكرية الاسرائيلية ، اجتمعت رئيسة الوزراء (مائير) مع وزيري الدفاع والخارجية ، وصدر قرار بسحب جميع المستشارين العسكريين ، وتتراوح اعدادهم بين ٦٥ و ٧٠ شخصا ، بعـد أربعة ايـام . أي في ١٩٧٢/٣/٢٨ اعلن راديو كمبالا ان رئيس الوزراء (امين) اعلن ليلـة امس حالة التأهب الكامل في الجيش الاوغندي ، واصدر امرا الى السفير الاسرائيلي بالعمل فورا على ترحيل جميع الاسرائيليين . ويبلغ عددهم نحـو ٨٠٠ شخص . ولم يتضح فيما اذا كان القرار يشمل اغلاق السفارة . وفي ١٩٧٢/٣/٣١ اعلن رئيس الوزراء بأنـه اصدر امرا باغلاق السفارة الاسرائيلية وأمهل أعضاءها عشرة ايـام حتى يغادروا البلاد . وصرح (وادي كبيري) وزير الخارجية الاوغندي « ان قطـع العلاقات كان سببه الدعاية المناوئة التي ظهرت في الصحف الاسرائيلية ضد اوغندا . كذلك محاولات الهدم والتخريب من جانب الاسرائيليين . وقيام العسكريين منهم بزيارات مشبوهة وغير مصرح بها لمعسكرات الجيش في كمبالا » وصرح مصدر اسرائيلي انه لن يبقى هناك اسرائيليون في اوغندا بعد ١٩٧٢/٤/٨ . اي ان اسرائيل فقدت كل مواقعها ، وخرج كل مستشاريها وخبرائها وشركاتها في اوغندا خلال ١٥ يوما فقط . وكانت التحليلات

الاسرائيلية الفورية لهذه الضربة .. « ان الجنرال أمين يريد بمواقفه هذه تغطية الاتفاقات والمساعدات التي عقدها مؤخرا مع ليبيا ومصر » .

ولكن ... هل كان انهاء الوجود الاسرائيلي من اوغنده مفاجأة لجميع الاسرائيليين ؟ وهل هو فعلا كما فسرت الصحف عشية الحوادث محاولة لتغطية معونات اخرى ؟ قبل ستة اشهر من الازمة الاسرائيلية في اوغنده كتب مبعوث صحيفة (هآرتس) رسالة من افريقيا تحدث فيها عن اوضاع الخبراء الاسرائيليين واوضاع الشركات .. ولقد كتب حول اوغندا ما يلي : « تثقل النفقات العسكرية موازنة الدولة ، ويعرب بعض المسؤولين الغربيين عن خوفهم من وقوع ازمة اقتصادية خطيرة خلال الاشهر القريبة ، ويدعي هؤلاء — ومعهم بعض الاوغنديين — ان اسرائيل ، التي يساعد مستشاروها على تقوية الجيش هي المسؤولة الاساسية عن العجز الهائل بموازنة الدولة ... في السنة المالية الجارية ، تضاعفت نفقات بنود الامن ، وبلغت ٢٠ ٪ من الموازنة العامة ... ، ويذكر البعض ان شخصيات من اوغنده توجهت بصورة غير رسمية الى اسرائيل طالبة التأثير على الحكومة الاوغندية لتخفيض النفقات العسكرية ، ويقول المطلعون انه سيكون لاوغندا جيش ممتاز ، ولكن الانفاق عليه خصوصا مع انعدام التوسع بالنشاط الاقتصادي سيضعف الدولة ، لان المزيد من الطائرات يعني مدارس ومستشفيات اقل . والانطباع لدى المواطنين ان اسرائيل تزج اوغندا في انفاق هائل ، ربما بسبب مصالحها الاستراتيجية وربما في سبيل الربح المادي . واذا ما تعرضت اوغندا الى ازمة اقتصادية شديدة فان العديدين سوف يلومون اسرائيل ...»(٤٦)

اذن كان هناك اختيار اسرائيلي في اوغنده بين التركيز على مصالحها الاقتصادية ، او التركيز على مصالحها السياسية بالتنازل عن جزء من ارباحها في سبيل مصلحة البلد في مقابل استمرارها في اوغنده . وهو ما استطاعت اسرائيل في العديد من الدول الافريقية حسمه بشكل متوازن . ولكن في اوغنده كان التركيز الاسرائيلي على المصلحة الخاصة للشركات وللحكومة على حساب البلد المعني وقدرته على الاستمرار . ان هذا الاختيار الاسرائيلي كان عاملا اساسيا في دفع البلاد الى طريق ازمة اقتصادية خانقة وبالتالي دفعها الى التخلص من هذا الوجود الاسرائيلي ، والبحث عن مساعدات في جهات اخرى اكثر مراعاة لمصالح اقتصادها ، واكثر ايجابية من اجل دفع هذا الاقتصاد الى الامام .

من هذه الزاوية يمكن لنا ان نفهم المطالبة الاسرائيلية (بعد خروجهم من اوغندا) للاستفادة من هذا الدرس وذلك بأن تقدم اسرائيل الى افريقيا مساعدات تعجز الاخيرة على الحصول عليها من اي مكان آخر . « ادركنا من كل هذا ، اننا اذا كنا سنفعل ما يستطيع الآخرون القيام به ، سيكون من السهل استبدالنا مع ان احتمالاتنا للنجاح كثيرة جدا في المجالات ذات الخاصية الاسرائيلية (الناحال) . لانه يصعب على اي بلد ان يرسل مزيج مكون من ضابط وفلاح مثل رجل الناحال »(٤٧) .

لقد كان من الواضح ان المتضرر الاكبر من الازمة هذه ماديا كانت الشركات الاسرائيلية. ولكن الحكومة بالطبع لم تترك هذه الشركات وحيدة في الميدان . فلا يوجد للحكومة الاسرائيلية مطالب على اوغندا الا ما يمكن ان تطلبه مقابل عمليات التدريب هناك ، اما الشركات فقد بلغت مطالبها حسب آخر تقدير ٢٠ مليون دولار كما جاء على لسان وزير الخارجية . ومع ذلك فان الحكومة الاسرائيلية في النهاية ، هي التي ستتحمل مجمل هذه الخسائر ، اذ ان ممتلكات الشركات هذه مؤمن عليها من قبل التأمين الحكومي ضد اخطار الحرب . تقول «دافار» بهذا الصدد .. «على الحكومة الاسرائيلية ان تقف على رأس هذه المعركة ، سواء من اجل حماية اموالها او اموال الشركات التي

خرجت متضررة دون ذنب اقترفته ، لان الخسائر اذا لم تعوض من قبل اوغندا فانها ستغطى في النهاية من اموال دافع الضريبة الاسرائيلي .. »(٤٨).

وهكذا اخذت وزارة الخارجية على عاتقها معالجة مجمل المشاكل المالية التي نتجت في اعقاب الازمة وذكرت الصحف ان وزارة الدفاع ايضا تكرس اهتماما خاصا للموضوع (؟) ، حيث ذكر ناطق باسمها ان هناك بعض القضايا المعلقة ، والتي تتطلب توضيح وحسابات متبادلة(٤٩) . وضمن هذا الجو الصاخب كان هناك ايضا مجال لطول النفس الاسرائيلي المعهود والخبيث . فلقد صرح (مائير روزين) المستشار القضائي لوزارة الخارجية الى انه ليست هناك الآن اية نية لاتباع خطوات قضائية ضد اوغنده ، بسبب خرق المعاهدات والاتفاقيات وان اسرائيل تفضل الآن الدبلوماسية الهادئة ، وفقط اذا استنفدت جميع الطرق المعتمدة في العلاقة بين دولتين ، عندها هناك حاجة لدرس طرق اخرى(٥٠) . ولكن ذلك لم يمنع وزارة المالية ، ذات العلاقة المباشرة مع ادارة البنك الدولي من تقديم طلب له للضغط على اوغنده بواسطة تجميد القروض واغلاق الموارد المالية على انواعها(٥١) . ولقد ظهرت آثار هذا في تجميد المعونة الامريكية المقدمة الى اوغندا في نهاية العام ١٩٧٢ .

اذا تركنا الآن المجال الرسمي الى الآراء التي سيطرت على الصحف الاسرائيلية سوف نرى ضياع الرزانة الاسرائيلية كليا هنا ، اذ انحدرت مستوى الاتهامات ضد اوغندا وضد عيدي امين شخصيا* وخرجت المسألة عن الاسباب العملية والحقيقية للطرد الاسرائيلي ، وتعددت آراء الصحف والآراء شبه الرسمية ، بين مهدد وناقم على كل برامج المساعدات وانتشر الحديث المقيت عن عدم الوفاء للجميل الاسرائيلي ، وعن التضحيات التي تبذلها اسرائيل في سبيل اصدقائها ، ولكن دون اي عرفان لهذا الجميل .

أما تلك الاصوات النادرة ، التي فهمت حقيقة الموضوع والتي حاولت استخلاص الدروس منه لزيادة دعائم وركائز الوجود الاسرائيلي في دول العالم الثالث ، فلقد كان ابرزها — الياهو سلفطر — خبير الشؤون الافريقية في صحيفة (هآرتس) الذي كتب يقول : « اذا تعلمت اسرائيل وايضا دول الغرب من تجربتها في مشاريع المساعدة ، فان الحصول على التقدير لا يمكن ان يشكل غاية لها ، ... ولهذا توصلت دول الغرب الى راي انه في حالات كثيرة ليست المساعدة على اساس اتفاقات ثنائية هي الطريق الافضل لمساعدة دول فقيرة ، والحصول على تأييدها ، والاتجاه المتزايد هو منح مساعدات اكثر فأكثر بواسطة منظمات دولية ، ... ان هيئات دولية مختلفة تعرض على اسرائيل اقتراحات لتحويل المساعدات عن طريقها بدلا من اعطائها مباشرة ... ويعتقد الخبراء الاسرائيليون انه بالنسبة لنا ما زال من الافضل الاستمرار باسلوب العلاقات الثنائية مع الدول»(٥٢) ولكن « سلفطر » هذا لا يلاحظ مطلقا ان اسرائيل ذاتها هي دولة ثالثة في العلاقة بين الدول الغربية والدول النامية كما اوضحنا سابقا ، اي ان المساعدات تمر بالغالب عن طريق اسرائيل كما تمررها الدول الامبريالية عبر المنظمات والهيئات الدولية . وبهذا يصبح موقف « الخبراء الاسرائيليين » سليما بالتركيز على فائدة اسلوب العلاقة المباشرة مع الدول النامية . اذ كيف يمكن لدولة ثالثة في العلاقة بين طرفين ان تحول الاموال الى الهيئات الدولية اي الى طرف

---

* قالت **يديعوت أحرونوت** مثلا في ٧/٢٨ « ان امين يرفض حتى اعادة الطائرة من نوع (كومودور جت) التي وضعت تحت تصرفه من قبل الصناعة الجوية الاسرائيلية » . بالرغم من ان صحيفة **معاريف** كانت قد ذكرت في ٧/٢٢ عند زيارة امين لاسرائيل « نزل امين من طائرته البيضاء (يضع شارة سلاح المظليين الاسرائيليين على صدره) من نوع (كومودور جت) كانت اوغندا قد اشترت طائرتين منها في وقت سابق ».

رابع ..؟؟ ويتابع « سلفطر » موضحا للرأي العام الاسرائيلي .. « من الافضل ان نتخلص من ثلاثة اوهام ما زالت منتشرة عندنا بالنسبة للمساعدات الى دول افريقيا ، الاعتراف بالجميل : خاصة بصورة علنية ، وبصورة تصويت اذ انـــه ليس الصورة المقبولة اليوم في العالم من قبل البلدان التي تتلقى مساعدات . ثانيا . ليس صحيحا انه لا تعود على اسرائيـــل اية فوائد من المساعدة ، حتى وان لم تبـــرز في المجالات السياسية والدولية ، اذ يمكن القول انه بالنسبة الـــى ما نستثمره ما زالت الفائدة كبيرة وعظيمة . ثالثا : ان المساعدات الاسرائيلية بعيدة عن بلوغها اموالا طائلة اذ اننا نصرف على هذه الغاية ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية سنويا فقط ... »(٥٣)

وهكذا تعود بعض الاصوات في اسرائيل لتفسير المكاسب والفوائد التي تحققها اسرائيل امام الاندفاع باتجاه التحسر على هذه الاموال التي تقدم كمساعدات نزيهة وشريفة لبلدان العالم الثالث.وترسل اسرائيل وفدا منكبار الموظفينوالخبراء الىعدد من البلدان الافريقية من أجل الوقوف عن قرب على التطورات السياسية فيها « ولايقاف الحملة العربية ـــ الليبية التي بدأت في اوغنده ومستمرة الان في تشاد ... وتقوم السفارات الاســـرائيلية التي تعتقد بأن هناك ضرورة ، باجـــراء اتصالات اخـــرى مع الحكومات في الـــدول التي يسلاحظ فيها نشاط عربي ـــ ليبي وتقـــوم باســـتضافة الخبـــراء الاسرائيليين .. »(٥٤). وهكذا تعود الدبلوماسية الاسرائيلية بالتحرك في نشاط محموم بهدف تطويق الازمة ولحصرها قدر الامكان في اوغندا خوف ان تمتد آثارهـــا الى بقية البلدان الافريقية . وتستطيع الدبلوماسية الصهيونية ان تجعل من هزيمتها في علاقاتها السياسية والاقتصادية مع اوغندا درسا تستطيع الافادة منه في علاقاتها مع بقية الدول الافرو آسيوية . ولنستخلص (والصحف الاسرائيلية منها) النقاط الاربع التالية(٥٥):

ـــ ان تحديد الاولويات الجغرافية أمر مقيد بواسطة المعطيات المحلية ، ومع اهمية هذه الاولويات لكنها لا تشكل القرار النهائي . فمع أهمية شـــرق افريقيا ، الا أن الاوضاع الآن فيه (اوغنده عـــلى الاقل) تنـــاقض سلم الاولويات المرغوب بهـــا في المصـــالح الاسرائيلية. ـــ ان المساعدات العسكرية ربما كانت الوسيلة السريعة والمفيدة للحصول على مكانة وتأييد لدى الحكومة التي تطلب مساعدة من اسرائيل. ولكن الاهم والمطلوب توسيع العلاقات الى مجالات اقوى تتطور بها صلة واسعة قدر الامكان . ـــ ان مدى استقرار علاقات اسرائيل مع دول افريقيا هو دالة الاستقرار الاقتصادي والسياسي في دول افريقيا المختلفة لذا يجب اضافة مقياس ثبات المواضيع التي تستثمر فيها الجهود عند تحديد الاولويات . ـــ يجب التصرف بهدوء وروية وبعدم حساسية تجاه التصرفات والتصريحات للزعماء الافريقيين اذ أن المصلحة الحقيقية تتطلب البقاء والمحافظة علـــى المواقع التي وصل اليها الوجود الاسرائيلي وخاصة في المناطق ذات الاهمية الجغرافية والسياسية ، كشرق افريقيا .

---

١ ـــ شحاده موسى ، **علاقات اسرائيل مع دول العالم** . مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت: ١٩٧١ ، ص ٥١٢ .

٢ ـــ المهدي بن بركة ، « اسرائيل وافريقيا » ، مجلة **الطليعة** (المصرية) العـــدد ٥/٩٦٦ ، ص ٦٥ .

٣ ـــ صحيفة **دافار** ١٩٦٨/٥/٣ . **والكتـــاب السنوي للقضية الفلسطينيـــة عام ١٩٦٨** ، مؤسسة الدراسات ، بيروت .

٤ ـــ Tettegah Tom, *How Israel Secret Agents Subvert Africa*, 1968, p. 15.

٥ ـــ رياض القنطار ، **التغلغل الاسرائيلي فـــي افريقيا** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

٦ ـــ متري حمارنة (مترجم) ، صحيفة الثورة السورية عن الشؤون الدولية، **الثورة** (٢٠١٣) ١٩٦٩/١٠/٨ .

٧ — Laufer Leopold, *Israel and Developing Countries*, U.S.A. 1967, p. 76.

٨ — رياض القنطار **المرجع نفسه** ص ٣١ .

٩ — محمد المشوفي ، **التغلغل الاسرائيلي في افريقيا** ، رسالة ماجستير بجامعة الاسكندرية ، ١٩٧١ ، ص ٢٧١ .

١٠ — Lenczowski George, *The Middle East in the World Affairs*, U.S.A. 1963 p. 105.

١١ — رياض القنطار ، **المرجع السابق** ، ص ٢١١ .

١٢ — شحادة موسى **المرجع السابق** ، ص ٤٣٢ .

١٣ — Nadav Safran, *The United States and Israel*, Harvard, 1963.

١٤ — لجنة ماديسون ، « اسرائيل وجنوب افريقيا » ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ١٩٧٢ . العدد الثامن ص ٩٦ .

١٥ — شحادة موسى ، **المرجع السابق** ، ص ٤٢٤ .

١٦ — المهدي بن بركة **المرجع السابق** .

١٧ — **هآرتس** ١٩٧٢/٣/٢٦ .

١٨ — نداف سفران ، **المرجع السابق** ، ص ٢٦١ .

١٩ — **الجويش اوبزرفر** ٦٧/٨/١ عن الكتاب السنوي .

٢٠ — دائرة المعارف البريطانية المجلد السادس ص (٩٦٨) والسنايع ص (٨٦٢) .

٢١ — د. مصطفى كامل سعيد، **الاهرام الاقتصادي** ١٩٦٩/٣/١ .

٢٢ — د. راشد البراوي ، **مشكلات افريقيا السياسية والاقتصادية** ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢٣ — د. وهبي غبريل ، « الحركة التكاملية في افريقيا » ، مجلة **السياسة الدولية** ، تموز (يوليو) ١٩٦٩ .

٢٤ — المهدي بن بركة، **المرجع السابق** ، ص ٦٧ .

٢٥ — ملحق **هآرتس** ١٩٧١/١١/٥ ص ١٣ .

٢٦ — **هآرتس** ١٩٧١/٩/٢٨ .

٢٧ — Laufer ص ١٧١ — ١٧٣ .

٢٨ — **معاريف** ١٩٧١/٧/١٢ .

٢٩ — **الاهرام** ١٩٧٢/٣/٢٩ .

٣٠ — **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ١٩٧٢/٤/١٦ ص ٢٠٨ .

٣١ — **هآرتس** ١٩٧٢/٤/٧ .

٣٢ — ملحق **هآرتس** ١٩٧١/١١/٥ .

٣٣ — Tettegah ص ٢٠ .

٣٤ — **الاهرام** ١٩٧٢/٣/٢٩ .

٣٥ — **يديعوت احرونوت** ١٩٧٢/٧/٢٨ .

٣٦ — **المرجع السابق** .

٣٧ — ملحق **هآرتس** ١٩٧١/١١/٥ .

٣٨ — U. N. year book of international trade statistics.
يوسف شبل ، **تجارة اسرائيل الخارجية** ، بيروت : ١٩٦٩ — مركز الابحاث .
Israel Central Bureau of Statistics. 1970, Part I Exp. p. 418.
Foreign Trade Statistics Quarterly, Part II Imp. p. 513.

٣٩ — Israel Central Bureau. **المرجع السابق** .

٤٠ — شحادة موسى ص ٤٤١ — ٤٤٩ .

٤١ — **هآرتس** ١٩٧٢/٢/٢٠ .

٤٢ — **هآرتس** ١٩٧٢/٢/٢١ .

٤٣ — **هآرتس** ١٩٧٢/٤/٧ .

٤٤ — **هآرتس** ١٩٧١/٩/٢٨ (نشرة مؤسسة الدراسات) .

٤٥ — **الاهرام** ٣/٢٣ و١٩٧٢/٤/٣ .

٤٦ — **هآرتس** ، نشرة مؤسسة الدراسات ١٩٧١/١٠/١٦ ص ٢٤٤ .

٤٧ — **هآرتس** ٧٢/٤/٧ .

٤٨ — **دافار** ١٩٧٢/٤/٣٠ ص ١٣ .

٤٩ — **يديعوت احرونوت** ٧٢/٧/٢٨ .

٥٠ — **المرجع السابق** .

٥١ — **المرجع السابق** .

٥٢ — **هآرتس** — نشرة مؤسسة الدراسات، اول نيسان ١٩٧٢ ص ١٨١ .

٥٣ — **المرجع السابق** .

٥٤ — **هآرتس** ١٩٧٢/٤/١٨ .

٥٥ — **المصدر نفسه** .

اسرائيل وتشاد :
نحو سياسة عربية جديدة في افريقيه

محمود فلاحة

الى حين كتابة هذه السطور كانت جمهورية مالي في افريقيا الغربية هي آخر الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل وذلك في نهاية الاسبوع الاول من العام الجديد ١٩٧٣ ، وكانت كل من جمهوريتي النيجر والكونغو برازافيل قد وجهتا لاسرائيل لمناسبة حلول العام الجديد صفعة مماثلة في تتابع مدهش يصحح منطق الاشياء وصورة الاوضاع في القارة الافريقية . وبذلك يبلغ عدد الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل في غضون الاشهر العشرة الاخيرة خمس دول هي على التوالي : اوغندة في آذار ١٩٧٢ ، وبعد ذلك جمهورية التشاد في الثامن والعشرين من تشرين الثاني الماضي ثم جمهورية الكونغو برازافيل وبعدها بساعات جمهورية النيجر في مطلع العام الجديد ثم جمهورية مالي في الخامس من كانون الثاني ١٩٧٣ . وكانت غينيا قد قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل اثر حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة ، كما ان موريتانيا كانت قد بادرت الى ذلك قبيل اندلاع الحرب المذكورة ايضا .... وهذا يعني أن غالبية الدول الافريقية الممتدة عبر الصحراء الافريقية الكبرى في قطاع عرضي واسع يمتد جنوبي الدول العربية في شمال القارة الافريقية قد بادرت الى قطع علاقاتها باسرائيل الصهيونية ، وهي بذلك قد اعطت الدول العربية المؤشر للعمل على مساعدة البلدان الاخرى في القارة الافريقية للتخلص من اخطبوط اسرائيل الصهيوني .

وهذا يقتضي وقفة نستشرف منها نقطة البداية في علاقات اسرائيل بدول القارة الافريقية ، ونستعرض فيها مظاهر نمو هذه العلاقات وتطورها الى ان وصلت الى مرحلة الجزر والانحسار الحالية ، كما نتفحص دواعي ذلك واسبابه علنا نستخلص من هذه التطورات العبر فنستفيد منها في ارساء معالم سياسية عربية جديدة تجاه شعوب وبلدان القارة الافريقية الشقيقة للعمل على تطهير كافة انحاء القارة الافريقية من هذا النفوذ الصهيوني الذي استشرى في الجسم الافريقي وازداد خطرا وشراسة بحيث اصبح لا يهدد البلدان العربية المجاورة له فحسب ، بل أخذ يمتد الى بلدان العالم الثالث يعيث بها فسادا وينسج خلال بنيتها شبكة من المصالح الاستغلالية تنخر كيانها وتمتص دماءها لصالح الاستثمارات الصهيونية والاستعمارية .

اسرائيل وجمهورية تشاد : الحصاد المر :

سنستعرض بشيء من التفصيل العلاقات بين اسرائيل وجمهورية تشاد كمثال على الفشل الذي أخذت تمنى به سياسة اسرائيل في افريقيا لعل ذلك يساهم في القاء مزيد من الاضواء على مختلف جوانب المسألة المطروحة .

ان جمهورية تشاد هي من جمهوريات افريقيا الوسطى وتقع في قلب الصحراء الكبرى

الافريقية ، وهي من البلدان الكبيرة مساحة (١،٢٧١،٠٠٠ كيلومتر مربع) اي ان مساحتها تبلغ نحو ٦٠ ضعفا قدر مساحة اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ ، بيد أن سكانها قليلو العدد نسبيا فهم يبلغون حسب احصاء ١٩٦٤ حوالي ٣،٢٥٠،٠٠٠ منهم نحو ٧٦٠٠ من الاوروبيين ، وعاصمتها مدينة فورلامي . وهي جمهورية داخلية ليس لها سواحل على البحر وتحدها ليبيا من الشمال ونيجيريا والنيجر من الغرب والكاميرون وجمهورية وسط أفريقيا من الجنوب والسودان من الشرق . والديانة السائدة بين سكانها هي الديانة الاسلامية ، ولكن كثيرا من قبائلها ما زالت تعتنق بعض الديانات الوثنية البدائية التي هي من أشكال عبادة الطبيعة ، كما أن قسما من السكان يعتنق الديانة المسيحية. وتعيش بعض العناصر العربية في شمال جمهورية تشاد وجنوبها. وقد كانت تشاد في العصور الوسطى مركزا لعدد من السلطنات الاسلامية تمزقها الخلافات والحروب . وفي اواخر القرن التاسع عشر تولى حكمها جميعها عربي من السودان هو رباح زبير ، وفي عهده اقتسمت الدول الاوروبية أفريقية ، وكانت تشاد من نصيب الفرنسيين . وقد قاوم رباح الفرنسيين وقتل في سنة ١٩٠٠ لتقسم تشاد كلها تحت سيطرتهم .

وقد منحت السلطات الفرنسية التشاد بموجب القانون الدستوري الصادر سنة ١٩٥٧ نسبة كبرى من الاستقلال الذاتي ، حيث شكلت الحكومة التشادية الاولى برئاسة غبرييل ليسيت الذي كان من قبل موظفا اداريا ثم رئس الحزب التقدمي التشادي . وفي تشرين الثاني ١٩٥٨ أعلنت تشاد جمهورية مستقلة ضمن المجموعة الفرنسية ، ثم أعلنت جمهورية مستقلة تماما في ١١ آب سنة ١٩٦٠ ، وان ظلت ترتبط بفرنسا بشبكة من الروابط الاقتصادية والعلاقات الثقافية والمعنوية . وما زالت في التشاد قاعدة عسكرية جوية فرنسية كما يوجد فيها نحو (١٥٠) ضابطا وخبيرا عسكريا فرنسيا يعملون على تدريب جيش جمهورية تشاد الذي يبلغ عدده نحو (٦٠٠٠) رجل . وفيما بعد نحي غبرييل ليسيت عن الحكم ونصب بديلا له شخص اكثر قبولا لدى المعارضة هو فرنسوا تومبالباي الزعيم النقابي الجنوبي .

وفي آذار ١٩٦١ استطاع تومبالباي وهو الرئيس الحالي لجمهورية التشاد أن يدمج الحزب التقدمي التشادي والحزب الافريقي التشادي المعارض ويؤلف منهما حزبا وحيدا هو حزب « اتحاد تشاد التقدمي » .

لغة تشاد الرسمية هي اللغة الفرنسية . وفي المجال الخارجي تلتزم التشاد باستمرار بكتلة الدول الناطقة بالفرنسية ، وهي الآن عضو في منظمة الاوكام — المنظمة المشتركة الافريقية الملغاسية African and Malagasy Common Organisation .
وقد انضوت منذ عام ١٩٦٤ الى اتحاد جمركي يضمها مع الكاميرون والدول الاعضاء سابقا في اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية . فجمهورية التشاد اذن هي من جمهوريات المجموعة الفرنسية في أفريقيا ، كبيرة المساحة ، قليلة السكان ، اقتصادها زراعي متخلف ، محدودة الموارد ، يدين قسم اساسي من سكانها بالاسلام ، ويحكمها منذ نشوئها فرنسوا تومبالباي بصفته رئيسا لحزب اتحاد تشاد التقدمي وفق نظام الحزب الواحد . وهي محاطة بعدد من الدول العربية (السودان وليبيا) ، والاسلامية (نيجيريا والنيجر والكاميرون) .

نشوء صلات اسرائيل وتشاد :

جاءت صلات اسرائيل بتشاد متأخرة بعض الوقت عن صلاتها بدول افريقية عديدة أخرى مثل اثيوبيا وغانا ونيجيرية والكونغو — كينشاسا (زائير) ومالي وليبيرية

وأوغندة وكينيا والغابون وداهومي وغيرها ، بالاضافة الى أنظمة التمييز العنصري فيها مثل روديسيا وجنوب أفريقيا . ومن الممكن اعتبار سنة ١٩٥٧ نقطة تحول كبرى في علاقات اسرائيل بأفريقيا بشكل عام . ففي أواخر ذلك العام ، وبعد العدوان الثلاثي الاسرائيلي — البريطاني — الفرنسي على مصر ، **فتحت مضايق تيران وخليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية مما سهل الاتصال البحري عن طريق البحر الاحمر بين اسرائيل ودول شرقي أفريقيا** . كذلك شهدت تلك السنة بدايات استقلال الدول الافريقية ، مما جعل اسرائيل تتحرك بكل طاقاتها مدعومة بالامبريالية وبأجهزة المنظمات الصهيونية بالطبع ، من أجل كسب هذه الدول وصداقاتها وبالتالي اعترافها ودعمها .

وتحدث مسؤولون ومعلقون اسرائيليون وصهاينة صراحة عن علاقات اسرائيل بأفريقيا والاهداف منها . فقد أوضح عاموس بن فيريد ، في مجلة l'Observateur du Moyen-Orient et de l'Afrique, 24 Juillet 1964, Paris, P; Q. في معرض حديثه عن « برنامج المعونة الفنية الافريقية » ... « بان هذه الروابط أي روابط التعاون مع أفريقية ، انما هي المرتكز الرئيسي لاسرائيل مع العالم الخارجي ، ما وراء وفوق السور العدائي الذي اقامه العرب حولها . هذه الروابط هي الطريق غير المباشرة الى السلام بالنسبة لاسرائيل » .

ولم يختلف أمر تشاد عن باقي الدول الافريقية الاخرى حديثة الاستقلال . فحالما نالت تشاد استقلالها من فرنسا في ١١ آب ١٩٦٠ حتى سارعت اسرائيل الى الاعتراف بها عارضة خدماتها وتقديم المساعدات اليها وتوجيه الدعوات الى مسؤوليها القائمين أو الموعودين لزيارة اسرائيل . وفي عام ١٩٦٢ أقامت اسرائيل علاقات دبلوماسية رسمية لها مع تشاد ، وانشأت سفارة لها في فورلامي ، ووقعت في سنة ١٩٦٤ معها اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني . واستمرت العلاقات بين اسرائيل وتشاد تنمو وتتقوى ، فزار تومبالباي نفسه وهو رئيس دولة اسرائيل عام ١٩٦٥ ، وكان قد زارها قبل ذلك عام ١٩٥٨ ، كما زارتها زوجته عام ١٩٧١ ، كذلك تم تبادل الزيارات بين المسؤولين الاخرين في كل من تشاد واسرائيل .

ورغم أن العلاقات بين اسرائيل وجمهورية التشاد قد اشتملت على اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والمساعدات الفنية الا ان الوجود الاسرائيلي في التشاد عند قطع العلاقات كان ضئيلا ، اذ كان « يقتصر على السفير الاسرائيلي يتسحاق بن نافون وديبلوماسي آخر وخمس عائلات لخبراء اسرائيليين يقومون بالتدريب في مجال الزراعة والطباعة وارشاد الشباب »(١) .

انكشاف هوية اسرائيل أمام أفريقيا : أخذت الاحداث في المنطقة العربية تكشف طبيعة اسرائيل القائمة على العدوان والتوسع والتمييز العنصري ، **وتثبت انها ليست كما قالت جولدا مايير حين كانت وزيرة للخارجية :« نحن دولة صغيرة المساحة ، ديمقراطية ، ليست لنا أية تطلعات توسعية . لنا مميزات تجذب الينا الافريقيين . نحن مثلهم دولة حديثة نواجه بشكل مستمر بمشاكل من نوع مشاكلهم . لقد توفرت لنا تجربة أصيلة في مجال التطور الاقتصادي وكرواد كذلك نفيد الدول الحديثة »** . وانها ليست أيضا كما قال ايبان ذات يوم وهو يخطب في حشد أفريقي : **دولة أقامها أناس عانوا من التفرقة الدينية كما عانى غيرهم من التفرقة بسبب اللون . وبعد عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ ، وما تلاه من تطورات ، انكشفت اسرائيل تماما على حقيقتها ، وتعرت بشكل خاص أمام الدول الافريقية .**

---

١ — نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية ، في ١٩٧٢/١١/٢٨ .

وقد بلغت قمة هذه التطورات واشتراك افريقية عامة بها في عام ١٩٧١ ، حين شكل مؤتمر القمة الثامن لمنظمة الوحدة الافريقية الذي عقد في اديس ابابا لجنة من عشرة رؤساء افارقة ، أوكل اليها بذل المساعي من اجل ايجاد حل للوضع الذي خلقه عدوان اسرائيل في الشرق الاوسط . ثم اختصرت لجنة العشرة هذه نفسها ، وشكلت لجنة « حكماء افريقيا الاربعة » من رؤساء دول زائير والكاميرون والسنغال ونيجيريا وكلفه بالمهمة هذه . وزار «الحكماء» مصر واسرائيل ، ثم اعلنت فشلها بسبب موقف اسرائيل منها والتي رفضت مهمة « الحكماء » ، وطلبت من افريقيا ان « تجمع أطراف النزاع في الشرق الاوسط الى مائدة مفاوضات » . وأخذت أفريقيا تعيد ، وبشكل عام ، تقييم موقفها من اسرائيل . واتخذت بعض الاجراءات التي تحد من نشاط اسرائيل الافريقي . وكانت غينيا قد قطعت علاقتها باسرائيل بعد عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ . وفي الاسبوع الاخير من آذار الماضي ١٩٧٢ تدهور الوضع بين اوغندة واسرائيل فقطعت أوغندة علاقاتها باسرائيل وطردت بعثاتها من بلادها .

مؤتمر القمة الافريقي التاسع : ثم جاء مؤتمر القمة التاسع لمنظمة الوحدة الافريقية ، الذي عقد في الرباط ما بين ١٢ — ٧٢/٦/١٥ ليكرس خطا افريقيا غير مؤيد كليا لاسرائيل ، بل ومعاديا لها في بعض المجالات . وقد ندد ذلك المؤتمر بموقف اسرائيل ودعاها الى الانسحاب من الاراضي العربية .

التشاد تقطع علاقاتها مع اسرائيل :

بعد أوغندا جاءت التشاد تؤكد بقطعها علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل في ١٩٧٢/١١/٢٨ أن الرياح في أفريقيا تهب معاكسة لاسرائيل ... وهذه التطورات المتلاحقة تقتضي بعد أن استعرضنا الظروف الخارجية العامة ، التي أدت اليها ، القاء شيء من الضوء على اوضاع التشاد الداخلية التي وجهت دفة الاحداث باتجاه بر الامان خلاصا من الاخطبوط الصهيوني .

ان علاقات التشاد بالعالم العربي والاسلامي هي علاقات تاريخية عميقة الجذور وبعيدة المدى . ومنذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر والحركة السنوسية تقوم بجهد كبير لنشر الاسلام بين قبائل بلاد التشاد وقد لاقت جهودها المخلصة في هذا السبيل نجاحا كبيرا قوى لحمة الروابط بين التشاد والعالم العربي والاسلامي ولا سيما مع ليبيا . ولم تهادن العناصر والقوى الاسلامية الاستعمار الفرنسي خلال سيطرته على التشاد ،وبعد الاستقلال سار الرئيس فرانسوا تومبالباي في خط موال للسياسة الفرنسية . وسعى الى اضعاف شوكة القوى الاسلامية في البلاد ، واتهمها في سنة ١٩٦٣ بتدبير مؤامرة ضده وضد أمن البلاد ، فحل الجمعية الوطنية وأعلن الاحكام العرفية لمدة من الزمن ، واعتقل عددا من الوزراء الاعضاء سابقا في الحزب الافريقي التشادي ، ولكن العناصر الاسلامية في التشاد التي تتركز قوتها بين قبائل شمال البلاد المسلمة نظمت نفسها في حركة سياسية هي « الجبهة القومية لتحرير التشاد » التي تعرف باسم « فرولينات » ، وتتخذ مقرا لها في طرابلس الغرب بليبيا اعتمدت الكفاح المسلح منهجا لعملها منذ نحو تسع سنوات . وكانت تتلقى المساعدة من ليبيا ، فاستطاعت هذه الحركة أن تصمد وأن تستمر ، وهي بطبيعة الحال حركة معادية لاسرائيل ، ولعل في اتجاه الرئيس فرنسوا تومبالباي لقطع العلاقات مع اسرائيل محاولة لرأب الصدع داخل بلاده بالتفاهم مع ليبيا ولبناء علاقات حسن جوار مع ليبيا وغيرها من الدول العربية والاسلامية المحيطة بالتشاد . وقد ساعده في توجهه السليم هذا انكشاف

هوية اسرائيل العدوانية العنصرية التوسعية في ضوء تطورات الاحداث اللاحقة لحرب حزيران والتي اسلفنا شرحها .

ومن جهة أخرى ، لقد نشأت صلات اسرائيل بالتشاد ومعظم الدول الافريقية الاخرى في أواخر الخمسينات اي في أعقاب حرب السويس عـــام ١٩٥٦ وابان اشتداد اوار الثورة الجزائرية يوم أن كانت فرنسا تتخذ موقفا معاديـــا معاداة تامة لكل القضايا العربية وتدعم اسرائيل دعما كاملا وتاما . أما الان ، فان علاقـــات فرنسا الحسنة بالعالم العربي بصورة عامة ، ومع ليبيا بوجه خاص ، لا ريب أنها ساعدت الرئيس فرنسوا تومبالباي على أن يعيد مراجعة حساباته ومواقفه مع اسرائيل ، سيما وأن التشاد بصفتها من الدول الافريقية الناشئة لا بد وأنها أخذت توجس خيفة من مخاطر اشتداد بأس اسرائيل بعد أن انكشفت طبيعتها الكولونيالية في المناطق العربية المحتلة ، وهذا ينطوي على مغاز ومضامين تثير الحذر والريبة لدى بلدان العالم الثالث الناشئة الحريصة على استقلالها السياسي والاقتصادي معا . وفي ضوء هذا يمكن فهم المغزى الذي انطوى عليه قول الرئيس تومبالباي في بيانه الذي اذاعه تبريرا لقطع العلاقات حيث قال : « ان وجود مندوبين اسرائيليين في التشاد يسيء الى أمن الدولة وأمن دول اخرى في افريقيا »(٢) .

ومنذ شهر آب ١٩٧٢ كانت بوادر التغيير التشادي تلوح في الافق . فقـــد أصدرت حكومة تشاد في ذلك الشهر بيانا ادانت فيه العدوان الاسرائيلي ، وأيدت حق الشعب العربي الفلسطيني في تحرير أرضه ، ثم جاء بيان ١٩٧٢/١١/٢٨ ، ليؤكد هذا التغيير ويضع حدا لكل علاقة بين التشاد واسرائيل .

ردة الفعل الاسرائيلية على قرار التشاد :

اتسمت ردة الفعل الاسرائيلية على قرار التشاد قطع العلاقـــات الديبلوماسية معها بشيء من البلبلة رغم أن المسؤولين الاسرائيليين ووسائل الاعلام الاسرائيلية قد بذلت جهدا كبيرا لاخفاء مشاعر الالم المبرح الذي أصابهم في الصميم . فلتخفيف وقع الصدمة على الراي العام الاسرائيلي جهدت اذاعة اسرائيل في نشرة اخبارها بالعبرية في توضيح أن الوجود الاسرائيلي في التشاد ضئيل وبالتالي فان الامر ليس بذي أهمية تذكر اذ قالت :

« ان الوجود الاسرائيلي في التشاد ضئيل ويشمل السفير يتسحاق نافون وديبلوماسي آخر ، وكذلك يوجد في التشاد خمس عائلات لخبراء اسرائيليين يقومون بالتدريب في مجال الزراعة والطباعة وارشاد الشباب(٣) . وكذلك من اجل الالتفاف حول أيـــة مشاعر من خيبة الامل في فعالية الديبلوماسية الاسرائيلية وكفاءتها قد تتولد لدى الراي العام الاسرائيلي وللايحاء بأن السلطات الاسرائيلية لم تؤخذ على حين غرة ، حرصت اذاعة اسرائيل على أن تذيل الخبر ذاته بالتأكيد على أنه « في جلسة الحكومة يوم الاحد السابق أعلن وزير الخارجيـــة أبا ايبان أمام الحكومة عن احتمال قيام التشاد بقطع علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل(٤) .

ولكي يقطع وزير الخارجية الاسرائيلية أبا ايبـــان الطريق علـــى خصومه السياسيين ومنتقديه ، وهم كثيرون ، فلا يستغلوا هذا الفشل للتخلص منه حرص على أن يصرح في مساء اليوم ذاته أمام أعضاء تكتل المعراخ في الكنيست ان « قطع العلاقات بين تشاد

---

٢ ــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » ، مركز الابحاث الفلسطينية ، في ١٩٧٢/١١/٢٨ .

٣ ــ **المصدر السابق** في اليوم ذاته .

٤ ــ **المصدر السابق** في اليوم ذاته .

واسرائيل لم يكن مفاجأة تامـــة ، وان هذا يجب الا يؤثر ضد صالح الميزان العام لعلاقاتنا بالدول الافريقيـــة »(٥). ثم حاول أن يقذف الكـــرة ببراعة نحو خصومـــه السياسيين ومنهم غولدا مئير نفسها فبرر هذا الفشل الديبلوماسي بقلة الامكانيات المادية والفنية التي توفرها الحكومة لوزارته لكي تحقق ديبلوماسية انجح اذ قال : « ان اربع دول افريقية قدمت لنا في الفترة الاخيرة طلبات للمساعدة والتعاون الفني ، ولم تستطع اسرائيل تلبية مطالب هذه الدول بسبب العجز في القوى البشرية اللازمة لهذه الاغراض » أما يتسحاق نافون سفير اسرائيل في التشاد حينذاك فلم يستطع أن يتمالك اعصابه فهو يدرك ان قطع العلاقات هذا قد ينطوي على نهاية فاشلة لحياته الديبلوماسية بمجملها ، فقد سبق له أن طرد من سيلان قبل ذلك يوم أن قطعت هذه علاقاتها مع اسرائيل في عام ١٩٧٠ . وقد أجاب بالهاتف من فورلامي عاصمة التشاد على أسئلة مندوب اذاعة اسرائيل يصف وقع الخبر عليه قائلا : « استدعوني واطلعوني على الخبر أنا والسفير الصيني الوطني وقالوا أنهم سيقطعون العلاقات ، وهذا كل شيء ، وعلينـــا ان نغادر بأسرع وقت ممكن ، وقد فاجأنا هذا الامر ... »(٦). اذن السفير يتسحاق نافون فاجأه الخبر ، أما وزير الخارجية أبا ايبان فلم يفاجأ ! !

وقد بادرت مختلف المصادر الاسرائيلية منذ اللحظة الاولى الى القاء تبعة قطع العلاقات هذه على الضغوط العربية وبالذات ضغوط ليبيا ، وغمزت من قناة الافريقيين ومتانتهم الخلقية بأن أشارت الى الاغراءات الماليـــة التي قدمها بعض العرب للتشاد ومنوهة بالذات بخزائـــن العقيد القـــذافي المليئـــة بالذهب . فقـــالت جـــريدة « يديعـــوت احرونوت » الاسرائيليـــة المسائيـــة في ١٩٧٢/١١/٢٩ « ان وراء العمليـــة التـــي قامت بهـــا التشاد قرضا عربيا ودفاتر كمبيـــالات مالية . » ، وأعربت عن اعتقادها ان « عمـــل التشاد الذي لم يكـــن له أي تفســـير معقـــول يثبت ان بعـــض دول افريقيا المتحررة تعلمت ألتلون مـــن حكامها السابقين »(٧) أي تقصـــد المستعمرين الفرنسيين والانكليز. وقالت جريدة معاريف في اليوم ذاته : « ينبغي اعتبار هذا العمل في نطاق السعي للتخريب الذي تمارسه ليبيا ضدنا » واضافت أنه « يحتمل في أعقاب تشاد أن تقوم بذلك دول أخرى . ان صندوق حاكم ليبيا القذافي مليء ، ودول افريقيا بحاجة الى أموال كثيرة ، لذلك يتوجب على اسرائيل الحذر في علاقاتها مع دول افريقيا في الاستثمارات والصفقات المشتركة وفي كافة المساعدات الاخرى »(٨).

وعبرت صحيفة هآرتس عن خيبة أمل عارمة من حصيلة جهود اسرائيل السياسية في افريقيا ولم تخل نبرتها من قلق شديد دفين اذ قالت : « لقد ثبت بأننا لن نستطيع هدم سور العداء العربي بمساعدة افريقيا ، ويجب علينا أن نقوي وندعم موقفنا الدفاعي السياسي في افريقيا ، ولكننا لن نستطيع تقليص هذه الجبهة بمبادرتنا الفردية » . أما صحيفة اويكليت فقد ذهبت الى حد اتهام فرنسا وليس ليبيا فقط بأنها وراء قرار التشاد هذا .

واستمرت وسائل الاعلام الاسرائيلية تروج للفكرة ذاتها وتكررها بأشكال متعددة فقد أوردت الاذاعة الاسرائيلية في نشرة الاخبـــار بالعبرية في ١٩٧٢/١١/٢٩ نبـــأ تعيين ليبيا أول سفير لها في التشاد فقالت : « وهذه هي المرحلـــة الاخيرة في المصالحة بين الدولتين بعد خلاف طويل نشب عقب تأييد ليبيا للثوار المسلمين في التشاد . وكانت

---

٥ ــ **المصدر السابق** في اليوم ذاته .

٦ ــ **المصدر السابق** في التاريخ ذاته .

٧ ــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » في ١٩٧٢/١١/٢٩ .

٨ ــ **المصدر ذاته** .

تشاد قد قطعت أمس علاقاتها باسرائيل ، وقد تم اليوم افتتاح بنك في موريتانيا لتشاد وليبيا » . . . اذن تمت الصفقة وفتح البنك في رأي الاذاعة الاسرائيلية .

أما بيغال آلون نائب رئيسة الوزراء فلم يفوت هذه الفرصة للغمز واللمز على فشل ابا ايبان وزير الخارجية فقال : « يبدو أن ليبيا قد رشت ذلك البلد ، انه يجب أن لا يؤدي هذا الى خيبة أمل اسرائيل بالنسبة الـــى القارة الافريقية كلهـــا ، وقد تضطر اسرائيل الى ان تعيد النظر في جهازها الديبلوماسي » .

وقد استمرت الابواق الاسرائيلية في ترديد هذه النغمة رغم أن رئيس تشاد فرانسوا تومبالباي نفى نفيا باتا الانباء القائلـــة ان بلاده قطعت علاقاتهـــا الديبلوماسية مع اسرائيل بسبب ضغط من جانب دولـــة معينة أو نتيجة للرشوة ، بل أكد ان قطع العلاقات مع اسرائيل قد كبد التشاد خسائر باهظة والحق ضررا بالمشاريع التي خطط لاقامتها في العام المقبل »(٩). وأوضح ان سياسة التوسع الاسرائيلية اثارت معارضة الاسرة الدولية .

ولعل أشد ما أغاظ الاسرائيليين هو أن التشاد قد قطعت علاقاتها ايضا بزمرة تشان كاي تشيك في اليوم ذاته الذي قطعت فيه علاقاتها بهم واستدعي السفيران الاسرائيلي والفورموزي معا الى الخارجية لابلاغهما ذلك ، . . . ولهذا ما له من دلالات ، ولم تفت هذه المذيع الاسرائيلي لبرنامج « شخصيات وأحداث في الاخبار » فقال : « يجب أن نذكر أن تشاد قطعت علاقاتها أيضا مع فورموزا وذلك لوضعنا في موضع مخجل الى حد بعيد » .

وجدير بالملاحظة انه عندما قطعت الكونغو برازافيل والنيجر علاقاتهما باسرائيل عادت هذه الى ترديد التهم ذاتها والغمز من سلامة ونقاء أخلاقية الدول الافريقية ، فقالت صحيفة هاتسوفيه جريدة حيروت المتطرف : « وهم ينسون (الافريقيون) أن اسرائيل قد ساعدتهم أثناء عمليـــة اعـــادة بناء دولهم بينما ستؤدي أموال القذافي وفيصل الى استعبادهم » .

أما ابا ايبان وزير الخارجية فقد وجد نفسه في موقف لا يحسد عليـــه أمام خصومه ومنافسيه من السياسيين الاسرائيليين ولـــم يجد أمامه بدا من اعداد الرأي العام الاسرائيلي لتلقي مزيد من الصدمات اثـــر قطـــع الكونغو والنيجر علاقاتهما باسرائيل فتوقع أن « تبادر دول أفريقيـــة جديدة الى قطع علاقاتها باسرائيل » كما توقـــع أن « تمارس على بعض الدول الافريقية ضغوط كالتي تعرضت لهـــا الدول التي قطعت علاقاتها باسرائيل » ، وأضاف قائلا : « لدينا بعثات ديبلوماسية في عدد كبير من الدول الافريقية ولن نكون البادئين باغلاقها »(١٠).

أما ردة الفعل الاسرائيليـــة الاخرى ، غـــير السخط والاتهام ، فكانت تكثيف الجهد الاسرائيلي الديبلوماسي والاعلامي في أفريقيـــا ، فقد ذكـــرت صحيفتا « معاريف » و « يديعوت أحرونوت » يوم ١٩٧٢/١٢/٣ ان « اسرائيل ستدعم تمثيلها الديبلوماسي في أفريقيا ، وأنهـــا قررت فتح ثـــلاث سفارات جديدة لهـــا في رواندا وسوازيلاند وبتشوالاند » . كذلك سارع ابا ايبان الى ارسال مستشاره الشخصي أهود أفريل الى دولة زائير أي الكونغو كينشاسا لاجراء محادثات تتعلق بمشاريع التطوير في زائيري ، وكان هذا المستشار نفسه قد قام بجولة في افريقيا قبل عدة أشهر(١١) ولعل ذلك في

---

٩ ـــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » ، مركز الابحاث الفلسطينية ، في ١٩٧٢/١٢/٦ .

١٠ ـــ جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١/٤ .

١١ ـــ نشرة « **رصد اذاعة اسرائيل** » في ١٩٧٣/١/٣ .

محاولة لقطع الطريق على اتجاه المزيد من الدول الافريقية الى قطع علاقاتها باسرائيل . وقد بادر الاسرائيليون فورا الى اجراء المناقشات حول ابعاد التطورات في افريقيا واخذوا يتلمسون الخيوط التي عليهم ان يشدوها في القارة الافريقية لاحباط اي تضامن بين الدول الافريقية فيما بينها ضد اسرائيل او لقطع الطريق على اي محاولات جديدة للتقارب بين الدول الافريقية والبلدان العربية ، ونقتطف في هذا الصدد أجزاء من حوار جرى في برنامج « شخصيات وأحداث في الاخبار » في الاذاعة الاسرائيلية بين مقدم البرنامج والبروفيسور دان افني سيجرت حول علاقات اسرائيل بالنيجر وبقية الدول الافريقية :

« **المذيع :** يبدو لي أن هناك موضوعا آخر يجدر ذكره وهو أن بعض عشرات آلاف سكان النيجر يعملون في حقول النفط الليبية .

البروفسور سيجرت : نعم ، ولكن هناك نقطة أخرى لا تقل أهمية ، وهي رحلة الملك فيصل ملك السعودية الى النيجر في تشرين الثاني الماضي ، فلقد وجد هناك ضغط مزدوج من الشمال الى الجنوب من الجانب الليبي ، ومن الشرق الى الغرب على المحور الجديد الذي ينوي الملك السعودي اقامته من السودان الى السنغال ، وبالذات باتجاه مضاد لليبيا .

المذيع : هل يمكن أن تشرح علاقاتنا مع أفريقيا ؟

البروفيسور سيجرت : كلما كانت الدولة افقر وكلما زادت نسبة عدد سكانها المسلمين تزداد الاخطار لقطع علاقاتنا الديبلوماسية معها ، دون ادنى شك ، ولكن مع تحفظ واحد :

مثلا : ان تدخل ليبيا لصالح أوغندا ضد تنزانيا يؤدي الى أن دولة **مثل تنزانيا (التي لا تقف من اسرائيل موقفا وديا) سوف تدرس مليا قضية قطع علاقاتها معنا ، بالذات بسبب تدخل ليبيا الى جانب الدول الافريقية المعادية لها .**

المذيع : هل تعتقد أن هذا هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ؟

البروفيسور سيجرت : كلا ، لان هنالك العديد من الخلافات في افريقيا ، وهكذا يحتمل أن يتكرر الامر ، ويجب علينا أن نذكر أمرا واحدا : **ان افريقيا كوحدة ليست قائمة ، فهنالك كتل ، وداخل هذه الكتل توجد خلافات ، ويحتمل جدا أنه ينبغي علينا التفكير أكثر بسياسة تتعامل مع افريقيا كأجزاء مختلفة وليس كوحدة متجانسة** »(١٢) .

اذن هو الاسلوب الصهيوني المعهود البحث عن ثغرات للنفاذ منها ودس الدسائس واشاعة الفرقة والخلافات ، فترى هل ستتوجه الدول العربية الى دراسة الواقع الافريقي على الطبيعة تمهيدا لرسم خطوط سياسية سليمة تجاه هذه الدول التي يقضي كل منطق ان تكون حليفا طبيعيا لنا بدل أن نتركها تقع ضحية المؤامرات الصهيونية ... هل تفعل الدول العربية ذلك ؟

استخلاص العبر من التطورات الاخيرة في أفريقيا : ترى ما هي ملامح هذه السياسة الجديدة تجاه افريقيا التي يجدر بالامة العربية انتهاجها لمقارعة اسرائيل والصهيونية المدعومتين من الامبريالية العالمية عامة ، والامبريالية الولايات المتحدة خاصة ؟

قبل أن يجاب على هذا السؤال ينبغي ان تحدد ملامح السياسة العربية تجاه افريقية وغيرها ... والتي كانت قائمة حتى الى ما قبل فترة وجيزة ، والتي افادت منها اسرائيل في تحقيق وجود لها فيها .

---

١٢ ــ نشرة رصد اذاعة اسرائيل في ١٩٧٣/١/٣ .

الملامح السلبية : هنالك ملامح سلبية عديدة في هذه السياسة يمكن ايجازها فيما يلي :

١ ــ غياب المنافسة والوجود العربيين : لقد كانت المنافسة العربية للتحرك والجهود الاسرائيلية في افريقيا ، وحتى الى ما قبل فترة وجيزة ، معدومة تقريبا على رغم كون ست دول عربية واقعة في افريقيا هي مصر وليبيا والسودان والجزائر ومراكش وتونس ... ويمكن أن تضاف اليها موريتانيا .

صحيح ان الاستعمار ، وقبل ان تستقل عنه دول افريقية عديدة ، عمل كل ما في وسعه على عزل الامة العربية ودولها عن القارة الافريقية خشية تسلل عناصر اليها تربطها بشعوب القارة الافريقية أكثر من رابطة كالدين واللغة ووحدة المصير ولان الوجود العربي كان ، لو أتيح له الدخول الى افريقية ، سيؤدي الى طرد الوجود الصهيوني الذي غرسته الدول الاستعمارية في القارة الافريقية ، او الحد منه على الاقل . ولكن هذا الغياب لم يعد له ما يبرره ، لا سيما بعد أن بلغت الدول الافريقية المستقلة أكثر من ثلاثين دولة وأخذت تلعب دورا ليس بالقليل في المحافل الدولية .

وقد يعطي التبادل الدبلوماسي بين اسرائيل وافريقية وبين الدول العربية مجتمعة وافريقية صورة عن الفرق بين الوجودين . ففي سنة ١٩٦٥ مثلا كان لاسرائيل في افريقيه ٣١ بعثة دبلوماسية في ٣١ بلدا افريقيا ، هي الدول الافريقية المستقلة جميعها تقريبا ، منها ٢٩ بعثة على مستوى سفارة وبعثة على مستوى مفوضية وبعثة على مستوى قنصلية . ولهذه الدول في اسرائيل ١١ سفارة . على حين كان هنالك وفي السنة نفسها اثنتا عشرة دولة افريقية لم تعتمد لديها اية بعثة عربية سواء على المستوى القنصلي أم غيره . وهذه الدول هي : بورندي ، جمهورية افريقيه الوسطى ، الغابون ، غامبيه ، ليسوتو ، مدغشقر ، النيجر ، رواندة ، جنوب افريقيه ، فولتا العليا ، زامبيه وأخيرا جزر مورس .

٢ ــ اتخاذ المواقف السلبية من الدول الافريقية ولا سيما المتعاونة منها مع اسرائيل . لقد درج العرب على معاداة كل من يقيم علاقات باسرائيل معاداة سلبية ... مهما كان شكل هذه العلاقات . وانتهزت اسرائيل ذلك لتوسع من شبكة علاقاتها في العالم ومن وضع العلاقات العربية ــ الاجنبية ، والافريقية منها بشكل خاص في طريق التدهور . وهذا ما أدى في النهاية الى شبه حصار لا حول اسرائيل وانما حول الدول العربية . سيما وان الدول العربية في الحالات القليلة التي اتخذت فيها مواقف معادية من احدى الدول التي تمالىء اسرائيل أو حتى تعادي العرب اكتفت بقطع العلاقات بصورة سلبية دون أن توقف التعامل الاقتصادي وتضرب مصالح هذه الدول ، كما حدث مع المانيا الغربية عندما اعترفت باسرائيل وهذا هو أسوأ المواقف لانه يضمن كسب عداوة تلك الدولة دون أن يشكل رادعا لها خوفا على مصالح او خشية من خسارة .

٣ ــ ضعف الجهود الاعلامية العربية في الخارج ، وفي افريقيه بشكل خاص . ويتضح هذا في الشبكات الاذاعية العربية التي تعير افريقيه أقل قدر من العناية والاهتمام . على خلاف الاذاعات عند العدو والموجهة الى القارة الافريقية ودولها . كما يبدو ذلك في عدم وجود مكاتب للاعلام العربي في العواصم الافريقية الهامة تكون على الاقل ملحقة بالسفارات العربية ومزودة بالموظفين من أصحاب الكفاءة والخبرة والاختصاص ، وتتبع جهازا اعلاميا عربيا واحدا ينسق فيما بينها ويرسم لها خطواتها ، وتتولى مهمة الاتصال المباشر بالسكان .

٤ ــ الاقتصار في النشاطات الاقتصادية العربية مع افريقيه ، وبشكل عام ، على التبادل التجاري ، رغم وجود أوجه أخرى عديدة لهذه النشاطات ... منها على سبيل المثال الشركات المشتركة وبرامج المساعدات الفنية والاقتصادية وتبادل الخبرات .

٥ ــ اغفال الجاليات العربية في الخارج وفي افريقيه . وهذه الجاليات تستطيع القيام بدور كبير في تعبئة محيطها من اجل نصرة القضايا العربية اذا أحسن تنظيم هذه الجاليات .

هذه بعض الملامح السلبية في السياسة العربية في افريقيه بشكل خاص ، ولكن هذه الملامح لا تنفي ان اسرائيل لم تجابه على الاطلاق في شتى الميادين في العالم . لقد جوبهت اسرائيل ولكن بشكل غير كاف ، ومن الممكن ان تجابه بشكل أفضل فيحد من نشاطاتها . لقد كانت هنالك جهود عربية متفرقة وغير منظمة او شاملة لمقاومة تحركات اسرائيل في افريقيه ، ولكنها لم تعط الثمرات التي تتطلبها معركة الكفاح العربي ضد اسرائيل والصهيونية .

صحيح ان اسرائيل ، وحتى عام ١٩٦٦ ، لم تحضر أي مؤتمر انعقد باسم دول عدم الانحياز أو باسم مؤتمر القمة الآسيوي ــ الافريقي أو باسم الشعوب الآفرو ــ آسيوية ، ولم تفلح في الانضمام الى مجموعة الدول الافرو ــ آسيوية في الامم المتحدة او مؤتمر هافانا لتضامن القارات الثلاث . صحيح هذا كله ولكن من الممكن ، وبسياسة عربية سليمة وبجهود عربية منسقة مكثفة ، أن يلغى الوجود الاسرائيلي ، كما حدث في اوغنده وتشاد والدول الاخرى أو أن يقيد ويحد .

وهنالك من الامور ما يساعد التحرك العربي في هذا المضمار . فاسرائيل قد باتت مكشوفة الآن بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ ، ليس بعدوانيتها وعرقيتها وتوسعيتها فحسب ، وانما بتبعيتها للامبريالية العالمية ، وبتصرفها كأداة لهذه الامبريالية . ان على المجابهة العربية لاسرائيل على مستوى القارة الافريقية ان تفيد لكي تصبح فعالة من النقاط السلبية السابقة وتضع لنفسها سياسة تكون لها الملامح التالية :

١ ــ ان تكون السياسة العربية عامة موحدة في القارة الافريقية وغيرها ، تفيد من كون ست دول عربية تقع في القارة الافريقية وهي أعضاء في منظمة الوحدة الافريقية ولها بالتالي القدرة على القيام بدور فعال لصالح السياسة والقضايا العربية .

٢ ــ ان يعزز التمثيل الدبلوماسي العربي وتتخذ الدبلوماسية العربية في القارة الافريقية طابعا هجوميا يتحدى الوجود الصهيوني والاسرائيلي فيها . ان هذا الشكل من الدبلوماسية الايجابية يجرد الدبلوماسية الاسرائيلية في معظم دول افريقية من الدعائم التي تقوم عليها .

وللدبلوماسية الهجومية مظاهر عديدة ، منها اقامة العلاقات الوثيقة بين رؤساء الحكومات والدول في افريقية والرؤساء العرب .

٣ ــ توسيع العلاقات الاقتصادية ، بشتى صورها ، بين افريقيه والدول العربية التي تمتلك من الامكانيات الاقتصادية ما تستطيع سد وتغطية المجالات التي تدخل اليها أسرائيل ، سواء في مجال المشروعات المنفذة ام الشركات المشتركة ام المعونات الاقتصادية المقدمة الى الدول الافريقية . وقد كشف قطع العلاقات الاوغندية الاسرائيلية عن زيف النشاطات الاقتصادية الاسرائيلية في اوغنده ، وعن قدرة العرب على أن يملأوا بامكاناتهم الهائلة كل مكان يوجد فيه الصهاينة .

٤ ــ وينبغي ان يصحب الدبلوماسية العربية الهجومية اعلام عربي منسق موحد ــ هجومي ايضا ، يزيد في كشف حقيقة اسرائيل وعلاقاتها مع الامبريالية وانظمة الحكم العنصرية ومعاداتها لحركات التحرر في العالم . وينبغي لهذا الاعلام الهجومي ان يكون مباشرا ، عن طريق مكاتب اعلام في العواصم الافريقية او غير مباشر عن طريق وسائل النشر من كتب ومجلات ونشرات أو عن طريق الاذاعات او عن طريق تأسيس جمعيات

صداقة عربية افريقية او عن طريق تعبئة الجاليات العربية في الدول الافريقية .

٥ ــ ان تطوير العلاقات الانسانية بين الشعوب هو أشد الاساليب فعالية لخلق روابط انسانية متينة ودائمة وهذا هو انجح وسائل الاعلام والديبلوماسية معا . ولذلك ، فان أية سياسة عربية تجاه افريقيه ينبغي ان تشتمل على رسم برامج عملية فعالة للتبادل الثقافي والفني وتبادل الوفود والزيارات بين فئات الشباب والطلاب والعمال والهيئات المهنية المختصة ، كما ينبغي ان تتضمن منح بعثات دراسية للطلاب ووضع برامج تدريبية ... وقد يقتضي هذا انشاء معهد مماثل للمعهد الآسيوي الافريقي الذي أنشأته اسرائيل في تل أبيب خصيصا لتدريب الشباب والطلاب من شتى انحاء هاتين القارتين .

٦ ــ ان العلاقات الاقتصادية بين الدول الافريقية والدول العربية ، وهي أهم دعائم العلاقات السياسية الجيدة وأضمن ضماناتها يجب أن لا تترك عرضة للنزوات والعوارض ،بل ينبغي أن تعمل على تنميتها هيئة عربية خاصة مسؤولة ، كما يجب أن يتوفر لهذا الغرض صندوق عربي للتنمية في افريقيا ترصد له مبالغ محترمة من الدول العربية القادرة والمعنية كما توضع في خدمته كفاءات اقتصادية وفنية ممتازة تتيح له دراسة المشاريع الافريقية وتقديم التوصيات المناسبة بشأنها .

٧ ــ ان مسألة توفير الخبرات الفنية القديرة للدول الافريقية لتحل محل الخبراء الاسرائيليين هي مسألة بالغة الصعوبة بنوع خاص ، لان الدول العربية لا يتوفر لديها كفايتها من هذه الكفاءات ، ولكن المصلحة القومية جديرة بكل تضحية لمن تهمهم المصلحة القومية .

ان الرياح الآن مواتية للعمل وبسرعة ، وان لم يتم العمل بكفاءة ونشاط وسرعة فقد تحدث نكسة نتيجة خيبة أمل الافريقيين في الدول العربية ويكون لهذه التطورات الايجابية حاليا آثار معكوسة تثبت أقدام اسرائيل ليس في أراضي الافريقيين فحسب بل في قلوبهم أيضا .

الصهيونية واسرائيل وآسيا

بقلم ج. هـ. جانسن

ترجمة راشد حميد

اطلبه من قسم التوزيع ، مركز الابحاث ، ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٢٤٩ صفحة من القطع الكبير

٨ ليرات لبنانية ، تضاف اليها
اجور البريد : ١٠٠ ق. ل. في العالم العربي
٢٥٠ ق. ل. في اوروبة ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر الدول

خمسون سنة من المقاومة (١٩١٧ ــ ١٩٦٧) في الفولكلور الفلسطيني

نمر سرحان

القسم الاول : ايام الانتداب البريطاني

الواقع ان الارض الفلسطينية عرفت المقاومة منذ ان عرفت الاحتلال البريطاني وما انطوى عليه من تعاطف وانحياز لجانب الصهيونيين . وكانت هذه المقاومة ايجابية بالنضال المسلح الدامي وسلبية بأسلوب التظاهرات والاحتجاجات . ومنذ عام ١٩١٧ الذي صدر فيه وعد بلفور والذي جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ونظر للعرب على أنهم جماعات غير يهودية مقيمة في فلسطين بدأ الشعب العربي الفلسطيني يسجل اولى احتجاجاته ويمارس ارادته الشرعية في رفض الاستيطان والهجرة اليهودية والتحكم الاستعماري في فلسطين . منذ ذلك العام اشار الوجدان الشعبي الفلسطيني باصبع الاتهام للحلفاء الذين حارب معهم ضد الحكم العثماني . لقد أحس الوجدان الشعبي اذ ذاك بخيانة اصدقاء الامس وأحس بسقوط أولى الاقنعة عن الوجوه المتآمرة وبذلك عبر بهذه الكلمات التي لا تنسب الى شخص معين بعينه وانما هي تراث الجماعة والتعبير الصادق عن رأيها الواضح الصريح :

وعد بلفور هالمشؤوم جائر ... على الاسلام والرهبان جائر
تناسى العدل واضحى الظلم جائر ... ملوك الغرب وما فيهم رجا

وفوجئت الجماهير العربية بفرض الانتداب والتحكم الاستعماري على أقطار الوطن العربي ومنها فلسطين . ومع ذلك فقد تشبثت الجماهير برفض القهر القومي الذي مارسه حلفاء الامس ازاءهم . وفي فلسطين تركزت المطالب القومية برفض الانتداب والهجرة الصهيونية ووعد بلفور والمناداة بتحرير فلسطين ضمن الوحدة العربية السورية . وفي ذلك الوقت كان سكان فلسطين ٧٠٠ الف نسمة منهم ٥٦ الف يهودي لا يملكون سوى ٢ ٪ من الاراضي الزراعية . وقد كانت اهمية اليهود من الضآلة بحيث ان أحدا ما لم يلتفت الى تسللهم الذي تزايد في الفترة ما بين ١٨٨٢ ــ ١٩١٣ ولم يكن احد يشعر بخطرهم. وعن ذلك يكتب أحمد الشقيري في مذكراته : « ولقد كانت المعالم هي المعالم من غير تغيير يذكر ، فالقرى العربية بأهلها واصحابها والسهول يعمل فيها الفلاحون العرب وهم يهزجون رجالا ونساء ، والرعاة يسوقون مواشيهم والمزمار يرسل الحانه عبر الفضاء ولا ترى على امتداد البصر الا يهوديا واحدا او اثنين هنا او هناك . وكذلك فان القطار على تعدد عرباته وازدحام ركابه لم يكن فيه الا نفر قليل من اليهود ، جلهم او كلهم من اليهود القدماء ، فقد كان اليهود في ذلك العهد (١٩٢٤) لا يتجاوزون سبعين الفا معظمهم من اليهود الاوائل »(١). كما يذكر احمد الشقيري في مكان آخر من مذكراته ان (العرب في يافا كانوا يؤون اليهود في ثورة ١٩٢٠ ، ١٩٢١) .

وكان العرب الفلسطينيون يشعرون انهم أسياد البلد الذين لا ينازعهم احد ويتطلعون الى خروج الانجليز واستقلال بلدهم فهم أصحاب الارض واسيادها والغالبية العظمى من سكانها . وبذلك تغني اهل القرية في اغاني السامر :

واحنا كبار البلد واحنا كراسيها ... واحنا رماح القنان تمكزت فيها
وبلادنا المشرقة واحنا الشباب فيها ... وان عجعج الحرب بالبارود نحصيها

واذا استعرضنا قصائد الشعراء الشعبيين في هذه الفترة ، نجدها خلوا من المضمون الوطني وتتحدث عن التوسل الى الله بطلب الستر واغداق الخير ووفرة المناسف والذبائح والمضافة التي يتردد عليها جارّين السبيب ومن هذا اللون قصيدة يرويها الشيخ عبد الطريفي(٢) يقول فيها :

يا ونة ونبتها من بعد شعار ... ما ونها شاعر ولا خطيب
يا رب طالب منك عشرة تماثيل خيار ... على العشرة يا رب واكتب نصيبي
الاولة يا رب مظافة جوا الدار ... يتناجزوها جارين السبيب
والثانية يا رب حورية مثل ما صار ... لمن تربي اطفال تكثر تجيب
والثالثة يا رب مهرة تسبق الخيل بهجار ... والبندقية والسيف يرد الصعيب
والرابعة يارب سترك منميلة الدهر ان دار ... لانه الدهر ميلاته عجيبة
والخامسة يا رب خمس قطع اغنام بالدار ... واطلع بهم على روس المناسف خطيب
والسادسة يا رب ستر الولايا من العار ... في مجمع السفال هرج يطيب
والسابعة يا رب عزوة مفاليح شطار ... ارجح بهم اذا ضاع حق الطنيب
والثامنة يا رب تطويل لعمار ... تعرف عدوي من صديقي من حبيبي
والتاسعة يا رب تسع حجب من النار ... القي بهن يومن يقوم ناكر ونكير
والعاشرة يا رب اكون البيت الله زوار ... وازور بيت الله واشاهد حبيبي

ولقد كانت هذه القصيدة وامثالها من الشعر الشعبي الذي يصر على قضايا الكرم والتوسل الى حد معقول من الرفاه وكذلك القصائد المستوحاة من القصص الشعبي والتي تحض على الفضائل القبلية مثل الشجاعة والوفاء والنجدة هي الثقافة الشعبية الاساسية المتوارثة والتي تكفل بتعميمها الشاعر الشعبي او اي متقن للقراءة ويستطيع تلاوة هذه الاشعار والتي تزخر بها الروايات الشعبية في الدواوين والمضافات . وقد استمرت هذه المادة التراثية تشكل ثقافة الجماهير فترة من الزمن .

وجاءت الانتفاضة الاولى للشعب الفلسطيني منذ الاحتلال البريطاني (١٩٢٠ — ١٩٢١) ومحاباته للصهيونية ، بأداته الوقحة (هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني اليهودي) الذي بدأ يقطع اليهود مئات الالاف من الدونمات ويطرد الفلاحين العرب منها بقوة الجيش والبوليس . وبينما كان العرب الفلسطينيون يجرون احتفالهم التقليدي بموسم النبي موسى(٣) في الرابع من نيسان عام ١٩٢٠ اعترضهم بعض اليهود محاولين اختطاف العلم العربي واهانة حامله ودارت معركة اصطف فيها العرب الى جانب اليهود والجيش البريطاني الى جانب آخر وحاصر الانجليز القدس واستمر القتال حتى نهاية الخامس من ابريل وقال البلاغ البريطاني ان القتال اسفر عن موت تسعة من اليهود وأربعة من العرب وسقط ٢٥٠ جريحا . وفي العام التالي (١٩٢١) حصلت الانتفاضة الثانية في يافا وقد هاجم الشعب المستعمرات اليهودية المجاورة وقتلوا اكثر من خمسين يهوديا وجرحوا ١٥٠ . ووقف الانجليز كعادتهم الى جانب اليهود مما سبب خسارة خمسين من الشهداء العرب وجرح ٧٥ آخرين . وبين هذين العامين عقدت عدة مؤتمرات فلسطينية باشتراك القرويين وأهل المدن ورجال العشائر أعلن فيها الفلسطينيون رفض الانتداب ووعد بلفور والهجرة اليهودية وأصر السكان على ان

فلسطين جزء من الاراضي العربية السورية . ولم تحقق هاتان الانتفاضتان والتظاهرات الدورية في ذكرى وعد بلفور أية نتائج ذلك لان الانجليز قد اصروا على تنفيذ خطة الوطن القومي اليهودي واستغلت الصهيونية العالمية نفوذها الدولي والقت به ضد شعب بسيط طيب(٤) لم يحدد ايديولوجيته الثورية بعد ورضي بالقيادات الانتهازية ذات النفس القصير المدى في النضال والتي لم تكن لتجرؤ على رفع العصا في وجه الاستعمار وتتشبث بمفاوضات حلفاء الامس . ولكي يكسب الانجليز انصار المفاوضات والمهادنة اصدروا الكتاب الابيض عام ١٩٢٢ والذي أكدت فيه بريطانيا اصرارها على تنفيذ وعد بلفور مع اعطاء ضمانات شكلية للعرب . وحققت بذلك جوا ضبابيا ساهم في تمييع الحقيقة امام أعين السواد الاعظم من الناس وفتح باب المساومة حتى تضرب الصهيونية والامبريالية بجذورها على ارض فلسطين .

وفي اليوم التاسع من آب عام ١٩٢٩ يوم عيد خراب الهيكل (هيكل سليمان) نصب اليهود ستارة حول حائط المبكى بجدار الحرم الشريف في القدس ليصنعوا من ذلك ما يشبه غرفة . وأحضروا منضدة وضعوها في الداخل ليضعوا في جارورها ثياب شماسهم وكتبهم . ثم أحضروا مقاعد صفوها في الداخل ليجلسوا عليها مع انهم طوال حياتهم كانوا يبكون وقوفا . وملأوا ثقوب الحائط بأوراق الاسترحامات وعلى الجملة فقد جعلوا من حائط المبكى غرفة. وفي يوم ١٥ آب اقبلت جموعهم من تل ابيب وقد حملوا الاعلام الصهيونية وربطوها بالشرائط السوداء حدادا وانضم اليهم يهود القدس وغيرها وراح خطباؤهم وهم في الطريق يحثونهم على امتلاك البراق وانتزاعه من العرب . ووصلوا المبكى أو البراق فرفعوا على حائطه العلم الصهيوني وانشدوا نشيد الهاتكفا (الامل) وكان لا بد من أن تقوم الجموع العربية بالدفاع عن حائط الحرم الشريف فمزقوا الستارة التي نصبها اليهود وحطموا منضدة الشماس وأحرقوا كتب الصلاة وأخرجوا اوراق الاسترحامات التي وضعت في ثقوب الحائط . وانطلقت شرارة الصدامات ، فقامت معركة عنيفة عند جدار البراق في بيت المقدس ولم يتمكن البوليس من انهائها الا بجهد ومشقة ودارت المعارك داخل القدس من ركن الى ركن . ثم سرت انباء الثورة الى انحاء فلسطين ، ففي الخليل هاجم الثوار الحي اليهودي ، وفي نابلس هاجم المتظاهرون ثكنة البوليس واستولوا عليها كما ثار الشعب في كل من يافا وحيفا وبيسان وصفد . وقد قتل في صفد ٢٨ يهوديا . واستدعت بريطانيا ١٣ طائرة في اليوم الاخير من آب (١٩٢٩) لتحلق فوق المسجد الاقصى . وامتدت الثورة لقبائل النقب واستمرت الاضطرابات وبنتيجتها حكمت السلطات البريطانية بالاعدام على ٢٠ عربيا وسجنت ٧٩٢ آخرين . اما الصهيونيون والجنود البريطانيون فلم ينلهم العقاب رغم ان اللجنة العربية العليا فندت مزاعم المندوب السامي وتواطأه مع اليهود وتسليحهم واثبتت ان الجنود البريطانيين قتلوا النساء والرجال والاطفال في فراشهم في صور باهر ، وان جنكيز الشرطي اليهودي قتل هو ورفاقه بجوار يافا عائلة عون بكاملها — بقر بطن الام وحطم رؤوس ابن اخيه وزوجته وطفله البالغ ٣ سنوات من العمر . وقد ابدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد ثم العفو .

لقد كانت الصدامات التي حصلت فورة شعبية غذاها تذمر الشعب الفلسطيني من تواطؤ الحكم الامبريالي مع الصهيونية وتسهيله عملية انتقال الارض العربية الفلسطينية الى اليهود بأساليب غير شرعية . وكانت التحرشات الدينية التي قام بها اليهود بجدار البراق مناسبة لانفجار الغيظ العربي على الصهيونيين وحماتهم البريطانيين . وكانت الفورة الشعبية شاملة تقريبا لاكثر المناطق الفلسطينية. ومن ابرز الشباب العرب الذين شاركوا في هذه الفورة الدموية كان فؤاد حجازي وهو مواطن فلسطيني من صفد وخريج كلية سامبل في صفد (٢٧ عاما عند اعدامه) وكذلك محمد جمجوم وعطا الزير من

الخليل . وحدد يوم الثلاثاء السابع عشر من حزيران عام ١٩٣٠ لتنفيذ حكم الاعدام بحق كل من حجازي وجمجوم والزير وذلك في عكا والتي كانت قلعتها التاريخية قد حولت الى سجن لا يرى النور . والى هناك كان يحمل المحكومون بالاعدام من كافة ارجاء فلسطين عدا القدس . وكان يوم الثلاثاء دائما هو اليوم المقرر للاعدام وترتفع الراية السوداء على القلعة ساعة الاعدام لتخبر وتنذر . وقد ارتبط ذكر عكا وقلعتها وسورها في ذهن الجماهير الشعبية بالرهبة منذ أيام الجزار . وقد وصف المغني الشعبي الفلسطيني سور تلك المدينة بشيء من التهويل يحمل في طياته التوجس والخوف :

سور عكا ويا عالي البنيان فرد الشتاير ما يصيب عاليها

وأرخ المغني الشعبي ذكر اعدام الابطال الثلاثة في بيت من الدلعونا يحمل معاني الحقد على السلطات المتواطئة وعلى رأسها المندوب السامي كما يحمل البيت دعوات الضعيف الى ربه ليجازي الطغاة . وماذا كان بيد الشعب الاعزل الذي لا يملك السلاح ولا القيادة المخلصة ولا الاسلوب الثوري النضالي ، غير ان يتوجه الى الرب بالدعاء ضد الجلادين :

من سجن عكا وطلعت جنازة محمد جمجوم وفؤاد حجازي
جازي عليهم يا ربي جازي المندوب السامي وربعه عمومًا

وفي بيت آخر من الدلعونا لا يملك المغني الشعبي وهو الآخر واحد من العزل الفاقدي اية وسيلة من وسائل الادراك الكامل لما يحدث اذ يصف بأن اعدام الابطال الثلاثة هو من قبيل « المقدر والتقادير .. وحكم المولى عز وجل » :

محمد جمجوم ومع عطا الزير فؤاد حجازي عز الزخيرة
انظر المقدر والتقاديـر باحكام المولى تا يعدمونا

وقد وصفت جريدة الزهور الحيفاوية (١٩ حزيران ١٩٣٠) احداث يوم الاعدام بقولها : « لم تجتز فلسطين في أدوارها السابقة يوما مثل يوم ١٧ يونيو (حزيران) الرهيب . لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس وولولت النساء وتصاعد عويلها في البيوت وتساقطت الدموع غزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد » . وانشدت الجماهير :

يا ظلام القبر خيم اننا أسرى الظلاما
ليس بعد الليل الا فجر مجد يتسامى

وقد خيمت روعة الموت وسادت رهبة الموقف بينما وقف الجند يتبخترون ذهابا وايابا والمدفع معد والسيف مصلت والطيارات سابحات في الفضاء الواسع تراقب الوضع عن كثب . وقد تقرر ان يعدم الثلاثة في الساعة الثامنة صباحا والتاسعة والعاشرة تباعا ، اما فؤاد حجازي فقد سبق رفيقه للمشنقة واما عطا الزير ومحمد جمجوم فقد خضبا أيديهما بالحناء وكأنهما يسيران الى عرسهما . وعلى لسان فؤاد حجازي صور مغني الدلعونا تصورات البطل الموقف امه :

امي الشفوقة بالسجن تنادي ذاقت عليها كل البسلاد
نادوا فؤاد ومهجة فؤادي قبل نتفرق تا يودعونا

كما قال مغني الدلعونا على لسان جمجوم مخاطبا أخاه يوسف :

يوسف يا يوسف وصاتك امي واصح يا يوسف بعدي تنهمي
منشان الوطن رخصت بدمي يوم الثلاثاء تع ودعونا

وعندما ارتفعت الراية السوداء على قلعة عكا التاريخية معلنة شنق البطل الاول لم يرتفع عويل النسوة بل دوت مهاهاة لاحدى النسوة :

هـي ويـــا والمشنقـــة تاجـك　　هـــي والقيـــد الـك خلخـــال
هـي وموتـك عـــن بلادك عـــز　　هـــي ويـــا زينـــة الرجـــال

وتلتها زغاريد . وازهر الحزن في قلوب الجماهير الفلسطينية .. وصمم الالاف مـــن الشباب والشيوخ على حمل السلاح في مناسبة قادمة . فالمثل الشعبي الفلسطيني يقول : عمر الاسى ما بنتسى .

وابتداء من عام ١٩٣٣ بدأ الشعب العربي الفلسطيني يتململ بعد هدوء نسبي في أعقاب انتهاء احداث ١٩٢٩ واعمال التنكيل التي قامت بها السلطة البريطانية وأيقن الشعب انه يقوم بنضال مزدوج ضد الانجليز واليهود الذين يراهم يقفون صفا واحدا في كل مناسبة يعبر فيها أصحاب البلاد عن غضبهم ازاء محاولات اغتصاب أرضهم ومنحها للغير . وفي تشرين الاول من هذا العام قامت تظاهـــرات في القدس ويافا وفي جميع انحاء فلسطين وقرر الشعب الاضراب لمدة سبعة أيـــام احتجاجا على اعتقال بعض القادة الزعماء . وبدأت البلاد تشهد أعمالا بطولية ، فمنذ أوائل ١٩٣٥ شهد المثلث العربي (جنين — نابلس — طولكرم) سيلا من الاغتيالات للضباط الانجليز ونسفت القطارات وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني وقتل أي عربي يتعامل مع الانجليز . وقد قامت بهذه الاعمال تشكيلات سرية ترأسها الشيخ عز الدين القسام فباشر يجمع أعوانه في حلقات متعددة حدد لكل مجموعة من هذه الحلقات مهمة خاصة (التهيئة والاعداد الثوري ، التمويل ، المجموعة الفدائيـــة ، مجموعـــة الوعظ والدعاية ، المجموعة السياسية) . واكتشف أمر الثورة . وأعلن القسام الجهاد المقدس في ليلة ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ عندما جمع رفاقه في مدينة حيفا وأبلغهم انه أعلن الجهاد وطلب منهم ان يودعوا أهلهم واتفقوا على الاجتماع في بيت القائد محمد سالم المخزومي. وأرسلت القوات البريطانية كتيبة من الجنود والانجليز يقدر عددها بخمسمائة جندي الى قرى نابلس كما توجهت قوات أخرى الى حيفا وقراها . وجرت معركة في قرية يعبد احدى قرى نابلس سقط على اثرها الشيخ عز الدين القسام . وذلك في ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٣٥ وأسر الاخرون .

وبعد اخماد ثورة القسام ومصادرة ٤٠٠ الف متر مربع من أراضي المدينة الزراعية العربية بطولكرم وسلسلة من التظاهرات ظهرت فجأة جماعة عربية مسلحة واعترضت سيارات عربية كانت تعبر الطريق الى يافا فسلبت أموالها وقالت للركاب العرب « اننا نأخذ أموالكم لكي نستطيع أن نحارب العدو وندافع عنكم » وقتلت يهوديا وهاجم اليهود عربيين فقتلوهما عند مستعمرة بتاح تكفا اليهودية واستمرت الحوادث وتطورت الى قتال بين العرب واليهود في ٢٠ نيسان ١٩٣٦ حتى بدأ الاضراب الشامل الذي استمر الى ٢ تشرين الاول ١٩٣٦ والذي طال نحو ســـتة اشـــهر . ويعتبر هذا الاضراب الدائم المستمر أطول اضراب في التاريخ . وتكونت اللجنة العربية العليا التي ضمت كل أحزاب فلسطين حتى حزب المعارضة الذي يمثله راغب النشاشيبي والذي يتهـــم بالاعتدال ويرى الفائدة في التفاهم السلمي مع الانجليز . وأعلنت اللجنة انها سوف تستمر في دعوة الشعب الى الاضراب والجهاد ريثما تجاب المطالب التي حددتها في « وقف الهجرة اليهودية نهائيا ومنع انتقال الاراضي الى اليهود وانشاء حكومة وطنية في حياة برلمانية » .

ونفذ الشعب الفلسطيني قرارات اللجنة فأضرب طلاب المدارس وتوقف المحامون عن حضور المحاكمات وأغلقت الغرف التجارية في القدس وحيفا ويافا ونابلس وجميع

ارجاء فلسطين . وامتنع عن العمل رؤساء المدن والمناطق ومديرو البلديات وأغلق المجلس الاسلامي دوائره العديدة وامتنع السجناء العرب عن العمل الذي اعتادت السلطة تكليفهم به ، وأصر رجال البوليس العربي في طولكرم ويافا والقدس على الاضراب ، واعلن الاطباء العرب انهم سوف يعالجون المرضى مجانا مهما طال الاضراب واضرب سائقو السيارات والموظفون والمدرسون وأغلقت المتاجر الصغيرة والكبيرة وامتنع القرويون عن انزال محصولاتهم الى الاسواق وأغلق بائعو الخضروات متاجرهم . ولم تبق الا الصيدليات والافران توزع الخبز والدواء تحت ارشاد زعماء الاضراب . وبدأت انفعالات الاضراب العربي تتحول الى جهد مسلح فاشتعل العرب حريقا هائلا في ساحة الاخشاب بميناء يافا وحرائق جديدة في أنحاء مختلفة من فلسطين . وقطعت المواصلات بين يافا وتل أبيب . وأطلقت النار على سيارة يهودية كانت بين الرملة ويافا واشتعلت الحرائق في معمل الظروف بقرية عتليت وفي ايار (١٩٣٦) بدت مدن فلسطين تترنح بين القنابل والحرائق ، وتصادم المساجين العرب مع حراسهم .

وللقارىء هذه « الوثيقة الفولكلورية » « عن الاخوة في سجن عكا » . أبطال فلسطين الثلاثة ، والتي يرويها الشاعر الشعبي الفلسطيني محارب ذيب وتحكي هذه الوثيقة قصة هرب ثلاثة من السجناء من سجون الانتداب وهي تعطي صورة عن الحياة السياسية من وجهة النظر الشعبية في هذه الفترة وتعرض لنا نماذج انسانية متعددة . فالابطال الثلاثة محمد محمود العديلي وقاسم أبو سليقة العقرباوي وحميدة الطموني مثال العداء للسلطة الاستعمارية وقد حملوا السلاح لمقاومة الاحتلال البريطاني ويقف في الطرف المقابل « عابدين بك » الضابط العميل الذي ينفذ أوامر (مستر ميللر) رئيسه البريطاني ويستعين عابدين بعميل اخر من مرتبة ادنى هو « شعبان تبع بيسان » الذي يتجسس على الابطال الثلاثة ويشي بهم . ومن النماذج الشعبية الاخرى ما يوضح التعاون الشعبي مع رجال المقاومة . فالمباحث الشعبية (ويعني بهم الزاوي العناصر الشعبية المتعاونة مع المقاومة) ساعدوا الابطال في الحصول على السلاح وسهلوا لهم موضوع الهرب . وعندما وصل هؤلاء الابطال الى بلدة المزرعة قام السكان باستضافتهم وحرسوهم . اما « المدني النابلسي » فهو وان تصرف بوحي من وضعه الطبقي كبرجوازي بعدم الاعلان عن موقفه الصريح في مقاومة الاحتلال الا انه قام بتمويه صالح وهو أخ لاحد الابطال والذي يريد الثأر من عابدين كما نقله بسيارته واستعد لنقله ثانية اذا خرج سالما من السرايا .

وفيما يلي النص الاصلي للحكاية كما رواها محارب ذيب وهي منقولة عن تسجيل حفل حضره الشاعر الشعبي في قرية بيتونيا — رام الله في اذار عام ١٩٦٥ :

سنعود اليكم أيها الاخوة للجماعة اللي تركناهم في سجن عكا أبطال فلسطين الثلاثة هناك لما المساجين في سجن عكا فكوا الاضراب عن الطعام المساجين الثلاثة عملوا استرحام للمندوب السامي لحتى ينقلوهم من سجن عكا لسجن نابلس فعلا أجت موافقة من المندوب السامي . انقلوهم على سجن نابلس ولكن اللي كان مسؤول عن سجن نابلس في هذاك العصر واحد انكليزي اسمه المستر ساندرس ، والثاني انكليزي اسمه المستر بيللر والمستشار الهم ابن عرب اسمه عابدين بك هناك عملوا اجتماع في السجن في نابلس ولكن اللي قاموا معهم المباحث الشعبيين الوطنيين مش المباحث اللي يخبر عن اخوه بنص دينار هذا مش مباحث هذا يحسب خائن . ادخلوا المباحث عليهم ثلاث قطع من السلاح على سراية نابلس وذخيرة تكفاهم للدفاع عن انفسهم .

قاموا في المؤامرة في ليلة من الليالي في الساعة الواحدة بعد نص الليل أول ما اطلقوا

النار على اللي علـــى الاحوال السنترال رموه بالرصاص اطلقوا النار ثانيـــة على الشرطة العسكرية اللي على ظهر السطح اطلقوا النار ثالثا على الحارس البراني اللي باب سراية نابلس قالوا للمساجين اللي يحب يطلع على عاتقنا يتفضل يا شباب راح التلفون حالا للمستر ميللر والمستر ساندرس حضروا في سراية نابلس عملوا اجتماع لضباط أولاد العرب قالوا لهم فش يا شباب واحد يبيض السجن الا أمر من الملك جورج في لندن . انو اللي مستعد يلقي القبض على محمد محمود العديلي وعلى قاسم أبو سليقة العقرباوي وعلى حميدة تبع طمون اللي تبرع في القاء القبض عليهم عابدين بك عابدين بك بوخذ وحدة مسلمة واخيرا بجوز يهودية قال لهم يا مستر ميللر اعطوني مهلة ثلاثة أسابيع اما بجيبهم مقاتيل اما بجيبهم ع سرايـــة نابلس مذابيح والمباحث حاظرين المؤامرة وحاظرين الاجتماع ظلوا يسالوا عن الجماعة تمنهم عينوهم في غور الجفتلك واحد من المباحث ركب في هالسيارة وراح اعطاهم الخبر الكامل قال لهم احتذروا من عابدين بك لانـــه تبرع بالقاء القبض عليكـــم واذا مـــا ذبحتش عمركم ما بتستريحوا في لواء نابلس ، محمد محمود العديلي تناول هالكتـــاب وكتب مكتوب بالخط الاحمر وبعثه مع واحد يورد جبنة ع نابلس قال له من فضلك ارميه باب سراية نابلس أخطار لعابدين بك اذا ما تراجعتش عن رأيك والا تقتل رميا بالرصاص بعدها باسبوعين يا اخوان راح الخبر لمحمد محمود العديلي من المباحث قالوا لهم اذا انتم ابطال قد حالكم سكروا الخط العام عند عيون الحرامية بين نابلس والقدس اذبحوا عابدين بك لانه في الساعة الفلانية في اليوم الفلاني بده يطلع من نابلس عالقدس ، محمد محمود العديلي وربعه على حسب وعد المباحث ركبوا خيلهم العصر ونص الليل حولوا ع بلد اسمها المزرعة الشرقية هلموجودة حاليا واللي لفوا عليه حي يرزق رئيس المجلس القروي في المزرعة الشيخ عبده . حولوا عند الشيخ واكرموهم اهل المزرعة وشباب المزرعة اتسلحوا بسلاحهم ووقفوا حراسة عليهم ، مـــع الفجر نزلوا ع واد البلاط ع الساعة والدقيقة ع اخبارية المباحث الا سيارة عابدين جاية من نابلس عالقدس اشهروا السلاح عالسائق . سائق السيارة وقـــف عالسدد عالطريق نزلوا ركـــاب السيارة الا هي مرت عابدين بك المسلمة وأولادها والسائق عابدين بك مش موجود في السيارة محمد محمود العديلي قال لها متين انت يا بنت قالت انا مرت عابدين بك قال لها يا بنت شوفي الكفر للرجال مش عيب والرجل اللي بقشط مش عيب عليه هذه كار الرجال والطمع في صدورها ولكن العيب على الرجل واللي يقل قيمة الرجل في مجالس الرجال اللي بلتفت على عرض اجاويد الله بسوء واللي بحافظش على عرض الناس الله ما بحافظ على عرضه ويا بنت الحلال اللي بضيع مـــال بجيب مال غيره لانه المال مثل الريح يروح وبيجي . ولكن اللي بضيع شرفه بين الناس والله لو يصرف واد مصاري ما بيشتري له شرف واحنا الثلاثة معاهد ينك اخوتك في كتاب الله واللي بدو يخونك قبيلته على الله بدنا نوخذك ونوخذ هالاطفال ونوخذ هالسائق معنا نوري عابدين بك البلاد النا والا اله اخذوهـــا واخذوا الاطفال واخذوا السائق واحرقوا السيارة على السدد روحوا فيهم على غور الجفتلك عند الامير علال المسعودي عند المساعيد راح الخبـــر لعابدين بيـــك ان المرأة والشفير والاولاد مفقودين والسيارة محروقة فقعدت ، عشرة أيام بالتمام والكمال وهي عند اخوتها عند هالجماعة الطيبين شروة هاللحى ، لان الرجل الطيب هو اللي بحافظ على شرفه ، قالوا لها كون مذايقة يا اختي قالت لا والله ما اني مذايقة ولكن اللي مذايقني هالاولاد بدي اخذهم اسلمهم لابوهم لعابدين بك واتفاهم معاه انا واياه اذا تراجع عن رايه هيني مرته وبربيلـــو اولاده واذا ما تراجعش عن رايه بسلمو الاولاد وبرجع عليكم اذا الحكومة البريطانية ما ألقت القبض عليكو اقسم لكم بالله لنتحر وراكو . جابوا لها سيارة من جسر دامية وقالوا للسائق هذي اختنا دير بالك باب سراية نابلس نزلها ونزل الاولاد نزلهم السائق

باب سراية نابلس نزلها باب السراية الخبر راح لعابدين بك قالوا له بنبشرك يا سيدي قال لهم ابشروا يا جنود قالوا له المرأة والاطفال والسائق باب سراية نابلس طلع سلم عليهم سلام الاحباب اذا كانوا غياب قالت له شوف يا عابدين قال لها نعم قالت له هذول ابطال من ابطال فلسطين يا رجال وهذه حكومة بريطانيا ما خلتش ولا عين مفتحه في البلاد اذا بدك اظل رادد على حكومة بريطانيا لا انا مرتك ولا انت جوز الي اولادك خذهم وانا برجع على اخوتي . دار العز قريبة ولكن اذا بدك تتراجع عن رايك بعيش انا وياك بسلام وبربي الك هالاطفال عابدين بك ورى مرته صفاوة قلب ولكن قلبه من جوة ماكر على الجماعة مش مطمئن منهم بعد باسبوعين جابوا واحد في الليل محكوم مؤبد من سجن عكا على سراية نابلس قالوا له انت محكوم مؤبد قالهم نعم قالوا له الك خمسمائة دينار مكافأة والك انجيب لك براءة من المندوب السامي والك انوظفك مع الجيش البريطاني بشرط تلقي لنا القبض على محمد محمود العديلي وعلى قاسم ابو سليته وعلى حميدة من طمون قالهم انا على اتم الاستعداد اخذوه اثنين انجليز رموه في وادي البيذان والصبح نشروا في الجريدة انه فلان الفلاني هرب من سجن عكا اللي بلقي القبض عليه اله مكافأة ميتين دينار وراحت الجريدة على غور الجفتلك الجماعة قرأوا الجريدة قالوا هذا صاحبنا وصديقنا فر من سجن عكا وجب علينا نركب خيلنا وندور عليه ونجيبه لو كان وين ما كان ركبوا خيلهم ودوروا عليه وين ما كان تحوشوا معهم قعد ، عندهم خمس ايام بعد الخمس ايام قال لهم بتسمحوا لي بدي اروح اشق على الاولاد اطل عليهم واطمئنهم علي وارجع عليكو غاب عنهم ثلاث ايام اليوم الرابع روح عليهم قال لهم يا جماعة شفتلكم شوفة في الطريق قالوا له شو رايك قال لهم شفت شعبان تبع بيسان معه اربع ضباط من اولاد العرب راكبين خيل سويل ولابسين قنابيز وعبى كل واحد منهم بارودته تحت عباته بتعقبوا فيكم من مكان الى مكان لما اصبح الصباح قالوا له قدامنا انت عليك ادلنا اياهم واحنا علينا نرميهم بالرصاص قالهم يا جماعة صحتي محترفة اليوم وشايف في صحتي اختلاف انا خلوني عند بقية هالذخيرة وانتوا اولاد البلاد وعارفين الطريق تركتهم في المحل الفلاني الجماعة على نيتهم تركوه في المغارة وهم صدروا وبعد ما صدروا اتعشلق ، بسيارة عن جسر دامية راح اعطى الاخبارية الكاملة للمستر ساندرس وللمستر ميللر ولعابدين بك فعلا اطلعوا خمسة كشف كول شعبان تبع بيسان معهم واربع ضباط راكبين خيل سويل ولابسين اواعي سويل ولكن وراهم ٢٠٠ جندي مشاه من قوة الحدود . محمد محمود العديلي لمن شافهم قال له والله يا حميدة صديقنا ما هو كذاب هيات الخمسة مزبوط حولوا ، الطرفين عن خيلهم شعبان تبع بيسان كان يوخذ عشرة دنانير علاوة راتب على اطلاق النار فقط شعبان مد للاول الا هي في صدره وقباله طالعة تلمع من ظهره اللي انتخي على فوق راسه حميدة تبع طمون قال له عناك يا العديلي والله ما بنسحب من فوق راسك اما بذبح هالخمسة اما بنذبح على فوق راسك حميدة تبع طمون الله بعطيه السعد وبذبح الخمس ضباط بثأر ابوكباري وبفروا من الميذان لان بتتقاوى عليهم القوة محمد محمود العديلي بتاخذه حكومة بريطانيا وبتوفا معاهم في الطريق ويحملوه على ظهر بغل ويصيروا يفروا في شوارع نابلس اله اخو اسمه صالح ولو اخو اسمه جميل جلبتهم حكومة بريطانيا ونفتهم قعدوا بحزمه هالموجودة هذه ثماني سنوات ويتعرفهم مثل ما بنعرف هالوجوه صالح اخو ابو كبارى بصلي في صلاة الصبح وصدفة بعد الصلاة بقرأ في سورة الرحمن الا اللي بدق في الباب قال له مين اللي طرق الباب قال له هذا انا ابن عمك يا صالح اجانا خبر ان أخوك مقتول ومرمي في سراية نابلس حضرت قرى جبل نابلس اربعة عشر بلد الصبح الا هن باب السراية هناك بدهم يعملوا ثورة عالقوات البريطانية اللي فينابلس اللي هذا الحركة حياة سليمان الشكعة الله يرحمه اخذوا ابو كبارى وروحوا عبيته بعد ما دفنوه في التراب شو قالوا

دار العديلي قالوا انتو يا مخاتير وختيارية الاربعتاعشر بلد والله ما فيكم واحد يمشي الا بعد ثلاث ايام الشباب بروحوا على اشغالهم قعدوا اختيارية ومخاتير الاربعتاعشر بلد من مشاريق نابلس في « بيتا » عند دار العديلي أول ليلة والثانية الليلة الثالثة بيجي حميده منشان يوخذ بخاطر أصحابه دار العديلي أول ليلة والثانية الليلة الثالثة بيجي حميده قالهم بشوف في خيل باب هالساحة قالوا له والله يا حميده هذول اربعتاعشر بلد اللي مجموعات في ساحة دار العديلي راح سلم عالختيارية وعلى مخاتير القرى واخذ بخاطر اصحابه قالهم معكم خبر يا دار العديلي قالوا له « لا » قالهم اللي وز على زلمتكم وسبب قتل زلمتكم فلان الفلاني من البلد الفلانية شو قال صالح العديلي قام قدام الاربعتاعشر بلد قالهم شوفوا يا اهل جبل نابلس قالوا له نعم يا صالح قالهم يحرم علي البس العقال(٥) بين الرجال ويحرم علي ارجع على بيتا واصير من أهلهـــا ويحرم علي انام في الفراش الحريم اما بذبح هالانسان في وسط سراية نابلس كوم اما بيجي مثل اخوي على ظهري كوم . الصبحيات صالح العديلي أخذ هالفرد البرابيلو وابو تاج بثلاث باغات احتياط للدفاع عن نفسه وروح على سرايـــة نابلس الفشكة الفاظية في هذاك العصر كان حكمها يصرح من الثلاث سنوات الى الخمسة وان اجـــا المسدس كان ينحكم الانسان خمستاش او اعدام صالح العديلي ثلاث ايام معرفش يفوت في سراية نابلس ولكن وين كان ينام عند صاحب اله من مدينة نابلس من دار الشكعة شو قال له المدني تبع نابلس قال له يا صالح بشوفك بتنامش في الليل . قال له انت والسر يا نابلسي قال له عليك الله ومحمد رسول الله قال لنا اقسمت اليمين ما بلبس العقال في هالجبل ولا برجع على بيتا ولا بنـــام في فراش النسوان اما بذبح هالجاسوس الخائن في وسط سراية نابلس اما بنذبح جوة هالسراية والى ثلاث ايام مش صاحلي افوت قال لـــه يا صالح المثل بقول الرجـــال عند حاجاتها نسوان . الصبحيات بلبسك لبسة وحـــدة من خواتي لبسة حظر وبوخذك في سيـــارتي وبخلي موتور السيارة شغال باب سراية نابلس وبكتبلك استدعاء ع لسان بنت فعلا اللي بوخذ الاستدعيات هللي بدك تذبحه . اذا ذبحته ووصلتني اعرف انـــه نفدتك واذا انذبحت قبل ما توصلني لا حول ولا .. قال له بس فوتني ما يهمكش انت الساعة ثمانية ونص الصبح قام صاحبه النابلسي لبسو لبسة وحدة مـــن خواته لبسة حظر كتب له استدعاء على لسان بنت اخذه في سيارة لسرايا نابلس فات انو اللي لاقاه الخائن ابن الحرام قال له هات الاستدعا يا بنت واقعدي ع لبنك لما فات يحط الاستدعاء لما طلع من الاوظة صالح العديلي في ايده المسدس والفشكة تحت الظرب ولما طلع حط التسعة في صباحه . وهو نازل انواللي لاقاه . لاقاه ولد من عصيرة الحطب عصيرة الشمالية اسمه عبد الرحمن كان صواري مع فايز بك الادريسي في القدس قال له انت صالح العديلي يا ولد قال له انا صالح ابعد عن طريقي مذبوح انت وغيرك كل واحد يعارضني مذبوح قال له من هان يا صالح انفذ المؤذي بقتل ولو في الكعبة لكن بظرب لك اشارة للحارس البراني اذا فتح لك طريق خير وكان به واذا الحارس مـــا فتحلكش طريق اذبحه الثاني وحط في ظهري ما تخافش الحارس البراني فتح له طريق وصـــاحبه الوفي محـــظر له الســـيارة مـــن حد ما نفد في السيارة نفد فيـــه عـــلى غور الجفتلك قالوا انو اللي ذبح فلان قالوا له بنت اللـــي ذبحتو صاروا يفتشوا في هالبنات . روح على بيته قلهم يا دار العديلي قيموا الافراح والليالي الملاح ذبحتلكم هالملعون في وسط سراية نابلس بروح صالح العديلي بعد اسبوعين يقول كلمتين قصيد وعمر السامعين يزيد ومن صلى على جمال النبي يربح ويستفيد .

اول كلامـــي في مديـــح محمـــدا	الهاشمـــي سيـــد ولـــد عدنـــان
ليلة الثمانـــي في ربيـــع الامجـــدا	نهـــار الثلاثـــا كنـــت انـــا فـــرحان
فرحان في ذكـــر الالـــه تعبـــدا	بقـــرا واتلـــو بســـورة الرحمـــن

الا بطارش هاللي بقولوا قد بدا ... ما عندك علوم الذي قد كان
وقلت له والجسم مني تبددا ... علوم خير تكون يا انسان
قال لي على علم نظرته مؤكدا ... وحياة ربي مكون الاكوان
شفت ابو كبارى بالسرايا ممددا ... حوله العساكر ناصبة الميدان
لما سمعت الخبر عقلي قد غدا ... وأضحيت كني من الخمر سكران
والله من علم علي قد بدا ... فيه اخبار بالشوم والاحزان
رحت عالسرايا في حال الردا ... قام النوبتشي يا الربع نادائي
قال لي على بغلة جابوه ممددا ... طافون فيه ساحة الميدان
الويت راسي حتى اسائل وانشدا ... يا دمع عيني تشوفها غزران
رحت على السبيطار في حال الردا ... ارميت نفسي عالطبيب اهداني
شفته على تخت الرويد ممددا ... والدم جار مبلل القمصان
يا حيف سبع الغاب كرم امجدا ... يصبح دفين بتربة الوهدان
كل البلد تبكي عليه وتنجدا ... تبكي الرجال وتنحب النسوان
شواربه جنح الغراب مرقدا ... وعيونه تشعل كبرق نيسان
اربطوا للضباط هم في المبتدا ... طلعوا دورية عاد ع البلدان
راح الخبر لعابدين مؤكدا ... اطلع لهم عسكر نسل شيطان
حطوا الموازر ع جنوب الجودا ... والواحد منهم ما علم بالثاني
قال ابو اكبارى لحميدة تعندا ... لنحط فيهم شعلة النيران
عديتهم خمسة ما معاهم حدا ... والواحد منا مقومن بثمانه
احنا ان هربنا عار ، طول المدى ... وعلومنا فاتت جبل حوران
صار الرمى بين الجماعة سرمدا ... وقع ابو اكبارى والفتي شعبان
قال ابو كبارى لحميدة مؤكدا ... وداعتك يا رفيق لا تنسان
قال له حميدة آه يا سبع الفلا ... عندك لا بيع الروح في الميدان
قال له حميدة انهض تا شلك ع اليدا ... من فوق ظهري أوصلك الاوطان
واجيبلك خطيب قساري معبدا ... وازرع ع قبرك شجرة الريحان
قال له حميدة كيف صرت لهم غدا ... ما زال بيدك صنعة الالبان
قال له يا ابو ياسين راح اللي غدا ... وقع القدر صار البصر عميان
واختم كلامي بالنبي محمدا ... المصطفى المخصوص بالقرآن

وخرجت التظاهرات في جميع المدن وطاردت الطائرات البريطانية رجال الثورة بقنابلها . واضرب العمال العرب في شركة البوتاس . وهاجم المجاهدون فصيلة من الجنود البريطانيين ونسفوا الخط الحديدي بين القدس واللد ويافا . وقد ارخ الشعر الشعبي بعض هذه الاحداث واعطى صورة عن الثورة الشعبية :

المندوب في البلاغات ... قال وما وقع اصابات
اعترف بجرح الضباط ... يعني الجند محجبين
اما نسف القطارات ... صار موضة من الموضات
وانقلاب الدبابات ... شلحوا العسكر مرتين
ترخ عندك يا زمان ... ظلم وغدر الغربيين

وهاجم الثوار مستعمرة كفار عصيون والتي ارخها الشعر الشعبي بهذه الأبيات :

على كفار عصيون صار المنادى ... يوم عبوس يوم شر واستطاره
حسين عمرو بنتخي مثل زيدان ... صبيان لعبي اليوم عج الغبارة
والحاج ناجي بنتخي في اول القوم ... يوم عبوس يوم هذا النهاره

لقد كانت ثورة (٣٦ ــ ٣٩) عبارة عن شعب شبه اعزل مستنفر ضد قوات الانتداب البريطاني تؤازرها العصابات الصهيونية . وقد عبر الشعر الشعبي عن هذه الثورة بهذه الكلمات البسيطة التي تعكس حماس الناس للكفاح واستعدادهم للنضال :

وسجل يا قرن العشرين ... ع اللي جرى بفلسطين
ثلث سنين بالليالي ... ما نمنا بالعلالي
واحنا بروس الجبال ... للحرب مستعدين

ومن ابرز المعارك التي جرت معركة بلعا . ففي الثالث من أيلول عام ١٩٣٦ صدرت الاوامر لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجنود وطلب منها ان تزابط على الطريق بين طولكرم ونابلس للحفاظ على القافلة اليهودية اليومية وعلمت بهذا قيادة الثوار من مخبريها الذين يعملون مع العدو ويخلصون للثورة فبثت الالغام في طريق السيارات وحين نزل الجند مفزوعين من السيارات أطلق الثوار رصاصهم وابتدأت معركة كبرى وكان الثوار يرابطون على جبلين متقابلين وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الاشجار وخلف الدبابات . ووصلت أثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس وأصبح عدد الجند يقارب خمسة الاف جندي واشتركت خمس عشرة طائرة في المعركة واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميدان فحطم صخور الجبال وعصف بأثمار الاشجار وتوافد القرويون يساعدون المجاهدين وكانت النسوة تزغرد لهم وتساعدهم بالعتاد والمياه والطعام . وأصيبت في هذه المعركة أربع طائرات بريطانية وفقد الانجليز باعترافهم ضابط الطيران هنز والطيار لتكوني وضابطين آخرين والاونباشي دلكس .

ومن المعارك الاخرى التي خاضها الثوار الفلسطينيون معركة ترشيحا قرب عكا ومعركة جبع في قضاء جنين ومعركة بيت أمرين شمال غربي نابلس ومعركة الخضر التي استشهد فيها البطل السوري سعيد العاص ومعركة الدبابات في كفر صور ومعركة كبيرة في جبل الكرمل . وقد أرخ الشعر الشعبي لهذه المعارك وحيا مشاركة الاخوة العرب في المعارك :

جبل النار يا فوز الدين ... يفديك بالمال والبنين
ريح الجنة يا عالم فاح ... بمعركة وادي التفاح
أستشهد فيها الفلاح ... خط السنجقة بالمرتين
وقعة جرزيم وعيال ... شيبت روس الاطفال
انخذلت فيها الانذال ... بفضل القائد فوز الدين
وبتطويقة بيت أمرين ... كأن فيها الثوار ستين
عينيك يا صلاح الدين ... أشوف شجاعة المجاهدين
انتشر الخبر بجبل النار ... هرعوا الناس اكبار وصغار
بمعركة مثلها ما صار ... تشبه لوقعة حطين
صار ادمّر خصم المي ... بمعركة جبع يا خي
طوت الامة الارض طي ... كرت على الملاعين
أما وقعة وادي دعون ... تشبه لحرب اليرموك
هذا الموت يا ظالم ذوق .. وهذه رجالك فلسطين
الدبابات في كفر صور ... تكسرت يا اورمسي غور
أن ما الفيت وعد بلفور ... اخرتكم تبقي مثل الطين
بتطويقة جبل المنطار ... دلى عقله منها طار
ما فيها طيارجي طار ... الا استجار بفوز الدين
أعظم معركة في بلعا ... كانت هي يوم الجمعة

استشهدوا فيها سبعة ... قتلاهم مش محصورين
والمندوب في البلاغات ... قال وما وقع اصابات
اعترف بجرح الضباط ... يعني الجند محجبين
اما نسف القطارات صار ... موضة من الموضات
وانقلاب الدبابات ... شلحو العسكر مرتين
فوزي البطل الشجاع ... اوقف ماله روحه باع
لتخليص هذه البقاع ... من أيدي المستعمرين
من بغداد دار السلام ... جانا ماشي ع الاقدام
يا نصارى يا اسلام حيوا ... القائد فوز الدين
بتطويقه نهر البركات ... جادوا العرب بالنجدات
والنسا رفعوا الرايات ... للشبان مزغرتين
قطعوا النهر بالامان ... والخصم شاهد عيان
ترخ عندك يا زمان ... ظلم وغدر الغربيين

وهذه القصيدة من مرويات الشاعر الشعبي محمود زقوت وهي تتألف من مقاطع والمقطع الواحد يضم ثلاث شطرات ذات قافية واحدة أما الشطرة الاخيرة فهي ثابتة بحرف النون . وقد حاول الراوي ان يستذكر معارك الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ — ١٩٣٩) ، وأدى التفاح — جرزيم وعيبال — بيت أمرين — جبع — وادي دعوق — كفر صور — جبل المنطار — بلعا — وكذلك استعرض بطولات الثوار الفلسطينيين ومقارعتهم للانجليز واليهود دفاعا عن حقهم في أرضهم وضمن مطالبتهم بالغاء وعد بلفور والتشبث الاستعماري الصهيوني بالارض الفلسطينية .

ولقد كانت هذه المعارك معارك غير متكافئة يخوضها شعب شبه اعزل ضد قوات نظامية لأعتى دولة استعمارية في ذلك الوقت . وقد سجل المقاومون الفلسطينيون صفحات ناصعة من الاخلاص للوطن ونكران الذات . ومن ذلك انه حين تدهور القطار في كفر جنس ومحطة اللد كان الفاعل الشهيد حافظ صقر واقفا أمام القطار المتدهور يشاهده فأطلق عليه النار جندي فأصابه اصابة قاتلة ولما جاء رجال الشرطة يسألونه عن الذين اشتركوا معه في انتزاع قضبان الخط أجاب « لم يشترك معي أحد بل أنا وحدي قمت بهذا الواجب الوطني .. اسقوني ماء » .. ثم اسلم الروح . وبينما كان العالم المسلم عبد الحفيظ أبو الفيلات يقود فريقا من المجاهدين كمنت له مفرزة من الجند واشتبك معها في معركة ، فلما سدد بندقيته اليهم لم ينطلق رصاصها لفساده فاستل خنجره وهجم يقاتل الجنود البريطانيين الذين عاجلوه برصاصة ذهب معها شهيدا . وتلك العروس الشابة التي لاحظت حزن زوجها حين لم يجد بندقية يشارك الثوار بها أمجادهم فباعت بيتها الموروث عن أبيها واشترت بثمنه ذخيرة وسلاحا وشجعت زوجها محمود شحادة النابلسي على اللحاق بالثورة وأسهم بشجاعة وبطولة حتى استشهد في معركة وادي الطواحين يوم ١٣ تموز ١٩٣٦ . ورغم الارهاب البريطاني والانذارات البريطانية فان ثورة ١٩٣٦ لم تتوقف الا برضوخ الهيئة العربية العليا لنداءات ثلاثة موقعة من ملك السعودية وملك العراق وأمير شرق الاردن الذين دعوا السكان للاخلاد والسكينة اعتمادا على حسن نوايا الحكومة البريطانية للصداقة . ووعدوا بمواصلة السعي في سبيل مساعدة الفلسطينيين .

وفي عام ١٩٣٧ عادت الثورة بعد توقف لم يزد عن أربعة شهور بعد الوساطة العربية . ومن أبرز الاحداث مقتل حاكم لواء الجليل اندروز بينما كان خارجا من الكنيسة الانجليكية في الناصرة وذلك ردا على اضطهاده للشعب وتشجيعه اليهود على سلب الارض العربية . وكذلك اغتيال موفات حاكم جنين والذي عرف بتحامله على السكان

العرب . فقد أرسل له يوسف ابو درة احـد قادة الثوار من قتلـه بعد انذار . ورد المندوب السامي على هذه الاعمال بحل اللجنة العربية العليا وعزل رئيس المجلس الاسلامي وابعدت من وقع في يدها الى جزيرة سيشل من أعضاء اللجنة المنحلة . أما الحاج أمين فقد اعتصم بالمسجد الاقصى ومنه هرب سرا الـى بيروت . وكان اسم الحاج أمين يتردد في لازمة بعض أغاني السحجات « سيف الدين الحاج أمين » . وكان الحاج أمين يحظى بتأييد شعبي واسع لدرجة ان فنانا شعبيا قال فيه :

لـو في نبـي بعـد النبـي كان النبـي هو الحاج امـين

وازدادت الثورة شدة في عام ١٩٣٨ وقد تمكن الثوار في بعض الحالات من احتلال بعض المدن مثل بير السبع أو أجـزاء من مدن أخرى كما حصل في نابلس وازدادت أعمالهم الهجومية على مواصلات الانجليز وخطوط الهاتف والدوريات العسكرية . وظلت الثورة متأججة الاوار .. ولم يخمد لهيبها منذ اندلاعها في ١٩٣٦ وفي هذا العام أيضا تراجعت بريطانيا عن مشروع تقسيم فلسطين الذي اقترحته لجنة بيل قبل ذلك وفي عام ١٩٣٧ قالت ان هذا الحل لن يكون عمليا .

وعبر عام ١٩٣٩ ظلت الثورة مستعرة . وفي هذا العام استشهد القائد المشهور عبد الرحيم الحاج محمد خلال معركة مع القوات البريطانية فكان لذلك رنة حزن عميقة في البلاد التي رفعت الاعلام السوداء . واضربت المدن الفلسطينية لهذه المناسبة . وفي أيلول من عام ١٩٣٩ توقفت الثورة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية . وكانت القيادة مشردة . « كان المفتي الاكبر لاجئا في لبنان وكان يدير الحركة الوطنية من ملجئه . وكان يجب أن تدور حركته في أضيق الحدود والا طاردته فرنسا وحرمت عليه البقاء هناك . وكان عديد من زملائه ومساعديه موزعين بين لبنان وسوريا وكانت صلة الثوار بهذه القيادة تتم عن طريق التسرب الى البلدين العربيين الذين يئنان تحت وطأة الانتداب الفرنسي . ومن حدود سوريا ولبنان كان السلاح يهرب الى فلسطين . وكان يشترى من بعض المصادر التي كانت مفيدة مهما تصورنا ضآلتها وعدم حريتها في البيع . ولـم يكن هناك سلاح غير ما يغنمه الثوار ويخطفونه من الجيش البريطاني او معسكراته»(٦) . وانتهت الحرب العالمية الثانية وكان قرار التقسيم والحرب العربية اليهودية عام ١٩٤٨ والتي عاش بعد هزائمها الشعب الفلسطيني سنوات المنفى .

القسم الثاني : أيام التشرد

بعد نهاية أحداث الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ وتوقيع اتفاقيات الهدنة بين اسرائيل من جهة وكل من مصر والاردن وسوريا ولبنان نشأ وضع سياسي جديد أدى الى غياب فلسطين عن الخارطة الدوليـة للمشرق العربي وظهرت بدلا منهـا دولة اسرائيلية ضمن أراضي النقب والجليل والسهل الساحلي الفلسطيني . أمـا الجزء الباقي من الارض الفلسطينية فقد أصبح يعرف باسم الضفة الغربية من الاردن حيث أصبح الفلسطينيون فيها يحملون الجنسية الاردنية . وفي اسرائيل أطلقت السلطات المحتلة على السكـان الفلسطينيين الذين ظلوا ضمن حدود الدولـة المغتصبة اسم « العرب الاسرائيليين ! » . وكان من نتيجة الهزيمة العربية عام ١٩٤٨ وتشتت الشعب الفلسطيني ان تضافرت عدة عوامـل خارجية وعـربية تعمدت تغييب الشخصيـة الفلسطينية عن الساحـة المطالبة بحرية فلسطين واستقلالهـا . وتواكلت الجماهير الفلسطينية واستكانت لوصاية الدول العربية على القضية الفلسطينية والتي اصبحت بارادة أصحاب المصالح المحلية والاجنبية قضية شعب من اللاجئين يحتاج الى حقوقه في الحياة على أرضه أو التعويض عن هذه الحقوق . وبدا ان مناقشة وجود الدولة الدخيلة المغتصبة للارض الفلسطينية أمر لم يعد يلح على المحافل الدولية. وقد استمر

هذا الوضع طوال العشرين عاما التي مضت بين حزبي عام١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ والتي برز بعدها وجود الثورة الفلسطينية التي رفضت وجود الكيان الاسرائيلي المغتصب على أرض فلسطين ونادت بتحرير الارض الفلسطينيـــة من النفوذ الصهيوني الاستعماري واقامة دولة ديمقراطية يتعايش فيها وعلى الارض الفلسطينية كل من المسلم والمسيحي واليهودي . وقبل أن نتحدث عن صدى الفترة ما بـــين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ في الوجدان الشعبي الفلسطيني لا بد من رسم ملامح الاحداث الرسمية والشعبيـــة في الساحة الفلسطينية . ففي ٨ كانون الاول ١٩٤٧ قرر مجلس الجامعة العربية ان التقسيم باطل من أساسه وأمر بتزويد الفلسطينيـــين بالاسلحة والاموال والمتطوعين للدفاع عـــن أرضهم . وأدى ذلك الى دخول الدول العربيـــة معركة فلسطين في أيار ١٩٤٨ وهم يعتقدون انهم يدافعون عن شرف الامة العربية ووحدة أراضيها . وبالرغم من ارتجال الدول العربية وعدم ثقتها بعضها ببعض وعلى الرغم من سيطرة الاستعمار على معظم هذه الدول بشكل او بآخر فان مجـــرد تسيير القوات العربية في موعـــد واحـــد ضد الاستعمار الصهيوني يدل على التزام الامة العربية بالدفاع عن فلسطين . واستبشر الناس بجيوش الدول العربيـــة التي هبت لتحرير فلسطين من الصهاينة وقال المغني الشعبي في ذلك :

الجيش السوري دفع قواتـــه — والجيش العراقـــي بمدرعاتـــه
والجيش الاردني باستحكاماتـــه — ولا تنهمـــي يـــا فلسطينـــا

وعندما دخلت الجيوش العربية النظامية فلسطين ولم تفعل شيئا بسبب الهدنة وتخاذل القيادات السياسية في البلاد العربية ذهل الناس أمام الحقيقة المرة ، وأخذت الجماهير تستغرب موقف هذه الجيوش :

تقول جيوشنا ماكـــو اوامـــر — غدا نحمـــي البلاد اذا أمرنا

كانت السخرية من « ماكو أوامر » وتخـــاذل القيادات السياسيـــة والعسكرية زاد الجماهير اليومي . وقد عانت الجماهير من خيبة امل كبيرة وهي ترى الجيش المصري ينهزم في النقب وتحاصر قواته في الفالوجة ، والجيش الاردني لا يستطيع القيام بشيء ازاء احتلال اللد والرملة ومطالبة اليهود بالمثلث والجيش السوري لا يستطيع القيام بأي انجاز . والجيش اللبناني يتراجع أمام العصابات الاسرائيلية . أما الجيش العراقي فلم يستطع احد أن يفسر معنى صمت مدفعيته العظيمة التي قيل انها قادرة على محو اليهود وتجفيف البحر . وعن هذه التساؤلات وعن خيبة الامل هذه عبر أحد الفنانين الشعبيين في مجلس شعبي بمدينة جنين ضم قادة الجيش العراقي وجماهير شعبية احتشدت للاحتفال بذكرى شهداء معركة جنين . وقد حضر الاحتفـــال — على حد رواية أحد الفنانين الشعبيين — مجموعة من مطربي الاحتفالات الشعبية منهم عبداللطيف العجاوي وحافظ مونسى وابراهيم العراني وعساف ظاهر ويوسف البرغوثي(٧) والحزرق . وبعد استعراض « اطراد » الخيل والدبكة والسحجة بدأ الفنانون الشعبيون في كيل المديح للجيش العراقي والمناضلين ، ثم طلب عساف الامان ليقول بيتا من العتابا فأمنه عبد الكريم تاتسم — العقيد العراقي — فقال مخاطبا احد القادة العراقيين واسمه صالح زكي :

ليش ماكو اوامر يا ابو زكي — وبدانـــا بين الهاجانا بتشنكـــي
يومن جيتونا من العراق محافظين — قلنا بفلسطين اكتسحنا المعركة

وبنتيجة حرب عام ١٩٤٨ غابت شخصية « القطر العربي الفلسطيني » عـــن خارطة الشرق الاوسط وانقسم هذا القطر الى ٣ فرق احداها سميت اسرائيل والثانية سميت « الضفة الغربية من الاردن » والثالثة « قطاع غزة » والذي الحق بالادارة المصرية .

وامتلك الصهيونيون اجزاء اخرى « المثلث وخمسين الف دونم من اراضي الخليل » بعد ذلك وبنتيجة اتفاقية الهدنة مع الاردن . وعبر سنوات الهدنة الطويلة من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٦٧ اقترف الاسرائيليون المزيد من الاعمال العدوانية عبر حدود الدول العربية كمجزرة قبية (١٩٥٣) والهجوم على نحالين (١٩٥٤) وعلى غزة (شباط ١٩٥٥) وعلى المواقع السورية (كانون الاول ١٩٥٥) وعلى قلقيلية (اواسط ١٩٥٦) وعلى سيناء وغزة بالتواطؤ مع فرنسا وبريطانيا في سورة الغضب الاستعماري الصهيوني من تأميم شركة قناة السويس .

ومع ذلك فلقد ظل الوجدان الشعبي الفلسطيني يرفض الرضوخ للامر الواقع . ولم يكن من المعقول ان تتقبل الجماهير التسليم بخسارتها لاراضيها وديارها وتراثها وذكرياتها ذلك ان المليونين وثلاثمائة وستين الف صهيوني الذين يعيشون على الارض الفلسطينية والذين يمتلكون الان بوسائل الحديد والنار كل الاراضي الفلسطينية يمثلون في رأي الانسان الفلسطيني انجازا من انجازات الامبريالية ليس الا . فاليهود الذين تسللوا الى فلسطين او كانوا موجودين فيها ابان الحكم العثماني وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى لم يشكلوا سوى أقلية من ستة وخمسين الف يهودي فقط يملكون (٢ ٪) من الاراضي الزراعية اما الامر الواقع فهو شيء لم يكن في تصور الإنسان الفلسطيني مهما ساءت التصورات .

وقد كان رد فعل الوجدان الشعبي الفلسطيني ازاء الضربات المتكررة يتفاوت من اجترار الاحزان الى الذهول الى الرفض الى التحدي ثم الى طرح مبدأ المقاومة المسلحة . وعبر الاعوام العشرين التي تلت عام ١٩٤٨ وقبل ذلك وفي فترة الانتداب البريطاني ظل الوجدان الشعبي الفلسطيني يرفض الوصاية والاحتلال والتقسيم واذابة شخصيته وتمييع قضيته فالشعب الفلسطيني لم يساوم قط ولم يتخل عن مطالبه بالحرية والاستقلال ورفضه لاي شكل من اشكال الاستسلام . وقد عبرت الجماهير الشعبية الفلسطينية عن رفضها لكل تحرك في طريق الاستسلام وبالعكس غنت للثورة والثوار واصبحت الاهازيج التي تمتدح الثائرين أغاني يومية تقال في مناسبات زفة العريس :

هز الرمح بعود الزين — وانتو يا نشامى منين
واحنا شباب فلسطين — والنعم والنعمتين
في بلعا ووادي التفاح — صارت هجمة وظرب سلاح
يوم وقعة بيت امزين — تسمع شلع المراتين

واعتاد الشعراء الشعبيون ان يرددوا للجماهير المحتفلة في مناسبات الاعراس الشعبية الحكايات التي تداولتها الجماهير عن الثوار والثورات وذلك في لهجة متعاطفة مع أولئك النفر من الطلائع التي حملت السلاح وشهرته في وجه الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني للاراضي الفلسطينية ، كما يبدو في هذه القصيدة الشعبية التي يرويها محارب ذيب(٨):

انا لخبرك يا عمي عن اللي جرى لنا — واخبرك بالصحيح والموجود
التقينا خمس قواد في ساحة الوغى — معانا شباب مسلحة ببارود
معانا ابو ديسة ولا يا عز ما انتخى — يا مثله بالملك ما صارش موجود
معانا ابراهيم خليف هو وعصابته — بيده بارودة وشغل ابن داوود
ومعانا ابو الوليد يا طيب الثنا — وسد على العسكر ثلاث سدود
وانا عبد القادر يا عمي ما بينهم — يا ديمة لذكرى بالملك موجود
صار الرمي يا عم والله بيننا — ثلاطاش ساعة كاملات عدود
احرقنا الدبابات يا عمي جميعها — اكسبنا ذخيرتهم مع البارود

انسحبنا بسلم يا عمي جميعنا ... ولطف بنا هالواحد المعبود
الا ومكتوب من الشلف جالنا ... ان جبل الخليل في بعضه مفسود
بعد سبع ايام ركبنا خيولنا ... نزلنا على ارض الخليل نرود
اخذنا مشايخ للصلح لا يا عمنا ... لا ما يوخذوا بين القرايا عهود
نزلنا ع بني نعيم يا عمي جميعنا ... الف مسلح كايلين عدود
اربع وعشرين طيارة ال حامن ع فوقنا ... وميتين دبابة ال قامن لرعود
والفين جندي طوقوا بذيالنا ... معاهم مدافع وحاملين بارود
بعيني نظرت السبع لما انه ارتمى ... ابو خليف يا ابن الكرم والجود
غشيوه بالسنجات والله يا عمنا ... ما كانوش يوخذوا عنه ردود
بلاكن ع ابو قسدوم يا ويل حالتي ... يا مثله بالملك ما صارش موجود
بارودته بالصوت لما انها ارخصت ... تكسر يا عمي حجارة الجلمود

هكذا كانت روح المقاومة والتعاطف مع كل ثورة وانتفاضة بمثابة الخبز اليومي للجماهير التي كانت تغني لابطالها في العرس الشعبي وفي المجالس وحتى في الخلوات الفردية وأوقات العمل . ولنواكب المشاعر الشعبية وانطباعات الجماهير كما برزت في الفولكلور الغنائي الفلسطيني . فهناك ظاهرة عامة واساسية لا بد من ملاحظتها وهي ان شعب فلسطين لم يمل ولم يكل طوال فترة كفاحه ومطالبته بحقه بالحرية والاستقلال والعيش بسلام كما انه لم ينس جرائم أعدائه وتآمر جلاديه الذين ظلوا يعتدون على آماله وأمانيه ويضربون تطلعاته الخيرة . وكذلك عبر الفنان الشعبي عن هذه الظاهرة بقوله :

قال المثل عمر الاسى ما بنتسى ... وع شط بحر الفن مركبنا رسى
هالطير هاللي بالامس جنحه انكسر ... بحاول الفرار او ريشه كسا

فالهزائم المتلاحقة والضحايا الكثيرة التي قدمها شعبنا في طريق الحرية والاستقلال لم تكسر جناحه بحيث يتوقف عن مطالبته بحقوقه ، وظل شعبنا يتشبث بأهداف المقاومة وكلما فشلت ثورة او انتفاضة عاد يستجمع قواه في اصرار عنيد لتحرير أرضه . وطوال فترة النزال ظل شعبنا يغني للسلاح وحمله ، واصبح حمل البارودة ، ومصاحبتها أمرا مرادفا للثورة والشجاعة . وتغنت النساء ببطولة « البواردي » الذي يحمي العذارى ويرد كيد المعتدين لدرجة ان الوجدان الشعبي فضل البارودة على الام :

يا عربي يا ابن المجرودة ... بيع امك واشتري بارودة
والبارودة خير من امك ... يوم الثورة تفرد همك

ومع مضي الزمن ومع تخلف البارودة عن مواكبة التقدم التكنيكي في ميدان التسلح عاد الوجدان الشعبي يطالب :

بدنا مدافع بدنا سلاح ... لوطننا هاللي راح

ثم اخذت الجماهير تتغنى بأنواع حديثة من الاسلحة اثبتت فاعليتها ومقدرتها على منازلة الاعداء . وتراجع السيف الذي كان يحتل مكانا مرموقا في الاغنية الشعبية وفي الوجدان الجمعي للناس . ومن الطريف أن يحتل اسم سلاح حديث مكان السيف حتى في الخط الواحد نفسه من انماط الاغاني الشعبي . وبعد ان كان شعبنا يغني للسيف ويقول :

سيفنا يخلي الدم شلال

تراه اليوم يقول :

كلاشينكوف يخلي الدم شلال ... وديكتريوف يغطي انسحابنا

وفي فترة نصف القرن موضوع الحديث كانت الامال الشعبية تتراوح بين الامل والتشاؤم بين الحزن والذهول مع الاصرار دائما على ان النصر لا بد أن يكون لنا . وقد ابتدع

الوجدان الشعبي للجماهير معتقدات راجت بأن الاعداء سيظلون في فلسطين سبعة ايام او سبعة اشهر او سبع سنين او سبعماية سنة . في الواقع لا يعنينا من هذا سوى شيء واحد هو وجود اعتقاد راسخ لدى الجماهير بأن الارض العربية الفلسطينية لا بد وان تتحرر يوما ما وان الاعداء لا بد ان يرحلوا والى غير رجعة عن بلادنا .

لقد كانت الفاجعة التي حصلت عام ١٩٤٨ بقيام دولة يهودية على انقاض الشعب الفلسطيني اكبر من ان يستطيع وجداننا ان يهضمها او يتقبلها . كانت الجماهير تنتظر يوم الخامس عشر من ايار لتحرر اراضيها من تكالب الغرباء . لقد كانت الفاجعة شيئا غريبا عجيبا لم يجد الغناء الشعبي ازاءه من تصرف سوى التفجع والذهول :

قال احوال الدهر خلتنا عجيبا — انتصار الخصم علينا غريبا
وبهذا الوقت شفت لكم عجيبا — سبع يا عرب في ثم ارنبا

وتتفجر ينابيع الحزن بهذه الكلمات :

قال عتابا وما بحطلك مذلة — والشكوى غير للمولى مذلة
الويش اللي نجح والسبع ذلا — وفسرخ اليوم يصطاد العقاب

في هذه الكلمات ندب الشاعر الفلسطيني وتفجع على مصيره وعكست الاغاني الشعبية الدهشة الكبيرة من الهزيمة . كما كانت مقاييس الشعب للاحداث تعتمد على المقارنة بين الكثرة والقلة وبين الرجال الابطال والانذال :

قيسوا بني اسرائيل كالفرسان — التي كانت تغازينا ونغزيها

وصارت الدار رمزا لما يكدس الانسان الفلسطيني احزانه فيه فهو يودعها ويتشوق اليها ويعدها بالشيد والحنا اذا عاد اليها :

جيت اودعك يا دار شملاي — غريب امسح دموعي شملاي
انا ان طال الزمان ومارد شملاي — عيوني من البكا بترشح دما

ويقول :

يا دار يا دار من عدنا كما كنا — لاطليك يا دار بعد الشيد بالحنا

لقد بكى الانسان الفلسطيني وندب لكنه لم يستسلم . ظل الفنان الشعبي الفلسطيني يغني ليوم النصر والعودة . حاول ان يناقش اسباب الهزيمة ولاحظ ان ذلك كامن في تفرق العرب وعدم اتحاد كلمتهم . ويبدو الفلسطيني في اغانيه الشعبية طالب تحرير وطالب وحدة وهو يربط الوحدة بالتحرير ويراهما امرين متلازمين :

قالوا خسارة العرب اكبر خسارة — اسلى هالجمع ما هو خسارة
على اللد وعلى الرملة خسارة — يدوسوها العدا ونحن عرب

ويصبح يوم التحرير حلما جماهيريا تهفو اليه قلوب الجماهير وتنتظره فهو اليوم الذي يغسل العار ويزيل الهزيمة والمذلة . لقد تصور شعبنا فرصة التحرير محصورة في الزعيم المحرر فغنى للزعماء واهتز طربا لتصريحاتهم وتحركاتهم وافتخر بهم . والفنان الشعبي يبدو تارة حزينا ينادي الزعيم المحرر المنتظر وتارة فخورا مترقبا :

يا ويلي وين الذي يحرر وطننا — يا ذكره بالملك شعشع وطنا
ولا بد يرتجع هو وطنا — لو نجوم السما بتسكب اطواب
بذكرك يا بطلنا طرب راسي — ياللي اسطولك باحياء الخصم راسي
قال عدوك في البحر لو كان راسي — بخيط العنكبوت بينسحب

هذا ما غناه الفنان الشعبي الفلسطيني في المنفى ، وفي الارض المحتلة لم يصلنا من اغاني شعبنا سوى تلك الاغاني التي تتحدث عن المقاومة والاستبسال والصمود . ولا شك ان اخواننا هناك قد غنوا للالم وندبوا الضحايا التي سقطت في الجليل والمثلث والجنوب وفي مجازر كفرقاسم وتظاهرات الناصرة والرملة . وهناك على الارض الفلسطينية حيث تتكاثف عناصر شعبنا في الجليل والمثلث والجنوب وغزة والضفة الغربية لم تعدم الاغنية الشعبية الفلسطينية وسائل التعبير عن الموقف الجديد .

لقد ظل الادب الشعبي بعد سقوط فلسطين عام ١٩٤٨ هو المكان الذي عبر فيه الشعب المغلوب على امره عن اشواقه للحرية . وكان الادب الشعبي وما زال قلعة المقاومة لان الادب الفصيح ظل يعاني من حصار ثقافي . وشاركت الاغنية الشعبية في المنطقة المحتلة في الاحداث الاجتماعية وسجلتها بصورها المتعددة واحتفظت برصيد زاخر منها كما تجاوبت تلك الاغاني في الاحداث العربية خارج الارض المحتلة وقد دلل الشعب المغلوب هناك على وحدة المصير مع العرب في كل مكان . ويبدو انه حين كانت تتحول الاعراس في الجليل الى تظاهرات عنيفة تندفع من تحت لسان القوالين والشعراء الشعبيين لم يكن بوسع السلطات الصهيونية الا ان تفتح النار على المتظاهرين ، وقد اضطرت هذه السلطات لتقديم القوالين والشعراء الشعبيين وحدائي الاعراس للمحاكمة العسكرية وان تضع رقابة صارمة على تحركاتهم . وكثير من عرب المنطقة المحتلة يعتقدون ان مصرع الشاعر الشعبي المعروف باسم « حميد » في ام الفحم وهو على رأس تجمع كان محاولة للوقوف في وجه الاف المواويل والعتابا والميجانا التي كان يزرعها في طول البلاد وعرضها ضد الاغتصاب وحكم الاغتصاب .

لقد ارتفع صوت القوال في وجه المتعاونين مع المحتلين . وهذه القصيدة الشعبية يلوم فيها المغني سمعة من اشتركوا في قائمة اشكول الانتخابية :

اما تفرج يا سلام	ع العجايب والتمام
شوفوا فرسان المعراخ	داخو ومعلمهم داخ
شوفوا سيف شوفوا ذياب	اخشاب بشكل النواب
مع جبر وعوض نخلة	وسليم وباقي الشلة
كل من يستفي سيدو	اشكول تيحرك ايده
زلم تجمع الهموم	مع الظالم ع المظلوم
لازم نصفع على طول	كراكوزات ليفي اشكول

الاغنية الشعبية في المنطقة المحتلة ترفض الاحتلال الصهيوني وتؤكد عروبة الارض والشعب وتنادي بالاتحاد بوجه الغاصبين :

نادى المنادي في الجليل ارض العرب في العرب	يا حلالي يا مالي
شاغورنا مالك مثيل وترابك اغلى من الذهب	يا حلالي يا مالي
وبوحدة رجال الشاغور امر المصادرة انشطب	يا حلالي يا مالي
دايان أمرك مستحيل بالوحدة راح ينشطب	

ان النصوص المتوفرة لدينا والتي تتردد على السنة الفنانين الشعبيين الفلسطينيين في المنطقة المحتلة تحمل نغمة التحدي بمقدار اكبر مما تحمله نصوص اخرى في الفترة نفسها للفنان الشعبي الفلسطيني في المنفى . ويفسر ذلك امران — الاول ، مدى الاضطهاد الذي يعانيه الانسان الفلسطيني داخل ارضه والثاني ، هو معايشة هذا الانسان للنكبة وهول الفاجعة التي يحس بها اللاجئون الفلسطينيون داخل فلسطين بالقرب من اراضيهم المصادرة وبيوتهم المهدومة .

لقد حملت فترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٦٥ ملامح واحداثا سياسية بارزة عاشتها الجماهير

الشعبية بكل دقائقها وبكل ما فيها من ساعات النصر والخذلان والنشوة والركود . ففي هذه الفترة انقسمت الارض العربية الفلسطينية الى قسمين : قسم محتل صار يحمل اسم اسرائيل ويضم نحو ٧٠ ألف عربي تزايدوا الى ٣٠٠ ألف عربي في حوالي عام ١٩٦٧ والقسم الاخر صار يحمل اسم الضفة الغربية من الاردن بعد توحيد ضفتي الاردن في مؤتمر اريحا . وبدا كأن ستارا حديديا زرع بين القسمين وبعد توقيع الهدنة لم يكن يجري بينهما سوى اتصال طفيف عن طريق رجال الهدنة وبوابة مندلبوم في القدس وفي الاعياد المسيحية وقد ازدهرت الصلات بين الضفة الغربية والضفة الشرقية من الاردن. وبمرور السنوات اخذ الفلسطينيون يتجهون شرقا ، الى غور الاردن وتسهول حسوران ومدينة عمان طلبا للرزق وبدأ يتكون مجتمع اردني فلسطيني متمازج . كما تزايدت علاقات الفلسطينيين مع اخوتهم العرب اللبنانيين والسوريين والعراقيين والمصريين وان كانوا قد حصلوا في هذه الاقطار على حقوق متفاوتة دون ان يحصلوا على جنسية القطر الذي يقيمون فيه . ومن ناحية اخرى فقد شارك الفلسطينيون في هذه الاقطار بشكل او باخر بالنشاط السياسي وفي كوادر جيوش هذه الاقطار . وبشكل خاص فقد انخرط الفلسطينيون في صفوف الاحزاب السياسية وتجاوبوا مع الاحداث العربية تجاوبا كاملا على اعتبار ان المخاض الذي تشهده الامة العربية هو المقدمة التاريخية لتحرير الارض العربية الفلسطينية . وقد انجذب الفلسطينيون بشكل خاص وفي مستهل هذه الفترة الى الاحداث في كل من مصر وسوريا ، فقد كانت العراق آنئذ في ظل العهد الملكي وتراود نفسها للارتباط بالقوى الغربية . ومع السنوات الاولى من قيام الثورة في مصر تجاوب الفلسطينيون أشد التجاوب مع موقف مصر من القضية الوطنية العربية بشكل عام . وكانت أجهزة الاعلام المصرية تعززها خطب الرئيس جمال عبدالناصر قد أخذت تبشر بالدعوة لتحرير الوطن العربي من « المحيط الاطلسي الى الخليج العربي » من النفوذ الاستعماري واقامة دولة عربية واحدة حرة مستقلة وردت الجماهير الوحدوية في المناسبات الوطنية :

من المحيط الهادر
الى الخليج الثائر
لبيك عبد الناصر

ولاقى ذلك حماسا منقطع النظير في اوساط الشعب الفلسطيني وخاصة بعد التعاطف الكبير الذي ابدته مصر ازاء الوقفة البطولية التي وقفها الفلسطينيون والاردنيون في وجه مبعوث حلف بغداد الجنرال تمبلر وكذلك في وجه الحكومة الاردنية (اذ ذاك برئاسة هزاع المجالي) التي كانت تود الدخول في حلف بغداد . وكان ان اقال الملك الحكومة تلبية لرغبة الشعب وارتفعت الارادة الشعبية باسقاط حكومة الاحلاف . وفي هذه الاثناء كسر عبد الناصر احتكار السلاح بالصفقة التي عقدها مع المعسكر الشرقي ثم قام بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس وصمد في وجه العدوان الثلاثي على مصر وتحقق انسحاب المعتدين في وقت لاحق . وقد لاقت المقاومة البطولية التي ابداها الشعب المصري في وجه العدوان الثلاثي تجاوبا شعبيا عربيا رائعا وتناقل الناس بفخر واعتزاز مساهمة الضابط السوري « جول جمال » في المعركة البحرية التي ادت الى تحطيم السفينة الفرنسية « جان بارت » . واعتبر ذلك بادرة لوحدة الدم العربي والتي هي مقدمة لوحدة الامة العربية وقد هتف المتظاهرون العرب في القدس وعمان ودمشق وبيروت والقاهرة لشهداء العدوان وابطاله ولصمود مصر في وجه الغزو الثلاثي . ومن مرويات الفنان الشعبي الفالوجي « عبد العزيز كتكت » هذه الابيات من الشعر الشعبي التي تسجل شيئا من أحداث العدوان :

سنة الست وخمسين اي سووا تدابير — على بور سعيد تا ينولوا القناة

ولاقاهم جمال في دق النفير — قاله يا ايدن تقهقر لورا
انا عندي سلاح الروس وعن الحرب لومي — ارجع يا معكوس وعاود ع الميه
اهل المظلات اي عيشتهم شمات — راحو طعامات لحيتان الميه
رحمة الله على السوري جول جمال — اكبر بارجة برخها الهم في القناة

وبلغ التعاطف الشعبي مع عبد الناصر كزعيم عربي مؤهل لخوض معركة تحرير فلسطين ذروته :

مكتوب على جبيننا — عبد الناصر حبيبنا
مكتوب على قلوبنا — عبد الناصر محبوبنا

وتغنت الجماهير باسم الزعيم العربي البطل وصبت اللعنات على خصمه السياسي آنذاك نوري السعيد الداعية المتحمس لادخال البلاد العربية في الاحلاف الغربية ، وسخرت من ايدن زعيم الخطة الثلاثية على مصر :

عز العروبة لجمال — والذل لنوري السعيد
ايدن على كرسيه — سهم اصابو في الوريد

وقد غطى الولاء للزعيم او الحزب على الولاء للعشيرة او الولاء الديني وان ظلت بعض الملامح القبلية وبعض الحزازات الدينية كامنة . وابتداء من اوائل الخمسينات بدأت الاحزاب السياسية تقتسم الولاءات الشعبية ، فغنت جماهير البعثيين للوحدة ولزعماء حزب البعث :

لاطلع على ظهر الحيط — لاطلع على ظهر الحيط
وانادي للعروبة — وعلا
ويا عفلق الله يديمك — يا عفلق الله يديمك
حققت لنا الحرية — وعلا
ونادي بصوتك ع اكرم — نادي بصوتك ع اكرم
حققها اشتراكية — وعلا
ويلي ما احلاها — الوحدة العربية
ويلي ما احلاها

وحاولت جماهير هذا الحزب ان تترجم شعارات حزب البعث في الحياد والوحدة :

لا شرقية ولا غربية
بل عربية اشتراكية
بل بعثية اشتراكية

اما عن الوحدة بين سوريا ومصر ثم الاردن فقد هتفت جماهير حزب البعث طويلا لهذا الشعار :

وحدة مصر وسوريا — جسر الوحدة العربية
مصر وسوريا يا ناس — هن للوحدة اساس
بدنا الوحدة بكرة بكرة — مع مصر الشقيقة الكبرى
بدنا الوحدة باكر باكر — مع هالاسمر عبد الناصر

وشاركت جماهير حركة القوميين العرب وحزب البعث في الالحاح على الوحدة كمطلب شعبي وابراز عروبة الشعب العربي والواحد :

علم الوحدة بسبع نجوم — اولها نجمك يا ناصر
ثانيها نجمة سوريا — وثالثها نجمة وهران

شعبك جبار يـا عروبة — حديد ونـار يا عروبـة
ع الاستعمار يا عروبـة — على الرجعية يا عروبـة
دمنا حديد يا عروبـة — حديد ونـار يا عروبـة

اما جماهير الحزب الشيوعي فقد كانت على ولائها للحركة الشيوعية العالمية واستمرت تمجد الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية وحركة السلم العالمـي وتندد بالاستعمار العالمي والتسلح النووي وتغني للسواعد التي تحمل المنجل والشاكوش :

خبـز وسـلم وحريـة — مطالبنـا الشعبيـة
شعار المنجل والشاكوش — ومبـدأ الماركسيـة
ساعة تقويـظ الحكام — بين صبـاح ومسيـة
تقويظ حكـام الكرتون — آهون من غمظ العيون
كل ما منها عم يهون — وبالثورات الشعبيـة
شعاري شاكوش ومنجل — فيـه النصر بتعجـل
يـا مستعمر ترجـل — عـن البلاد العـربية

وأود هنا ان اشير الى ظاهرة التحـام الجبهة الفلسطينية الاردنية في وجـه المؤامرات الغربية والاحلاف واعمال العدوان ويهمني من مظاهر هذه الجبهة في صدد بحثي هـذا القواعد الشعبية الفلسطينية الاردنية وقد ساعد على تماس هذه القواعد ثم تلاحمها في وجه الابتزاز الاستعماري ان الحركات السياسية الوطنية ضمت في صفوفها الجماهير الفلسطينية والاردنية على السواء . وكان ابناء هذه الجماهير يهزجون في كـل مناسبة وطنية وفي كل انتفاضة . ولـم يكن الفلسطينيون وحدهم هم الـذين نقلوا الى منافيهم الاهازيج الهادرة الثائرة بل ساهم شباب من الاحـزاب السياسية الرئيسية في الاردن ببذر بذور اهازيج باللهجة المحلية في الضفة الشرقية من الاردن . واذكر ان جمـاهير لواء نابلس تلقفت بنشوة واهتمام أهزوجة وطنية بلهجة أربدية قدم بها محام شاب من جماهير حزب البعث :

يا عربي يا ابـن المجرودة — بيع امـك واشتري بارودة
والبارودة خـير مـن امـك — يوم الثـورة تفـرج همـك

وبدا يسود انطباع في اذهـان الجماهير بان قضية التراب الفلسطيني لـم تعد قضية الفلسطينيين وحدهـم . واخذت تبشر الجماهـير الوحدوية بنظرية مؤادها ان تحرير فلسطين سيكون نتيجة حتمية لوحدة الامة العربية . وقالوا ان ضياع فلسطين لم يكن الا نتيجة لتمزق الامة العربية وارتباط الحكام العرب بعجلة النفوذ الاستعماري يـوم كانت اراضيهم محطات للقوى العسكرية الاستعمارية ويوم كـانت قياداتهم السياسية مرتبطة جدليا ومصلحيا مع النفوذ الاستعماري .

وقبيل حرب حزيران عام ١٩٦٧ نحس بان النصوص الفولكلورية الغنائية تجتر احداث السنوات التسع عشرة التي تلت هزيمة ١٩٤٨ وتوحي هذه النصوص بخيبة الامل التي تحس بها الجماهير اثر الهزائم المتتالية التي نكبت بها وخيل للجماهير ان يوم التحرير قد اصبح يوما سرابيا وفي الوقت نفسه كانت الاحداث تشير الى أن العدو الاسرائيلي ينمي قوته العسكرية باضطراد دائم وعلى اسس علمية حديثة تدعمه في ذلك قوى المعسكر الغربي وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، فلقد انتكست حكومة التجمع الوطني في الاردن ١٩٥٧ وسرعان ما فشل الانقلاب العسكري في العراق ١٩٥٨ في تحقيق الثورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ثم كان الخلاف الذي اعلنه عبد الناصر بين اليسار العربي واليسار الشيوعي والذي حـدا بشيوعيي العراق لمحـاربة الوحدة العـربية وارتكاب مجازر ضد الوحدويين في العراق واثر محاولة الشواف لقلب نظام الفريق عبد

الكريم قاسم . ثم جاءت الطامة الكبرى عندما تحطم امل الجماهير العربية في قيام دولة عربية واحدة في الوطن العربي بقيام الطغمة العسكرية التي فصلت الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة عن دولة الوحدة . وكان لذلك رنة حزن عميق في الاوساط الشعبية الفلسطينية/الاردنية . ولقد عبرت هذه الجماهير فيما بعد (بعد عام ٦٣) وعندما لاحت من جديد بشائر الوحدة بين اقطار مصر وسوريا والعراق عن تأييدها اللامتناهي للحركة الوحدوية العربية ولكنها صفعت بعنف في الداخل .وفي الخارج سرعان ما تلاشت الامال بقيام تلك الوحدة وبدأت المهاترات الكلامية والشتائم والسباب تتراقص على أجنحة الاثير والتي تبادلها اطراف الوحدة كل للاخر . وكان ان تبخرت فقاعات مؤتمر القمة عندما أغار الطيران الاسرائيلي على المشاريع العربية لتحويل مياه نهر الاردن ونسفت بذلك المشاريع ونسفت بذلك امال الذين تعلقوا بتلك المؤتمرات وقراراتها . ثم كانت الصفعة الأخيرة التي تلقتها الجماهير بعد انتفاضتها وغضبتها لما حدث في معركة السموع بين الاسرائيليين والجيش الاردني اثر نشاط فدائي ملموس في المنطقة . وكان أن بدأت التظاهرات الغاضبة لما حدث في الخليل ثم انتشرت الى مسائر انحاء الضفة الغربية من الاردن . وبذلك كانت الاعوام التسعة عشر التي تلت هزيمة ٤٨ أعواما من الفشل وخيبة الامل والتهاون وخيانة المصالح الحقيقية للجماهير . وعن هذه الاعوام يتحدث الفنان الشعبي :

هاي عشرين عام واحنا في العسير — طالت المرظة ولا لقينا دوا
وكيلوا اليهود بالصاع الكبير — اخذوا فلسطين ما ردوا ع حدا
عفنا السنة والقرآن — ولحقنا اعمال الشيطان
كاتب علينا ننهان — كله مسطر ع الجبين
قدر علينا الستار — سلط علينا الكفار
بالقلة وقيزان النار — تركظ واحنا فزعانين
قدر علينا الخلاق — جينا ودشرنا الارزاق
شربنا علقم ما ينذاق — في الخان بنشحد طحين
وصرنا نبشر بعضنا — تاجانا السمنة والسردين
وضيعنا الاسم العتيق — صار اسمنا ملاجين
واللي بتعنقل كرته — مقنعس الصوص المسكين
ومش عارف يرجع ع الدار — خلى اولاده جعانين
وحامل كيسه راح ع الخان — قالوا لو اطلع من هان
كن جره من عرق الذان — قاله كروتك مقطوعين
يللي قطعت لكروت — ربتك ع جهنم تفوت
ما معنا ولا شحتوت — كل الخلق مفلسين

وفي ختام هذا المقال اضع بين يدي القارىء هذا النص الشعبي الذي يجتر احزان الاعوام العشرين ، ويصور الضياع الذي حل بالشعب الفلسطيني . ويعطي النص صورة عن الجماهير المشردة التي هامت على وجهها بعد الهزيمة الهزائم المتتالية باتجاه الشرق وبعد سقوط بعض المدن العربية الفلسطينية وتسليم البعض الاخر بالمؤامرات او بعد الاتفاقيات الذليلة . ويفيض النص بالتحدث عن « ذل الوقفة على باب التموين » تلك الوقفة التي اضطرت عليها الجماهير التي تعاني من الفاقه بعد ان خسرت بيوتها واراضيها وكافة مصادر ارزاقها . ولا ينسى مبدع النص بان يربط بين الحالة التعيسة التي آل اليها الشعب العربي الفلسطيني وبين مواقف القادة العرب وهو يعرض لنا شخصيتين قياديتين كل منهما على طرفي نقيض وهما البيه طه ـ القائد العسكري للقوات المصرية في حصار الفالوجة والماواى القائد العسكري للقوات المصرية في

فلسطين . فالاول حامي الدار الذي ذبح الكفار بالقلة وقيزان النار ، والذي طلب النجدة من فاروق وابن سعود دون جدوى . ورغم ان الحكومات العربية خذلته فانه ظل يهدر زى سبوع الغار . والثاني نموذج للقيادات العربية الخائنة التي اعتادت ان تصدر اوامرها لقواتها بالانسحاب تاركة البلاد مفتوحة امام الغزو الصهيوني ومتخلية عن المناضلين والجنود وصغار الضباط من امثال البيه طه . ويقول النص ان الماوى تخلى عن المجدل واسدود لانه ارتشى بالملايين . وهو يستحق ان يضرب على رأسه وجزاء خيانته « بالفقراوى ـــ الحذاء القديم » .

والنص من مرويات عبد العزيز كتكت ، الشاعر الشعبي الفالوجي :

محمود طه حصاة الدار ... يا ما ذبح من الكفار
بالقلة وقيزان النار ... ولما صاروا مكومين
اشي شاهدته بعيني ... وما سمعته من مخلوقين
انا رحت اورد له الحبات ... اشتدت علينا الحلات
صار يجونا الطيارات ... يحدفونا قيازين
يطلب نجدة من فاروق ... سوق القوة لينا سوق
يا ملك خل عندك ذوق ... مش هيك فعل المسلمين
يطلب نجدة من ابن سعود ... قود القوة لينا قود
طوقونا هاليهود ... في الفالوجة محصورين
راحوا وخلوا طه ع الدار ... والتمت حوله الكفار
يهدر ذي سبوع الغار ... صوته زي الشواهين
بقي ينخي اولاد النيل ... مثل الاسد يوم يغيل
قالهم ما بدها تهيل ... ادخلوا ع الحور العين
فيها وجع دقيقات ... هذا مهر الحوريات
الطلبة بدها ثبات ... وين أولاد المسلمين
مالكوش الا باب الله ... واركن ع زندك اليمين
مالكوش الا باب الله ... وبالمدافع الظرابين
وليش ارضيتوا بالهدنات ... وارخو علينا الطيارات
بيجونا في الطلعات ... يحذفونا قيازين
من غربا خان الماوي ... شارد زهواة الواوي
بده ع راسه بفقراوي ... ساحب جيش المسلمين
خلى المجدل ويا سدود ... اصبح جيشه منهن مفقود
مع شط البحر ممدود ... هيك احوال الخوانين
خاف الله انه متبرطل ... ومياخذ منهم ملايين
الحمد لله العالي ... ما بيغفل عن الظالمين
شوف الدولة الكوريين ... وقعتهم من وحل وطين
عضهم قووا اليهود ... صاروا زينا ملاجين
صاروا يطلبوا الهدنات ... ما ظلش معهم ثبات
فيهم حي وفيهم مات ... وعلى الطرق مرميين
وصلوا معاي يا حظور ... ع اللي عرفكوا بها لدين
على نبينا المشهور ... اللي احنا به مسلمين

الحواشي :

١ — احمد الشقيري : **اربعون عاما من الحياة العربية والدولية .**

٢ — ولد في دير طريف ، بفلسطين المحتلة ، ونشأ فيها واحترف تلاوة القصائد الشعبية والعزف على الربابة . والشيخ الطريفي يمارس الطب الشعبي بالادوية وكتابة الحجابات . وهو يقيم الان بالرصيفة الاردن .

٣ — المواسم احتفالات جماهيرية شعبية ذات طابع ديني . ومن المواسم التي كانت تجري فيها تلك الاحتفالات موسم النبي « روبين » قرب مدينة يافا وموسم النبي موسى بين القدس واريحا وموسم وادي النمل قرب مدينة عسقلان التاريخية . وتستمر الاحتفالات في « الموسم » ثلاثة ايام في العادة تشهد العديد من الاحداث الحافلة ، اذ يأتي رجالات الطرق الصوفية الى الموسم بفرقهم واشاراتهم وطبولهم . كما يشترك اناس من مختلف الاعمار ، بعضهم يأتي للتجارة والربح وبعضهم للاصطياف والسياحة واخرون يأتون لايفاء النذور فيذبحون الذبائح ويطعمون الطعام . كما يشترك في الموسم افراد ذوو مواهب فولكلورية فيقدمون للجمهور اغاني ورقصات ودبكات شعبية . وتجري بين انصار الطرق الصوفية المختلفة مناقشات ومجادلات حول ارتباط كل طريقة من الطرق بالشيخ ومدى اصالة تلك الطريقة وانسجامها مع التعاليم الاساسية للدين الاسلامي . ويثور الجدل بين الرفاعية والبدوية أي انصار الشيخ الرفاعي والبدوي . وفي هذه المواسم تقدم مشاهد مثيرة منها ما يمكن ان يعزى لكرامات اهل الطرق الصوفية ومنها ما يمكن ان يعزى لمحترفي السحر والشعوذة والذين يأتون الى هذه المواسم لممارسة اعمالهم تلك والتكسب بها مستغلين تجمع تلك الجماهير القادمة للاحتفالات الموسمية . اما رجال الطرق الصوفية فيروى عنهم الكثير والذي يصعب على الانسان ان يصدقه اذ يروى ان احد المشايخ كان يأتي بقضيب دقيق من الحديد فيغرسه في خد شخص ما ، لينبثق من خده الاخر . وبعد لحظات يضع الشيخ الدرويش شيئا من الريق على اصبعه فيمسح به آثار الجرح . وبقدرة الله يبرأ المصاب ، وكأنه لم يمسه شيء . ويروى رجل معمر انه شاهد احد اتباع الطرق الصوفية يقطع انف رجل اثناء مشهد مثير في احد المواسم . ولدهشة المحدث عاد الصوفي فثبت القطعة المبتورة من الانف مكانها دونما ضرر . اما السحرة فيمارسون اعمال التحايل على انظار المشاهدين فيقومون باخراج سلسلة من الشفرات من انوفهم او افواههم كما يغمدون خنجرا في بطن اي شخص دون ان يؤذوه . وفي حالات تثير الاستغراب يقوم الساحر بحرق قطعة عملة ورقية علنا امام الجمهور بعد ان يكتب اسم صاحبها عليها وبعد لحظات من انتهاء عملية حرق قطعة العملة الورقية يعمد الساحر الى استخراج القطعة الورقية نفسها من جيب احد الواقفين بين دهشة الجمهور واستحسانهم. ثم يقوم الساحر بجمع اجره من الجمهور بطريقة طوعية ، واستعراضية في آن واحد .. اذ يطوف الساحر على الجمهور فيدفع احد الواقفين دينارا مثلا ويصرخ الساحر قائلا : وهذا دينار اخضر من فلان فينبري شخص اخر ويدفع دينارا ونصف دينار فيقوم الساحر باعلان استعراضي عن الحدث ويتبارى الحاضرون في منافسة كرم متواصلة تحقق المزيد من الربح لجيب الساحر . وهناك جانب اخر من احتفالات المواسم يقوم به اناس تخصصوا في العاب بهلوانية حيث تمشي فتاة رشيقة مخترفة بحذاء ذي كعب عال على حبل منصوب على اعمدة من الخشب وهي تمسك بيدها قضيبا ثقيلا من الحديد تحفظ به توازنها . ويقدم اخرون تمثيليات مضحكة تتناول باسلوب ساخر مشاكل اجتماعية واقتصادية متباينة وهؤلاء ايضا لا يتقاضون اجرا محددا بل يعتمدون في كسب عيشهم على استدرار اهتمام الجمهور وعطفه وكرمه عندما يدفعون للتبرع لهم بسخاء عن طريق الاعلان الاستعراضي عن تبرع شخص معين . وهكذا تمضي ايام الموسم الثلاثة . وفيها تختلط العاطفة الدينية بالرغبة في قضاء اوقات طيبة ومرحة . وهي في الواقع فرصة لان يمارس فيها العديد من الناس نشاطات مختلفة . فالصوفي يقيم حلقات الذكر والساحر يمارس العابه ويتكسب من حرفته

والبهلوان يعرض العابه ، والجمهور الفنان يستعرض اغانيه ورقصاته ودبكاته . وبكلمة موجزة فان الموسم يمكن ان ينظر اليه على انه الفرصة التي تمارس فيها الجماهير الشعبية شتى انواع النشاطات الانسانية التي تعبر عن رغباتها وهمومها واهتماماتها .

٤ — من الامثلة الفولكلورية على ذلك ما تتضمنه النادرة الشعبية والنادرة في مفهوم الفولكلوريين حكاية مرحة تكون في العادة احدوثة قصيرة منثورة او منظومة تنتهي الى موقف فكه ومرح . ومن هذه النوادر ما يكون قد حدث فعلا ومنها ما يصنعه الشعب ويتداوله للسخرية من موقف معين وقد عرف شعبنا النوادر المحلية (والعربية وخاصة المصرية) والتي تندر بها الناس على الاحداث السياسية ومن النوادر التي توارثها شعبنا في هذه الفترة (١٩١٧ — ١٩٤٨) : كان جماعة من المتظاهرين يقفون تحت احدى الشرفات في يافا يستمعون الى احد الخطباء الذين يندد ون بوعد بلفور . وكان احد البسطاء يسمع مدير الجماعة وهي تردد « فليسقط وعد بلفور » ولم يكن ذلك الشخص ليستطيع ان يميز الكلمات بسبب الضجة ولان بصره كان مغلقا بالشرفة اخذ يهتف « فليسقط واجد من فوق » . وكان اجد ممثلي الشعب في المجلس التشريعي يغط في نومه بينما كان المجلس يناقش جدول الاعمال واستمر النائب المحترم في النوم على مقعده حتى بعد ان انفضت الجلسة وخرج كل النواب . وعندما جاء الآذن ليغلق الابواب راى النائب النائم فاتجه اليه يوقظه وعندما لكزه انتفض النائب وقال : موافق ... موافق ...

٥ — اليمين الذي اقسمه صالح العديلي من الايمان الشعبية التي توحي بملامح الرجولة ويقول صالح بانه اذا لم يثأر لاخيه فلن يلبس العقال ولن يعود الى قريته وينقد حق المواطنة فيها ولن ينام في فراش امراته . وكل هذه الوعود تتضمن فقدانه صفة الرجولة اذا لم يثأر وانه في هذه الحالة (عدم الثأر) سيكون شبيها بالمرأة التي لا تلبس العقال ولا تتواجد في مجالس الرجال في القرية ولا تباشر وظيفة الرجل . ومن الايمان الشعبية المشابهة « على الطلاق من شنبي — شاربي » بمعنى اذا لم افعل كذا وكذا فلن يبقى لي شارب ولن اكون رجلا بالتالي لان المرأة لا شوارب لها . كما يقول اليمين الشعبي «على الطلاق من ذراعي» والذراع هنا رمز القوة ، والرجولة . واعتقد ان هذه الايمان تضرب جذورها الى قرون سلفت قد تعود الى عهد الجاهلية فهي تتسم بصفات مجدها العرب في تلك الفترة وتعكس موقف العربي البدوي من المرأة . ان هذا يوحي بحقيقة ان التراث الشعبي يظل طافيا على سطح الحياة الشعبية برغم المؤثرات الثقافية الاخرى — كالدين مثلا فالقسم بالله والانبياء والاولياء لم يلغ القسم بالقيم الشعبية .

٦ — صالح بويصير ، **جهاد شعب فلسطين** ص ٢٧٤ .

٧ — للمعلومات عن هؤلاء انظر كتابي : **اغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الاردن** الطبعة الاولى ، عمان ، ١٩٦٨ .

٨ — فنان شعبي فلسطيني مولود في قرية جبع/ القدس .

الشهيد محمود الهمشري
مثقف ثوري ممارس من طولكرم

زياد عبد الفتاح

أصغر من المدينة وأكبر من القرية تحاول ان تكون بلدة مثقفين وموظفين ولكنها في النتيجة كانت تنسحب على ذلك الجانب الاعم الاعظم من سكانها لتكون بلدة الفلاحين مهما تعلموا وثقفوا من أنفسهم ... وعلاقات الناس هناك في طولكرم ظلت تلك العلاقات الأسرية المتينة التي تعكسها علاقاتهم الاقتصادية كمزارعين وفلاحين ...

وفي الحقيقة كانت هناك بعض المظاهر البرجوازية تعبر عنها مجموعة الموظفين والتجار في طولكرم الا ان الاغلبية التي نبت منهم وعاش بينهم محمود الهمشري كانوا من الفلاحين الفقراء ...

لذلك كانت منتهى طموحات طفولة محمود تنتهي عند ان يتعلم في المدرسة لا ليهجر الارض ولكن ليكون فلاحا مستنيرا يرتبط بالارض بالوعي والحب ...

وعانى في طفولته كثيرا ... المدرسة كانت على حساب العمل في الارض والعمل في الارض كان على حساب المدرسة ولكن لا بد من المشوار بعناد الفلاح الاصيل وبارادته الجبلية الصخرية التي لا تقهر ...

وربما عرفت طولكرم تلك المدينة القرية التي تطل من فوق هضبة متواضعة الارتفاع على السهل الساحلي الذي يمتد عبر البصر ليصل الى شاطىء المتوسط عند «ناتانيا»... ربما عرفت محمود الهمشري رقما في تعداد سكانها الطيبين او ربما اندرج فيها تحت عنوان أحد أطفال الفلاحين الفقراء فقط .

ولكن ، يقينا ان طولكرم تعرف الآن ان ابنها الفلاح الذي كان يتجول باقدامه الصغيرة العارية ، بين شعاب الجبال المحيطة بجهاتها الثلاث او عبر سهولها في الجهة الغربية الرابعة ...

يقينا ان طولكرم تعرف الآن ان محمود كان دائما وفي كل وقت ابنها الشرعي الاصيل الذي ظل وفيا لها رغم بعده عنها ... وانه ابن فذ لفلسطين كل فلسطين ...

* * *

ولد محمود مع بداية الحرب العالمية الثانية ... وفي الحارة الشرقية من البلدة حيث ولد معظم الفلاحين الاصلاء هناك... ولم يكن في طفولة محمود ما يوحي بأنه متميز... كان متوسطا جدا في دراسته وعاديا جدا في سلوكه متواضعا في تطلعاته وآماله ... ولم تكن أسرته تريد له أكثر من ان يتعلم من خلال المدينة ... والمدرسة الثانوية التي في المدينة ... ولم يكن هو يتطلع لاكثر من ذلك .

ومن قطعة الارض الزراعية الصغيرة المحيطة بالبيت (الحاكورة) الذي تسكنه الاسرة

كان معظم طعام أسرة محمود مثلما كان طعام كل أسر الحارة ... وفي السهل الساحلي كانت معظم اسر طولكرم الفلاحية تعمل .

وذات يوم ادرك محمود وكان صبيا أقرب الى الطفل ان السهل الساحلي بكامله قد اقتطع ضمن مسرحية حرب صغيرة وتافهة اشتركت فيها جيوش الدول العربية ثم خرجت لتسلم قطعة من فلسطين كان منها السهل الساحلي الممتد أمام طولكرم حتى البحر .

ولم يعد ممكنا لمحمود ان يتجول عبر حقول القمح المتناثرة في ذلك السهل يفتش عن « السيسعة » و « الحبلق » او يتجول عبر الارض المزروعة بالبطيخ « المقاتي » ليكسر بقبضة يده الصغيرة بطيخة يتركها دقائق تحت أشعة الشمس لتبرد ثم يبدأ « يقحف » منها ليأكل ...

لقد اغتصب الصهاينة الارض ... ووقفوا عند اول حجر في طولكرم بعد ان نهبوا كل السهل الساحلي ...

ويذكر محمود عندما ذهب قريب له ليحضر بعد أشهر من انتهاء مسرحية الحرب المهزلة بضع مئات من الجنيهات الفلسطينية كان قد اودعها في مخبأ داخل بيته عندما قالوا له ابتعد عن الخطر لاسبوع او اسبوعين فجيوش الدول العربية قادمة لمواجهة العدو الزاحف ... يذكر انهم قتلوا قريبه والقوا به على الحدود ... تلك الصورة ارتسمت في مخيلة محمود ...

وارتسمت في مخيلته كذلك صورة عشرات الجثث المقطعة الرؤوس والاوصال التي القي بها في « براكس النافعة » في طولكرم بعد ان نسف الصهاينة قطارا مليئا بالمواطنين الفلسطينيين بعضهم من طولكرم ... على الطريق بين طولكرم وحيفا ...

وارتسمت في مخيلة محمود صورة لطائرتين عدوتين كانتا تزوران طولكرم صباح مساء تلقيان القنابل « قازانات » بعضها ينفجر فيدمر وبعضها لا ينفجر فيهرع نحوه الاطفال يتفرجون لكن ما يلبث المتدربون من الكبار حتى ينهروا الاطفال ويبعدوهم عن القنابل وهم يصيحون انها قنابل موقوتة ...

وكثيرة كثيرة هي الصور التي اختزنها محمود ووعاها وتفجرت في قلبه الطيب حين التحق بالثورة في وقت مبكر .

محمود الهمشري الفلاح من طولكرم كان عاديا ... لم يكن يبدو انه سوف يتجاوز ظروف حياته الموضوعية ... وكان حتى نهاية دراسته الثانوية تلميذا متوسطا ... وكان يطالع ولكنه لم يكن مثقفا، وكان حتى وهو يطالع يفهم الامور ضمن فهمه البسيط للحياة وضمن بيئة الفلاح الخشن التي عاشها ...

لكن محمود ...

ولأنه يحب الارض كفلاح صميم ...

ولانه يعشق فلسطين وأرض فلسطين ...

ولانه يملك حسا نقيا صافيا في لون القمح عند الحصاد ...

ولانه كان واضحا وضوح الشمس تغمر أرض فلسطين ...

لانه كان فلسطينيا اصيلا ...

ولانه كان فلاحا فلسطينيا صميما ... فقد انفجر بالثورة طاقة جبارة ...

وشكل عبر وقت قصير ذاته من جديد ليصبح مثقفا ثوريا ممارسا ... يقاتل فوق الارض المحتلة بكفاءة الثائر الممارس الذي يعرف كيف يلامس اهدافه دون ضجة او اعلان .

ومثلما كان محمود مقاتلا يعرف كيف يمشي عبر شعاب فلسطين وفي اعماقه مرح الفلاح الذي يطير بالحماس والعافية وهو يعود الى الحقل ... كان سياسيا واعلاميا يقاتل بالروح الفلاحية المرحة نفسها وهو يتصدى للحديث عن القضية الفلسطينية ضمن أوسع المؤتمرات الاوروبية ... لم يكن يحس الحرج لانه كان « يرطن » الفرنسية او يتلعثم وهو يتحدثها ... لقد كان يهمه ان يصل صوت فلسطين بكل لغة وبأية لغة حتى ولو كان لغة لا يجيدها بطلاقة ...

ويظل الحديث عن محمود الهمشري مناضلا سياسيا واعلاميا في فرنسا وفي قلب باريس حديثا لا يمكن فهمه على أي حال اذا لم نتطرق بالحديث الى فترة مهمة في حياة محمود.. تلك الفترة التي تشكل فيها محمود وتعمد شيئا فشيئا مثقفا ثوريا ممارسا ... ونعني بها الفترة التي امتدت ما بين التحاق محمود بالعمل الثوري مقاتلا والفترة التي دخل فيها باريس ليقرع ابواب السوربون طالبا يتعثر في نطق اللغة الفرنسية ويقتحم أعتى حصون الحياة السياسية في باريس وفرنسا كلها ...

وكمقدمة للحديث عن هذه الفترة المهمة من حياة محمود فأنه لا بد من القول ان الفترة التي عاشها محمود بعد ان انهى دراسته الثانوية في نهاية الخمسينات وحتى عام ١٩٦٥ لم تكن فترة مميزة او متفردة في حياة محمود ...

لم يكن فيها ما يمكن التوقف عنده ... فمحمود كان يكتسب تميز حياته من ضمن التميز العام الذي كانت تكتسبه حياة كل الفلسطينيين ، التشرد والحياة الهائمة التي لا تستقر على أرض والتي حتى ان بدا استقرارها ظاهريا فوق ارض معينة فان ذلك الاستقرار لم يكن ليتجاوز بشكل او بآخر استقرار الظواهر دون استقرار الاعماق ...

وعندما رحل محمود الى الكويت بعد ان هجر طولكرم لم يستطع ان يجد نفسه هناك... فهو كفلاح مطبوع لا يستطيع ان يمارس الوقوف فوق أرض تموج من تحت اقدامه ... لذلك لم تطل به الرحلة في الكويت ... ولم يحط هناك بعصاه طويلا فانطلق ضمن اول فرصة اتيحت له نحو الجزائر وكان ذلك في عام ١٩٦٥ .

لكن كان في الكويت ... من تحدث معه في امر الثورة ... الا ان الصورة لم تكتمل امامه هناك وان كان قد بدأ يتحفز ليعرف المزيد وليضع قدمه في اول الطريق ...

وفي الجزائر كان قد جرى الاتصال به بشكل مباشر وكانت استجابة حس الفلاح التلقائي فيه أكثر من استجابة الوعي لديه ... وبدأ يعمل ومن خلال العمل بدأ يشكل وعيه ويوسع مداركه ...

كان محمود من اوائل الذين تفرغوا للعمل الثوري بعد انطلاقة العاصفة عام ١٩٦٥ . وفي الجزائر استطاع ابن الحارة الشرقية في طولكرم ان يختصر مسافة واسعة من خلال الممارسة الثورية . فأصبح خلال فترة قصيرة من الزمن رئيسا لاتحاد طلاب فلسطين في الجزائر .

لكن كان لمحمود مهمة اخرى الى جانب تفرغه للعمل الطلابي ، كان محمود أحد المناضلين الذين ساهموا في تشكيل اول معسكر للتدريب في الجزائر ...

ثم ...

وبينما كانت الصدمة تهز جذور أعماق الانسان الفلسطيني والعربي بعد حرب حزيران ولما تمض أيام على تلك الهزيمة ... كان محمود الفلاح الطيب المؤمن الذي بدأ يعرف الوعي بالثورة ... يفذ السير عائدا الى حيث لا بد ان يكون ... بعد ان نال تدريبا جيدا ... وفي طريقه الى سوريا ثم فلسطين المحتلة كانت الابتسامة العريضة المعتادة

لا تفارقه ولم يكن يبدو ان الهزيمة التي أصابت من الجماهير الفلسطينية والعربية أعماق حماستها وتفاؤلها ... لم يكن يبدو انها نكلت بالهمشري ...

لقد تعلم بالثورة ولما يبدأ القتال ... ان يبدأ العد ...

انه مجرد الفشل الاول ... وكانت مسألة الحساب ما تزال في البداية ...

ومحمود يعرف انه سيعد كثيرا وسيقول انه مجرد الفشل العاشر والثالث عشر والعشرين ولكنه كان واثقا من انتصار الثورة ...

وعلى أي حال ...

يظل كثير من الحديث عن محمود الهمشري المثقف الثوري الممارس . فالممارسة الثورية في زخمها واحتشاد تفاصيلها وتشعب النشاط والفعالية داخلها تجعل التفصيل في السرد مسألة في غاية الصعوبة خاصة وان جانبا كبيرا من حياة أي مثقف ثوري ممارس سوف يظل مطويا عن قصد ولضرورات أمنية ربما لفترة طويلة ... كما ان جانبا آخر يظل غير مرئي حتي لأقرب المقربين من أي ثائر وأعني به المهمات ذات الطبيعة الخاصة ...

لذلك فان هذا الحديث عن محمود يظل الحديث في خطوطه العريضة البارزة وتظل تنقصه اللمسات التفصيلية التي تشكل وتحدد الملامح الواضحة والابعاد الواقعية لحياة الثائر ...

ويقينا ... فانه سوف يمضي وقت طويل قبل أن يستطيع أي انسان ان يضع اصبعه على مكان ما من سلم التقييم ليقول هنا كان يقف محمود الهمشري ... وضمن أدق الادلة وأصدق المقاييس ...

* * *

ومحمود ... كان يعاني من قصر النظر ...

ومحمود كان رغم ذلك يعبر الارض المحتلة يقارع طبيعتها الوعرة في الليالي المظلمة ... وحيث كان القمر ضروريا لمحمود يبتهج له وهو يقطع الطريق بين الحقل والبيت أو يمشي بين شعاب الجبال المحيطة بطولكرم وهو مطمئن فوق ارض يحسها صلبة تحت قدميه ويحس بصلابته فوقها ... أصبح القمر نقمة على محمود لانه يمكن أن يكشف مواقعه أو يثبته كهدف وهو يتحرك بحذر فوق المسالك الوعرة في فلسطين المحتلة ...

ورؤي أن يتحول محمود بسبب ضعف نظره الى العمل السياسي ...

وصدرت اليه التعليمات بأن يتوجه الى الجزائر من جديد ...

ثم صدرت اليه التعليمات مرة أخرى في أغسطس عام ١٩٦٨ للمساهمة في العمل السياسي والاعلامي في فرنسا ...

وذهب محمود الى باريس ... ليلتحق بالسوربون وليبدأ العمل السياسي وانصب نشاطه بين صفوف الطلبة الفلسطينيين والعرب وتمكن من اقامة علاقات ايجابية مع الكثير من المنظمات السياسية الفرنسية الشابة وفي نهاية عام ١٩٦٩ اختارته فتح ليكون ممثلها الاول في فرنسا وبعد ذلك اختارته منظمة التحرير الفلسطينية ليكون ممثلها أيضا في فرنسا .

واثناء نضاله الدائب في باريس تجاوز حدود فرنسا واستطاع من خلال فعاليته وديناميكيته ان يعقد علاقات قوية مع العديد من المنظمات اليسارية الاوروبية .

لقد شارك في عدة مؤتمرات أوروبية وساهم بفعالية فذة في طرح القضية الفلسطينية

ضمن اطارها الصحيح ... وبالاسلوب ذاته الذي تميز به محمود ... الصدق والبساطة والشجاعة ... ثم عناد الفلاح عندما تتسع أمامه رقعة الرؤية وعندما يتصل الامر بقضية عادلة وبنضال شرعي يطل في النتيجة على الوصول الى أرضه التي يقدس ذرات ترابها ...

محمود الهمشري ...

اسم لن ينمحي من ذاكرة وقاموس المثقفين الثوريين المارسين في العالم ...

وسيظل علامة على الطريق ...

وفي صفحة من صفحات تاريخ نضالنا سوف يظل اسم محمود مزروعا ...

ليشكل نموذجا فذا للمثقف الثوري المارس

وليظل شاهد اثبات على صعيد العالم ... شاهد اثبات على الارهاب الصهيوني الدموي الفاشي وستظل الصهيونية النازية العنصرية حتى وقت بعيد غير قادرة على توقي ردود الفعل الواسعة التي أحدثتها جريمتها ضد المثقف الثوري المارس محمود الهمشري ...

وان قضية استشهاد المناضل محمود الهمشري على يد المخابرات الصهيونية في باريس تطرح من جديد قضية استشهاد المناضل وائل زعيتر في روما الذي اغتيل برصاص الارهاب الصهيوني ...

وتؤكد ...

بأن الارهاب الصهيوني يتجه نحو تثبيت المثقفين الثوريين المارسين كأهداف ...

لانهم يشاركون في صنع قرار استمرار ارادة القتال ...

ولانهم يملكون أن يقتحموا ضمن فهمهم العميق والواضح لقضيتهم الثورية على الصهيونية أعتى معاقلها ...

صدر حديثا عن مركز الابحاث باللغة الانجليزية

جريمة بلا عقاب

سجل للارهاب الصهيوني ـ الاسرائيلي ١٩٣٩ ـ ١٩٧٢

بقلم : سامي هداوي

في الوقت الذي تقوم فيه الصهيونية العالمية ومن ورائها اسرائيل بعمليات ارهابية ضد افراد ومؤسسات فلسطينية عربية وبنشاط واسع لوصف مقاومة الشعب الفلسطيني الشرعية بأنها عمليات ارهابية ، كلف مركز الابحاث الكاتب سامي هداوي باعداد ملف كامل بالانجليزية عن الارهاب الصهيوني كي تتضح صورة العدو الذي اتبع ، ولا يزال ، الاساليب النازية ضد الشعب العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة .

اطلبه من قسم التوزيع في مركز الابحاث ، ص.ب ١٦٩١ ـ بيروت

١٠٠ صفحة بليرتين لبنانيتين تضاف اليها أجور البريد : ٥٠ ق.ل. في البلاد العربية ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول.

مراجعـــات

الدكتور حامد ربيع ، **التعاون العربي والسياسة البترولية**
(مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧١) .

يصدر المؤلف كتابه بسؤال يشغل ذهن كل عربي: ما هو مستقبل القارة العربية،خاصة ازاء اوضاع ما بعد نكسة يونية ١٩٦٧ ؟ ثم ينطلق من حقيقة بترولية هامة هي أن البترول العربي احد عناصر الموقف الدولي الذي يسيطر على منطقة الشرق الاوسط ، فينطلق من هذه الحقيقة ليتساءل : « كيف يمكن ان يتحول هذا المتغير (البترول) الى احد مظاهر القوة في الموقف السياسي المرتبط بمستقبل هذه المنطقة » ؟ . ان البترول هو أحد تطبيقات العمل العربي الموحد . من هذه الحقيقة الاخيرة يستطرد مؤلف الكتاب لبيان كيف أن مشاكل السيطرة على بترول الشرق الاوسط تكون الخلفية الاستراتيجية لحقيقة الصراع الدائر . ففي خطاب من ابا ايبان وهو يجيب على سؤال لمبعوث الامم المتحدة جونار يارنج عن مدلول ذلك الذي تقصده اسرائيل باقامة صلح مع البلاد العربية : «الصلح يعني اولا وقبل كل شيء اقامة علاقات اقتصادية متبادلة مع الدول المجاورة بقصد استغلال الثروات الطبيعية للمنطقة » .

وينتقل المؤلف بعد ذلك للتعريف بمدلول السياسة الموحدة ، وما يطلق عليه التعدد الدرجي ــ اي ان السياسة الموحدة لها درجات ، وباخضاع ذلك كله للدراسة والتساؤل ، نستطيع ان نحدد النموذج الذي يجب أن تخضع له السياسة البترولية العربية الموحدة . ويبين الكاتب بعد ذلك صورا من التناقض المصلحي بين الدول العربية في مجال البترول تمكنت الاحتكارات العالمية من خلقها وتعميقها مع الظروف المتجددة . والكاتب هنا يتعرض لاثر اقفال قناة السويس ــ على سبيل المثال ــ كمصدر لتعميق هذا التعارض والتناقض المصلحي . فمثلا : اشتداد الاقبال على البترول الليبي والجزائري .

نصل من ذلك الى ضرورات العمل على بناء سياسة بترولية عربية موحدة : أ ــ مواجهة السوق العالمية للبترول . ب ــ « المخاطر الحالية والتي تهدد باحداث انفصال نهائي اقتصادي وبالتبعية في الامد غير القصير سياسي بل وحضاري في المنطقة العربية بين منطقة شرق وغرب اسرائيل ». ج ــ متابعة التطور العالمي المعاصر من حيث اتجاهه نحو اقامة تكتلات اقتصادية او مناطق متكاملة . د ــ ان كل دولة عربية مصدرة للبترول لها مصلحة في اقامة صناعات بتروكيمائية محلية . والسبيل لذلك هو ضمان سوق مقفلة تتوفر بناء على سياسة تفضيل معينة وتعاون جمركي كامل . هـ ــ ان نزول اسرائيل كعامل منافس في مجال الاستغلال البترولي بالمنطقة لا يمكن مواجهته بدون تكتل وتنسيق عربي .

ثم يتساءل الكاتب مرة اخرى أين موضع القارة العربية من التطورات الاخيرة بالنسبة للتكتلات الاقتصادية ؟ يجمع كل من تعرض لهذا الموضوع ، عدوا أو صديقا ، أن أمل المجتمع العربي الوحيد في أن يرتفع بمستواه وان يحقق لنفسه وضعا اقتصاديا محترما هو في ان يحقق تكتلا اقتصاديا كاملا وحقيقيا . والاثار السياسية المترتبة على مثل تلك الوحدة واضحة. فهي وحدها سوف تسمح بمواجهة السيطرة البريطانية على منطقة الخليج وبعض اجزاء الجزيرة العربية . وهي وحدها سوف تحد من الاطماع الايرانية والتهديدات العديدة بالنسبة للجزء الشرقي من القارة العربية (بما فيها بعض مناطق العراق) . وهي أيضا وحدها التي تستطيع ان تشل الوجود الاسرائيلي في المنطقة .

وبعد أن يتعرض الكاتب لابعاد التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية وتوطين العائدات البترولية

للشركات الامريكية في المنطقة يبين الاهداف الواجب اخذها في الاعتبار بالنسبة للسياسة البترولية العربية الموحدة : أ ـ القضاء على التنافس المحلي . ب ـ التكتل في نطاق العمليات التفاوضية على النطاق الدولي . ج ـ اضعاف القوى الضاغطة التي تمثلها الشركات المستغلة على النطاق المحلي . د ـ تمكين كل دولة من التخصص في احدى (او اكثر) من الصناعات البتروكيمائية. هـ ـ توحيد عمليات التسويق الخارجي . و ـ خلق طبقة من الكوادر الفنية المتخصصة في المشاكل البترولية .

أما الفصل الثاني فيعالج ادوات ومراحل التوحيد للسياسة البترولية العربية ويتناول الكاتب هنا التعاون العربي وجهود جامعة الدول العربية ، والصراع بين النفوذ الانجليزي والمصالح الامريكية ثم التدخل الدبلوماسي السوفياتي في المنطقة وأثره في تقوية مركز الحكومات العربية . ثم يعود ثانية ليعالج موضوع التقارب بين شمال افريقيا واوربا الغربية والاصداء الحضارية والسياسية المستقبلة الناتجة من هذا التقارب .

وعن امكانات الدبلوماسية العربية ليس أبلغ من المعادلة التالية : وحدة بترولية مسيطرة على اقتصاد غرب اوروبا تحكم في السوق العالمي للبترول عامل حاسم في الاقتصاد العالمي . وادوات تنفيذ مرحلة توحيد أرضية التعاون البترولي العربي هي كما يلي : أ ـ هيئة فنية من الخبراء المتخصصين. ب ـ مركز عربي للدراسات البترولية . ج ـ عملية تمثيل محلية لجامعة الدول العربية لدى الدول الاعضاء .

اما عن الواقع بالنسبة للثروة البترولية وضرورة التحرك العربي فان الحقيقة التالية هي ابلغ تعبير: ٨٥ ٪ من البترول العربي يغادر الارض العربية في حالته الطبيعية ، في حين انه لا يخضع لعملية تكرير محلية سوى ٣،٥ ٪ فقط من الطاقة العالمية. أما الصناعات البتروكيمائية فلا موضع لهـا . ويكفي أن نتذكر ان اسرائيل دولة غير بترولية بها وحدها ما يفوق جميع الصناعات البترولية المماثلة الموجودة في جميع انحاء القارة العربية .

في الفصل الثالث يتناول المؤلف السياسة العربية الموحدة والمواجهة الاسرائيلية وهنا يتطرق لنظرية الامن الاقليمي لمنطقة البحر الابيض المتوسط وآثارها على طبيعة الصراع العربي الاسرائيلي وابعاده ، ليصل من واقع تقرير خطير أعدته دوائر اوروبية الى ان فكرة الامن الاقليمي في منطقة البحر المتوسط حقيقة واحدة لا تتجزأ . أي لا يمكن فصل شماله عن جنوبه . ويناقش هذا الفصل بجرأة وواقعية مخاطر الوجود الاسرائيلي على البترول العربي وكيف أن رأس المال اليهودي يمثل قوة ضاغطة تعمل من خلال الاحتكارات الرأسمالية التي تستغل البترول العربي .

وبعد هذا العرض الموجز لا مناص من القول أن هذا الكتاب يقدم تحليلا فيه واقعية وامانة يشير الى مصدر الخطر بالنسبة للخط الحالي للسياسة البترولية واحتمالات الخطر المستقبلة ـ وهي كثيرة ـ بالنسبة للمنطقة العربية كلها . كذلك يقدم الكتاب معالجة للموضوع في الاطار العام للصراع العربي الاسرائيلي والاستراتيجية الاستعمارية ـ الاسرائيلية المشتركة التي تخطط لسلب هذا الشعب العربي كل قدرات تقرير مصيره . ان هذا الكتاب يقدم مادة لا غنى عنها للمهتمين سواء بمسألة البترول العربي ، او بالقضية العربية كلها .

قسم البحوث والمعلومات في
ادارة الاعلام
جامعة الدول العربية

شمعون بالاش ، وضوح (روايـــة اسرائيلية) (مكتبة العمال : ١٩٧٢)

« انا يعقوب دروري ، الذي يبلغ من العمر اربع وثلاثون عاما ، أعمـــل مهندسا للطرق ، وزوج مطلق ، وأب لفتاة ، وخلال الحـــرب جلست في المنزل لان الاطباء أعفوني من الخدمة . انني بعيد النظر تماما ، وعرفت نفسي ، ولن أكون منعزلا وحيدا مرة أخرى » . هذه الجمل ، التي يختم بها شمعون بالاش روايته ، تخفي في طياتها كلا من الظلام والوضوح معا : معنى انسحاق بطل القصة وعزلته وخلاصة الدرس-الذي استفاده من حياة الماضي والحاضر من اجل بدء مستقبل جديد . ولكن من اجل ادراك المغـــزى الخالص لهـــذه الخلاصة ، يجب فحص الاســس التي يقيم عليها القاص قصته .

ان يعقوب دروري ، بطل شمعون بالاش هو انسان **منطو على ذاته** . وعلاقاته بما يحيط به هي علاقة كمية في أساسها ، وذلك لان قناع وجهه مثـــل الرخام ولا يستطيع الاخرون التسلل عبره لفحص خفاياه ، ومع هذا ، **فهو كتاش** ، وفي بعض الاحيان حساس أكثر من اللازم ، **ومنسحق** — ولكن كل هذا ليس بلا سبب تماما . ان القصة التي تطرح حبكتها في الرواية ، هي قصة ذات وجهين هي الاخرى . فعلى مستوى الحبكة الروائية هي عبارة عن قصة متسقة منطقيا عن عدة ايام من ايام حرب حزيران ١٩٦٧ وما بعدها ، محورها لقاء ثلاثي بين البطل وزوجته السابقة التي ترملت من زوجها الثاني خلال الحرب وبين امرأة اخرى ، غرضية وظارئة ، تحط رحالها فجأة في عالمـــه المتعزل . وعلى المستوى الخاص بما فوق الحبكة الروائية تعتبر هذه الرواية قصة شخصية جدا لانسان منعزل ، يصل خلال الانجراف فـــي تيار الاحداث الموضوعية الى ادراك ذاتي وحساب جاد للنفس . وكل وجه من وجوه هذه القصة يكمل في طياته ارتفاعات وانخفاضات وجدير بالفحص الدقيق . ولنبدأ بالحبكة الروائية . تنحصر حدود هذه القصة ، كما قلنا ، في اطار ايام معدودة ، تبدأ من اول ايام العـــدوان ، وتنتهـــي بعـــد توقف رحـــى الحرب بعدة ايـــام ، بينما كـــان الجميع ما زال متأثرا بطابع ايام المعارك ومذهولا من نتائجها . ويعقوب دروري بطـــل القصة لا يستدعى الى الجيش ، وذلك لانه مصاب بداء في القلب ، يجعله غير صالح للخدمة العسكرية . وفي أيام المعارك ، يظل يتمشى في الشوارع الخالية ، ولا يجد له مكانا ويبحث عن غضب لدماره . والجو الذي يتجول فيه يشير كثيرا الى عزلته . وفيما عدا صديق يدعى زئيف ، كان يبحث عنه ، لا يوجد له في العالم نفس قريبة منه ، سوى ، ربما ، صديق سمين يعد له رسالة جوابية ، يستخدمها القاص وسيلة للكشف عن العالم الداخلي للبطل . والبطل يتوه في ممرات الجامعة وفي المكتب الذي تـــركه لاجازة ، والبطل يستقبل في كل مكان بمودة ودون مشاكسة ، ولكنه هو نفسه يشعر بالاسئلة التي لا تسأل . وفي يوم الانتصار ، بينما كان عائدا من منزل صديقه وحيدا بعد وجبة العشاء (التي أعدتها زوجة زئيف حسب وصفة زودها بها يعقوب — خط آخر لشخصيته) يستقل تاكسيا ، ويتورط في نزاع بين امرأة وشاب (ابن زوجها الذي في لندن) ويجد نفسه ، دون وعي تقريبا ، بين ذراعي تلك المرأة وفي احضانها . وفي الصباح حينما يودعها تغادره وهو لا يعرف اسمها على الاطلاق . وحينما يعود للبحث عنها بعد يومين — تكون قد سافرت عائدة الى خارج البلاد . ان الغربة تطارده حتى في مغامرته الطارئة . وفي هذه الاثناء يتلقى نبأ بأن زوج مطلقته قد قتل اثناء المعارك . ويسافـــر للاشتراك في جنازته ، ويرتبط من جديد بالعلاقة الاسرية البعيدة ويلتقي عرضا بابنته جيئيت ، التي كان قد تركها مع أمها وتتكر لها خشية ألا تكون ابنته بالفعل . ويولد اللقاء الجديد بغفرة (زوجته السابقة) موجة من الذكريات ، وحساب النفس والامال . وفجأة يتلقى رسالة من ريته (تلك المرأة التي التقى بها في التاكسي) وتصل اليه المرأة بشحمها ولحمها بسرعة ، وهـــي حـــرة مـــن زوجها الانجليزي ، وليس لديها مكان تقيم فيه ، لان شقتها تم تأجيرها اثناء غيابها وليست خالية الان . وفي هذه الاونة ، وبينما تقيم معه ريتة في بيته يدرك ان مصيره مرتبط بمصير عفرة . « هل كان كل هذا خطأ ، حسبما قالت عفرة — سأل يعقوب نفسه — هل كان من الممكن تسوية عدم التفاهم بينه وبينها لو كان قد أبدى شجاعة في الكشف من مشاعره ؟ هل كانت كل الافكار التي فكر فيها عن الحرية الشخصية ، وعـــن العزلة وعدم الارتباط ، هل كان كل هذا هو ثمرة خطـــأ مصيري ؟ هل كان نتيجة خوف ؟ لقد خفت وفضلت

الهروب . وبعد ذلك بنيت بنيانا فوقيا للهروب ، بناء أساسه من الرمال . وهاءنذا الان أرى اللجة، وأرى نفسي في داخلها وأراها في داخلي . » هذه هي قصة الحكاية كلها .

اما اذا انتقلنا الى المستوى الآخر ، وهو المستوى الذي يجعل من هذه الحبكة الروائية ، ومن أحداثها ، أشياء ذات مغزى ، فاننا سنلاحظ ان القاص قد أجاد في جعل بطله يواجه نفسه ، وفي دفعه الى أركان اللاخيار وارغامه على التطلع الى نفسه من موقع استطلاع البعد النقدي .

ان **أسس عزلة** يعقوب دروري ، البطل المميز للادب الاسرائيلي في الاونة الاخيرة ، قد تم تفصيلها هنا بالكامل . ان الاغتراب ، كما تجلى في علاقة يعقوب بعفرة في خلال فترة زواجهما ، وابتعاده النفسي عنها ، بالرغم من العلاقة العاطفية العميقة التي لم يكن يدري بها بما فيه الكفاية الى ما بعد الانفصال ، هذه الغربة ولدت كذلك الاحساس بالشك تجاه ابوته للفتاة ، وذلك لان عفرة بسبب ابتعاده عنها اقتربت من ايلان ، التي وجدت لديه أذنا صاغية ونفسا مفتوحة لاحاسيسها . وقد استمر حبها ليعقوب قوة من علاقاتها الودية مع ايلان . وكان الانفصال القاسي الذي فرضه عليها يعقوب بسبب محدوديته بمثابة جرح لا يندمل . وكان زواجها من ايلان بمثابة هروب الى احضان رجل ودود ولديه القدرة على فهمها ، ولكنه لم يكن على الاطلاق بديلا للحب الدفين الذي تكنه ليعقوب . ان جذوة النيران قد واصلت الاشتعال تحت الرماد سرا وتغذت من سطور الرسائل التي اهتمت عفرة بارسالها الى يعقوب من خارج البلاد. ولكن يعقوب كان يطوي الرسائل ، ولم يكن يمر بعيونه على أحر منها . لقد استمرت غربته الى ان جاءت الهزة الكبرى ، هزة الحرب . **والانطواء على الذات** ، هو صفة مميزة رئيسية ليعقوب ، وهو عنصر من عناصر عزلته . انه لا يعرف كيف يوزع حزنه وسروره ، ومشاعره وانشداهاته مع عفرة ولا مع رفاقه القلائل . وقد أدى هذا الانغلاق الى الاساس الثالث — وهو الانسحاق . لقد كان يتحسس طريقه في شك وكان حيثما يتوجه يخاف من أن يوجه للمحيطين به ظهره المكشوف .

والقاص يتعاطف مع بطله تعاطفا عميقا ولا يدخر رموزا وايضاحات من اجل وضع اسس شخصيته المعقدة . ولكن فيما وراء البطل الوحيد يثير القاص وجهة نظر ، تنادي بالانفتاح المعبر عن الثقة ، لان الحوار والاخوة هما اساس ثابت للمشاركة والاعانة النفسية حتى حينما لا يكون كل من الماضي والحاضر مصدر سعادة للانسان — وربما لانه من المهم للغاية بالنسبة للقاص ان يقنع القارىء بأن الايضاح سوف يأتي حتما ، فانه يصور صورة الغموض الذي سبق هذا الايضاح بألوان فاقعة وواضحة . والرحلة الى الوراء ، الى جذور كينونة يعقوب دروري ، هي رحلة طويلة ومليئة بالمحطات الكثيرة . وهذه المحطات موزعة تقريبا في كل صور ، وفي كل موقف ، وتلحق بالدائرة ، التي تغلق في يوم الحسم . والحسم النهائي للبطل هو اذن بمثابة نتيجة متجمعة للفرضيات الخاصة بالارضية الصلبة . ان البطل يكون في حالة استعداد قصوى من اجل التخلص من التطويق في اللحظة التي يكتشف فيها ، ان مطارديه في داخله ، وليسوا خارجه . ونضوج الوعي يؤدي الى انفتاحه ، وهو الامر الذي يصنعه القاص ليعطي به اساسا لامل جديد ، وكمخرج من العزلة والاغتراب والانسحاق والانطواء ، وكل المثالب التي تعم نفسية بطله ، انسان المجتمع الاسرائيلي . وهذا النضوج يجعله القاص يحدث في لحظة مأساوية . ان لحظة التنوير في القصة تبدأ بالجنازة ، جنازة احد ضحايا حرب الايام الستة ، تلك الحرب التي لم يشترك هو فيها ، ولكنها خلصته من زوج مطلقته لتجعله يكتشف نفسه من جديد . اذن ، لا بد من الضحايا ، ولا بد من المأساة ، ولا بد من الدماء ، حتى يستطيع البطل المأساوي التخلص من كل آفاته ، آفات الانسان الاسرائيلي في أدب « الموجة الجديدة » ، من العزلة والاغتراب والانسحاق والانطواء على الذات. ولكن هل يتحقق هذا الامل ؟

رشاد الشامي

ف. بولشاكوف ، معاداة الشيوعية مهنة الصهيونية
(مطبوعات وكالة انباء نوفوستي للنشر ، موسكو ، ١٩٧٢)

ان اهمية هذا الكتاب تكمن في كونه احد الاعمال القليلة المتوفرة باللغة العربية والتي من شأنها ان تعطي القارىء العربي فكرة عن الاراء المتداولة في الاتحاد السوفياتي حول الصهيونية . والواقع ان هذا الكتاب من شأنه ان يسهم في التصدي للدعاية الصهيونية الرامية الى صرف اليهود السوفيات عن المشاركة في حياة بلادهم وزجهم في خدمة الامبريالية تحت لواء دولة اسرائيل . فالاطروحة الاساسية التي تمكن المؤلف من اثباتها في هذا الكتاب هي ان الحملة الدعائية الواسعة التي يقوم بها الصهيونيون (وخاصة صهيونيو الولايات المتحدة) ضد الاتحاد السوفياتي حاليا ، ليست تعبيرا عن حرصهم على « حقوق اليهود » في الاتحاد السوفياتي قدر ما هي تهدف الى ترويج مزاعم من شأنها ان تخدم مصالح الصهيونية والامبريالية وتسيء الى سمعة الاتحاد السوفياتي والشيوعية عامة . واعتقادي هو ان المؤلف اثبت هذه الاطروحة على شكلها العام هذا ، فأظهر ان الصهيونيين سبق وعبروا عن عدم اكتراثهم ليس فقط للحقوق بل وللارواح اليهودية في الماضي ، وعالج في احد اجزاء الكتاب مدى التعامل الذي كان قائما بين الصهيونيين والنازيين خلال تلك الاعوام التي تمت فيها عملية تصفية الجموع اليهودية في اوروبة الوسطى بالملايين . الا ان الاطروحة التي ينم عنها عنوان الكتاب — معاداة الشيوعية مهنة الصهيونية — لم تلق ما يكفي من التدعيم الوثائقي المحدد .

حصر المؤلف معالجته لموضوع عداء الصهيونية للاشتراكية في فترة ما بعد الثورة البولشفية . وتغطيته للاحداث المعنية منذ ذلك الحين حتى الان لم تكن شاملة ، ، فجاء كتابه على شكل بضعة أمثلة تثبت تعامل الصهيونيين مع أعداء الشيوعية. وقد برزت هذه الامثلة في معالجته لثلاثة مسائل رئيسية . اولا ، مساهمة الصهيونيين في محاربة البلاشفة في اوكرانية بعيد الثورة . ثانيا ، التعامل والتعاون الذي قام بين الصهيونيين والنازيين خلال الثلاثينات واوائل الاربعينات . ثالثا ، عمل الصهيونيين في الولايات المتحدة على معاداة الاتحاد السوفياتي والشيوعية عامة . والواقع ان المسألة الاولى عولجت باقتضاب ، والمسألة الثانية عولجت بقدر اكبر من الشمولية ، ، الا ان المسألة الاخيرة هي التي حظيت بأكبر قدر من اهتمام المؤلف .

تحت عنوان « سويا مع مدبري المذابح » ، تكلم المؤلف عن تعاون الصهيونيين مع كافة القوى الرجعية التي سعت لضرب الثورة وتحطيم السلطة السوفياتية خلال الحرب الاهلية . الا انه لم يعالج بالتحديد سوى تعاون الصهيونيين مع حكومة بتلورا في اوكرانية . ولعل المؤلف تعمد حصر المسألة في احداث اوكرانية حيث قامت حكومة بتلورا ضمن حملتها ضد البلاشفة بتنظيم المجازر التي بلغت اعداد ضحاياها ارقاما ضخمة وتضمنت اعدادا كبيرة من الفقراء والعمال اليهود . وقد أورد المؤلف وصف احد شهود العيان لاحدى هذه المجازر في بروسكورفه حيث « قتل رجال بتلورا حوالي الف رجل في الاحياء اليهودية الفقيرة على ضفة نهر بوج ، ولكنهم لم يمسوا باذى ولا عائلة واحدة من التجار اليهود القاطنين في شارع الكسندر الرئيسي » . وأورد المؤلف نقلا عن احد المؤرخين الاوكرانيين ان احد زعماء حزب بوعالي صهيون (الماباي الاسرائيلي) ، اسمه ديفوتسكي ، كان متربعا في منصب وزارة الشؤون اليهودية في حكومة بتلورا ولم يحرك ساكنا ازاء المجازر ، بل وكان يمدح سياسة حكومة بتلورا ، واقتصر عمله في الوزارة التي أسندت اليه على « تسجيل القرى والبلدان والمدن المدمرة وعدد الضحايا » . كما أورد المؤلف ان الزعيم الصهيوني جابوتنسكي جاء الى اوكرانية في وسط تلك الاحداث وتعاون مع رجال بتلورا واقترح تشكيل وحدات عسكرية للمشاركة في القتال من اجل الهدف المشترك وهو « تحطيم السلطة السوفياتية واغراقها في الدماء ولو كان ثمن ذلك مئات الالاف من اليهود » . وعلى ذلك فقد وجه المؤلف الانتباه الى فصل هام من فصول تاريخ الصهيونية وهو فصل يثبت عدم اكتراث الصهيونية للارواح اليهودية . الا ان هذا الفصل لا يمكن ان يكون سوى جزءا من قصة تعاون الصهيونية ضد الشيوعية وضد الدولة السوفياتية خلال الحرب الاهلية التي دارت رحاها في كافة مناطق وبلدان اوروبة الشرقية .

تحت عنوان « صفقة مع الشيطان » ، عالج المؤلف

فصلا آخر من فصول نشاط الصهيونية ضد الشيوعية ، وعلى حساب الارواح اليهودية . وهذا الفصل مدعم بعدد كبير من المصادر والوثائق التي تثبت تعاون الصهيونيين مع الفاشستية ومع النازية بشكل خاص . والواقع ان هذا الفصل لا يفي الموضوع بشكل شامل رغم الجهد الذي يبدو ان المؤلف بذله فيه . وذلك لان المسألة لم تعالج سوى عرضيا من قبل . ولهذا فان عمل بولشاكوف حول هذه المسألة يمكن اعتباره عملا رائدا ، هذا مع التذكير بأنه لا يمكن ان يخدم سوى مقدمة نحو الموضوع . فالادلة التي أوردها المؤلف حول تعاون الصهيونية مع النازية هي ادلة قاطعة . الا ان وصف تفاصيل هذا التعاون لم يكن وافيا . ويمكننا مثلا ان نستنتج من عرضه للمسألة ان التعاون مر في مرحلتين محددتين . المرحلة الاولى قبل عام ١٩٤٠ شهدت تنفيذ اتفاقية عقدت بين الصهيونيين (ممثلي الوكالة اليهودية) لترحيل العناصر الشابة والقادرة على « النضال والقتال » من يهود المانية الى فلسطين . ويبدو ان هذه العناصر تم اختيارها وتدريبها في المانية بالذات على مرىء من ، وبمساعدة المؤسسات النازية (اس. اس مثلا) والحكومة الهتلرية طوال الفترة ١٩٣٣ ــ ١٩٣٩ . كما تم في هذه الفترة توثيق تأثير ونفوذ المانية بين يهود فلسطين وخاصة بقيام المنظمات الفاشستية مثل منظمة شتيرن . اما الفترة التالية فقد بدأت مع بداية الحرب مع ما رافقها من اصدار كتاب ماكدونالد البريطاني لتحديد الهجرة الى فلسطين ومراقبتها ، كما اتخذت طابعا خاصا نظرا لوقوع مناطق شرقي اوروبة باعداد اليهود الضخمة فيها تحت الاحتلال النازي . وما نفهمه من طرح المؤلف لبعض وثائق محاكمات نورنبرغ هو ان النازيين اتخذوا قرار تنفيذ « الحل النهائي » للمسألة اليهودية ــ ابادة اليهود بالملايين ــ بعد عام ١٩٤٢ . كما نفهم منه ايضا ان التعاون بين الصهيونيين والنازيين على تهجير العناصر المختارة من اليهود « المثاليين » غير « العقائديين » استمرت في هذه الفترة ولعب فيها ايخمان دورا هاما ، وربما اهم ما يثبته المؤلف هو ان الصهيونيين كانوا يعرفون بالمجازر التي كان يقوم بها النازيون ضد جماهير اليهود الذين زجوا في مخيمات الاعتقال الا انهم لم يحركوا ساكنا ، ولم يستخدموا اجهزة الاعلام المتوفرة لديهم لتوجيه الانتباه الى ما كان يجري ، بل بالواقع لم تلتزم قيادة الوكالة اليهودية بالصمت فحسب ، بل « واجبرت من يعرف بالامر على السكوت » . هذه الامور يثبتها المؤلف بناء على مصادر اسرائيلية معنية . ان معالجة المؤلف لهذه الامور هي قيمة للغاية ، ولا شك ان انماء البحث فيها هو امر ضروري للتصدي للمزاعم التي تطلقها الصهيونية بغزارة مدعية الحرص على اليهود .

ان الجزء الذي يتناول العقدين الماضيين تناول عداء الصهيونيين للاتحاد السوفياتي بشكل خاص وركز على نشاطاتهم في الولايات المتحدة خاصة . وورد هذا في ثلاثة فصول متلاحقة . فتحت عنوان « ارادة السيد الجديد » تناول المؤلف نشاطات بعض المنظمات الصهيونية وسط مناخ « المكارثية » الذي عم الولايات المتحدة في اوائل الخمسينات حين بدا وكأن الولايات المتحدة « حلت محل الرايخ الثالث في تمثيل دور المدافع عن العالم ضد البولشفية الدولية » . وذكر المؤلف في هذا الصدد تهجم منظمة بناي بريت ضد الاتحاد السوفياتي ودفاعها عن مكتب التحقيق الفدرالي الذي كان يقود الحملة المكارثية ضد التقدميين في الولايات المتحدة . الا ان المؤلف لم يقف طويلا عند هذه الفترة بل انتقل الى فترة « مد الجسور » التي وضعها دين رسك عام ١٩٦٤ والتي رافقها برأي المؤلف ، حملة « تفريغ الافكار من محتواها » في الشيوعية ، وقال ان الصهيونية لجأت بعد تلك الفترة من جديد الى « الشكل الاشتراكي » للصهيونية لمكافحة الشيوعية وحركات التحرر الوطني . وتكلم المؤلف عن احداث تشيكوسلوفاكية ، فقال ان الصهيونيين لعبوا دورا في احداثها ، واورد فيما اورد قول صحيفة هآرتس الاسرائيلية في ديسمبر ١٩٦٧ ان اسرائيل « يجب ان تلعب دور الشوكة التي تنخر جسم الحركة الشيوعية والتي يتولد حولها بالتدريج جزء متورم » وان اسرائيل تمتلك أكبر الامكانيات لتوجيه ضربة الى الاشتراكية في شرقي اوروبة وبالاخص في بولندة وتشيكوسلوفاكيا .

وتحت عنوان « رجال الصاعقة ذوي القمصان الزرقاء » ، قدم المؤلف عرضا لهوية « رابطة الدفاع اليهودية » التي تنشط في الولايات المتحدة ، بكافة الوسائل وعلى رأسها وسيلة العنف ، ضد الاتحاد السوفياتي (وضد اليسار الاميركي والحركة السوداء وضد المواطنين العرب

في امريكا) . وجاء تركيز المؤلف على الدور الرجعي الذي لعبه ويلعبه مؤسس وزعيم هذه الرابطة ، مائير كاهانا ، فوصفه على انه « موسوليني اليهود » وروى اخبار نشاطاته بالتعاون مع ، وفي خدمة ، المنظمات الاميركية اليمينية (جمعية جون بيرش والفيلق الاميركي وجمعية السلاح الوطنية على سبيل المثال) التي تنشط في الكشف عن التقدميين في الولايات المتحدة وفي التضييق عليهم . كما تطرق المؤلف الى عمل رابطة الدفاع اليهودية في اسرائيل حيث تجهد هذه الرابطة باسلوب هستيري شبيه باسلوب سليفاتها في المانية في الثلاثينات من اجل تفريق المظاهرات الموجهة للدفاع عن العرب في المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ . ولا حاجة بنا ان نسهب في الكلام حول هذا الفصل من الكتاب ، فنكتفي بالقول انه يشكل مساهمة قيمة في ابراز الطابع الفاشستي الذي تتصف به الرابطة .

اما الفصل الاخير في الكتاب بعنوان « تحت راية العداء للاتحاد السوفييتي » ، فقد اعطى فيه المؤلف عرضا لجمل المنظمات الصهيونية « المحترمة » التي تسعى الى نفس اهداف الرابطة دون ان تستعمل وسائلها والتي تتعاون في حملة اعلامية ايديولوجية ضخمة ضد الاتحاد السوفييتي من اجل الاساءة الى سمعة الاشتراكية ومن اجل تحقيق هجرة اليهود السوفيات لصرفهم عن مجتمعاتهم ولزجهم في خدمة الامبريالية في معسكر دولة اسرائيل . وبهذا فقد اعطى المؤلف فكرة في هذا الفصل عن الحجم الهائل للضغوط التي يقع تحتها الاتحاد السوفياتي ، كما بين ان هذه الضغوط تلقى التأييد الضمني والعلني من حكومات الدول الامبريالية .

لعل المؤلف يكون مقنعا في تأكيده على ان معاداة الشيوعية هي مهنة الصهيونية . فهو يورد وثيقة صدرت عن مؤتمر صهيوني عقد بعيد الثورة البولشفية عام ١٩١٨ جاء فيه : « ان الاشتراكية تقطع الطريق امام الصهيونية . لذلك فان الصهيونية والشيوعية لا تعتبران قطبين متنافرين فحسب ، بل وعنصرين ينفي احدهما الآخر تماما » . ولكن بما ان المؤلف سعى لاثبات نظرته حول معاداة الصهيونية للشيوعية بالتركيز على معاداتها للاتحاد السوفياتي ، فالسؤال الذي يتوارد الى الاذهان هو ما اذا كان الاتحاد السوفياتي قد عادى الصهيونية بالقدر الذي هي عادته به طوال نصف القرن الماضي منذ الثورة ؟ ولا شك ان الدولة السوفياتية كانت قد وقفت موقفا عدائيا صارما بعيد نشوئها خلال السنوات الاولى التي تلت الثورة . فاللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية كانت قد اصدرت منذ تلك السنوات وثيقة (اوردها المؤلف) اعلنت فيها : « ان مشروع فلسطين هو محاولة لصرف انظار جماهير العمال اليهود عن النضال الطبقي ، والدعوة للانتقال الجماعي الى فلسطين ليست افكارا قومية وبورجوازية صغيرة فحسب ، بل وافكار مضادة للثورة من حيث الجوهر » . لكن تاريخ ما بعد تلك السنوات شهد فترة محددة خلال النصف الثاني من الاربعينات ساهم فيها الاتحاد السوفياتي في تدعيم مطالب الصهيونية فيما يتعلق بفلسطين . والواقع ان هذه المساهمة آنذاك ، هو ما اكسب الصهيونية قسطا كبيرا من قبولية تصديق اشتراكيتها المزعومة — هذه الاشتراكية الملفقة التي تستعمل الآن ، كما يقول لنا المؤلف ، من اجل مناهضة الشيوعية والاتحاد السوفياتي . وعلى ذلك فالسؤال الذي لم يعالجه المؤلف هو : ما هي الظروف التي أدت بالاتحاد السوفياتي في فترة ما من تاريخه الى تأييد خطوة حاسمة من خطى الصهيونية ، علما بان معاداة الشيوعية كانت ، آنذاك وقبل ذلك وبعده ، مهنة الصهيونية ؟ وقد يبدو ان هذا سؤالا كلاسيكيا يطرح مرارا في الاوساط العربية بشكل خاص . ولكن باعتقادي ، فان تصدي السوفيات له والاجابة عليه ، قد يلقي ضوءا هاما على نجاح الصهيونية النسبي في حملتها الحالية للاساءة الى سمعة الشيوعية ولاستدراج اليهود السوفيات ووضعهم في خدمة الامبريالية في اسرائيل ، الامر الذي يسهم في هدف الامبريالية في خرق تماسك الشعوب السوفياتية وتلاحمها ، في نفس الوقت الذي يؤدي الى المزيد من التوسع الصهيوني على حساب الشعوب العربية وعلى حساب الشعب العربي الفلسطيني بشكل خاص .

أ. ن. سعد

Victor Nasr, Le suicide americain, (Editions EPA, Beyrouth, 1972).

اذا كان « الكتاب يقرأ من عنوانه » ، كما يقول المثل الشعبي ، فان هذا ينطبق اكثر ما ينطبق على كتاب فيكتور نصر هذا الذي نحن بصدده . وليس هذا حدسا منا او حكما مسبقا او استخفافا بموضوع قد يكون صاحبه بذل جهدا حقيقيا في « دراسته » بل هو استنتاج من العنوان الطويل جدا الذي وضعه المؤلف لكتابه والذي يمكن أن نترجمه كالاتي :

« رسالة مفتوحة من لبناني موالي للغرب الى الولايات المتحدة الاميركية — سياسة اميركا الموالية لاسرائيل والصهيونية أو **الانتحار الاميركي** في الشرق الاوسط وفي العالم العربي وشمالي أفريقيا وحوض البحر الابيض المتوسط » .

اذن فان الكاتب ينطلق من موقع الموالاة للغرب ليدرس وينتقد ويتعجب من مواقف الولايات المتحدة الاميركية وسوء فهمها « للمأساة الفلسطينية التي هي أساس أزمة الشرق الاوسط الراهنة » . كل هذا حتى « يظل الغرب الديمقراطي والليبرالي منطقيا مع نفسه وحتى لا يسير نحو الدمار » (ص ٧) .

ان حرص فيكتور نصر على مصالح الولايات المتحدة الاميركية في الوطن العربي وعلى قيمها الليبرالية يعطي القارىء انطباعا عاما بأن هذا الكتاب لا يريد خدمة القضية الفلسطينية الا لانها قد تؤثر على وجود الغرب في المنطقة العربية . الا اننا لا نريد ان نظلم المؤلف فنحصر انفسنا ضمن حدود الانطباعات العامة بل سنحاول ان ندرس الكتاب دراسة مفصلة قبل اصدار أي حكم تقييمي .

يقول فيكتور نصر في مقدمة كتابه :

« ليست هذه الرسالة المفتوحة ، الموجهة بشكل اساسي الى الرأي الاميركي (الغريب ان الكتاب بالفرنسية وينوي المؤلف نقله الى العربية قبل الانكليزية ؟ ...) وبالتالي الى حماة اسرائيل الغربيين ، عملا اعلاميا او وثائقيا بل هي عبارة عن ابداء رأي يهدف الى الحث على العمل لمواجهة الهجوم الشرس للمخططات والوقائع الصهيونية والإسرائيلية » (ص ١١) . أما كيف يمكن لهذا « الرأي » ان « يجابه المخططات والوقائع الصهيونية والاسرائيلية » فأمر لا يوضحه لنا الكاتب وكأن المسألة مسألة سوء فهم او خطأ تاريخي وعدم نضوج سياسي . الا انه على كل حال لا يبخل علينا بشرح مستفيض للدوافع البعيدة والمواقع الفكرية والسياسية التي انطلق منها لابداء هذا « الرأي » . يقول فيكتور نصر بهذا الصدد :

«ان كاتب هذه السطور — مواطن في نظام وديمقراطي مستهد من الغرب ، مواطن من لبنان ذي النظام البرلماني مثة بالمئة والمتمسك بكل حزم بالحرية ، شكلا ومضمونا — يتطوع ليعكس ، بكل بساطة وبدون أي ادعاء ، الارتباك الذي يقع فيه الاف اللبنانيين والعرب الذين ، بالرغم من كونهم متضامنين مع القوى الحية التي تحارب ضد الشيوعية فانهم يستنكرون بعض الاساليب المستعملة لايقاف تقدم الانظمة الاستثنارية totalitaire ويطالبون مخططي الليبرالية العصرية الجديدة ان يعيدوا النظر جذريا وبسرعة برؤية معينة وتكتيك معين لم يؤديا ، خاصة في اطار الوضع في الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط الا الى فشل ذريع » (ص ١٩) .

هكذا اذن ، وبدون اقنعة ، يعلن المؤلف عن ارتباطه بالديمقراطية الغربية (أي « بالعالم الحر »)وموافقته على شن حرب صليبية ضد الشيوعية وضد الانظمة الاستثنارية (أي التقدمية) في المنطقة الواقعة تحت « النفوذ السوفييتي » (!) ومن هنا حرجه الزائد في الدفاع عن جوهر السياسة الاميركية القائمة على الديموقراطية والحرية ، هذه السياسة التي بدأها جورج واشنطن وابراهام لنكولن وغيرهما ... من رواد الاستقلال الاميركي والتي اصيبت في هذه الايام بعجز عن « التحليل والفهم » !.. أو التي ضللت بسبب النفوذ الصهيوني الواسع المسيطر عليها... انه لا يريد ان يصدق ان ما يسميه « بالديمقراطية الاميركية » لا وجود له وبالتالي فهو لا يفكر ولو للحظة واحدة ان الولايات المتحدة بالرغم من تمايزها عن اسرائيل والصهيونية الا انها في نهاية المطاف وبالتحليل الاخير العدو الاساسي للقضية

العربية (حتى ولو انطلقنا من مواقع الكاتب نفسه ... للذي يحب الكاتب ان يذكرنا به ، حركة « شيطانية » و« لا اخلاقية » تريد ان تسيطر على العالم باسره من خلال مخططات جهنمية مثيرة . طبعا نحن لا ننفي عن الصهيونية جرائمها وعنصريتها وعدوانيتها الا انه من السخف والغباء تحميلها قدرة سحرية وشيطانية واعتبارها ظاهرة خارقة للعادة تتحكم بمصير العالم وتسيره كما تشاء . ويكفي ان نذكر ان هذا المنطق يقود بعض القوى المعادية لحركة الثورة العربية الى اعتبار الشيوعية العالمية « اختراع جهنمي » من اختراعات اليهودية العالمية حتى ندرك المغزى المبطن والحقيقي لمثل هذه التفسيرات . بكلمة أخرى ، ان هذا المنطق يهدف في النهاية الى تبرئة ساحة الاستعمار — الاميركي بشكل خاص — وتصويره بمظهر العملاق المخدوع الذي لا يعرف مصلحته الحقيقية. ان فيكتور نصر بتبنيه لهذه الافكار يساهم مساهمة اكيدة في تشويه القضية الفلسطينية ويخدم موضوعيا — من حيث يدري او لا يدري — سياسة الولايات المتحدة الاميركية العدوانية والاستعمارية تجاه الشعب العربي . لو ان فيكتور نصر كلف نفسه عناء اعادة قراءة تاريخ العرب المعاصر لادرك ولا شك ان الصهيونية — وليست اليهودية — ليست سوى ظاهرة استعمارية كغيرها من الظواهر التي شهدها القرن التاسع عشر الاوروبي ، وهي رغم تمايزها وتفردها ببعض الخصائص الذاتية فانها في التحليل الاخير جزء لا يتجزأ من الاستعمار في أعلى مراحله وأبشعها وأشرسها . لو ان فيكتور نصر قرأ التاريخ العربي بامعان لادرك بكل تأكيد ان اسرائيل ما هي الا مشروع استعماري صرف بدأ يختمر في الدوائر الاوروبية الحكومية منذ بداية القرن الماضي وبشكل أخص منذ ان بدأ محمد علي يشكل خطرا حقيقيا — عندما ربط سوريه بمصر — على مطامع اوروبا في اقتسام اجزاء « الرجل المريض » . اما الدين اليهودي فلم يكن الا وسيلة استغلت أبشع استغلال لتوفير غطاء اعلامي لمشروع زرع اسرائيل في قلب الوطن العربي لتكون عامل تجزئة دائمة وقاعدة متقدمة من قواعد الاستعمار في المنطقة . وهذا كله ان دل على شيء فعلى ان الصهيونية لا تقود العالم بل هي مجرد أداة استعمارية ذات طبيعة متميزة ومجرد ثمرة من ثمرات الامبريالية العالمية تماما كجنوب افريقيا وروديسيا والبرتغال وغيرها ... اما القول بأن الولايات المتحدة الاميركية تقع تحت

اي من الابحاث بالديمقراطية البرلمانية الشكلية) انه يرفض ان يرى في سياسة الولايات المتحدة الاميركية شيئا آخر غير سوء الفهم وعدم النضج السياسي ، وها هو يتساءل بكل « سذاجة » : « هل تؤمن الولايات المتحدة باخلاص بأن سياستها الحالية تخدم قضية الديمقراطية وتساهم في ابعاد شبح الشيوعية عن الشرق الاوسط وكل حوض البحر الابيض المتوسط ؟ هل تؤمن الولايات المتحدة حقا بأن سياستها الحالية تخدم المصالح الاميركية الضخمة في العالم العربي ؟. ألم نلاحظ بعد بوضوح ان غزو الاسطول السوفييتي للبحر المتوسط هو نتيجة مباشرة لجهلها او انكارها لمصالحها الحيوية ومبادئها الاكثر قدسية ؟ »

ان كل هذه التساؤلات التي يكاد لا يخلو منها أي فصل من فصول هذا الكتاب ان دلت على شيء فعلى جهل مطبق بحقيقة الصراع الذي تخوضه الثورة العربية ضد اعدائها المعلنين والمتسترين وعلى محاولة متعمدة ومشبوهة للتخفيف من مسؤولية الولايات المتحدة الاميركية كعدو أساسي في هذا الصراع . ان تصوير السياسة الاميركية المعادية لامال العرب في التحرر والوحدة والتقدم وكأنها نتيجة « تخل عن الموضوعية » (الفصل الرابع) او « سخاء غربي متواطىء » (الفصل السابع) او « خطوات خاطئة » (الفصل العاشر) أو « عدم نضوج سياسي » او سيطرة اليهودية العالمية والصهيونية على مقدرات الاقتصاد الاميركي اي تصوير الولايات المتحدة وكأنها ضحية أو أداة بيد الصهيونية الخ ... ان كل هذا لا يعدو كونه الا محاولة تمويهية تهدف بالدرجة الاولى الى تبييض صفحة الولايات المتحدة الاميركية زعيمة الاستعمار الجديد واعطاء صورة سطحية ومشوهة عن طبيعة الصراع الذي تخوضه الامة العربية في تاريخها المعاصر .

والخطير في هذا التصور هو أنه يلغي دور الاستعمار بشكل اعتباطي (على اعتبار ان الاستعمار لم يعد له وجود وان معظم الدول الصغيرة قد نالت « استقلالها » في هذا العصر) ويحصر الصراع بين العرب واليهود ويحمل الصهيونية المسؤولية « كل المسؤولية » في كل مشكلات العالم المعاصر باعتبارها « استنادا الى ما ورد في كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون »

تأثير الصهيونية العالمية التي قد تجرها الى حتفها الاكيد وتقضي على مبادئها «الانسانية والديمقراطية» فلا يرتكز على اي اساس واقعي لا بل انه يرتبط بوهم كبير مؤداه ان في الولايات المتحدة الاميركية ديمقراطية حقيقية وحرية لا غبار عليها . الا انه يكفي ان نذكر قضية الملونين في الداخل والحروب العدوانية في الخارج (حرب فيتنام مثلا) حتى ندرك بطلان هذا الادعاء . وهنا لا بد لنا من التساؤل : لماذا « تعامى » المؤلف عن هذه الوقائع التي تدين بوضوح « الديمقراطية الغربية » التي يؤمن بها ؟ ولكن من يدري فقد يكون هذا مقابلا شيطانيا من مقالب الصهيونية العالمية او قد يكون فيكتور نصر يعتبر وضع الملونين في الولايات المتحدة ناجم عن طبيعتهم الوراثية التي تدفع الى الكسل والخمول وان الحرب الاميركية ضد شعب فيتنام هي حرب العالم الديمقراطي الحر والمتمدن ضد قوى الشر المتمثلة بالشيوعية وانه لذلك يتضامن معها من كل قلبه ولا يجد فيها ما يدعو الى الخجل او الاستنكار !...

على كل حال ، ومهما تكن تساؤلاتنا ، تبقى امامنا حقيقة اساسية تتجلى في كل فصل من فصول هذا الكتاب الانيق الطباعة والورق والاخراج وهي ان المؤلف يخاف خوفا حقيقيا على مصالح الولايات المتحدة الاميركية في الوطن العربي ولا يدعوها الى تغيير سياستها الا خوفا من « انتحارها » !...

وهو لا ينسى طبعا ان يشكك في صداقة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ويتهجم عليه بخبث من خلال تعريضه بحسن نواياه وقيمة مساعداته وفعاليتها ، مفردا لهذه الجملة فصلا كاملا بعنوان « سراب الدعم السياسي — العسكري للاتحاد السوفياتي الى البلدان العربية» (الفصل السادس عشر ، ص ١٣٩) الا اننا نريد ان نطمئن فيكتور نصر الى أنه لا خوف على الولايات المتحدة من « الانتحار » خاصة في ظل الظروف الراهنة التي تشهد ازدهارا متزايدا للمصالح الاميركية في المنطقة ولنوع معين من الكتابات التي لا مبرر لها الا الدفاع عن هذه المصالح بالذات والذي يندرج هذا الكتاب ضمن خطها العام . ان الولايات المتحدة لا ولن « تنتحر » بل على العكس نراها كل يوم تنحر المئات منا دون ان يمنعها ذلك من الكلام عن الديمقراطية والحرية . ان المعنى الوحيد لكلمة « انتحار » هو اتخاذ موقف تفرجي سلبي ازاء المصالح الاميركية في حين ان المهمة الاساسية والعاجلة هو « نحر » هذه المصالح بدل ان ننتظر، عبثا ، انتحارها ، ومحاربتها بشتى الوسائل وعلى كل المستويات وخاصة على المستوى الفكري والاعلامي ، من خلال فضح هذا النوع من الكتابات التضليلية والمعادية لحركة التحرر العربية والعالمية .

ماجد نعمه

الآراء الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين

بقلم

مايكل جانسن

(باللغة الانجليزية)

منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف.

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

سعر النسخة ليرة لبنانية واحدة

تضاف اليها أجور البريد : ٥٠ ق. ل. في العالم العربي ،

١٠٠ ق. ل. في أوروبه ، ٢٥٠ ق. ل. في سائر الدول

Mark Braham, **Jews Don't Hate - How a Jewish Newspaper Died,** (Nelson, London, 1970).

في صيف ١٩٦٨ اوقفت صحيفة يهودية تصدر في استراليا منذ تسعين عاما صدورهـا اثر ضجة قامت حول أحد معلقيها شبيهة بالضجة التي كانت قبل ذلك بعام أدت الى طرد جون كمشه من رئاسة تحرير الجويش اوبزرفر اللندنيـة . فان مـارك براهام كان قد تجرأ في كتاباته على توجيه النقد الى اسرائيل . الا ان دوافعه اختلفت عن دوافع كمشه . فاذا كان الاخير قد تورط في النزاع بين جناحي بن غوريون وايشكول ، فان براهام ارتكز في نقده على نقطة جوهرية تتعلق بفلسفة الحكم في الدولة الصهيونية . وبراهام هو يهودي بريطاني تخرج من جامعة كمبرج ، وخدم برتبة ضابط في القوات البريطانية ابان الحرب العالمية الثانية . ثم انجرف مع الموجة الدينية التي جرفت عـددا كبيرا من اليهود في الربع الاخير من هذا القرن نحو اليهودية الارثوذكسية ، فأصبح متدينا متزمتـا ينعي على اسرائيل ابتعادها عن الايمان اليهودي الحقيقـي . وفي احـد مقالاتـه المنشورة في « الاوستراليان جويش هيرالد » كتب يقـول ما معناه ان اليهودي الذي يصبح جنديا مظليا يحتاج الى شجاعة تقل عن شجاعة اليهودي الذي يختار ان يعيش حياة يهودية . هذه العبارة مست قدس الاقداس في اسرائيل ، واعتبرهـا الصهيونيون تجريحا للجندي الاسرائيلي فـي لحظة انتصـاره الاكبر . فقامت القيامة على براهام ، ولم يشفع له كونه صهيوني متحمس ، وابن رجل طالما قدم الخدمات الجليلة للحركة الصهيونية ، ولا انه يتبرع بالمكافئات التي يحصل عليها مقابل مقالاته ، لاسرائيل ، ولا انه ارسل ابنه ليعمل في كيبوتز . كل ذلك لم يخلصه من غضب اسرائيل ، فاتهم بأنه عميل للعرب ، وقدم ممثلون رسميون من الدولة الصهيونيـة الى استراليا للاشراف على حملة المقاطعة ضده ، فاقفلت الصحيفة التي كان يكتب بها ، وخيمت مؤامرة الصمت المعتادة التي يتقن الصهيونيون نسجها ، فوق آرائه .

ان الكتاب موضوع هذه المراجعة هو محاولة من براهام لتفسير وتبرير موقفه ، لا سيما بعد ان رفضت الصحف اليهودية في استراليا وبريطانيا ان تنشر دفاعـه عن نفسه . والكتاب يهم القارىء العربي لسببين : أولهما انه يبين الطرق التي تلجأ اليها اسرائيل في خنق اي رأي يهودي لا يتفق مع سياستها . والثاني ، انه يعبر عن اجتهاد أقلية يهوديـة في العالم تناهض اسرائيل بسبب ابتعادها عن الدين اليهودي . ان براهـام لا يتعاطف مع المجلس الاميركي لليهودية الذي يمثله (او بالاحرى كان يمثله) رجال مثل المحامي المر بيرغر والفرد ليلينثال ، باعتبار ان هـذا المجلس يمثل اليهوديـة الاصلاحيـة ، وليس اليهودية التقليدية المتزمتة التي يعتنقها براهام . كما ان براهام لا يؤيد مناهضة بيرغر للصهيونية . اما بالنسبة ، لموشي مينوحين ، فان براهام يعرب عن احترامه لاجتهاد هذا المفكر اليهودي ولاخلاصه للحقيقة كما هو يراها ، الا انـه لا يتفق مـع استنتاجاته ، بل يعتبرها مفتقرة الى التوازن . ان الفئة التي ينتمي اليها المؤلف هي ناتوراي كارتا (حراس المدينة) المعارضـة لعلمانية الدولـة الصهيونية ، ولذا فان اهم فصل في الكتاب هو ذلك الذي يناقش فيه براهام آراء تيودور هيرتزل ، مؤسس الصهيونية الحديثة ، ذات الاتجاه المتباعد عن اليهودية كدين .

يقول براهام ان الدافع الرئيسي وراء صهيونية هيرتزل لم يكن الدين اليهودي بقدر ما كان تأثير الرومانتيكية الجرمانيـة الجارف على تفكيره . فالرجل عاش ومات وهو ليس يهوديا مؤمنا ، وان كان يتوخى زيارة المعبد في فترات انعقاد المؤتمرات الصهيونية ، وذلـك ليحوز على ثقـة اليهود المتدينين . كـان هيرتزل من أشـد المعجبين ببسـمارك ، وهدفه في الحياة ان يلعب في تاريخ اليهود الدور الذي لعبه مستشار بروسيا الحديدي في التاريخ الالماني الحديث . وطيلة حياته كانت امنيته ان ينتمي الى طبقة النبلاء البروسيين ، ولكن لما كانت يهوديته تمنعه من ذلك ، فقد سعى للتعويض عن هذه الامنية الخيالية بالعمل لتحقيق هدف من شأنـه ان يجعله ملك اليهـود غـير المتوج . ويقول براهام ان ابتعاد هيرتزل عن الدين اليهودي نجم عنه عذاب ضميري ادى الى تقصير حياته . ثم يستعرض بعض الجوانب من حياته التي تجاهلها كتاب سيرته ، فيؤكد على ان تربية امه له كانت المانية تماما ، حتى ان هيرتزل الشاب اخذ يقرض الشعر في تأليه الروح الجرمانية .

ولما تزوج ، لم تسر حياته الزوجية حسب النمط اليهودي التقليدي الذي يراعي تماسك الاسرة . وهذا أدى في النهاية الى وقوع الفواجع . فان ابنه اعتنق ثلاث عقائد مسيحية ، قبل أن يعود الى اليهودية . ثم انتحر وهو في بداية الاربعين . اما ابنته ، فقد عاشت حياة « غير منتظمة » (على حد قول براهام الذي لا يوضح اكثر) ثم ماتت ، غير متزوجة ، وفي ظروف فاجعة ، بمدينة بوردو بفرنسا . وقد انتحر ابن هيرتزل في يوم جنازتها ، لانه « لم نفسه على اهماله لها . » ويذكر براهام انه يقال بأن ابن هيرتزل لم يكن مختونا ، وان هذه الاشاعة التي لا يمكن تأكيدها او نفيها صدمت اليهود الذين يحرصون على ختن أولادهم .

اما ابنة هيرتزل الصغرى ، فقد قضت سنوات عديدة في مستشفى الامراض العقلية ، ثم لاقت حتفها مع زوجها في افران الغاز النازية . وعندما علم ابنها الوحيد بالطريقة التي مات بها والداه ، قفز من بناية في واشنطن عام ١٩٥٢ ، وهكذا انمحى نسل هيرتزل . ومع ان براهام لا يقول ذلك صراحة ، الا انه بوضوح يعتبر هذه الفواجع كلها عقابا ربانيا لهيرتزل على ابتعاده عن الدين اليهودي ، وبنائه الدولة الصهيونية العتيدة على أسس علمانية قومية مستعارة من بسمارك وفخته وريتان ، وليس من التعاليم اليهودية الالهية torah . ويشير براهام الى ان عددا كبيرا من الصهيونيين الاوائل كانوا من معادي السامية ، وهدفهم في انشاء دولة يهودية لم يكن الا محاولة مستترة لبعث شعب جديد لا يحمل الصبغة اليهودية التقليدية التي يمقتونها كل المقت . وبين هؤلاء ، علاوة على هيرتزل نفسه ، كل من ماكس نورداو وآحاد هاعام (آشر هنزبرغ) والسدكتور حاييم وايزمن .

ويهاجم براهام خضوع رجال الدين اليهودي للسلطة السياسية في اسرائيل ، قائلا ان ذلك يتنافى تماما مع أصول التعاليم الدينية التي كانت دائما تعتبر الحاخامات المرجع الاعلى للشؤون اليهود . اما اليوم ، فاصبح الحاخام ، برأيه ، مجرد موظف يحرص على عدم اغضاب الجهة التي تعينه في منصبه وتدفع له راتبه . ويقول المؤلف انه احتكم الى رجال الدين ابان ازمته مع السلطات الاسرائيلية ، الا انه وجد تهيبا ملحوظا منهم ، وعدم رغبة في التورط بنزاع مع حكومة اسرائيل وربيبتها المنظمة الصهيونية . وهذا الموقف اعتبره خروجا مخجلا على التقاليد اليهودية ، وعلى نص الدين وروحه . صحيح انه وجد تفهما لموقفه من قبل الكثيرين من رجال الدين وغير رجال الدين ، الا ان هذا التفهم والتعاطف كان على الصعيد الشخصي الشفهي ولم يترجم الى افعال . فقد حوكم براهام وادين ولم تنشر صحيفة يهودية واحدة دفاعه عن نفسه ، مما اضطره للجوء الى صحف « الغويم » ، فاغتنم مثلا الجدل الدائر على صفحات مجلة الاذاعة البريطانية « ذي ليسنر » حول موقف البي بي سي من العرب ، ليفضح اسلوب الصهيونيين في خنق أي رأي يتعارض مع آرائهم .

وينقسم الكتاب الصغير الى ثلاثة أقسام : القسم الاول يدور حول الازمة العاصفة التي اثيرت حوله في استراليا وادت الى غلق الصحيفة التي كان يكتب فيها . والقسم الثاني يدور حول هيرتزل وبقية الصهيونيين الاوائل الذين أسسوا حركة علمانية خارجة على الدين اليهودي . أما القسم الثالث ، فيتضمن آراء المؤلف حول الصراع العربي الاسرائيلي ، وفيه يبرز براهام مؤيدا متحمسا للكيان الصهيوني . ويحمل الفصل الاخير عنوان الكتاب : اليهود لا يكرهون . ويفاجيء القارىء عندما يصل الى هذا الفصل ، اذ يجد بأن المؤلف جاد في عنوانه وليس ساخرا ، باعتبار ان الرجل الذي عانى من بني قومه مثلما هو عانى ، لا يمكن الا ان يكون ساخرا عندما يختار هذا العنوان لكتابه ، وللفصل الاخير فيه . ولكن لا ، فان مارك براهام لا يعترف بوجود شيء اسمه الكراهية اليهودية للعرب ، بل الامر على نقيض ذلك تماما ، في رأيه . وباستثناء عصابة الارغون التي يختلق لها المعاذير ، فالكراهية والتعصب والارهاب هي كلها أمور صادرة عن العرب « المتطرفين » . وهنا يبرز زيف هذا الكاتب وريائه ، اذ بينما تزخر بقية الفصول باستشهادات لا تحصى ، استقاها من الكتاب اليهود وغير اليهود ليدلل بها على صحة نظرياته ، نجده في هذا الفصل يستقي الشهادات من عتاة الصهاينة ذوي الوجهين ، مثل جيريميا بن جيكب ، ليؤكد على ان اليهود تعلموا دائما ان يحبوا العرب ، بل علموا اولادهم أيضا على ان يحبوهم ، ولكن وأسفاه ، فالشوفينية العربية قد نفثت فيها الفاشستية

سمومها ، فلم يبق لها هدف الا القاء اليهود في البحر ! ولا ينسى براهام ان يذكر القارىء بأن العنف العربي ضد اليهود بدأ عام ١٩٢٠ ، بينما تفوه طيب الذكر بن جيكب بكلمات حبه للعرب عام ١٩٤٢ ! كما انه يغوص في التعاليم اليهودية ليبرهن على تسامح اليهود وسلامة قلوبهم من الحقد الاعمى ، فيصل به التحمس الى القول بأن اليهود لا يحقدون حتى على الالمان الذين احرقوا منهم ستة ملايين رجل وامرأة وطفل في افران الغاز الهتلرية . وطبعا من يقل ذلك ، بامكانه ان يقول كل شيء ، فالحقائق الواضحة لن تجعله يتهيب عن الغوص ببحر الاكاذيب .

ما هي أهمية كتاب براهام بالنسبة لليهود انفسهم ؟

لقد ظهر هذا الكتاب قبل عامين ، الا انه لم يحدث رجة لها اثر بين اليهود ، باعتبار ان الدعوة التي يتضمنها لا يمكن ان تثير اهتمام اليهود العلمانيين ، فالرجوع الى دين صنعب معقد تكثر فيه المحرمات كالدين اليهودي لا يمكن ان يستهوي أفئدة أناس تسحرهم ابتكارات التكنولوجيا الحديثة التي تتيح لهم انتاج أسلحة الدمار . ان اليهودي المحارب موجود ليبقى ، وليست روحانيات مارك براهام هي التي ستنهي وجوده ، وانما المقدرة العسكرية العربية فيما لو توفرت. ولذا ستظل اهمية كتاب براهام كامنة في الضوء الجديد الذي يلقيه على دوافع هيرتزل الحقيقية ، وعلى حياته الشخصية . انها صورة مقتضبة تلك التي يرسمها ، الا انها قد تكون فاتحة لدراسة موضوعية جديدة قد تكتب يوما ما عن الرجل الذي اراد ان يكون بسمارك اليهود .

ف. المنصور

مراجعة لمراجعة كتاب تيسير النابلسي ، **الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧** (مركز الابحاث في م. ت. ف. بيروت : ١٩٧٢)

في العدد الخامس عشر من مجلة شؤون فلسطينية في باب مراجعات الكتب استوقفتني مراجعة كتاب « حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان حزيران » لمؤلفه تيسير النابلسي ، وقد رأيت بعد ان فرغت من المراجعة التي قام بها السيد مصطفى كركوتي ، انه لم يقدم مراجعة للكتاب يحصل منها القارىء على فكرة واضحة عما احتواه الكتاب . فالفيتني أورد هذا التعليق مبينا ما اغفل المراجع اثباته للوصول الى الهدف المتوخى من وجود هذا الباب في المجلة .

الكتاب بمجمله عرض لوقائع وحقائق حول حركة الهجرة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ والقضايا التي تثيرها هذه الحركة داخل فلسطين المحتلة مضافا اليه احصاءات وجداول احصائية وجانبا تحليليا حلل فيه الكاتب مستقبل الهجرة على ضوء الحقائق التي اوردها حول حركة الهجرة وقضاياها .

يتضمن الكتاب بابين رئيسيين تتبع الاول فيهما حركة الهجرة اليهودية ابتداء من حزيران عام ١٩٦٧ وانتهاء بأوائل عام ١٩٧١ ، ويقسم هذا الباب الى فصول اربعة ورد في الاول منها نظرة شاملة الى حركة الهجرة خلال الفترة عينها وتناول الفصل الثاني بالعرض حركة الهجرة خلال كل سنة من هذه السنوات الاربع ، اما الفصل الثالث فقد تناول الكاتب فيه حركة الهجرة من البلدان المختلفة خلال نفس الفترة محللا الظروف المختلفة التي اثرت على حجم الهجرة من هذا البلد أو ذاك . ويختتم الكاتب الباب الاول باستعراض لحركة الهجرة المضادة خلال هذه الفترة ايضا ودوافعها . اما الباب الثاني فيتناول القضايا المختلفة التي تثيرها حركة الهجرة داخل فلسطين المحتلة مؤثرة فيها ومتأثرة بها ، وقد تناول الكاتب أربع قضايا أساسية هي (١) استيعاب المهاجرين . (٢) التأثيرات الاقتصادية لحركة الهجرة على الاقتصاد الاسرائيلي . (٣) الاساليب المتبعة لاستجلاب المهاجرين مع الاشارة الى التسهيلات والمزايا التي يتمتع بها المهاجر . (٤) اسكان المهاجرين وهي قضية تؤثر بشكل فعال على حركة الهجرة .

ويختتم الكتاب بخاتمة تحليلية يبين فيها الكاتب تأثير

حالة الحرب مع العدو على حركة الهجرة ثم نظرة الى مستقبل الهجرة .. ويمكن القول ان المعلومات والحقائق التي اوردها الكاتب في كتابه هذا جديدة وقيمة لم يسبق للمكتبة العربية ان عرضتها .

وبعد هذا العرض السريع لمحتويات الكتاب لا بد من الايضاح سلفا ان هـذه الدراسة المختصرة لحركة الهجرة وقضاياها والتي تقع في حوالي مائتي صفحة من القطع الصغير لا يمكن ان تفي هذا الموضوع الهام حقه ، بل لا بد لاستيفاءه من دراسات موسعة وتفصيلية لاحقة .

آمل ان يشارك فيها السيد كركوتي لتفادي أوجه النقص في الكتاب . الا ان هذا لن يقلل من أهمية الكتاب .. واذا عدنا ثانية لمراجعة السيد كركوتي أو على وجه التحديد « انتقاداته » لوجدناها في غالبيتها اما مبالغا فيهـا او انهـا تستند الى معلومات مغلوطة وغير صحيحة نسبت للكتاب ، ففيما يتعلق بالهجرة من الولايـات المتحدة يذكر المراجع ان الكاتب « لا يرى خطورة من هجرة يهود الولايات المتحدة ، وان الدافع الديني هو ابرز دوافع الهجرة الحالية » . الا ان العبارة التي اوردها الكاتب علـى الصفحة ٤٩ كانت كالتالي « ان الحركة الصهيونية لم تحقق حتى الان نتائج ملموسة في احاطة يهود الولايات المتحدة بجو نفسي للمدى الذي يدفعهم للهجرة ، ولذلك تبقى دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الـى فلسطين المحتلة محدودة ببعض البواعث الدينية والسياسية والعسكريـة » . ثم يتعرض الكاتب تفصيلا ليبين مدى هجرة العسكريين والعلماء من الولايات المتحدة الامر الذي يغذيـه الدافعان العسكري والسياسي ويتبقى بعد ذلك الدافـع الديني من ابرز الدوافع بالنسبة لهجرة الفئات الاخرى ... ولذلـك فلا يمكـن الوصول الـى الاستنتاج الذي اورده المراجع من ان الكاتب لا يرى خطورة في هجرة يهود الولايات المتحدة أو حول تحديده للعامل الدينـي في هجـرة هؤلاء اليهود .

يدعي المراجع ان أوضاع العمال اليهود خارج فلسطين المحتلة كانت من الاسباب التي دفعتهم للهجرة الى فلسطين المحتلة مع ان مثل هذا العامل كأحد دوافع الهجرة ضعيف لا يكاد يذكر ولئن صح مثل هذا العامل بالنسبة للهجرة التـي تمت في أوائل الخمسينات من البلاد الشرقية الا انه لا يصح ابرازه الان وخاصة بعد عدوان حزيران .. حيث تميزت الهجرة بالنوعية وليست بالكم ويكفي النظر الـى الاحصائيات بالنسبة لمهن المهاجرين للدلالة على قلة نسبة العمال علاوة على ان اليهود القادمين من البلاد العربية يتمتعون بمستوى عال من الدخل ولا يمكن القول بأن حافزهم للهجرة كانت حوافز اقتصادية لارتفاع مستوى دخولهم حسب ادعاء السيد كركوتي .

ثم يمضي المراجع في انتقاداته محاولا اضفاء اهمية اكبر ومبالغا فيها علـى الهجرة اليهوديـة من الولايات المتحدة بسبب الحرب الفيتنامية فرارا من الجندية والواقـع ان هذا السبب لا يكاد يذكر لضآلة اهميته .

وكأن اسرائيل قد اضحت ارض السلام يأتي اليها اليهودي ليعيش في رخاء وأمن بعيدا عن مشاكل الحرب ، وهل حقيقة انتهت الحـرب العربيـة الاسرائيلية ؟ ! ويغفل المراجع ايضا ان المواطن الاسرائيلي العادي هو مجند دائم يجاز من الخدمة العسكرية احد عشر شهرا ويلتحق بها شهرا في السنة .

وينتقد المراجـع اعتماد المؤلف على التصريحات الرسمية والاحصاءات التي تصدر عن الجهات الاسرائيلية ورغم ان الكاتب يحاول اللجوء ايضا الى ما ينشر في الصحافة الاسرائيلية والاجنبية وبعض التقاريـر الخاصـة الصادرة عـن غير الرسميـين بالاضافة الى التصريحات الرسميـة فبودنا ان يرشدنا السيد كركوتي الى اية مصادر أخرى قد تكـون متوفرة لديـه عن مثل هـذه الاحصاءات التي ـ كما نعلم ـ لا يمكن الحصول عليها بصورة رئيسية الا من مصادر العدو .

صحيح أن الكتاب لا يتضمن تحليلا موسعا لابعاد الدور الذي تقوم بـه الكفاءات المهاجرة لبناء الهيكل الاقتصادي والعسكـري لاسرائيـل وهو موضوع يستحق دراسة موسعة متفصلة الا ان الكاتب لم يغفل الاشارة الى هذا الموضوع وتحليله بايجاز اثناء دراسته الهجرة من الولايات المتحدة وعبء الاستيعاب الاقتصادي والتأثيرات الاقتصادية لحركة الهجرة وابرازه لهذا الجانب عند عرضه لاحصاءات وبيانات رقمية حول مهن المهاجرين التي يزخر بها الكتاب .

وفيما يختص بالهجرة من الاتحاد السوفييتي يذكر

المراجع بعض سطور من الكتاب على انها كل ما ـ خص الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، لقد ركز الكتاب في الصفحات ٥٦ ـ ٦٢ التي استهدفت بحث الهجرة من الاتحاد السوفيتي على الاساليب المختلفة التي تلجأ اليها اسرائيل والصهيونية للضغط على الاتحاد السوفيتي من اجل اطلاق سبيل الهجرة وهو امر هام اتى اكله مؤخرا خلال عامي ٧٢،٧١ بعد ان صدر هذا الكتاب ـ وهو موضوع يستحق ايضا دراسة موسعة .

يعيب المراجع في تعليقه على البحث المتعلق بالهجرة المعاكسة تخصيص عدة صفحات للحديث عن حركة النزوح خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ، ولو عدنا للكتاب محل المراجعة لوجدنا انه تناول في الفصل الرابع حركة الهجرة المعاكسة في الصفحات ٧٤ ـ ٩٦ أفرد منها الصفحات الست الاولى للهجرة المضادة قبل عام ٦٧ في محاولة لاستخلاص العدد الحقيقي للمهاجرين خلال هذه الفترة ثم تناول في الصفحات المتبقية ـ ١٦ صفحة ـ حركة الهجرة المضادة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ .

ويتناول المراجع عبارة اوردها الكاتب هي « ربما كان من ايجابيات الاعلام العربي الموجه للعدو الصهيوني في فلسطين المحتلة قبل عام ٦٧ رغم سلبياته العديدة انه ركز الشعور بالخطر على مصير الدولة الصهيونية والسكان واثار فيهم اشد القلق وكان هذا دافعا لمزيد من الهجرة المعاكسة . ورغم فشل هذا الاسلوب فانه لا بد من أسلوب اعلامي جديد يتفادى كل او معظم مسببات الاسلوب الاعلامي الموجه سابقا وبنفس الوقت يكون عاملا مؤثرا في حركة الهجرة اليهودية في فلسطين للخارج مع التأكيد سلفا على ان قيمة أي عمل اعلامي بهذا الخصوص يعتمد أولا على استمرار الكفاح المسلح ضد الوجود الصهيوني الغاصب على أرض فلسطين » وانني لا أدري أين موقع النقد على هذا التحليل الجانبي الذي ورد لمجرد الاشارة الى حقيقة ملموسة بمناسبة الحديث عن دوافع الهجرة المعاكسة علما اننا هنا بصدد قضية محددة هي قضية الهجرة المعاكسة وليس دور الاعلام في خلق الكفاح المسلح .

ويقتطف المراجع فقرة وردت اثناء التحليل في الفصل الختامي على طريقة « ولا تقربوا الصلاة » ليضيف بعد ذلك عوامل تساعد على الهجرة ، وبالعودة الى الصفحة ١٩١ من الكتاب نجد الكاتب يقرر ما يلي : ـ

١ ـ ان الدافع الديني الخالص رغم اهميته لعب دوره في تحريك الهجرة الواسعة قبل قيام الدولة الصهيونية خاصة في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن .

٢ ـ ان مجرد الانتماء لفكرة العقيدة الصهيونية لم يستطع مؤخرا ان يحرك هجرة واسعة رغم كونه دافعا رئيسيا للهجرة .

٣ ـ ان عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد هو الذي حرك هجرة واسعة من اوروبا الشرقية والمانيا قبيل واثناء انتشار الحركة النازية، ومن البلاد العربية ـ العراق .

اما العوامل التي اوردها السيد كركوتي فهي عوامل مساعدة وليست دوافع وقد سبق للكاتب ان تحدث عنها في الفصل الخاص باستجلاب المهاجرين بشكل مفصل على الصفحات ١٤٦ ـ ١٦٤ ويبدو ان السيد كركوتي تغاضى عنها او لم يطلع عليها .

واخيرا يختتم السيد كركوتي مراجعته بتكرار ما ابتدأ به « مراجعته » وهو الذي عاب على الكاتب التكرار فيما يدعيه من خلو الكتاب من الدراسة التحليلية والاحصائية . وكم كنت اود لو نبذ السيد المراجع الاتهامات التي وجهها للكتاب بقوله عن كل فصل انه ناقص ومشوه كغيره من الفصول . كما ان الجهد والموضوعية اللذين بذلا لانجاز الكتاب ـ وانا اعتقد انهما اثمرا ـ لا يستحقان القول بأن الدراسة لا تعدو كونها جمعا لتصريحات من هنا وهناك وانها جاءت ناقصة في اكثر من موضع ومكان ، وكم اتمنى ايضا ان يلتزم السيد كركوتي جانب الموضوعية في مراجعاته اللاحقة لتأتي كتاباته عرضا وتعليقا لا تجريحا لا يفيد القارىء بشيء .

فوزي تيم

رسائل اعلامية من اوروبا الشرقية

اللقاء العالمي للشباب العامل : موسكو (١٠ ــ ١٩٧٢/١١/١٥)

بمبادرة من اللجنة المركزية للكومسمول السوفياتي ولجنة منظمات الشباب في الاتحاد السوفياتي وبالتعاون مع الاتحاد العالمي للشبيبة الديمقراطية عقد في موسكو في الفترة ما بين ١٠ ــ ١٩٧٢/١١/١٥ الاجتماع العالمي للشباب العامل ، حيث شاركت فيه وفود تمثل ٢٧١ منظمة من منظمات الشباب والاتحادات والنقابات وحركات التحرر والقوى والاحزاب التقدمية الوطنية منها والدولية في ١١٦ بلدا من كافة انحاء العالم ، عقد تحت شعار نضال الشباب ضد الامبريالية والاستعمار من اجل التقدم والاشتراكية والاستقلال والسلام. وقد تلقت منظمة التحرير دعوة للمشاركة في هذا المؤتمر بمندوبين كما دعي الاتحاد العام لعمال فلسطين لايفاد مندوب عنه وهكذا كان هناك وفد لفلسطين مشكل من ثلاثة اعضاء . كما شارك في هذا المؤتمر مندوبون عن التنظيمات السياسية والاتحادات وحركات التحرر والاحزاب التقدمية في كل من مصر ، العراق ، سوريه ، لبنان ، السودان ، المغرب ، تونس ، الجزائر ، اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي ، السعودية ، والجنوب العربي . وكان مستوى هذه الوفود كما كان مستوى الوفود الاجنبية الاخرى مستوى رفيعا ، وقد اعتبر للمؤتمر ست لغات رسمية : الروسية ، العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الاسبانية والالمانية . بدأ وصول الوفود الى موسكو في ١٩٧٢/١٠/٣٠ ، حيث وزعت في زيارات لجمهوريات ومدن الاتحاد السوفياتي، عادت جميعا الى موسكو في ٧٢/١١/٥ لتشارك في حضور الاحتفال بذكرى ثورة اكتوبر الاشتراكية والذكرى الخمسين لتأسيس الاتحاد السوفياتي وكانت تلك الفترة بداية اللقاءات الرسمية بين الوفود .

كانت المجموعة العربية قوة في المؤتمر وهكذا كان لا بد من ابراز دورها فيه ولكن كان لا بد من تنظيمها اولا . وعليه فقد دعا وفد فلسطين متفاونا مع بعض الاخوة من وفد المغرب والمندوب العربي لدى اتحاد الشبيبة الديمقراطية ، دعوا لاجتماع للمندوبين العرب انبثق عنه تشكيل مكتب تنسيق يتحدث باسم المجموعة العربية يضم مندوبين عن كل من : فلسطين ، المغرب ، مصر ، العراق ، لبنان ، واليمن .

وقد كان هذا مظهرا جيدا ظهرت به المجموعة العربية ، سلطت بسببه الاضواء بشكل عام عليها وعلى وفد فلسطين بشكل خاص لما لعبه من دور في تشكيل هذا المكتب وتوحيد الجهد العربي في المؤتمر وكانت من نتائج هذا التشكيل مشاركة المجموعة العربية في رئاسة المؤتمر . تمكن مكتب التنسيق العربي من اجراء اتصالات مع عدد من الوفود الاجنبية قبيل واثناء انعقاد المؤتمر وقد كانت لهم وجهات نظر متباينة في قضية النضال العربي بشكل عام وفلسطين بشكل خاص اثبتوها في كلماتهم أمام المؤتمر .

بدأت الجلسة الاولى صباح ٧٢/١١/١٠ برسالة تحية موجهة من بريجنيف الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي متمنيا للمؤتمر كل نجاح مؤيدا نضال الشباب ضد الاستعمار والامبريالية من اجل الاستقلال والتقدم والاشتراكية والسلام. كما القيت كلمات أخرى لمندوبين عن جهات حكومية وشعبية سوفياتية ومندوبين عن اتحادات دولية من بينها اتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي .. واتحاد النقابات العالمي وكانت جميعها تؤيد وتدعم النضال العربي وكفاح الشعب الفلسطيني من اجل حق تقرير مصيره . ثم وزع اعضاء المؤتمر على لجانه الثلاث وهي لجنة حقوق الشباب العامل ، لجنة نضال الشباب العامل في سبيل التقدم والاشتراكية والاستقلال والسلام ولجنة تضامن الشباب العامل في النضال ضد الامبريالية والاستعمار وهي اللجنة التي أطلق عليها اسم اللجنة السياسية . .

كان على المجموعة العربية ممثلة بمكتب التنسيق ان ترتب الدور العربي في المؤتمر وان تنظم الكلمات التي ستلقى امام مختلف اللجان وهكذا تمكن مكتب التنسيق العربي من ان يصل بمندوبي فلسطين ، مصر ، العراق ، ولبنان الى هيئة رئاسة المؤتمر وان تشارك فلسطين ولبنان في رئاسة اللجنة السياسية ، ومصر والعراق في رئاسة اللجنتين الاولى والثانية .. كان للمؤتمر جلستان يوميا في الفترة ما بين ١١/١١ ، وحتى ١١/١٤ وقد استطاع مكتب التنسيق العربي من تنظيم الكلمات العربية بحيث تلقى أمام جميع اللجان وطوال مدة انعقاد المؤتمر كان الصوت العربي مسموعا ، وبهذه المناسبة فانه لا بد من الاشارة الى ان كلمات المندوبين العرب كانت متفاوتة في طرحها للقضية العربية ، فمثلا مندوب اليمن الجنوبي كان يعتقد ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ٦٧ حل مناسب لازمة الشرق الاوسط . بينما كانت كلمة مندوب جبهة تحرير الجزيرة العربية « سعودي » عبارة عن احصائية عن عائدات البترول فقط ولم يذكر شيئا عن الصراع القائم الان في المنطقة العربية بين الامة العربية والصهيونية والاستعمار .. وأما مندوب تونس فقد تغيب عن الجلسة التي حدد له دور فيها لالقاء كلمته وذلك لسبب اختلفنا في تبيانه .. بينما لاقت كلمة مندوب فلسطين استحسانا كبيرا لدى الجميع حتى ان رئيس الجلسة التي القيت اثناءها الكلمة وكان مندوب كوستاريكا قام وصافح مندوب منظمة التحرير الفلسطينية (مندوب فلسطين) بعد القاء كلمته مهنئا لروعة الكلمة على حد تعبيره وعندما سئل عن ملاحظاته بشأنها اعرب عن تقديره للنقاط التي تناولتها الكلمة .

« ان تعلن حركة المقاومة الفلسطينية نفسها حركة تحرر وطني وجزءا من حركة التحرر العالمي وانها تسيل من فصائل الثورة العالمية ضد الاستعمار والامبريالية وانها لا تقاتل اليهود على انهم شعب اعتنق ديانة معينة وانما هي تناضل ضد حركة الصهيونية العالمية العنصرية الفاشية وتعمل من اجل تحرير الانسان اليهودي من كابوس هذه الحركة العدوانية ليقيم والانسان العربي المجتمع الديمقراطي التقدمي في فلسطين الديمقراطية التي يتساوى فيها في الحقوق والواجبات كافة الطوائف بدون تمييز او تفريق » (هذا ما اشتملت عليه كلمة مندوب فلسطين ..) وهذا فضح للحركة الصهيونية وتعريف بهوية حركة المقاومة الفلسطينية . وهكذا تابع المندوبون القاء كلماتهم وكانت في مجملها تتناول قضايا الصراع مع الاستعمار العالمي وتدعم وتؤيد نضال الشعوب المتطلعة الى الحرية والاستقلال وكان الكثيرون من المندوبين يتناولون قضية الشرق الاوسط فيعربون عن شجبهم للعدوان الاسرائيلي على الاراضي والشعوب العربية ويؤيدون الشعب الفلسطيني في حق تقرير مصيره وبشكل اجمالي نستطيع ان نقول بأن صورة النضال العربي كانت واضحة امام مندوبي الدول الاشتراكية بشكل عام وكانوا يعربون عن تأييدهم للنضال العربي عامة والفلسطيني تخصيصا .

اما في افريقيا فكان كثير من المتحدثين يعربون عن تفهمهم للنضال الفلسطيني والعربي فيعلنون دعمهم وتأييدهم لهذا النضال بل اننا نستطيع ان نقول بأن بعضهم مثل ممثلي ناميبيا وموريتانيا وانجولا كانوا لا يقلون عن الاشقاء العرب حماسا لقضيتنا .

اننا نستطيع ان نقول بأن مندوبي الدول الاشتراكية قد ضمنوا كلماتهم عبارات التأييد والدعم للنضال العربي والفلسطيني والشجب والاستنكار للعدوان الاسرائيلي على الارض العربية وكذلك كانت الصورة لجانب ممثلي الحركات والقوى التقدمية في الكتلة الغربية وفي دول امريكا اللاتينية .. وبهذه المناسبة فاننا نورد وبدون تعليق ما أورده مندوبو « الحزب الشيوعي الاسرائيلي » في كلمتهم التي القيت امام اللجنة السياسية قبيل اختتام المؤتمر اعماله علما بأن الوفد كان يضم مندوبين احدهما عربي اسمه محمد شبيط ، والاخر يهودي اسمه بارها نسيم وهو الذي القى الكلمة وقد تضمنت النقاط التالية : ـ عدوان حزيران ٦٧ جاء ليهدد التحولات الاشتراكية في المنطقة وقد قام به حكام اسرائيل تنفيذا لمخطط امريكي لضرب حركة التحرر والانظمة التقدمية في سوريه . ـ اسرائيل تتبع سياسة توسعية عدوانية في المنطقة وفي اعقاب عدوان حزيران يحاول المعتدون تحقيق اهدافهم ولكن بفضل صمود حركة التحرر العربية والمناضلين في « اسرائيل » لم يتمكنوا من قطف ثمار عدوانهم . ـ البنتاجون توجه اسرائيل لقتل الالاف من الشباب العربي في سبيل اقرار سياسة الامر الواقع بالقوة . ـ هذا العدوان يستفيد منه جماعة الاحتكاريين الضالعين مع الامبريالية والاستعمار . ـ الوضع في اسرائيل مهلهل . ـ ازدادت ظاهرة رفض الخدمة العسكرية

والهرب من الجيش (ربع المجندين يهربون بسبب التفرقة) . — ثلث الشباب عاطلون عن العمل . — ازدادت الجرائم في الفترة الاخيرة . — عشرات الالاف من المتزوجين لا يجدون سكنا . — قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ هو الحل الامثل لمشكلة الشرق الاوسط . — نحن نؤيد الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني وملاحقتها بالاساليب التي يراها مناسبة . — تزداد حركة الشباب في معارضة حكومة اسرائيل وقد ظهرت حركة الفهود السود بعد سنة ١٩٦٧ وهم يناضلون جنبا الى جنب مع الشعوب العربية في نضالها ضد الامبريالية . — ونحن نطالب بتنظيم حملة للمطالبة بعودة اللاجئين الى قراهم . — يلاحظ ان اسرائيل في الفترة الاخيرة تشدد اعتداءاتها على سوريه وجنوب لبنان لقتل الشباب العربي الذين يرفضون سياسة الامر الواقع . — ان كل قوى الامبريالية لن تحولنا عن قيادة الشباب والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني من اجل اقرار الاخاء العربي اليهودي في دولة ديمقراطية . — نؤيد وندعم النضال العربي التقدمي .

وهكذا استمرت صورة الكلمات حتى نهاية المؤتمر فقد كان على اللجان ان تعد مشروعات توصياتها لتعرض على المؤتمر ، وفي هذه الحالة كان على اللجنة السياسية أن تعد مشروع البيان الذي يصدر عن المؤتمر وبينما كنا نناقش مع لجنة الصياغة مشروع بيان اللجنة السياسية فوجئنا بمندوب من امريكا اللاتينية يطلب شطب كلمة الصهيونية من البيان وحجته في ذلك ان المؤتمر يعقد تحت شعار النضال ضد الامبريالية والاستعمار ولم ينص على الصهيونية مما دفعنا لان ندخل معه في نقاش حاد موضحين العلاقة بين الاستعمار والصهيونية وانهما وجهان لعملة واحدة بل ان الصهيونية تمثل اعلى مراحل الاستعمار وقد أيدنا في موقفنا ووجهة نظرنا هذه مندوب المانيه الديمقراطية والهند والمندوب السوفياتي مما حسم الموقف وأدرج النص الذي أردناه فكان اتفاقنا على النص الآتي خاصا بالنضال الفلسطيني .

« ان المؤتمر يؤيد ويدعم نضال شباب وشعب فلسطين ضد الامبريالية والصهيونية واسرائيل في سبيل استرجاع حقوقهم الوطنية المشروعة » .

هذه ملاحظات موجزة على الكلمات وبيان المؤتمر نسجلها مع التنبه انه حصل هناك تحريف في القرار عند الترجمة اذ استبدلت كلمة Returning استرجاع بتعبير Re-establishment اعادة تأسيس وعندما راجعنا السكرتارية ونبهناهم لذلك اعتذروا وبينوا انه خطأ في الترجمة غير مقصود وأعيد النص الاصلي «استرجاع» Returning .

اما عن لقاءاتنا مع الوفود الاجنبية ووجهات نظرهم المختلفة في قضية الصراع العربي الصهيوني .. فاننا نستطيع ان نقول ان مجموع الدول الاشتراكية كانت كلها تركز على شجب واستنكار العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية والاعتراف للشعب الفلسطيني بحق تقرير مصيره والاعتراف بالاستقلال لكافة شعوب المنطقة اما القادمون من الكتلة الغربية فان هناك تباينا واضحا في وجهات نظرهم فمثلا بينما اعرب ممثلو الشبيبة الديجولية في فرنسا عن تفهمهم الكامل لحقيقة الصراع القائم في المنطقة لم يخفوا تأييدهم لنضال الشعب العربي الفلسطيني والدول العربية من اجل تحرير اراضيها المحتلة ، فان مندوبا من بلجيكا كان يطرح رأيا غريبا مفاده ان الدول الكبرى هي التي تبنت دولة اسرائيل منذ البداية واعترفت بها ولا يمكن لها ان تتخلى عنها وليتم توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية التي يقيمون فيها ويتم التعويض عليهم (وبطبيعة الحال وضح له خطأ هذه النظرية) .. اما عن القادمين من المانيا الغربية فقد اتفقنا مع اثنين منهم على ترتيب لقاء بين مكتب التنسيق العربي وبينهم الا اننا فوجئنا انه في الموعد المحدد يعود لنا المكلفان بترتيب اللقاء ليقولا ان زملاءهما من الالمان « لا يشرفهم ان يلتقوا بالمندوبين العرب خصوصا الفلسطينيين » .

هذا بينما لقيت اتصالاتنا مع الهند صدى جيدا اذ ان رئيسة وفد الهند وهي عضو في حكومة كلكتا وسكرتيرة لحزب المؤتمر في ولاية البنجال الغربية ادخلت تعديلا على كلمتها بما يتفق وطبيعة النضال العربي والفلسطيني الذي أيدته ودعمته كما انها وجهت دعوة لرئيس وفد فلسطين لزيارة الهند وعقد لقاءات واجتماعات جماهيرية هناك .. نفس الروح من التأييد والدعم لقيناه من مجموعة فيتنام وكمبوديا ولاوس . بقي ان نعرف موقف المضيف والداعي للمؤتمر وهم السوفيات .. لاحظنا ان هناك اهتماما بالغا بوفد فلسطين ، وحرصا على الاستماع اليه في كل المناسبات وتحليلا ومناقشة لكل كلمة تصدر عنه تجلى هذا في عدة مظاهر منها :

عند وصول الوفـود بدىء في توزيعهـا لزيارة جمهوريات الاتحاد السوفياتي، كانت وجهة فلسطين طشقند حيث عقدت هناك عدة لقاءات شارك فيها من المجموعة العربيـة بجانب فلسطين المغـرب وسوريه كما شاركت وفود افريقية وكان اول لقاء لنا مع اللجنة المركزية للكومسمول في طشقند حيث تحدث مندوب فلسطين باسم المجموعة العربية ضمن من تحدثوا ، فخرجت صحف اليوم التالي ومنهـا جريدة « اللينينية الصغـيرة » وقد ابـرزت في الصفحات الاولى صورة للمجموعة وكلمة مندوب فلسطين كما ان عددا من مراسلي اذاعة ازبكستان وصحفها قد طلبوا حديثا من مندوب فلسطين .. تكرر هذا المشهد في كل اللقاءات التي جرت في طشقند : في مصانع النسيج في المزارع التعاونية (الكولخوز) في المتحف حيث طلب مـن مندوب فلسطين تخصيصا تسجيل كلمة ، في معاهد التدريب المهني . وهناك مشهد لا بد من ذكره عند اختتام زيارتنا لطشقند اقيم حفل وداع على شرف الوفود تحدث فيه عضو اللجنة المركزية للحزب الرفيـق جافورد جانوف وهو السكيرتير الاول للكومسمول في طشقند . ثم تحدث مندوبون آخرون وكان متفقا ان ينتظر المندوبون العرب للنهاية الا ان أحد الرفاق السوفيات جاء لمندوب فلسطين وسأله لمـاذا لا تتحدثون ؟ فأجيب بأننا ننتظر فرد لا ان الرفيق جافورد جانوف يريد ان يستمع الى وفد فلسطين وهكذا تحدث مندوب فلسطين وباسم المجموعـة العربية حيث ابرزت الصحافة في اليوم التالـي كلمته .

هذا كان في طشقند واما في موسكـو فقد اتخذ الاهتمام والتعاون السـوفياتي معنا طابعا اخر فقد كان لهم الفضل في اختيار فلسطين للمشاركة في رئاسة المؤتمر واللجنة السياسية ولجنة الصياغة كذلك تجلى هذا التعاون في مهرجان جماهيري اقيم في مسـاء ١١/١٠ في دار الثقافة التابعة لجريدة « برافدا » وكان تضامنا مـع نضال الشعوب العربية. تحدث في هذا المهرجان مسؤولون سوفيات منهم مهندسة عضو في مجلس السوفيات الاعلى ومندوب عن اتحاد الطلاب في موسكو كما تحدث منـدوب عن اتحـاد الشـبيبة الديمقراطي العـالمي والسـكرتير الاول للجنـة المركزية للشـبيبة في جمهـوريـة هنغـاريـا الشعبية وكلهم أعربوا عـن تأييـدهم ودعمهم للنضـال العربي الفلسطيني واستنكروا العدوان الامبريالي الاسرائيلي على المنطقة العربية .. كما تحدث في هذا المهرجان مندوب فلسطين الذي استقبل بعاصفة حارة من التصفيق وبالهتاف لدعم النضال الفلسطيني وبسقوط العدوان الاسرائيلي وقد اثبت ما جاء في كلمة المندوب الفلسطيني واستقباله في نشرة « نوفوستي » وكالة الانباء السوفياتية في العدد ١٩٤٦ تاريخ ١٩٧٢/١١/١٦ ، كما اوردتها صحيفـة موسـكو والازفستيا كما تم التنـويه بالمهرجان في البرافدا في اليوم التالي : ... كما اتضح التعاون بيننا وبين الرفاق السوفيات جليا اثناء فترة انعقاد المؤتمر : في المناقشات ، في لجنة الصياغة ، وعند اختتام المؤتمر اعماله وبترشيح من السوفيات تم اختيـار مندوب فلسطين لتلاوة مشروع البيان أمام اللجنة السياسية وقد تم ذلك فعلا مما ساعد كثيرا في ان تتضح صورة التأييد السوفياتي لنضال الشعب الفلسطيني وثورته . اتضح ذلك ايضا اثناء اللقاءات التي عقدها وفد فلسطين مع ممثلي الكومسمول السوفيات والمجلس المركزي للنقابات ولجنة تضامـن شعوب آسيـا وافريقيه وفي التسهيلات التي قدمت عند زيارة وفد فلسطين لمدرسة الكومسمول العليا حيث التقينا بالطلاب الفلسطينيين والعرب الذين يدرسون هناك افادنا كثيرا في عملنا في المؤتمر واثناء لقاءاتنا مع الوفود الاجنبية ما حملنا معنا من مطبوعات مركز الابحاث وشعارات جيش التحرير الفلسطيني وكنا بحاجة ماسة الى مادة اعلامية مصورة خفيفـة الحمل صغيرة الحجم Pamphlets ونشرات اعلامية اخرى (ملصقات مصورة) .

ختاما نحن ما دمنا في صـدد وضع اضواء على مؤتمر الشباب ، فانه من المفيد التأكيد على ما يأتي : ١ ــ لقد اعطى مؤتمر الشباب اهميـة كبيرة بعقده في موسكـو وليس في مكان آخر . ٢ ــ اتضح في المؤتمر الاهتمام بالشباب ودوره في النضال ضد الامبريالية والاستعمـار في العالم وضرورة بناء جبهة نضاليـة عالمية واحدة قوامها الشباب ، والشباب الفلسطيني والعربي جزء من هذه الجبهة وهذا بالتالي يتطلب اعداد الشباب الفلسطيني والعربي أعدادا ثوريا جيدا وتنظيمه حتى يتمكن من المشاركة في هذه الجبهة النضالية العريضة . ٣ ــ يعقد في الفترة ما بين ٢٨ تموز/٥ آب ٧٣ المهرجان العالمي للشباب في برلين عاصمة جمهورية المانيه الديمقراطية ومنظمات الشبـاب العربية مدعوة للمشاركة في هذا المهرجان ولا بد

من ان تساهم هذه المنظمات في الاعداد لبرنامج المهرجان وانجاحه وهذا يترتب عليه الاستعداد الفوري . ٤ ــ على الصعيد الفلسطيني مطلوب من منظمة التحرير الفلسطينية ان تولي هذا المهرجان اهتماما جيدا فتختار وفدا يتفق واهمية المهرجان يكون قادرا على تثبيت الصورة المشرقة للشباب الفلسطيني من خلال طرح علمي وموضوعي جيد للقضية تتوفر له الكفاءات الفنية المطلوبة يعطى خطا سياسيا واضحا من خلاله يتم طرح القضية . ٥ ــ هذا الصوت الذي ارتفع من فلسطين المحتلة لا بد وان يتكرر فليكن له صدى على الساحة الفلسطينية والعربية يغذى وينمى ويستفاد منه بما يتفق واستراتيجية العمل الفلسطيني والعربي في تعرية الوضع القائم في فلسطين المحتلة وليعرف ماذا تريد من هؤلاء ولهم. ٦ ــ هناك جسور قوية للعلاقة بين الشباب الفلسطيني ومنظمات الشباب في الدول الاشتراكية فلتتوطد هذه العلاقة لما فيه مصلحة النضال المشترك .

يونس الكتري

مناقشات فلسطينية في بلغاريا

كيف ينظرون في بلغاريا الى القضية الفلسطينية بشكل عام ، والى المرحلة الحالية من الصراع العربي ــ الاسرائيلي بشكل خاص ، والى حركة المقاومة الفلسطينية ؟ هذه الاسئلة الثلاثة ، كانت بين مجموعة من الاسئلة التي حاولت العثور على أجوبة ، ولو مختصرة عنها ، خلال زيارة قصيرة لبلغاريا (من ٩ الى ٢٢ كانون الثاني ــ ديسمبر ــ ١٩٧٢) بدعوة من لجنة العلاقات الثقافية مع الشعوب .

في صوفيا العاصمة قدر لي أن أقابل عددا من الشخصيات الحزبية والحكومية والصحافية المتفاوتة في مستوى المسؤولية ، وكنت أحرص على أن أطرح سؤالاتي ، أو تساؤلاتي الثلاثة في كل لقاء ، وأنا على يقين من ان كل ما يمكن العودة به من هذا النوع من الرحلات السريعة لا يمكن ان يتجاوز الانطباعات العامة واللمحات اليسيرة ، ولكن هذه الانطباعات وهذه اللمحات تظل جديرة بالتسجيل ، والانضمام الى سائر ما نعرفه عن مواقف بلغاريا والمعسكر الاشتراكي ، وان كانت حتما لا تشكل اجوبة ثابتة واضحة على الاسئلة الثلاثة التي حاولت البحث عن اجوبة لها .

كانت أبرز الشخصيات التي قدر لي اقابلها السيد لاليو جانتشيف ، نائب رئيس جبهة الشعب الحاكمة ، وهي الجبهة التي يقودها الحزب الشيوعي البلغاري ، والتي ألفها بطل بلغاريا القومي والشخصية اللامعة في المعسكر الاشتراكي اثناء حربه ضد النازية ، جورجي ديمتروف ، وتضم هذه الجبهة الاحزاب والقوى التقدمية التي حاربت الاحتلال النازي . مع السيد جانتشيف كان الحديث حارا وسريعا وواضحا حول القضية الفلسطينية ، والصراع العربي ــ الاسرائيلي وحركة المقاومة . وبما ان السيد جانتشيف كان من رفاق ديمتروف الذين لعبوا دورا في مقاومة الاحتلال النازي لبلغاريا في أوائل الاربعينات ، فقد كان حديثه عن حركة المقاومة حديث حماسة وعتاب .

قال ان ما يزعجه هو اضطراره لملاحقة انباء

المقاومة الفلسطينية من خلال أجهزة الاعلام الغربية . وضرب مثلا على ذلك فقال : لقد كانت الانباء الوحيدة التي وصلتنا في الاسبوع الاول لعملية ميونيخ انباء غربية . كنا نعلم الدوافع التي حركت فدائيي ميونيخ ، اما التفاصيل فقد كنا نتلقاها من اوساط معادية .

وهذا تقصير كبير من أجهزة الاعلام الفلسطينية والعربية . ونحن نفتش بصعوبة ، اثناء احتلال اخبار الفدائيين مركز الصدارة في الصحافة العالمية ، عن مصدر فلسطيني او عربي يزودنا بالاخبار التي يمكن ان ننشرها على الرأي العام البلغاري ، ولكننا نجد في ذلك صعوبات جمة . وبعد ان أنهى عتابه الحار المتدفق ، حاولت تركيز الرد في نقطتين : — الاعتراف بتقصير أجهزة الاعلام الفلسطينية والعربية ، التي طورت نفسها بعد النكسة ، ولكنها ما زالت تعمل بالاندفاع والحماس ، أكثر مما تعمل بالروح المنهجية التي لا تترك الامور للصدف ، بل تضبطها في اطار نظام دقيق للعمل . — التشديد على ان التقصير مشترك في هذا المجال ، وان السفارات الغربية واجهزة الاعلام الغربية تبذل في ملاحقة وجمع أخبار المقاومة الفلسطينية أضعاف ما تبذله السفارات والاجهزة الاعلامية الاشتراكية .

وشددت عند هذه النقطة على الطبيعة المشتركة للمعركة ، وكيف ان انتصار الحل الامريكي للازمة — اذا تم — لن يضرب حركة التحرر الوطني العربي (والمقاومة الفلسطينية احدى فصائلها) بل سيضرب المعسكر الاشتراكي وينصب حوله حصارا شديدا . وقد اثارت هذه النقطة بالذات اهتمام السيد جانتشيف واحد مساعديه ، فطلبا كتابة مقال حول الموضوع ، على ان يترجم الى البلغارية وينشر في صحيفة « جبهة الشعب » اليومية (ثاني صحف بلغاريا من حيث النفوذ السياسي والانتشار — ٢٤٠ الف نسخة يوميا) وفي المجلة الشهرية الفكرية التي تصدرها جبهة الشعب ايضا .

وقد حاولت تركيز هذا الموضوع في نقطة ثابتة مهمة ، فعبرت عن اعتقادي بان المشكلة بالنسبة لشعوب المعسكر الاشتراكي لا تقف عند حدود نقص المعلومات حول الاحداث الحالية للقضية ، بل حول الحقائق الاساسية لهذه القضية ، وخاصة تلك التي تعود الى مرحلة ما قبل انشاء دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ . وكان هذا الكلام مناسبة لطلب كتابة مقال ثان عن ابرز الحقائق الاساسية للقضية الفلسطينية قبل ولادة دولة اسرائيل ، ليترجم وينشر في الصحف نفسها المذكورة اعلاه . ثم عاد السيد جانتشيف الى تسلم دفة الحديث فأثار بطريقة مباشرة موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية ، متسائلا عن العراقيل التي تقف في طريقها ، مبديا استغرابه من عدم توحد فصائل المقاومة الفلسطينية بعد كل الضغوط القوية التي تعرضت لها .

وقد حاولت في هذا المجال ان اقدم بعض التفسيرات الموضوعية للعقبات التي ما زالت تعترض سبيل الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ولكن نائب رئيس جبهة الشعب البلغارية كان يهز رأسه بعدم الاقتناع ليعود فيقول :

كل ما تحدثني عنه معروف لدينا ، وقد جربناه في بلغاريا ، وعانينا منه ، ولكن صيغة الجبهة الوطنية ، التي ابتدعها وقادها جورجي ديمتروف ، كانت المخرج الوحيد من كل هذه الصعوبات ... ولم تكتف الجبهة الوطنية بالنجاح في مقاومة الاحتلال حتى النهاية ، بل انها ما زالت حتى الآن ، وبعد مرور ربع قرن على التحرير ، تقود عملية البناء الاشتراكي . نحن نقدر كل الصعوبات التي تعترض طريق توحيد فصائل المقاومة الفلسطينية ، ولكننا ننظر الى تأخير هذا التوحيد بقلق ، ونتابع اخباره باهتمام . فلقد مررنا بالصعاب نفسها ، وبلونا المخاطر نفسها ، واكتشفنا بالتجربة ان الوحدة الوطنية الثورية هي العنصر الاساسي الذي يمكن ان يقلب ميزان الموقف الى صالح الشعوب المكافحة في سبيل تحررها الوطني .

المقابلة الثانية التي تستحق التسجيل ، كانت مع احد موظفي وزارة الخارجية البلغارية ، السيد بناكياف ، وهو متخصص في التاريخ ، وفي القضية الفلسطينية بصفة خاصة ، ويمكف حاليا على وضع كتاب عن جذور القضية الفلسطينية بين ١٩١٧ (وعد بلفور) و١٩٤٨ (ولادة اسرائيل). والسيد بناكياف يحاول الآن العثور على اكبر عدد ممكن من المصادر الموثوقة لتجميع معلومات شاملة عن تلك الفترة . في بعض لحظات حديث السيد بناكياف عن تلك الفترة التي يحاول ان يؤرخ لها باللغة البلغارية ، كان يمكن ان تشعر

انك امام فلسطيني ، او أي عربي ، عندما كان يقول : عندما يتحدثون في الاوساط الدولية عن قضية فلسطين فانهم يقفون عند حدود ١٩٦٧ ، مع ان المشكلة الاساسية هي مشكلة ١٩٤٨ ، وهذا ما اريد ان اوضحه بتفصيل كلي في كتابي ».

اما المقابلة الثالثة التي تستحق التنويه في هذا المجال فقد كانت مع نائب رئيس لجنة العلاقات الثقافية مع الشعوب . وقد تطرق الحديث الى محاولات اسرائيل لاستغلال ما يسمى « مشكلة اليهود » في دول العالم ، وخاصة في الدول الاشتراكية . فأكد لي نائب رئيس اللجنة ان بلغاريا لا تعاني مشكلة من هذا النوع ، ولا تعاني ضغطا من هذا النوع ، فاليهود فيها ليسوا بأعداد تذكر ، ولا يحتلون مراكز تذكر .

وحاولت ان اوسع دائرة الموضوع لتشمل المشكلة المتأزمة ليهود الاتحاد السوفياتي بالذات ، فقلت اننا لسنا من هواة اضطهاد اليهود ، ولسنا ممن يسرون لمثل هذه الانباء ، وتاريخنا القديم والحديث يشهد عن ذلك ، ولكن ما يقلقنا في مشكلة يهود الاتحاد السوفياتي ، اننا بدأنا نلاحظ في قضية « ضريبة الهجرة على خريجي الجامعات » ان اجواء التفاهم الدولي الجديد ، ومحاولات الاوساط الصهيونية في اميركا استغلال هذا الجو للضغط على الحكومة السوفياتية في مسألة هجرة اليهود ، قد اثمرت بعض التراجعات السوفياتية ، حيث تزداد يوما بعد يوم أعداد المهاجرين الجامعيين المعفيين ، دون سائر الجامعيين السوفيات ، من دفع ضريبة التعليم عند الهجرة . نحن لا نبالغ فنرى في هذه الظاهرة تحولا في سياسة الاتحاد السوفياتي العربية ، ولكننا ايضا لا يمكن ان نخفي قلقنا لنجاح محاولات الابتزاز الصهيونية ، ضد دولة كبرى ، وصديقة ، كالاتحاد السوفياتي. وكان جواب محدثي خروجا عن التفاصيل ، وتذكيرا بالمواقف الاساسية فقال ما معناه ان الدول الكبرى كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لا يمكنها ان تغير محالفاتها الدولية بسهولة . تماما مثل الافراد المشهورين الذين لا يستطيعون — عندما يتزوجون — ان يطلقوا بالسهولة التي يتم فيها طلاق انسان غير مشهور . وانتقل من ذلك ليؤكد ان تحالف الاتحاد السوفياتي مع الحق العربي في الصراع ضد اسرائيل تحالف استراتيجي بعيد المدى ، لا يمكن ان تهزه قضية فرعية مثل قضية ضريبة التعليم على المهاجرين اليهود الجامعيين .

وبعد ، فان خطوات كثيرة ما زالت أمامنا على طريق توطيد علاقات حركة المقاومة الفلسطينية ، وحركة التحرر العربي ، بالاوساط التي تملك معنا نقاط لقاء كثيرة ، ولكن هذه الخطوات تكون أسهل عندما تكون الجبهة التي نحاول توطيد العلاقة معها قد بنت تاريخها المعاصر (قبل ان توطد دعائم ثورتها الاجتماعية في الداخل) على مقاومة المحتل وطرده من ارضها ، ان كلمة « مقاومة » عند هذه الشعوب ، ما زالت تبعث البريق الغريب الى العيون ، والحرارة الى القلوب .

الياس سحاب

المؤتمر الصحي السادس في صوفيا

انعقد في مدينة فارنا — جمهورية بلغاريا الشعبية المؤتمر السادس لمنظمة (AMIEV) المنظمة العالمية لدراسة ظروف الصحة والمعيشة — في الفترة ما بين ٦—١٢ اوكتوبر ١٩٧٢ . وقد شارك في المؤتمر ممثلون عن ٦٠ دولة ومنظمة ، كان في عدادها وفد جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني الذي قدم للمؤتمر دراسة عن الاحوال الصحية والمعيشية للاجئين الفلسطينيين وتأثيرها على نموهم وعملهم ، كما أوضح النشاطات التي تقوم بها الجمعية ، المتعلقة بتقديم الخدمات الصحية لهم . لقد اتت هذه الدراسة نتيجة بحث علمي طبي احصائي ، قام به أطباء الجمعية عن علاقة معدلات نمو اطفال المخيمات بالظروف السيئة لتغذيتهم وبالجوانب المختلفة المتعلقة بمعيشتهم المتردية ، الناتية عن الاغتصاب الصهيوني لوطنهم .

وقدم الدكتور فاضل عباس الفحيلي ، ممثل العراق في المؤتمر دراسة عن اوضاع السكان الصحية والاجتماعية في الارض العربية المحتلة ، متعرضا للطابع الاستغلالي العنصري للكيان الصهيوني واثر ذلك على الامور الواردة في موضوع الدراسة التي دعمت بأرقام واحصائيات ووقائع عن التمييز المتبع تجاه عرب الارض المحتلة في مجالات التعليم والعمل والسكن . وتعرضت الدراسة للاعمال الاسرائيلية الارهابية ضد الاطباء العرب والعاملين في حقل الخدمات الصحية بحجة تعاونهم مع المقاومة ، وتحدث كذلك عن تحويل المستشفيات الى معسكرات للاعتقال . وقد خلصت الدراسة الى « ان المبادىء الانسانية السليمة تنطلق من موضوعة تنص على انه اذا كانت ظروف الوسط الخارجي المحيط (وبالذات الوسط الاجتماعي) ، غير انسانية ، اي انها معادية للانسان ، فان أي نضج لهذه الظروف (مهما أوتي من قوة) لن يساعد على وضع الامور في نصابها ، اذا كان مقتصرا على النقد النظري لها فقط ، ويتطلب فهم هذه الموضوعة تغييرا عمليا ثوريا لتلك الظروف بشكل يتحقق فيه تحولها الى ظروف انسانية حقة . ولقد اخذ الشعب العربي الفلسطيني على عاتقه القيام بتحقيق هذه المهمة عن طريق صموده ومقاومته وعن طريق نضاله الهادف لاقامة دولة فلسطين الديمقراطية التي يعيش فيها المواطنون بغض النظر عن اختلاف اديانهم ومعتقداتهم متمتعين بحقوقهم وواجباتهم بشكل متساو . اننا نرى ان من واجب الـ (AMIEV) دراسة مسألة العلاقة اللاانسانية للصهاينة تجاه شعب فلسطين وخاصة فيما يتعلق بظروفه المعيشية والصحية السيئة للغاية ، وذلك عن طريق ارسال بعثة استقصائية او عن طريق أي شكل آخر يساعد في نهاية المطاف على انتصار المبادىء الانسانية » .

وقد كان للدراستين المنوه عنهما اضافة الى الدراسة التي قدمها الوفد الفيتنامي عن الحرب الكيميائية وتأثيرها على الاوضاع الصحية للشعب الفيتنامي ، صدى كبير لدى الحضور . لقد حاولت المندوبة الامريكية التقليل من شأن هاتين الدراستين ، كما اعترضت على تقديمهما في المؤتمر متذرعة بأن الطابع العلمي للمؤتمر لا يسمح باقحام السياسة فيه ، الامر الذي دعى رئيس جمعية (AMIEV) الدكتور جوزيه دمكاسترو الى التعقيب قائلا : « اعترض البعض على ان مؤتمرنا قد اقحم مسائل سياسية في موضوعاته ، واننى اعتقد بأننا مقصرون في التطرق الى مثل هذه الموضوعات ومن هو الذي يستطيع اليوم تحديد أين تبدأ السياسة وأين تنتهي ؟. » كما عقب البروفسور بتروف من الوفد السوفياتي على الموضوع نفسه واصما بالعار جرائم الامريكيين في الفيتنام وجرائم الصهاينة في الاراضي العربية المحتلة . وتلاه البروفسور برليغ اور من الوفد الايطالي الذي شكر الاطباء العرب المحاضرين لتعريفهم المؤتمرين على ما تضمنته دراساتهم من وقائع هامة عن احوال اللاجئين الفلسطينيين وعن سكان الاراضي العربية المحتلة .

وقد اتخذ المؤتمر فيما يتعلق بفلسطين القرار التالي : لقد استمعنا باهتمام بالغ عن الاحوال الصحية المتردية لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويطالب المؤتمر اسرائيل بتطبيق قرارات الامم المتحدة وان تنسحب من الاراضي العربية التي احتلتها وتعيدها الى اصحابها الشرعيين ، كما يطالب المؤتمر العمل على استعادة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . هذا وقد عرضت في احدى قاعات المؤتمر صور عن ضحايا الجرائم الصهيونية وعن أحوال المخيمات ونشاطات جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني .

ب. ق.

مناقشات فلسطينية في موسكو

في الفترة ما بين السابع عشر والسابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) ١٩٧٢ زار وفد من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الاخ ابو عمار الاتحاد السوفياتي بدعوة من رئاسة لجنة التضامن الافروآسيوي السوفياتية في موسكو . وخلال المحادثات الرسمية التي جرت بين وفدي اللجنة التنفيذية ولجنة التضامن اتفق على ان معالجة قضايا العلاقات الفلسطينية السوفياتية وتطوير هذه العلاقات يحتاج الى عقد مزيد من الحوارات بين وفود فلسطينية وسوفياتية ... واتفق على ان ذلك يتحقق من خلال تبادل الزيارات والوفود على كافة الاصعدة والمستويات ، واستمرار الحوار ومتابعته ضمن اوسع اطار ممكن .

وقد تم بالفعل واثناء زيارة وفد اللجنة التنفيذية لموسكو في ذلك الحين توجيه الدعوة من قبل اتحاد الصحفيين السوفيات لوفد اعلامي من منظمة التحرير الفلسطينية وكذلك توجيه دعوة أخرى من اتحاد الشبيبة السوفياتية (الكمسمول) لوفد من الشبيبة الفلسطينية تشكله منظمة التحرير الفلسطينية وكذلك وفد من العمال الفلسطينيين لحضور مؤتمر الشباب الكادح .

ولم تمض فترة قصيرة على انتهاء زيارة وفد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لموسكو حتى بدأ الاعداد والترتيب لزيارة الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني لموسكو . وسافر الوفد في الساعة العاشرة من مساء ١٩٧٢/١٠/٢٧ متوجها الى موسكو . وقد تشكل من اربعة من اعضاء مجلس الاعلام لمنظمة التحرير بالاضافة الى رئيس تحرير ونائب رئيس تحرير « وفا » . وكان الوفد برئاسة الاخ ماجد ابو شرار .

وعلى اي حال ثمة ملاحظة هامة نسجلها هنا قبل أن يبدأ الحديث عن زيارة الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني الى موسكو هي ان ما يميز زيارة هذا الوفد عن غيره من الوفود الفلسطينية للاتحاد السوفياتي هو كونها أول زيارة يقوم بها وفد صحفي فلسطيني بصفته هذه للاتحاد السوفياتي . وهذا يعني انها زيارة تكتسب اهميتها الخاصة من كونها زيارة تاريخية ضمن معنى كونها فاتحة الزيارات الصحفية الفلسطينية وضمن معنى كونها تكتب الاسطر الاولى في صفحات العلاقات الصحفية الفلسطينية السوفياتية . وسنحاول فيما يلي ان ننقل وقائع موجزة لاهم اللقاءات التي أجراها الوفد تاركين لمناسبة اخرى التعليق عليها واستخلاص النتائج والعبر .

في اليوم الاول للزيارة وكان يوم ٧٢/١٠/٢٨ قام الوفد الصحفي الفلسطيني بزيارة مقر اتحاد الصحفيين السوفيات في موسكو للاتفاق على الترتيبات النهائية لبرنامج الزيارة وللتعرف على قادة الاتحاد . وقد ضم الاجتماع الاول بين وفد الصحفيين السوفيات والوفد الفلسطيني من الجانب السوفياتي فلاديمير رومانوف نائب رئيس قسم العلاقات الدولية في اتحاد الصحفيين وأربعة اعضاء آخرين هم ميخائيل قسطينوف شادرين نائب رئيس قسم العلاقات الدولية لاتحاد الصحفيين ، باكوليف سكرتير ادارة اتحاد الصحفيين السوفيات ، نيقولين رئيس هيئة تحرير الشرق الاوسط في وكالة نوفوستي . ومن الجانب الفلسطيني كامل الوفد الفلسطيني . وقد بدأ رئيس الوفد الفلسطيني الحديث بشكر اتحاد الصحفيين السوفيات لانه أتاح لنا هذه الزيارة . ثم قال « أرجو أن أبلغكم تحيات الرفيق ياسر عرفات الذي طلب مني ان ابلغكم نيابة عنه تحياته لجميع الرفاق » .

ورد الرفيق نيقولين قائلا « اننا نعتبر هذه الزيارة بمستوى زيارة تاريخية لانها أول زيارة صحفية فلسطينية وبعد وقت سيكون هذا تاريخا وسيسجل التاريخ هذا اليوم في تاريخ العلاقات بين المنظمات الصحفية السوفياتية والفلسطينية . وفي الحقيقة فقد أتيحت لنا الفرصة أكثر من مرة للالتقاء بالرفاق القادة الفلسطينيين . فمثلا الرفيق ابو عمار كلما زار الاتحاد السوفياتي كان يلتقي بالصحفيين ولقد أفدنا كثيرا من اللقاءات مع الرفيق ياسر عرفات اذ عرفتنا هذه اللقاءات جيدا بالمقاومة الفلسطينية وهذا ساعدنا في أن نكتب بصورة أكثر واقعية وبدقة أكبر عن نضال الشعب الفلسطيني من أجل حقوقه المشروعة .

« انني أحب أن أعبر لكم بأننا مستعدون ان نعطيكم اي خبرة من خبراتنا في مجالات النشاطات الصحفية واذا احتجتم الى مساعدات فنحن على أتم استعداد

لتقديمها لكم وكما يقولون في الشرق الاوسط أهلا ---- اننا نعي خطورة المهام الملقاة على عاتقنا كصحفيين وسهلا بكم في الاتحاد السوفياتي . »

وبعد ذلك قدم الرفيق باكوليف فكرة عن اتحاد الصحافيين السوفيات .

ثم قدم الوفد الفلسطيني بالمقابل صورة عن وضع الصحافة الفلسطينية على النحو التالي : « اننا نرغب في الواقع في التحدث أيضا بايجاز عن الصحافة الفلسطينية ونشاطاتها . فتاريخها كان وما يزال مطويا ومنسيا لاسباب كثيرة . لقد صدرت اول جريدة فلسطينية عام ١٩٢٠ . وبلغ عدد الصحف التي صدرت حتى عام ١٩٤٨ ١٤٠ جريدة ومجلة . هذه سنوات كانت حاسمة في نضال شعبنا لذلك برزت الصحافة الوطنية ولكن بالمقابل ظهرت بعض الصحف التي انشأها الاستعمار لتكون تابعة له . وبعد عام ١٩٤٨ تشرد الصحفيون الفلسطينيون في معظم انحاء البلاد العربية وبدأوا يعملون من خلال اجهزة الاعلام العربية وساهموا مساهمة كبيرة في توجيه نضال الامة العربية وقد برز منهم صحافيون مشهورون جدا . لكن وخلال هذه الفترة وبسبب التشرد ذابت ملامح الصحافة الفلسطينية ... حتى كان عام ١٩٦٥ عام انطلاق ثورتنا . وفي اعقاب الهزيمة ومع ظهور تنظيمات المقاومة الفلسطينية الاخرى بدات هذه الصحافة تعود الى استعادة ملامحها من ضمن الخط الثوري للمقاومة الفلسطينية . .

ولعل الصحافة الفلسطينية قد استطاعت ومن خلال ارتباطها بالمقاومة ونشاتها عنها ان تقول الحقيقة للجماهير أكثر مما تقولها اية صحافة عربية أخرى. ولقد استطاعت الصحافة الفلسطينية ان تحقق امتدادا خصوصا في اوروبا الغربية وامريكا. ولقد انشئت المقاومة الفلسطينية صحفا بحوالي خمس لغات . وبلغ عدد الصحف والمجلات والنشرات لغاية توحيد الاعلام ٢٢ مجلة وصحيفة ونشرة . وقبل شهور رأت قيادة المقاومة الفلسطينية ان الظروف قد نضجت من اجل توحيد اعلام المقاومة وذلك ضمن توجه هذه القيادة لتوحيد حركة المقاومة .

وبتاريخ ٥ حزيران عام ١٩٧٢ بدأ توحيد الاعلام حيث اوقفت جميع المنظمات كافة الصحف والمجلات التي تصدر عنها . والآن لدينا مجلة مركزية واحدة هي مجلة « فلسطين الثورة » واذاعة موحدة ووكالة انباء فلسطينية .

خصوصا وان الثورة الفلسطينية الان تمر بمرحلة حصار قاسية جدا ... واننا كصحفيين مطاردون من قبل الامبريالية والصهيونية والرجعية ... وما استشهاد الرفيقين غسان كنفاني ووائل زعيتر واصابة د. أنيس صايغ وبسام ابو شريف الا دليل على ذلك . كما اننا نجد صعوبة في تحقيق اتصال دائم بيننا وبين الصحفيين الفلسطينيين . ولكننا رغم هذا كله استطعنا ان نقيم اول اتحاد للصحفيين والكتاب الفلسطينيين خلال شهر أيلول سبتمبر من عام ٧٢ .

ولقد فاتنا ضمن انجازاتنا ان نحدثكم عن مركز الابحاث ومركز التخطيط ثم الدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

فمركزا الابحاث والدراسات متخصصان في اصدار الكتب والنشرات المتخصصة في القضية الفلسطينية. كما انهما يملكان اضخم ارشيف استطاعا ان يحققاه خلال سنوات قليلة جدا نسبيا وان يصلا به الى مستوى أضخم أرشيف في الشرق الاوسط متخصص في القضايا المتعلقة بالقضية الفلسطينية . كما ان مركز التخطيط متخصص في التخطيط السياسي والاعلامي للثورة وأخيرا أضيف اليه التخطيط التربوي .

ورغم كل هذا فما نزال مطالبين بتحقيق الكثير . وهذا لا يتم الا بتطوير امكاناتنا لان هذا يزيد من فعالية مواجهتنا لاعدائنا .

ولذلك فمع حرصنا على تبادل الخبرة معكم وفي الأساس الاستفادة من خبرتكم ... فاننا حريصون على ان نطلب منكم بصراحة ووضوح وبكل قوة وكبلد صديق ان تساهموا في تطوير امكاناتنا ضمن امكاناتكم » .

* * *

... وانتهى اللقاء الاول مع وفد اتحاد الصحفيين السوفيات ليبدأ لقاء مع وفد آخر هو وفد من صحفيي « البرافدا » (أي الامل) الواسعة الانتشار والاكثر نفوذا في الاتحاد السوفياتي على امتداد أرضه وتعدد جمهورياته .

* * *

بدأ الاجتماع في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر يوم ١٩٧٢/١٠/٢٨ وحضره من الجانب السوفياتي ممثلا جريدة البرافدا كل من :

نيكاراسيف نائب رئيس تحرير البرافدا والمسئول عن العلاقات الدولية ، افشنيكوف رئيس قسم البرافدا المسؤول عن شؤون آسيا وافريقيا ، بيرسيدا بافلدونشكي نائب رئيس قسم شؤون آسيا وافريقيا والمختص بالشؤون العربية .

وحضره من الجانب الفلسطيني كامل أعضاء الوفد الصحفي الفلسطيني . وقد رحب نيكاراسيف نائب رئيس تحرير البرافدا ورئيس الوفد السوفياتي بالوفد الفلسطيني ورد عليه رئيس الوفد الفلسطيني بقوله :

نحن نعتبر هذه الزيارة غير عادية فنحن نزور جريدة البرافدا الواسعة الانتشار والنفوذ والتي ساهمت في اطلاق ثورة اكتوبر وترسيخ الاشتراكية في هذا البلد كما ساهمت في تعميم اقوال الرفيق لينين بضرورة تعميق الصداقة بين الشعوب . ومن هنا فاننا نأمل ان تجد القضية الفلسطينية والقضايا العربية اهتماما في هذا المجال .

ورد احد اعضاء الوفد السوفياتي قائلا : لا شك في اننا نتابع باهتمام بالغ اخباركم ونعرف تاريخ الاحداث الاخيرة . وبالنسبة للمقاومة فان اهتمامنا بها كبير جدا لانها تمثل رأي الفلسطينيين وتعبر عن هذا الرأي .

اننا نعرف ان الشعب العربي الفلسطيني كان عليه ان يتحمل اكثر بكثير مما تحملت شعوب كثيرة . وبسبب الظروف التاريخية فان قسما من الشعب الفلسطيني يعيش مطرودا من بيته وأرضه بعيدا عن الوطن والقسم الثاني يعيش في الوطن حياة صعبة ومريرة تحت نير الاحتلال .

ونحن نعتقد ان القضية الفلسطينية العادلة لا بد ان تنتصر مهما كانت مدة الانتصار بعيدة . وجميع القوى الشريفة والتقدمية في العالم هي مع المقاومة في نضالها العادل . وان النضال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني يلاقي شعبية واسعة وفهما كاملا بين جماهير واسعة من الشعوب السوفياتية. واننا نعتقد بأن الحالة المسيطرة في اوساط حكام اسرائيل هي حالة عصبية وهي نتيجة نضال المقاومة . وعلى سبيل المثال فان الخطاب الذي ألقته جولدا مائير في ١٥ اكتوبر والذي قالت فيه ان اسرائيل كانت تضرب المقاومة والبلدان العربية نتيجة نشاط المقاومة اما الان فانها سوف تضربها بلا أي سبب أو مبرر . ان هذا يدل على فقدان الاعصاب وهذا مكسب للمقاومة .

وقال الوفد السوفياتي في صحيفة البرافدا : اننا هنا كلنا أصدقاء ورفاق ولا بد ان نتكلم بصراحة حول جميع المواضيع . ولنبدأ بالاراء المختلفة التي أثارتها الاحداث في ميونيخ . وبداية نقول انه اثناء الحركة الثورية فان المنظمات الثورية كانت تستعمل اساليب مختلفة وفيما بينها تعابير الارهاب الثوري. فعندما تكون هذه الضربات الارهابية موجهة ضد الاوساط الرجعية فاننا نعتبرها من الاساليب الشريفة للنضال الثوري ... اما ضد الناس الابرياء فالامر مختلف . ولا يفوتنا ان نؤكد ان المخابرات الاسرائيلية قد استعملت ولا تزال اساليب مختلفة ومعقدة من الارهاب وخاصة الطرود الملغومة التي أرسلتها هذه المخابرات الى المناضلين الفلسطينيين . وأنهم يقومون بهذه الاعمال الارهابية باسم المناضلين الفلسطينيين . اننا تحدثنا بصراحة في هذا الموضوع ونأمل ان يجري الحوار من طرفكم بصراحة ايضا .

هنا رد أحد أعضاء الوفد الفلسطيني قائلا : الواقع ان النقاش حول عملية ميونيخ ليس امرا سهلا ونود أن نوضح في البداية انه لا علاقة لمنظمة التحرير الفلسطينية بأيلول الاسود او بعملية ميونيخ . وكنا حريصين على أن لا نعلن تأييدنا او استنكارنا لهذه العملية . لماذا ؟ لاننا نعتبرها عملية مجموعة من الرجال الابطال الذين قرروا ان يموتوا لفك الحصار عن الثورة الفلسطينية .

واذا عدنا الى وقت العملية فسوف نلاحظ التالي :
● التضييق شبه الكامل على تحركات المقاومة الفلسطينية . ● وصول تأثير الرجعية العربية على الانظمة الوطنية العربية الى ذروته . ● بروز خطين في العالم العربي أحدهما يدعو الى قطع كل علاقة مع المعسكر الاشتراكي وتوثيق العلاقات مع امريكا والاخر يدعو الى القطيعة الكاملة مع الاتحاد السوفياتي وتوثيق العلاقة مع اوروبا الغربية . ● الامبريالية الامريكية تمد من نطاق تحركها ونشاطها عبر المنطقة متآمرة على المقاومة الفلسطينية والانظمة العربية .

في هذا الوقت السيىءجدا أتت عملية ميونيخ .. فكان ان حققت ما يلي : ١ ــ ضربت الخط الثاني الذي كان قد بدأ في الامتداد على طريق القطيعة مع الاتحاد السوفياتي وعلى طريق توثيق العلاقة

مع اوروبا الغربية . ٢ — اجبرت روجرز على ان يعود مجددا للتحدث عن الشعب الفلسطيني بعد أن تجاهلته امريكا طويلا . ٣ — اجبرت جولدا مئير على ان تعلن الحرب الشاملة على الشعب الفلسطيني . وهي بهذا قد اعترفت به لاول مرة . وان الاحداث التي أعقبت عملية ميونيخ بدأت تظهر اسرائيل على حقيقتها أمام العالم . وكما قال وفدكم قبل قليل فان حكام اسرائيل فقدوا اعصابهم واخذوا يضربون المخيمات بحقد وبذلك تكون عملية ميونيخ قد اجبرت اسرائيل على ان تعود لتأخذ وجه دولة العصابات وفقدت كل مقومات الدولة الحديثة . وبهذا نجد ان عملية ميونيخ قد حققت الكثير والكثير جدا . لكن ثمة ملاحظة لا بد أن نثيرها ونحن نتصدى للحديث عن عملية ميونيخ .. ان الرياضيين الاسرائيليين في دورة الالعاب الاولمبية هم جميعهم ضباط في الجيش الاسرائيلي وليسوا مدنيين . وان عملية ميونيخ لم تستهدف قتلهم ولولا تآمر اسرائيل والمانيا الغربية لكانت النتائج مختلفة .

فما كان من احد اعضاء الوفد السوفياتي الا ان قال : « شكرا لهذا التحليل العميق والممتع جدا . اننا عندما تكلمنا عن عملية ميونيخ كنا نفهم انها عملية جماعة من الناس مشبعين بالافكار الوطنية والمصالح القومية لكن من ضمن فهم خاص . وانتم تعرفون ان الاتحاد السوفياتي لم يستنكر العملية لا سيما وان الفلسطينيين الذين اشتركوا في هذه العملية كانوا أكثر شرفا من الاخرين ...

وعلى اي حال فان الصورة التي توضحت امامنا الان سوف تساعدنا في الكتابة اثناء نشاطنا الصحفي في البرافدا . اما بالنسبة للاعمال الارهابية التي تقوم بها بعض الفئات الفلسطينية المناضلة فاننا نعتبرها بصورة أساسية كأساليب شرعية لنضال الشعب . أساليب يمكن ان تحدث في ظروف معينة . وان الذين يقومون بهذا النضال هم الذين يستطيعون تحديد هذه الظروف . واننا نقول بصورة أساسية ايضا انه لا يمكن لاحد آخر أن يحدد أساليب النضال » .

واختتم احد اعضاء وفدنا الحديث بقوله : « لا شك ان اسلوب نضالنا محدد في الميثاق الاساسي وفي البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية . ان المعركة مع العدو ليست معركة فلسطينية اسرائيلية . ان قضية فلسطين قضية عربية وطابع المقاومة هو طابع عربي . وقد قدمت المقاومة الفلسطينية مئات العرب على طريق مسيرتها » .

* * *

وانتهى القسم الاول من الحوار بين وفد هيئة تحرير البرافدا السوفياتية وبين الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني ليتبعه القسم الثاني من الحوار وقد تناول هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة. بدأ الوفد الفلسطيني الحديث بالقول : نود أن نضع على مائدة الحوار قضية مهمة بالنسبة لشعبنا ... انها قضية هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل . وكما ينبغي ان يتع في اذهاننا جميعا فان هذه قضية حساسة جدا بالنسبة لشعبنا خصوصا وهو يقدر الاتحاد السوفياتي ويدرك بعمق ضرورة توثيق العلاقات معه . ولا سيما ايضا وان اجهزة الدعاية الاسرائيلية تركز كثيرا على الهجرة السوفياتية . وان التقارير التي تصلنا من داخل الارض المحتلة تؤكد ان الاسرائيليين في احاديثهم الى شعبنا هناك يقولون لهم لقد تلقينا اعدادا متزايدة من اليهود من الاتحاد السوفياتي هذا هو صديقكم الاتحاد السوفياتي وهذا هو موقفه منكم . ورد الوفد السوفياتي قائلا : **نحن ندرك حساسية هذه القضية .. ولكن نود أن نقول لكم بروح رفاقية عن مدى تعقيدها بالنسبة للاتحاد السوفياتي.** في العهد القيصري كانت القومية اليهودية هي الاكثر اضطهادا في روسيا .. كان ممنوعا على اليهود ان يسكنوا الا في مناطق محددة لهم وهي جنوب اكرانيا وجنوب روسيا . والسلطة السوفياتية احرزت الحرية لليهود كما احرزت لهم حقوقا متساوية مع القوميات الاخرى . ان عدد اليهود السوفيات قليل نسبيا « نحو ١ ٪ من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي » . واكثرية اليهود عندهم الثقة والايمان بالماركسية اللينينية واكثرهم لا يفكرون بأية هجرة . كما ان الاغلبية الساحقة من اليهود السوفيات يؤيدون سياسة الاتحاد السوفاتي ويؤيدون النضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية . وفي صفحات البرافدا افردنا صفحات لمثلي اليهود ليعبروا عن تأييدهم للحقوق العادلة للشعب الفلسطيني ولنضال هذا الشعب وكذلك الشعوب العربية .

ولكن **بعض اليهود أثر عليهم الشعور القومي ضمن فهم غير صحيح لهذا الشعور ، لقد فكر بعضهم في**

انه لاول مرة في التاريخ تقوم دولة لليهود ولم يأخذوا بعين الاعتبار انها قاعدة استعمارية وشوفينية والحزب الشيوعي والصحافة السوفييتية تقوم بحملة دعائية تشرح اثناءها اهداف اسرائيل والحياة فيها كما تقوم بحملة اعلامية تشرح لليهود السوفييت معنى الحياة في دولة استعمارية خاصة بالنسبة لشخص يقيم في دولة اشتراكية غير عنصرية . كما قامت الدولة السوفييتية ببعض الاجراءات بالنسبة لليهود العاملين في المجال العسكري ومجال التكنيك المرتبط بالعسكرية ومجالات اخرى مرتبطة بسير الدولة . **لقد منعت الدولة هؤلاء الناس من الهجرة الى اسرائيل او اية دولة اخرى .**

واخيرا قامت الدولة بالاجراء الاخير وهو يقضي بأن كل شخص درس في المدارس العليا في الاتحاد السوفييتي لا بد ان يعيد للدولة وللشعب ما انفقه عليه الشعب والدولة لغرض دراسته اذا اراد أن يهاجر من وطنه . **وان مبادىء الديمقراطية الاشتراكية لا تسمح لنا ان نمنع أي شخص ان يترك وطنه في الوقت الذي لا تضر هجرته بمصالح الدولة ومصالح الشعب.** اننا نحاول ان نضع حدودا للناس غير الواعين الذين لا يفهمون اغراض الهجرة ونحاول أن نشرح لهم طبيعة الحياة خارج الاتحاد السوفييتي . وفي كثير من الاحيان فان **الذين يهاجرون من الاتحاد السوفييتي** يريدون العودة اليه لانهم يشعرون بأنه ليس هناك اية ايجابيات للحياة في دولة اسرائيل . **ان من اعتاد الحياة في دولة اشتراكية لا يستطيع تحمل الاضطهاد والاستغلال في الدولة الرأسمالية .**

وطبعا فان الاتحاد السوفييتي لا يقبل كل واحد من هؤلاء المهاجرين قبل ان يؤكدوا انهم فهموا القضية وأنهم ادركوا انهم اخطأوا . وفي الحقيقة فان الذين عادوا الى وطنهم بعد ان ادركوا حقيقة اسرائيل يشرحون للناس في الاتحاد السوفييتي أنهم لم يهاجروا بارادتهم وانما بسبب رسائل وردتهم من اقاربهم او بسبب الدعاية الامبريالية او بسبب نشاط المخابرات الاسرائيلية وحتى أنهم يذكرون اسماء العاملين في هذه المخابرات . والذين يظلون في اسرائيل منهم من يخدم المصالح الامبريالية والصهيونية ومنهم من يكتشف تدريجيا طبيعة الدولة الصهيونية كدولة عنصرية استعمارية ويبدأون في المشاركة بالنضال في الاوساط الديمقراطية . انها قضية معقدة كما ترون ولكنها ليست ضخمة الى الحد الذي تحاول الاجهزة الدعائية الامبريالية والصهيونية تهويله وتضخيمه والتي تحاول ان تؤكد ان كل اليهود السوفييت يمكن أن يهاجروا الى اسرائيل . **هناك اعداد كبيرة جدا لا تريد الهجرة وهناك عدد كبير من الذين ذهبوا يريدون العودة .**

وفي نهاية النقاش شكر الوفد الفلسطيني الرفاق السوفييت على هذه المعلومات وقال : « من جانبنا نحن فان خطنا الاعلامي حريص على تعزيز مكانة الاتحاد السوفيتي عند الجماهير العربية ولكن كما قلنا فان القضية بالنسبة لنا شائكة **وان شعبنا ينظر الى قضية الهجرة من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل بقلق شديد ويعتقد انها لا بد ان تتوقف ذلك ان استمرار هذه الهجرة قد يصيب العلاقات العربية والفلسطينية السوفياتية ويؤثر عليها كثيرا.** وعلينا ان نتحاور باستمرار حول هذه القضية » .

* * *

وكان اللقاء الاخير مع لجنة منظمات الشبيبة السوفييتية « الكومسمول » في الساعة ١١ من صباح يوم ١٩٧٢/١١/٩ . مثل اللجنة الرفيق غالنتين لازودكيت رئيس لجنة الاعلام والصحافة في لجنة المنظمات .

بدأ الوفد الفلسطيني الحوار كما يلي : لا بد في البداية من التأكيد على أهمية دور منظمات الشبيبة سواء أداخل الاتحاد السوفييتي ام في العالم من خلال المؤتمرات التي تلعب دورا بارزا في فضح الامبريالية والصهيونية والرجعية والتي تناضل لتلاحم شبيبة العالم ولقائها من حول مجابهة الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وعلى الصعيد الاعلامي وهو ما سنقتصر حديثنا عليه فنحن لنا اهداف واحدة وعلى هذا الاساس لا بد من تنسيق جهودنا الاعلامية . فهناك جوانب لا نستطيع وحدنا ان نغطيها وهناك جوانب لا يستطيعون وحدهم تغطيتها ايضا ..

وبالنسبة لنا نحن فاننا نقوم بجهد متكامل لنخاطب الرأي العام الفلسطيني ثم العربي ثم العالمي ليس هناك تخصص **انتم تخاطبون الشبيبة في العالم** أما نحن فنخاطب العالم في كل مكان .

وفي الحقيقة فهناك صعوبات كثيرة تقف في طريقنا اهمها سيطرة الامبريالية والصهيونية على معظم أجهزة الدعاية والاعلام في امريكا واوروبا .

لذلك نحن نعتقد ان قيام الشبيبة في الاتحاد السوفييتي وفي البلدان الاخرى بجهد في فضح الامبريالية والصهيونية وخاصة في اوروبا وامريكا سيساعدنا كثيرا .. ومن ناحية ثانية ان لدينا كوادر اعلامية شابة كثيرة لديها الكفاءة والنشاط والفعالية ولكن تنقصها الخبرة واذا ما تبادلنا الخبرة فانا نكون قد افدنا كثيرا في نضالنا المشترك ضد الامبريالية والصهيونية .

ورد الوفد السوفييتي في الكمسمول قائلا : اننا سعيدون جدا اذ نسمع هذا الحديث الموضوعي والتطبيقي فهناك اشياء لا بد من التنسيق المشترك بشأنها . وهناك امكانية للمناقشة في الاساليب التفصيلية للتعاون .

ولكي تتضح امكانية التعاون ويتحدد افق هذا التعاون فلا بد ان نشير الى انه خلافا للنشاطات السوفييتية التي نقوم بها فاننا نقوم بالدعاية لنضالات اصدقائنا في العالم فنقوم باصدار النشرات التي نكتب فيها عن قضايا النضال الفلسطيني والعربي الذي يقوده اصدقاؤنا . ونتصدى للدعاية الامبريالية والصهيونية من حيث نقوم بتحليل هذه الاساليب وفضحها والرد عليها .

وان امكاناتنا الحقيقية لنقوم بالاعلام على النطاق الدولي تتمثل باختصار بما يلي : نحن نقوم باصدار جريدة خاصة اسمها « الشبيبة » وذلك بالاشتراك مع جريدة ابناء موسكو في مختلف انحاء امريكا واوروبا وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية حيث نهتم باخبار العالم . كما ان هناك تحليلات ودراسات تنشر بصورة واسعة وتتناول نضالات الشعوب العربية العادلة ضد الامبريالية والصهيونية . وكذلك فاننا بالتعاون مع وكالة انباء نوفوستي نقوم باصدار الجريدة السوفييتية المعروفة جيدا في البلدان العربية باسم « الشبيبة السوفييتية » والتي تصدر ايضا باللغات الشرقية النادرة كلغات هندستان وبعض اللغات الافريقية . ونقوم باصدار الملحق الاخباري الشهري لنشاطات منظمات الشبيبة في مختلف انحاء العالم . ويشترك في هذا الملحق افضل الصحفيين السوفييت بمن فيهم الصحفيون الشباب . هذا الملحق يعطي لنا امكانية القيام بالدعاية المضادة بالنسبة لاهم المشاكل العالمية .

واحد الامثلة فان عدد شباط (فبراير) من الملحق سوف يكون مكرسا للنضال ضد الصهيونية .

وان من أهم اهدافنا في المرحلة المقبلة هو تحضير الشبيبة العالمية للتضامن مع الشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطيني . اننا نحضر لمهرجان برلين في شهر تموز لعام ١٩٧٣ وفي نطاق هذا التحضير نقوم بتنشيط الاعلام للتضامن مع نضال الشعوب العربية . ونحاول ان نعطي لهذا المهرجان مظهر تضامن شعوب العالم مع الشعوب العربية. **اننا نؤكد لكم ان نشاطنا الصحفي والاعلامي لدعمكم هو جزء من نضالنا ضد الامبريالية ومساندة حركة تحرر الشعوب** واننا نؤكد لكم اننا مصممون على توثيق الصلات بكم والتعاون معكم .

***

هذه كانت أهم جلسات العمل والحوار التي دارت بين الوفد الاعلامي الصحفي الفلسطيني وبين الوفود الاعلامية والصحفية المختلفة اثناء زيارة الوفد لموسكو .. ويبقى ان نشير الى ان حوارات اخرى مهمة قد دارت في مقر رئاسة لجنة التضامن الافرو آسيوي وفي اذاعة موسكو ووكالة تاس ووكالة نوفوستي واذاعة انباء موسكو ولكن الحوار ظل ضمن المعاني الاساسية للحوار الذي دار في كل من اتحاد الصحفيين السوفييت وصحيفة البرافدا واتحاد الشبيبة السوفييتية « الكمسمول » بحيث ان تسجيل الحوار سيكون في معظمه تكرارا لما قيل او طرح ...

زياد عبد الفتاح
(عضو الوفد الاعلامي لـ م.ت.ف. الذي شارك في المناقشات)

ثمـــهريات

(١) المقـــاومة الفلســـطينية

الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني

انعقد المجلس الوطني الفلسطينـــي في دورتـــه الحادية عشرة، مساء يوم السادس من كانون الثاني في مقر الجامعة العربية بالقاهرة ، وأنهى أعماله صباح يوم ١٢ ك ٢ ، وهو بذلك يكون أطول مجلس وطني من حيث الايام التي استغرقها . وقد كانت هذه الدورة دورة عادية ، ولكنها كانت في الوقت نفســـه تنفيـــذا لقـــرار المجلـــس الوطنـــي (التاسع الاستثنائي) الذي انعقد في نيســـان ١٩٧٢ ، مع المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، للرد على مشروع الملك حسين الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة . في ذلك المؤتمر تقرر ما يلي :

١ ـــ مشروع للوحدة الوطنية يتضمن برنامجـــا سياسيا وتنظيميا اوصى به المؤتمر الشعبي واحاله المجلس الوطني الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير للبت به نهائيا .

٢ ـــ قرار بزيادة عدد اعضاء المجلس الوطنـــي (بنسبة لم تحدد) ، على أن توزع هذه الزيادة بالمناصفة بين الاتحادات الشعبية ، والكفـــاءات من المستقلين .

٣ ـــ قرار بعقد المجلس الوطني الحاديعشر في مدة أقصاها ثلاثة أشهر (امتدت الى تسعة أشهر) تكون اثناءها قرارات الوحدة الوطنية قد طبقت .

٤ ـــ قرار بانشاء لجنة للمتابعة تراقب تنفيـــذ عملية التوحيد .

وعلى اساس هذه القرارات كان مفروضا بالدورة الحادية عشرة هذه أن تكون امتدادا لاعمال الدورة العاشرة الاستثنائية ، وسنحـــاول من خـــلال استعراض القضايا الاساسية التي اثيرت في الدورة الحادية عشرة ان نستكشف الى أي مدى كانت هذه الدورة بالفعل امتدادا للدورة السابقة وتنفيـــذا لقراراتها .

العضوية :

عرضت اللجنة التنفيذية على المجلس اقتراحاتهـــا بشأن زيادة العضوية فأقرت بمجموعهـــا دون اعتراض ، ولم يكن في هذه العضوية ما يلفت النظر الا اسم السيد فؤاد نصار ، الامين العام للحزب الشيوعي الاردني . وبهذه الزيادة الجديدة بلغ عدد أعضاء المجلس الوطني ١٨٠ عضوا . ومع ان توصيات العضوية الجديدة قد أقرت بســـرعة وهدوء ، الا اننا نستطيع ان نسجل بصددها بعض الملاحظات ، أبرزها نقاش حاد دار بين الاتحادات واللجنة التنفيذية ، حول حق الاتحادات في تعيـــين ممثليها للمجلس ، اثار هذه المسألة الاتحاد العام لطلاب فلسطين ، اذ كان قد تقدم باسم ممثل له (الطالب خضر شحاده) ، ولم تعرض اللجنـــة التنفيذية اسمه في قائمتها المقترحة . ويبدو ان اللجنة التنفيذية لم توافـــق على ترشيحه لانـــه معتقل في مصر بتهمة انشاء تنظيم حزبي في اوساط الطلاب. وحين عرضت المسألة على المجلس الوطني صوت الى جانب ضم الطالب المذكور بأغلبية ٦٢ صوتا ضد ٣٣ ، مكرسا بذلك حق الاتحادات بتعيين مندوبيها دون تدخل من اي جهة . وقد كان لهذا التصويت مغزى سياسي واضح تجـــاه الاحداث الطالبية في مصر . كذلك لوحظ في موضوع العضوية غياب كامل اعضاء المجلس الوطني المقيمين فـــي الاردن ، بعد ان منعتهم السلطات الاردنية مـــن المغادرة . أما المنظمات الفدائية ، فقد لوحـــظ ان نسبة التبديل في أسماء اعضائها للمجلس ، كانت أعلى من أي مجلس سابق .

تقارير المجلس :

عرضت امام المجلس للمناقشة ثلاثة تقارير أساسية : تقرير لجنة المتابعة ، تقرير اللجنة التنفيذية ، والتقرير الذي قدمه الصندوق القومي . تقرير لجنة المتابعة قدم الى المجلس باسم رئيس اللجنة ، ولم يقدم باسم اللجنة ككل . وقد تقرر ذلك في اجتماع لجنة المتابعة الاخير الذي عقد في القاهرة مساء ٤ ك ٢ دون نصاب . اذ ضم ٩ اعضاء فقط من أصل ٢٢ عضوا . وقد رفض الاعضاء التسعة هذا التقرير بالاجماع لانه يقتصر على ذكر وقائع جلسات لجنة المتابعة ، دون أن يقدم عرضا لوجهات نظر المنظمات الفدائية بصدد قضية الوحدة الوطنية بحيث يكون المجلس الوطني قادرا على ادراك طبيعة الجوار الذي دار ، وتحديد نقاط الاختلاف وتقييمها . ودون ان يقدم تقييما لاجهزة الوحدة الوطنية التي تم انشاؤها في المرحلة السابقة بين المجلسين ، وتحديد ما اذا كانت هذه الاجهزة ، مثل جهاز الاعلام المركزي ، تفي بالغرض المطلوب منها أم لا . وكذلك لخلو التقرير من أي توصيات يسترشد بها المجلس في مناقشة قضية الوحدة الوطنية . ولما كان الوقت لا يسمح بكتابة تقرير جديد يتضمن النقاط المشار اليها ، فقد ارتأى السيد خالد الفاهوم ان يقدم التقرير للمجلس كما هو ، وبصفته رئيسا للجنة المتابعة ، واضاف الى التقرير بندا يوضح ذلك . ويمكن القول بناء على هذه النتيجة ان لجنة المتابعة قد فشلت في مهمتها . فشلت اثناء ادائها لمهمتها ، لانها لم تكن تملك صلاحيات واضحة تتيح لها الضغط على المنظمات الفدائية ، فاقتصر دورها على السؤال والمراقبة . وفشلت بعد انتهاء مهمتها حين لم تستطع ان تقدم الى المجلس تقريرا تحليليا ، يساعد في تحديد نقاط الاختلاف التي عرقلت تنفيذ قرارات الوحدة الوطنية ، ليحاول البحث فيها او التصدي لحلها على اساس مقترحات التقرير .

أما تقرير اللجنة التنفيذية فقد تضمن ثلاثة بنود : تدم البند الاول عرضا سياسيا للظروف المحيطة بالعمل الفلسطيني . وعرض البند الثاني تقرير لجنة الوحدة الوطنية ، التي كانت قد شكلت من منظمات اللجنة التنفيذية ، للبحث في صيغ الوحدة الوطنية الممكنة على التجربة بين المجلسين . واعتبر ما أمكن التوصل اليه في هذا البند بديلا للجزء التنظيمي من برنامج الوحدة الوطنية الذي اوصى به المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الاستثنائي التاسع . أما البند الثالث في تقرير اللجنة التنفيذية فكان عبارة عن البرنامج السياسي الذي اوصى به المؤتمر الشعبي ، بعد أن ادخلت عليه اللجنة التنفيذية تعديلات طفيفة . وحسب هذه التقارير التي عرضتها اللجنة التنفيذية ، يكون هناك اتفاق كامل بين المنظمات الفدائية على البرنامج السياسي ، مع اتفاق على صيغة تنظيمية للعمل تعبر عن الصورة الواقعية التي أمكن للمنظمات ان تتفق عليها .

والتقرير الثالث الذي عرض على المجلس كان تقرير الصندوق القومي الذي أشار الى أن اوضاع الصندوق القومي ازدادت سوءا ، مما جعل الصندوق ـ للمرة الاولى في تاريخه ـ يسجل عجزا اضافيا بين الايرادات والصرفيات . كما أشار التقرير الى ان جميع الحكومات العربية بلا استثناء قد توقفت « عن تسديد أرصدة التزاماتها في ميزانية منظمة التحرير الفلسطينية ، وتخلفت جميعها عن الوفاء برصيد مساهماتها في نفقات ادامة جيش التحرير الفلسطيني ، بل ان بعض هذه الحكومات ما يزال مدينا بكامل التزاماته ومساهماته منذ السنة الاولى لقيام منظمة التحرير الفلسطينية حتى الان » .

المناقشات العامة :

كانت قضية جيش التحرير الفلسطيني أبرز القضايا التي نوقشت في الجلسات العامة . وكان لهذا النقاش دافعان : الدافع الاول توتر العلاقات بين فتح والجيش قبل انعقاد المجلس ، نتيجة لتصرفات غير انضباطية حسب ما ورد في تقرير لجنة الوحدة الوطنية . والدافع الثاني موقف سياسي لجيش التحرير نشر في كراس خاص . ويدعو هذا التقرير الى اندماج كافة الفصائل الفدائية في مؤسسات جيش التحرير الفلسطيني (الجيش كقوة نظامية ، وقوات التحرير الشعبية كقوة فدائية ، وقوات المقاومة الشعبية كقوة ميليشيا) بغض النظر عن الاتجاهات الفكرية والسياسية لهذه الفصائل . وعلى اساس هذين الدافعين نوقشت قضية الجيش من الزوايا التالية :

الزاوية الاولى : موضوع الانضباط والتسريحات والتجاوزات المسلكية . والزاوية الثانية : سعي الجيش من خلال ما يعلن عنه الكراس المشار اليه الى ان يصبح تنظيما سياسيا ، يكون بمثابة البديل

للعمل الفدائي الفلسطيني ككل . والزاوية الثالثة: مواقف جيش التحرير المقيم في الاردن من النظام الاردني ، عبر بعض المواقف والتصريحات التي تتناقض مع سياسة منظمة التحرير الفلسطينية . وقد كان بعض قادة فتح من أبرز الذين اداروا النقاش حول موضوع الجيش . وامتد هذا النقاش حتى بدا في بعض اللحظات ان الجو المتوتر الذي رافقه ينذر بانفجار . ولكن هذا الانفجار المتوقع لم يحدث ، وعادت الامور الى مجراها الطبيعي نتيجة موقفين . الموقف الاول موقف الاخ ابو عمار الذي أوضح بعض الاشكالات المحيطة بالجيش ، وبسبب بقاء جزء من قواته في الاردن ، فامتص بذلك عنف الجو المتوتر الذي احاط بنقاش الموضوع . والموقف الثاني موقف العميد مصباح البديري الذي رد على كافة القضايا المثارة بهدوء موضحا النقاط التالية : ١ ــ وجود بعض المخالفات المسلكية . واستعداد قيادة الجيش للبحث بها وتحديدها وحلها . (وقد شكلت بالفعل لجنة بحثت موضوع الجيش وقدمت للمجلس تقريرا يحدد ما له وما عليه) . ٢ ــ ان قيادة الجيش استدعت العقيد نهاد نسيبه من الاردن ، وبحثت معه في شأن تصريحاته الصحفية ، وأرسلت للجريدة التي نشرت الخبر تكذيبا للتصريحات لم تنشره الجريدة المعنية. ٣ ــ ان ما طرحه الجيش من آراء في الكراس الذي أصدره مجرد اجتهاد ، يخضع تنفيذه للجنة التنفيذية ، وهي التي تقبله او ترفضه . ٤ ــ ان علاقات الجيش مع الانظمة العربية تتم حسب اتفاقات عقدتها منظمة التحرير . وتغيير هذه العلاقات يجب ان يسبقه اولا تغيير للاتفاقات المعقودة .

وأمام هذين الموقفين ، موقف الاخ ابو عمار ، وموقف العميد البديري ، انحسر جو التوتر الذي ساد مناقشة موضوع الجيش ، وسيطر جو الهدوء من جديد .

وفي اطار المناقشة العامة برزت كلمتان يمكن اعتبارهما من أهم الكلمات التي قيلت في المجلس الوطني . الكلمة الاولى القاها الاخ خالد الحسن، والكلمة الثانية القاها الاخ ابو عمار . وفي هاتين الكلمتين جرى تحديد الموقف من العديد من القضايا السياسية .

أبرز الاخ خالد الحسن في كلمته عدم تطرق المجلس الى مناقشة قضايا سياسية مهمة تواجه العمل الفلسطيني ، وانشغاله بمناقشة قضايا جزئية . ثم قدم عرضا للسياسة الامبريالية وانعكاساتها على المنطقة العربية ، وتأثيراتها من ثم على العمل الفلسطيني ، وضرورة ان يتركز نقاش المجلس على هذا المخطط الاستعماري ، لوضع الخطط القادرة على مواجهته ، والحفاظ على ارادة القتال التي تمثلها الثورة الفلسطينية ، حتى يكون المجلس في مستوى المهمة التي يتصدى لها .

اما الاخ ابو عمار فقد أبرز في كلمته المصاعب التي واجهت الثورة الفلسطينية في السنتين الماضيتين، وقدرة الثورة الفلسطينية على الاستمرار والصمود رغم كل هذه المصاعب ، ورغم كل حملات التشكيك التي حاولت النيل منها . ثم أشار الى ضخامة المخطط الامبريالي ، والى اهمية الصمود في وجهه من خلال ارادة القتال . واستشهد بنماذج من ارادة الصمود التي يمارسها جنود مجهولون للثورة الفلسطينية في أكثر من مكان . وعلى أثر هاتين الكلمتين ساد انطباع في المجلس بوجود وجهتي نظر داخل اللجنة التنفيذية ، ولكن الاخ ابو عمار أصر على أن ينفي ذلك علنا ، مؤكدا ان الموضوع لا يخرج عن نطاق تبادل الاراء الذي يتم لدى مناقشة اي مسألة ، ثم يلتزم الجميع في النهاية بالقرار الذي يتخذ .

توصيات اللجان :

انبثقت عن المجلس الوطني ثلاث لجان . لجنة التنظيم الشعبي، ولجنة الخطة، واللجنة المالية. وعقدت هذه اللجان اجتماعاتها خلال يومين ، ثم قدمت توصياتها الى المجلس . ناقش المجلس توصيات لجنة التنظيم الشعبي بكثير من الانتقاد . لان اغلبها كان تسجيلا لجملة من البديهيات المتفق عليها ، ولم يتطرق للمشكلات الاساسية للتنظيمات الشعبية ، ولم يعرضها بشكل واف ، وخاصة ما يتعلق منها بتحديد هوية التنظيمات الشعبية وبنيتها النقابية ، وبدور التنظيمات الشعبية في العمل داخل الاراضي المحتلة ، ثم دور هذه المنظمات في ترسيخ عملية الوحدة الوطنية .

اما لجنة الخطة فقد حظيت بانتباه أكبر ، وسجلت جملة من القرارات العملية ، الملتقية مع خطوط البرنامج السياسي الذي أقر باجماع التنظيمات ، على أن تكون هذه القرارات بمثابة خطة عمل تعكف اللجنة التنفيذية على تنفيذها بين المجلسين ، وقد

ركزت هذه الخطة بشكل خاص على المهمات المطلوبة على الصعيد العسكري والجماهيري داخل الاراضي المحتلة ، وكذلك على المهمات المطلوبة لتنمية النضالات الوطنية الاردنية ، مؤكدة الخطوات العملية اللازمة لتنمية التحالفات مع القوى الوطنية العربية ، والقوى التقدمية العالمية .

ثم أقر المجلس الجزء الاكبر من اقتراحات اللجنة المالية ، التي اقترحت ميزانية جديدة لمنظمة التحرير ، بعد أن بقيت المنظمة تعمل لفترة طويلة على أساس الميزانية التي اقرت للعام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ . واستجابت هذه الميزانية لبعض التطورات التي طرأت على وضع منظمة التحرير ، وعلى وضع الاجهزة الموحدة بداخلها .

انتخاب اللجنة التنفيذية :

سبق انعقاد المجلس الوطني نشر الكثير من الانباء الصحفية التي تتحدث عن وجود خلافات داخل حركة فتح . وقد انطلقت هذه الانباء من القرار الذي اتخذته حركة فتح بتبديل عضوين من أعضائها في اللجنة التنفيذية ، هما خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية ، وفاروق القدومي رئيس دائرة التنظيم الشعبي . ولكن اوساط فتح القيادية كانت حريصة على ان تؤكد باستمرار ان الهدف من هذا التبديل هو الالتزام بقرار لقيادة فتح بأن يتفرغ اكبر عدد من أعضائها الاول للعمل داخل الحركة من أجل تمتين الوضع التنظيمي ، لمواجهة مهمات المرحلة المقبلة . ولكن يبدو ان هذا الجو الذي ساد دفع حركة فتح لأن تستمر في قرارها بتفرغ عضوين من أعضائها داخل اللجنة التنفيذية للعمل التنظيمي داخل الحركة ، دون ان تستبدلهما بعضوين جديدين . وقد صادف ان هذا التوجه يلقى قبولا لدى بعض المنظمات التي كانت تطالب بصيغة للجنة التنفيذية قريبة من الصيغة الجبهوية . وقد نوقشت هذه الصيغة في كواليس المجلس مطولا ، بين داع للبقاء على الصيغة القديمة ، وبين مؤيد للصيغة الجديدة لما تنطوي عليه من مغزى سياسي يساعد على تطوير مسألة الوحدة الوطنية . وفي النهاية أمكن الاتفاق على صيغة للجنة التنفيذية ، يغلب عليها طابع ممثل واحد لكل تنظيم . وبذلك تشكلت اللجنة التنفيذية من عشرة أعضاء على الشكل التالي : الاخ ابو عمار الذي انتخب بالاجماع رئيسا للجنة التنفيذية وقائدا عاما . الدكتور يوسف صايغ الذي انتخب بالتزكية رئيسا للصندوق القومي . الاخوة (محمد يوسف النجار — أديب عبد ربه — أحمد اليماني — عبد الوهاب الكيالي — زهير محسن) ممثلون للمنظمات الخمسة في اللجنة التنفيذية ، على اساس ممثل واحد لكل تنظيم . الاخوة (حامد ابو ستة — كمال ناصر — محمد زهدي النشاشيبي) ويمثلون المستقلين .

واضافة الى ذلك قرر المجلس العودة الى صيغة اللجنة المركزية ، على أن تشكل من أعضاء اللجنة التنفيذية ، ومن ٩ — ١٢ عضوا من المنظمات الشعبية والكفاءات المستقلة . وتكون مهمتها مساعدة اللجنة التنفيذية في القضايا الطارئة بين دورتي المجلس .

بلال الحسن

ملاحظات عامة حول المجلس الوطني الفلسطيني
في دورته الحادية عشرة في القاهرة ١/٦ ــ ١٩٧٣/١/١٢

ان أي تقييم لحدث من الاحداث أو اجتماع أو لقاء لا يرتكز على صورة التوقعات السابقة له ، يفقد قيمته الموضوعية . واذا لم تكن التوقعات التي تسبق الحدث أو اللقاء أو المؤتمر منسجمة مع واقع الامور ومع الحقائق العلمية تفقد صلاحياتها كمقياس للحكم على النتائج ، فهي اما تكون مغرقة بالتفاؤل أو تكون أقل مما تفرضه ظروف الامر الواقع ، وفي كلتا الحالتين لا تصلح كمقياس دقيق عند محاكمة النتائج . في العمل الفلسطيني ، يجوز للتوقعات ان تطمح قليلا أكثر من حدودها ، نظرا للوضع الخطير الذي تجتازه الان القضية الفلسطينية ، ولكن لا يجوز بأي حال ان تقفز التوقعات بعيدا عن الواقع أيضا للسبب ذاته . من هنا يمكن القول ان من توقع للمجلس الوطني الفلسطيني الاخير ان يخرج بخطة متكاملة علمية ودقيقة للتحرير ، يكون قد اغرق بتفاؤل غير موضوعي ، لا يمكن ان نعتمده حين النظر الى النتائج . بشكل عام وعلى اساس قراءة دقيقة لمسيرة التطورات في القضية الفلسطينية وحولها ، كانت هناك جملة من الامور قد تصبح ، من حيث ضرورة تحقيقها او من ناحية أهمية عدم حدوثها ، مقياسا حقيقيا للحكم على نتائج المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقدت دورته الحادية عشرة في القاهرة بين ١/٦ ــ ١٩٧٣/١/١٢ : ١ ــ الارتفاع الفلسطيني الى درجة الرؤيا الواعية لحقيقة الاخطار المحدقة بالثورة الفلسطينية ، دوليا وعربيا وفلسطينيا ، ٢ ــ الارتفاع ثوريا الى مستوى التأكيد النهائي على رفض كافة مشاريع التسويات والصلح ، والتشبث الكامل بالكفاح المسلح في حرب شعبية طويلة المدى من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني وتصعيد القتال في هذا المنحى ، ٣ ــ عدم الغرق في المهاترات والمزايدات وتسجيل المواقف غير المجدية فيما بين فصائل حركة المقاومة ، ٤ ــ التنبه الثوري لاوضاع شعبنا داخل الاراضي المحتلة الذي يعيش ، وجها لوجه ، ارهابا وترغيبا ، محاولات العدو نحر رأس القضية الفلسطينية ، بالتهويد والتعايش بالمشاريع والاغراءات وبحفر « الحقائق الجديدة » يوما بعد يوم، ٥ ــ حل مسألة الوحدة الوطنية الفلسطينية، اما بتحقيقها عمليا أو بادراك أسلوب جديد ، بعد التجربة المريرة ، لمقاربتها ، ٦ ــ تحريك جمود الوضع فيما يتعلق بالساحة الاردنية ، أي عدم الاكتفاء بالتأكيد النظري على أساسية الساحة الاردنية للنضال الفلسطيني ، ٧ ــ اعادة النظر في علاقات المقاومة عربيا ، وضرورة ارسائها على أسس عملية واقعية واعية ، ٨ ــ الاطلال الجدي على وضع المقاومة في لبنان ، ووضع خطة عمل منسجمة مع الاوضاع القائمة واهداف المقاومة المرحلية ، ٩ ــ حل مشكلة جيش التحرير الفلسطيني ، تلك المشكلة التي ظلت تجر نفسها على امتداد مرحلة طويلة دون التوصل الى حسم ما في صددها .

قد تكون هذه العناوين ملخصا أمينا لصورة التوقعات من المجلس الوطني أو أي لقاء فلسطيني في هذه المرحلة ، من جانب جماهير الشعب الفلسطيني والعربي المرتبطة بالمقاومة والعاملة معها والملتفة حولها ، التي ما زالت تراهن عليها وعلى قدرتها في مجابهة الظروف الصعبة التي تمر بها . وحتى تكتمل الصورة ، فلا بد من ذكر جملة توقعات من قبل اعداء الثورة والمشككين بها والشامتين بوضعها والمتطلعين في اتجاهات مغايرة لها ، المستسلمين ، قصيري النفس . يمكن تلخيص هذا النوع من التوقعات على الشكل التالي : ان تنخبط حركة المقاومة في خلافات فصائلها ، أن يبرز منحى فكري بين صفوفها يفلسف الاستسلام متذرعا « بالواقعية » ، ان يشكك البعض داخل صفوف المقاومة بالكفاح المسلح ، ان يجري البحث في فوائد « الدولة الفلسطينية » وان يحدث الانقسام الفلسطيني ، ان يتكرس اليأس امام ضخامة الهجمة الامبريالية والمؤامرات والمشاريع المطروحة، أو أن تزيد التداخلات العربية حدة التفسخ الفلسطيني ، والى ما هنالك من احتمالات في هذا الاتجاه .

على ضوء هذه الصورة ذات الوجهين من التوقعات يمكننا ابداء بعض الملاحظات حول ما جرى في المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الحادية عشرة:

١ ــ وقف المجلس الوطني الفلسطيني بقوة ووضوح أمام الموقف الدولي محللا مخاطره واتجاه حركته ،

وأمام أوضاع العدو الاسرائيلي وطبيعة توجهاته ، مؤكدا على خط الثورة والكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة المدى طريقا لا بديل له من اجل تحقيق النصر ، رافضا الحلول المطروحة جملة وتفصيلا ، مشيرا بعد تحليل شامل لحركة الامبريالية الى انه رغم كافة ما تظهره من قوة وهيمنة ، الا انها تصاب بالهزائم واحدة بعد الاخرى ، وان سمة هذا العصر انما هي انتصار الشعوب وانحدار الامبريالية اذا عرفت الثورات خوض نضالها بقوة وثبات وحزم وذكاء وحذر . كما انه برغم تصلب العدو الاسرائيلي وجرائمه وارهابه ومؤامراته فان الثورة الفلسطينية تدخل عامها التاسع مسجلة استمرارها المضطرد برغم مرحلة الانحسار التي تعيشها الان .

٢ — أكد المجلس الوطني ، دون أية خلافات ، أن الساحة الاردنية تمثل المنطلق الطبيعي للثورة الفلسطينية ، وعلى هذا الاساس لا بد من العمل الدائب من اجل الاطاحة بالنظام الملكي القائم في الاردن ، عبر اقامة الجبهة الوطنية الاردنية — الفلسطينية وتدعيمها ، وتدعيم نضال الجماهير في الاردن تنظيما وعسكريا واجتماعيا وسياسيا في اتجاه هذا الهدف ، واكد المجلس انه لا مجال للتفاوض أو التصالح أو الاتفاق مع النظام القائم .

٣ — تمت في المجلس الوطني وقفة مسؤولة أمام أوضاع شعبنا في داخل المناطق المحتلة ، وتناولت المناقشات كيفية دعم صمود شعبنا هناك وكيفية فتح الحوار الثوري معه في اتجاه اقامة التحالفات الصلبة مع القوى الرافضة للاحتلال والعمل معها على أساس برنامج وطني ، وجر القوى اللامبالية الى مواقع الثورة ، وشن الحرب على القوى المتعاونة مع العدو والمستسلمة له ولمخططاته . وقد اتخذت في المجلس المقررات الكفيلة بتحقيق وتنفيذ هذه القناعات .

٤ — استعرض المجلس اوضاع حركة المقاومة في لبنان مؤكدا على اهمية تجنب الصدام مع السلطة في حدود تتيح للمقاومة حرية الحركة في مختلف مجالات العمل ، كما جرى تأكيد على ضرورة دعم نضال الجماهير في الجنوب واقامة اقوى الصلات معها ، وتحصين المخيمات وتمتين العمل السياسي الواعي فيها . وقد اتخذت قرارات عديدة في هذا الصدد .

٥ — اما على الصعيد العربي ، فقد أكد المجلس على ان علاقات المقاومة تسير عبر حقل ألغام خطير بسبب الحالة الصعبة التي تجتازها الانظمة العربية ، وقد تم الاتفاق على ضرورة قيام المقاومة بتحرك عربي مؤداه التبيان للانظمة العربية انه لا بد من القتال والاستعداد له من اجل الخروج من المأزق الصعب ، وانه لا جدوى من السير في اتجاه الحلول الجزئية وغير الجزئية ، لان هذا الاتجاه لن يوصل الا الى مزيد من التراجعات والتنازلات . في هذا الصدد تم التحذير من حركة الدول العربية الرجعية التي تخدم في النهاية مصالح الامبريالية ومحاورها التي تعمل على اقامتها على امتداد المنطقة . وثبت المؤتمر قناعة المقاومة ان العمود الفقري للعمل العربي انما يقوم على التحالف مع القوى الوطنية التقدمية العربية في اطار الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية التي انبثقت عن المؤتمر الشعبي العربي لمناصرة الثورة الفلسطينية الذي عقد في بيروت بتاريخ ١١/٢٧/ ١٩٧٢ . ومع أية قوى تقدمية يمكن استنهاضها . وقد أناط المجلس بالمقاومة والجبهة المشاركة مهمات واسعة للعمل المشترك في المجال العربي في اتجاه تنشيط الوضع وتصعيد التفاف حول المقاومة الفلسطينية وعملها واهدافها المرحلية والاستراتيجية .

٦ — تبلورت في المجلس الوطني الاخير قناعة ثابتة مؤداها عدم جدوى الاسلوب السابق في فهم ومقاربة الوحدة الوطنية الفلسطينية ، الاسلوب الذي كان ينشد هذه الوحدة عبر المشاريع الكبيرة الطموحة (الوحدة العسكرية الكاملة ، الوحدة المالية ، التوحيد الاعلامي الخ ..) وضرورة تحقيقها بعد ثلاثة او ستة اشهر على الاكثر ، وتبنى المجلس اسلوبا جديدا في النظر الى هذا الموضوع يقضي بالتفتيش على صيغ متواضعة وقابلة للتنفيذ للعمل المشترك ، يجري العمل على تنفيذها تدريجيا ، بحيث ترتقي في عملية الوصول الى الوحدة الوطنية على أساس تراكم انجازها خطوة خطوة يوما وراء يوم . وقد تمكن المجلس (في لجنة الخطة) من تثبيت عدة صيغ متواضعة يمكن ان تشترك القوى في العمل من خلالها ، وبشكل مباشر وسريع . وبهذا يكون المجلس الوطني الفلسطيني الاخير قد تمكن من الخروج من دوامة المشاريع الكبيرة الفوقية ومن أسر ضغوط المواسم ، ليتجه بالعمل الفلسطيني في منحى عملي واقعي نحو الوحدة الوطنية . وقد عبرت هذه القناعة عن

نفسها بتشكيل جبهوي حقيقي متماسك للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير .

٧ ـ حدثت في المجلس الوطني قفزة نوعية ، تبدو على درجة كبيرة من الاهمية من ناحية طبيعتها ، وهي رسوخ قناعة كافة القوى بضرورة تركيز مسيرة العمل الفلسطيني على الدراسات والابحاث العلمية وعلى التخطيط العلمي المستند اليها . وفي كافة مناقشات المجلس كان هناك تأكيد على دور مركزي الابحاث والتخطيط في هذا الصدد . ولم تكن صدفة ان يجري التأكيد (بقرار) في بداية مشروع لجنة الخطة . ان التوصيات الواردة في المشروع انما تمثل عناصر خطة ، تضعها اللجنة التنفيذية أمام مركزي الابحاث والتخطيط للتوغل بحثا ودراسة فيها ثم استخلاص الخطة المناسبة على اساس ذلك . ولم تشهد جلسات المجلس اية اختلافات حول هذا المنحى بالتفكير .

٨ ـ برزت في المجلس ضخامة وجدية الازمة المالية التي تعانيها المنظمة .

٩ ـ لا بد من تسجيل ملاحظة أخيرة ذات طابع سلبي ، وهي استمرار هيمنة جو من المرارة وعدم الايمان بالمطلق بجدوى المناقشات لدى العديد من أعضاء المجلس وخاصة في الايام الاولى ، وعدم الايمان بقدرة العمل الفلسطيني على تخطي أزمته. بالطبع ، ان هذا الامر ناتج عن طبيعة المرحلة التي يمر بها النضال الفلسطيني وعن تجربة المؤتمرات السابقة ومصير قراراتها . الا ان هذا الجو قد ابتدأ بالتغير تدريجيا مع بلوغ المناقشات مستوى معينا من الجدية .

لا شك ان هذه الملاحظات تبقى دون اساس قبل دراسة تحليلية معمقة لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الحادية عشرة الامر الذي لا بد من القيام به في فترة قريبة لاحقة . ولا شك أيضا ان صلابة وجدية القرارات تظل مرهونة بالقدرة على تنفيذها والالتزام بها . ان صيغة تشكيل القيادة السياسية الجديدة تشير الى احتمالات مهمة وشديدة الواقعية من زاوية القدرة على التنفيذ والالتزام . ان عملية مقارنة سريعة بين التوقعات والنتائج ، تظهر ان المجلس الوطني الاخير قد خطا خطوة جادة الى الامام على طريق العمل الفلسطيني الطويل والشاق .

س. ح.

عدد محدود جدا من كتاب

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة ايلول

اطلبه من مركز الابحاث ـ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ـ بيروت

سعر النسخة ٥ ليرات لبنانية
تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق. ل. في العالم العربي
٢٥٠ ق. ل. في أوروبا ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر الدول .

استمرت دولة الاحتلال في حربها ضد سوريه ، ولقد صعّدت الحرب الى درجة لم تبلغها من قبل . فلماذا حدث ذلك ؟ وما هي اهدافه ؟ والى أين يرمي ؟

لقد حدث ذلك لان دولة الاحتلال ترمي الى جني ثمار حرب حزيران . وجني ثمار حرب حزيران يعني : الاستسلام العربي وفرض الامر الواقع الذي تريده دولة الاحتلال . ذلك ان حرب حزيران لم تات لدولة الاحتلال الا بقسم من اهدافها . هذا القسم هو التوسع . أما القسم الثاني : الاستسلام السياسي فانه لم يأت بعد . ولن يأتي ما دامت المقاومة الفلسطينية موجودة ، وما دامت هناك دولة عربية مستعدة لرفض شروط الاستسلام المطروحة .

ولقد بدأت دولة الاحتلال الصهيوني مهمتها الثانية بعد حرب حزيران مباشرة . وعمدت في سبيل ذلك الى محاولة زرع القناعة في قلوب العرب بأن اية امكانية غير الاستسلام ليست واردة .

وعندما انطلقت المقاومة من جديد في أواخر آب ، بدأت قوات الاحتلال عملية المطاردة والسحق ، حتى لا تتسع المقاومة ، وحتى لا يحقق التوسع دون نصفه الآخر الاستسلام . ولكن المقاومة واصلت مسيرتها ، ومع مسيرتها بدأت عملية بناء القوات العسكرية في مصر وسوريه . وما لبثت حرب الاستنزاف ان بدأت على الجبهة المصرية . وكانت المقاومة تزداد عنفا وحرب الاستنزاف تزداد شراسة . وهنا ركزت قوات الاحتلال على ما يلي :

أ — وسعت عملية المطاردة والملاحقة ضد المقاومة في الداخل ، آملة أن تستطيع خنقها قبل أن تمتد وتشتد . ب — وسعت عملية المطاردة والسحق في الخارج عن طريق القصف المدفعي والجوي وعمليات الاغارة البرية والجوية . جـ — استهدفت السكان في مناطق القتال ، حتى جلا معظم سكان مدن القنال ، ومعظم سكان الاغوار في الاردن ، وذلك من اجل خلق مشاكل اقتصادية واجتماعية ودفع المواطنين الى التناقض مع المقاومة ومع انظمتهم . د — استهدفت تجمعات القوات المسلحة قبل ان تستكمل استعداداتها من أجل أن تضربها قبل استكمال عدتها ، ومن اجل أن تهزمها معنويا .

وبدأت الولايات المتحدة في مثل هذا الجو مساعيها من اجل « السلام » فجعلت هدفها الاول وقف اطلاق النار ، وأخذت تعمل على اقناع الاطراف العربية ، بأن وقف اطلاق النار هو الذي يتيح المجال للسلام ، وهو الذي يتيح للولايات المتحدة الفرصة لممارسة « ضغطها » في هذا السبيل . وتحرك روجرز ومساعدوه ، وراحوا يتصلون ويتجولون في المنطقة . وخرج من وسط الضباب مشروع روجرز ، ووافقت مصر في تموز سنة ١٩٧٠ على مشروع روجرز ، وتم تنفيذ وقف اطلاق النار . وكان اطلاق النار المطلوب شاملا ، وعلى كل الجبهات ، وكان هذا يستلزم أن تضرب المقاومة ، حتى تسكت البنادق ، لا على جبهة السويس فحسب ، بل على كل الجبهات .

وتحرك هذه المرة النظام الاردني ، كما لم يتحرك من قبل ، في ظل المؤامرة الدولية ، لضرب ارادة القتال لدى الجماهير الفلسطينية ، وكان هذا التحرك يحقق للنظام الاردني غايتين : الاولى : التخلص من قوة داخلية مخيفة تهدد السلطة الاردنية وتحرمها من مبرر وجودها الدولي : دورها في حماية الاحتلال الصهيوني . الثانية : حرية التفاوض دوليا من اجل حل استسلامي للقضية الفلسطينية .

ولكن مؤامرة النظام الاردني لم تنجح في أيلول ، وظل الاردن ميدان صراع حتى تموز سنة ١٩٧١ . وكانت الارض المحتلة ما زالت تقاتل ، بينما كانت المقاومة ما زالت موجودة في لبنان وسوريه .

وبينما كان النظام الاردني يضرب آخر معاقل المقاومة في الاردن ، كانت دولة الاحتلال تنقل المعركة الى الجبهة اللبنانية . وكان الهدف من ذلك اغلاق جبهة لبنان أمام المقاومة . ولقد استخدمت قوات الاحتلال في لبنان الاسلوب الذي استخدمته في الاردن من قبل : قصف قواعد المقاومة ومهاجمتها ، ضرب السكان المدنيين ، ايقاع خسائر ما بين الفينة والاخرى في الجيش . وبدأت المشكلة في لبنان تتعقد ، حتى اضطرت المقاومة الى التوقف عن استخدام جنوب لبنان في عملياتها .

وهنا بدأت دولة الاحتلال معركتها الاخيرة في سوريه . ففي سوريه قواعد اساسية لحركة

المقاومة ، ويعرف العدو ان تصفية هذه القواعد ستقود الى تحول حاسم في المنطقة . ذلك ان اجبار سوريه على تصفية هذه القواعد لا يعني فقط ان مجموعة جديدة من قواعد المقاومة قد ضربت فقط ، بل يعني أيضا ان بلدا عربيا له وزنه المادي والمعنوي في الحياة العربية قد انزلق الى مواقع الاستسلام ، ولهذا أثره في الحياة الفلسطينية والعربية كلها .

بقيت سوريه اذن وحدها ، فيما عدا المقاومة ، ويريدون الان أن يخضعوها . وهناك مجموعة من العوامل التي تساعد العدو على تحقيق أهدافه . ومن هذه العوامل :

أ — ان العلاقات العربية استمرت في التدهور منذ حزيران . وعلى الرغم من قيام الاتحاد الثلاثي فان أوضاع العلاقات العربية تردت بدلا من أن تتحسن . ويذكرني هذا بحديث لاحد قادة دولة الاحتلال ، أطلقه بعد حرب حزيران ، وربما بعد مؤتمر الخرطوم ، قال فيه : لا تظنوا ان العرب سيظلون متحدين ، ان جبهتهم ستتفسخ في المستقبل ، ولا بد من ان نذكر هنا ان دولة الاحتلال والولايات المتحدة الاميركية كانتا تعملان ، بكل ما لديهما ، على اشاعة الفرقة وبذر بذور الشقاق .

ولقد عقد مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع في الكويت ، خلال نوفمبر الماضي ، ولكنه لم يسفر عن شيء . وتلاه مؤتمر رؤساء الاركان في ديسمبر ، ولم يسفر عن شيء أيضا . وما زالت الاوضاع العربية والعلاقات العربية ، تسير من سيىء الى أسوأ حسب ما تريد الدوائر الامبريالية والصهيونية وتشتهي .

ب — ان ارادة المقاومة العربية للاحتلال قد ضربت وما زالت تضرب من خلال ضرب المقاومة الفلسطينية ومحاصرتها ومن خلال اشاعة روح الاستسلام وادامة عوامل الهزيمة . ان هناك الكثير من العوامل التي تساهم في خلق مناخ الهزيمة . واذا كان ضرب المقاومة الفلسطينية واحدا منها ، فان استمرار التفكك عامل آخر لا يقل عنه اهمية . وهناك ايضا التراجعات المتلاحقة والهزائم المتكررة ، والخنوع المتواصل أمام السياسة العدوانية الاسرائيلية — الاميركية . وهكذا نجد أن الجماهير التي تريد ان تقاتل تضرب ارادة القتال لديها ، بدلا من أن تشحذ وتطور .

ج — ان الجماهير العربية ، بالاضافة الى ما سبق ، ما زالت تحس بأنها بعيدة عن المعركة ، وكأنما هي ليست معركتها . وما زالت قواها معطلة ، تتجاهلها السلطات الحاكمة ، فلا تعدها للقتال ، ولا تعدها للدفاع ، ولا تعد لها وسائل الحماية من غارات الطيران . وما زال الاهتمام مركزا على التوازن الدولي ، وعلى آخر منجزات التكنولوجيا العسكرية . أما الجماهير فيجري الحديث عنها لماما ، وبحياء . مع ان جماهيرنا هي قوتنا الوحيدة ، وهي القوة الوحيدة القادرة على دخول هذه المعركة الشرسة .

د — واذا كانت الجماهير لم تعد ، فان الجيوش لم تعد . الحرب ليست طوابير وأسلحة ، وليست طابور تحية العلم . وهي تحتاج الى المقاتلين الاشداء المؤمنين بقضيتهم ، المعدين ماديا ومعنويا أحسن اعداد . وجيوشنا عموما ما زالت دون هذا بكثير . واذا ظلت دون هذا فانها لن تستطيع ان تتجشم عناء الحرب وأهوالها وتواصل المسيرة حتى الانتصار . المطلوب اعداد هذه الجيوش للقتال ، لا بالبنادق الحديثة والصواريخ والدبابات فحسب ، بل بالروح المعنوية ايضا . واذا لم تشحن بالروح المعنوية التي تزعزع الجبال فان اكداس أسلحتها الحديثة لن تعصمها من الهزيمة .

هـ — شنت الدوائر الرجعية العربية خلال السنة الماضية حملة شرسة على العلاقات العربية — السوفياتية خصوصا والشيوعية عموما . ولم يكن هذا غريبا ذلك ان الدوائر الاميركية — الصهيونية تعلم أن علاقاتنا مع الدول الاشتراكية مصدر قوة لنا . ولذلك فلا بد من ان تضرب هذه العلاقات . وخطورة هذه الحملة أنها جرفت معها أوساطا « وطنية » ليس لها في ان تقف في صف الامبريالية والصهيونية . وكانت مواقف الاتحاد السوفياتي من قضية فلسطين هي الغشاوة التي غطت بها هذه الفئات عوراتها .

ان هذه الحملات الخبيثة الشرسة ، لا تستهدف اغلاق ابواب المعسكر الاشتراكي في وجوهنا فقط ، بل تستهدف ايضا افتعال خلافات داخلية واثارة انقسامات . كما تستهدف دفعنا الى « أحضان » الولايات المتحدة الاميركية بعد ان تسد كل الابواب في وجوهنا .

ان كشف مرامي هذه الحملات وأهدافها ومخاطرها على الحركة الوطنية أمر ضروري ولازم . ذلك ان

المعسكر الاشتراكي ، حتى ونحن نختلف مع كثير من دوله على قضايا أساسية ، هو احد مصادر قوتنا . ثم ان نزعة معاداة الشيوعية داخليا وخارجيا ، لا تقود الا الى المذابح الداخلية والارتماء بأحضان الامبريالية . وعلينا ان نقاوم محاولة جرنا على هذه الطريق . ولا نستطيع تجنب هذا المنزلق الا باعتبار الشيوعية أحد أركان حركتنا الوطنية وثورتنا الوطنية الديمقراطية العربية ، كما اعتبرها من يات من قبل اكثر من نصف قرن ، لان اتجاه محاربة الشيوعية هو طريق الهاوية .

فالى أين يقود استمرار التدهور ؟ انه يقود الى : ١ ــ تصفية المقاومة الفلسطينية ، ٢ ــ خضوع الانظمة العربية لسياسة الامر الواقع الاسرائيلية ــ الاميركية .

وهنالك أصوات بدأت تطرح الاستسلام بخبث ودهاء . انها لا ترى من الواقع الدولي في هذه الايام الا الاتفاق الاميركي ــ السوفياتي و« المجاملات » الصينية ــ الاميركية . وهي لذلك تعلن للملأ ان العمالقة قد اتفقوا واقتسموا العالم فيما بينهم ، وان هذا يعني ان « السلام » سيعم الارض ، وان « الصغار » لا يستطيعون ان يعملوا شيئا وهم مقيدون على موائد الكبار . اما في الواقع العربي فان هذه الاصوات لا ترى الا الانظمة الخانعة المستسلمة والجماهير المهللة والدول المتراجعة . وهي لا ترى على الصعيد الفلسطيني غير ثورة تموت وجماهير تسير على طريق الاستسلام . ان هذه الصورة القاتمة هي صورة استسلامية ، وهي صورة تقدم جانبا من الواقع ، ولا تقدمه في حركته الجدلية . ولنناقش الامر بشيء من التروي والهدوء .

على الصعيد الدولي : هنالك اتفاقات دولية منذ القرن التاسع عشر . ولقد كانت الدول الاستعمارية الكبرى تعقدها من اجل اقتسام العالم . ومع هذا فان هذه الاتفاقيات لم تمنع الثورات ، ولم تمنع تغيير خارطة العالم مرارا وتكرارا . ولقد اختلف الوضع العالمي منذ قيام ثورة اكتوبر ، ثم اختلف بعد انتصار الثورة الصينية . واذا كان الكبار في الماضي من الامبرياليين ، فان كبار اليوم ليسوا كلهم امبرياليين . وحتى اتفاقات السلام فيما بينهم ليست اتفاقات من طراز اتفاقيات الدول الاستعمارية الكبرى في القرن التاسع عشر ، او الدول الامبريالية الكبرى في القرن العشرين .

وهذه الاتفاقات ايضا لن تستطيع ان تفرض استقرارا لخريطة العالم ، ولن تكون علاجا سحريا لكل الثورات والانتفاضات . فما دامت هنالك شعوب مضطهدة وطبقات مستغلة فلن يكون هنالك سلام ، ولن تكون اية اتفاقية تعقد بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية « اقوى » من اتفاقية يالطا . ومع ذلك فان الحرب الباردة والساخنة ظلت تسيطر على العالم منذ ذلك الحين حتى الان . واستطاع نضال الشعوب في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ان يغير من خريطة عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية . وهذا لا يعني ان هذه « الاتفاقيات » لا تكون عثرات في طريق النضال ، ولا تفرض على الشعوب تضحيات أكثر ، ولكنها مع ذلك لا تستطيع ان توقف عجلة المسيرة المتقدمة .

على الصعيد العربي : هنالك فعلا تفكك وتراجع . وهنالك فعلا أنظمة تبحث عن استسلام « مشرف » وأنظمة راضية بالاستسلام غير المشرف ، ولكن هنالك ايضا الجماهير العربية وقواها الوطنية . ولولا هذه الجماهير وقواها الوطنية لصفيت القضية من أمد بعيد . ولكن وطنية هذه الجماهير ومقاومتها العفوية للاستسلام ومشاريعه ، والتضحيات التي قدمتها القوى الوطنية وما زالت مستعدة لتقديم المزيد منها ، منعت دعاة الاستسلام خلال أكثر من عشرين عاما من تصفية القضية حسب المخطط الامبريالي الصهيوني .

ان هذه الحقيقة مهمة ، وعدم ذكرها يقود الى اعطاء صورة غير حقيقية ، أو لنقل صورة من جانب واحد . وهذه الصورة « الجانبية » التي تركز على « الواقع الاستسلامي » في حياتنا هي بعض أساليب العمل الاستسلامية . انها تحاول ان تقنعنا ان الواقع العربي لا يحمل في ثناياه الا الاستسلام ، بينما هو يحمل في ثناياه الثورة أيضا .

على الصعيد الفلسطيني : هنالك عوامل وهن في المجتمع الفلسطيني . ولقد زادت هذه العوامل في السنوات الثلاث الاخيرة نتيجة اسباب عدة اهمها : أ ــ الضربات التي وجهت الى المقاومة ، والحصار المفروض على الشعب الفلسطيني . ب ــ التفكك العربي والتراجعات العربية امام دولة الاحتلال . ج ــ عجز المقاومة عن تعبئة جماهير الشعب

الفلسطيني . د ــ عجز المقاومة عن تحقيق وحدة وطنية حقيقية .

ولكن هذا كله يجب الا يخفي عن انظارنا حقائق واضحة أهمها : أ ــ ان المقاومة ما زالت موجودة وفعالة في الداخل والخارج . صحيح أنها لم تبلغ المستوى المطلوب ، وأنها تراجعت خلال السنوات الماضية ، ولكنها ما زالت القوة الفلسطينية غير المنازعة ، واحدى القوى العربية الهامة . ب ــ لم تستطع دولة الاحتلال او النظام الاردني ان يخرجا قيادة فلسطينية بديلة او موازية . ج ــ لم يستطع الاحتلال ان ينهي المقاومة في الداخل او في الخارج . د ــ ما زالت المقاومة تملك قوى منظمة ومسلحة وجماهيرية قادرة على أن تلعب دورا هاما في احباط مؤامرات التصفية ، اذا استخدمت جيدا .

ولهذا كله فان الاصوات الاستسلامية ، يجب ان تكشف وتفضح ، ويجب ان يكشف زيف منطقها الصوري ، ودعاواها المضللة . ولكن كشف هذه الاصوات وفضحها لا يتم بالدعاية فحسب . انه يحتاج الى العمل . والعمل يتمثل في تحرك حركة المقاومة من جديد ، على أسس جديدة . ان اثبات حركة المقاومة قدرتها على التحدي هو أفضل برهان على تهافت الدعوات الاستسلامية .

وتحرك حركة المقاومة يحتاج الى حماية عربية . وهذه الحماية لا يمكن توافرها بدون الجبهة العربية المشاركة . ولا بد لهذه الجبهة التي ولدت في تشرين الثاني الماضي من ان تتعزز وتتحول الى اطار نضال موحد مشترك لكل القوى الوطنية العربية . ولا نضيف جديدا اذا قلنا ان المقاومة تستطيع ان تلعب دورا أساسيا في هذا المجال . وتظل سوريه حلقة أساسية في صمود المقاومة واستمرارها ، وفي سقوط المؤامرات التصفوية . ولذلك يجب ان توفر لسوريه كل امكانات الصمود والتحدي . وهذا يعني :

على صعيد المقاومة : ان المقاومة مطالبة بما يلي : أ ــ القيام بنشاط فعال ضد قوات الاحتلال ، سياسي وعسكري ، ب ــ القيام بحملة تعبئة شعبية في البلاد العربية لصالحة دعم سوريه والمساهمة معها في ردع العدو ، ج ــ القيام باتصالات رسمية في البلاد العربية لتوفير دعم مادي وسياسي لسوريه ، د ــ القيام باتصالات على الصعيد العالمي ، ومع الدول الاشتراكية بالذات ، لتوفير مزيد من الدعم المادي والسياسي أيضا .

على الصعيد السوري : ان السلطة والحزب مطالبان بما يلي : أ ــ توسيع نطاق التعبئة العسكرية ، لتتحمل الهجمات المتوقعة مستقبلا . ب ــ تعبئة الجماهير وتدريبها وتسليحها على نطاق واسع . ج ــ توسيع نطاق الجبهة الوطنية لتضم كل المعادين للاحتلال ، وزيادة فعالية الجبهة واجهزتها ، والعمل على زيادة تفاعل القوى المشاركة فيها . د ــ العمل على الاستفادة من امكانات دولة الاتحاد في معركة الصمود . هـ ــ العمل على ضمان المساعدات العسكرية والمادية والسياسية اللازمة من الدول العربية. و ــ العمل بكل الوسائل لزيادة المساعدات العسكرية من الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي .

على الصعيد العربي : ان القوى الوطنية العربية مطالبة بما يلي : أ ــ التحرك بسرعة للوقوف في وجه الاتجاهات الاستسلامية والمشاريع التصفوية. ب ــ العمل على دفع الانظمة على مساندة سوريه والمقاومة ، والعمل من اجل مشاركة هذه الانظمة في الجهد المكرس للقتال وتستطيع الجبهة العربية المشاركة أن تبدأ نشاطاتها الفعالة فيهذه المجالات.

ان صمود سوريه واستمرار تحديها يلعب دورا أساسيا في صمود حركة المقاومة ، وفي تصاعد الموجة المعادية للاستسلام وللمؤامرات التصفوية. وعلينا أن ندرك أن نجاح دولة الاحتلال ، ومن ورائها الأمبريالية الاميركية في فرض الاستسلام على سوريه يعني ان حركة المقاومة الفلسطينية ستعيش أيامًا سوداء ، أكثر من اي وقت مضى ، وان حركة التحرر الوطني العربية ستضرب ضربات قاصمة . ومن واجبنا ألا نسمح بذلك مهما كانت التضحيات .

ناجي علوش

عادت حالة الجمود لتسيطر من جديد على التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي ، وهي حالة كثيرا ما تتبع انتهاء مناقشات هيئة الامم لازمة الشرق الاوسط مما يعطي الفرصة لكافة الاطراف المعنية للتوقف قليلا لاستيعاب نتائج المناقشات والقرارات وتقدير مدى أهميتها وتأثيرها على الخطوات القادمة المزمع اتخاذها . وفي ظل هذا الجمود ما زالت الانباء تتردد بشكل متقطع ومقتضب حول المبادرة الامريكية الجديدة من اجل اخراج جهود التسوية السلمية من المأزق الذي وصلت اليه . ويبدو ان الدوائر الامريكية الرسمية تغذي هذه الانباء وتشجع على نشرها متعمدة الغموض والعموميات والتقطع في تسريبها من أجل خلق جو من الترقب والانتظار محليا وعالميا ، وهو تكتيك كثيرا ما استعملته الدبلوماسية الامريكية لتجميد الوضع على حاله وكسب المزيد من الوقت لصالحها وصالح اسرائيل واحتلالها . ومن الامثلة على استخدام هذا التكتيك جزء من التقرير الذي نشره البيت الابيض (في منتصف شهر كانون الاول) بمناسبة انتهاء ولاية الرئيس نيكسون الاولى وقبل توليه مهام الرئاسة الثانية ، حيث جاء ان من أهم ما حققه حكم الرئيس نيكسون حتى الآن استمرار وقف اطلاق النار على قناة السويس « وتخفيف » الوجود السوفياتي في مصر ، واعتبر التقرير ان مهمة « البحث عن السلام في الشرق الاوسط ستكون الاولوية القصوى » في سياسة نيكسون اثناء ولايته الثانية. وبعد صدور التقرير صرح احد مستشاري الرئيس الامريكي انه بالرغم من استمرار وقف اطلاق النار على جبهة قناة السويس « يظل الشرق الاوسط أخطر منطقة في العالم بسبب مخاطر الحرب الكامنة فيها ». كذلك صرح آلون بعد زيارته للولايات المتحدة في النصف الثاني من شهر كانون الاول بأن المسؤولين الكبار في واشنطن يعتبرون ان « الوضع في الشرق الاوسط أصبح ملائما أكثر من أي وقت مضى لتحقيق تقدم في اتجاه ايجاد حل جزئي او شامل للنزاع هناك ». كما صرح الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية ان الرئيس نيكسون ووليم روجرز رافقان في استئناف الجهود الدبلوماسية الامريكية بصورة نشيطة لتسهيل الوصول الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط . وواضح ان كل هذه التصريحات العامة تميل الى خلق الاعتقاد في الاوساط العربية والدولية بأن حكومة الولايات المتحدة مقدمة في المستقبل القريب على خطوة مهمة من شأنها ان تحرك الركود الذي يسيطر على مساعي التسوية السلمية في منطقتنا . لكن يبدو لنا ان المبادرة الامريكية الجديدة ، عندما تأتي ، ستركز مرة اخرى على تجزئة النزاع العربي الاسرائيلي بحيث يكون هناك تسوية اسرائيلية اردنية من جهة ، وتسوية اسرائيلية مصرية من جهة اخرى ، كما انها لن تخرج عن حدود الموقف الامريكي الذي يصر على اجراء محادثات الجوار التي ينبغي ان تصل في مراحلها الاخيرة الى مستوى المفاوضات المباشرة، ويصر على انجاز التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس . وكل هذا واضح من كلام الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية الذي كرر موقف بلاده المعروف بقوله « ان الاقتراح الامريكي الذي يدعو الى ايجاد حل مؤقت عن طريق فتح قناة السويس هو أفضل وسيلة لحل مشكلة الشرق الاوسط » . كذلك يبدو ان المبادرة الامريكية لن تأتي الا بعد اللقاء المتوقع بين الرئيس نيكسون وكل من غولدا مئير (في اوائل شهر آذار المقبل) والملك حسين في الربيع . ولا شك انه ان كان هناك مبادرة امريكية قيد الاعداد فانها ستناقش في هذين الاجتماعين مع الرئيس الامريكي.

الا انه يجب الا نستبعد ايضا تأخر ظهور هذه المبادرة بسبب المتاعب الاضافية التي يواجهها العدوان الامريكي في الهند الصينية . ان صمود الشعب الفيتنامي وعدم تنازل الثورة عن موقفها الإبساسي ، وهو التنازل الذي كانت الامبريالية الامريكية تأمل بالحصول عليه كلما صعدت حدة الحرب وكثافة القصف الجوي والبحري ، قد اربك حكومة نيكسون وشغلها الى درجة لم تكن متوقعة ، وهذا يعني ان مشكلتها الاولى ستبقى لفترة غير قصيرة فيتنام وليس الشرق الاوسط . ومما يلفت النظر بالنسبة لتأثيرات الصمود الفيتنامي على سياسة نيكسون الانباء التي ترددت عن نية الرئيس الامريكي التخلي عن مستشاره المشهور هنري كيسنجر . وقد ترددت هذه الانباء

على اثر انفضاح حيلة نيكسون في التراجع عن توقيع اتفاقية النقاط التسعة التي تم التوصل اليها بين كيسنجر وممثلي الثورة الفيتنامية في باريس وقيام كيسنجر بتحميل نيكسون علنا مسؤولية هذا التراجع في مؤتمر صحفي عقده لتفسير انهيار محادثات السلام بين الطرفين . ويبدو ان كيسنجر قد اصطدم في آخر الشوط بصخرة الصمود الفيتنامي تماما كما حدث في السابق مع وزير الدفاع ماكنامارا اثناء ولاية الرئيس جونسون . لكن حتى لو صحت انباء سقوط كيسنجر فان هذا الحدث لن يترك أية تأثيرات ملحوظة على سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، كما انه لا يعني ان نيكسون سيتخلى عن خط « فيتنمة » الصراعات التحررية وهو الخط الذي عمل كيسنجر على رسمه وتنفيذه .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي ونشاطه المتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي ، لم تطرأ أية تطورات جديدة في الفترة الاخيرة اذ ما زال الفتور يطبع العلاقات المصرية السوفياتية . كانت أهم الانباء التي ترددت في الشهر الماضي بالنسبة للاتحاد السوفياتي تتعلق بموضوع الهجرة ، أي هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل . فقد ذكرت انباء منسوبة الى مراجع مطلعة في موسكو ان ٣٢ الف يهودي سوفياتي حصلوا على تصريحات بمغادرة البلاد بهدف الهجرة الى اسرائيل خلال عام ١٩٧٢ . وقد أكد هذه الانباء مدير الوكالة اليهودية في تل أبيب الذي ذكر في مؤتمر صحافي ان حوالي ٣٠ الف يهودي وصلوا الى اسرائيل من الاتحاد السوفياتي خلال العام الماضي . الا انه من جهة اخرى فقد أعلن ٩٣ يهوديا كانوا قد هاجروا من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل عن رغبتهم في العودة الى وطنهم الاصلي . تجمع هؤلاء في مدينة فينا ووجهوا نداء شخصيا الى بريجنيف كي تسمح لهم السلطات السوفياتية بالعودة إلى بلادهم . وبطبيعة الحال حاولت الدوائر الاسرائيلية التقليل من أهمية هذا التحرك على صعيد الهجرة المضادة من اسرائيل . وأثار موضوع الهجرة احتجاجا سوفياتيا في هيئة الامم تم تقديمه الى الامين العام فالدهايم بسبب قيام مسؤولين في المنظمة الدولية بتوزيع بيان وقعه عدد من اليهود السوفيات ينوون الهجرة الى اسرائيل باعتباره وثيقة رسمية من وثائق هيئة الامم . وقد اعتبر الاحتجاج السوفياتي هذا السلوك استخداما للمنظمة الدولية بصورة مخالفة لميثاقها وطالب بوقف مثل هذه التصرفات في المستقبل .

وعلى صعيد آخر اتهمت مصادر الصين الاعلامية، في عرضها لاهم التطورات التي جرت في الشرق الاوسط خلال عام ١٩٧٢ ، كل من امريكا والاتحاد السوفياتي بالتواطؤ من أجل الابقاء على حالة اللاحرب واللاسلم المتوترة في منطقتنا بهدف استغلال مواردها النفطية وكسب مناطق النفوذ مع تجنب أية مجابهة بينهما . وشددت المصادر الصينية على ان الولايات المتحدة قد واصلت تسليح اسرائيل وتحريضها على استفزاز الدول العربية ، وعلى ان الاتحاد السوفياتي عمل على ابقاء الدول العربية في حالة ضعف وفي وضع المحتاج باستمرار الى المساعدات السوفياتية . كذلك هاجمت هذه المصادر سماح الاتحاد السوفياتي لمواطنيه اليهود بالهجرة الى اسرائيل. وواضح ان المنظار الذي تطل به الحكومة الصينية على الصراع العربي مع اسرائيل محكوم الى حد بعيد بمتطلبات النزاع الصيني السوفياتي نفسه .

اما على صعيد اوروبا الغربية فقد أثارت الزيارة المنتظرة لغولدا مئير الى باريس من أجل حضور مؤتمر الاحزاب « الاشتراكية » متاعب اضافية في العلاقات الفرنسية الاسرائيلية . فقد اعتبر الرئيس بومبيدو انعقاد هذا المؤتمر اثناء فترة الاعداد للانتخابات البرلمانية تدخلا في شؤون فرنسا الداخلية . اذ ان الحزب « الاشتراكي » الفرنسي (فرنسوا متيران) قد دخل في تحالف مع الحزب الشيوعي في جبهة يسارية على أمل الحاق هزيمة بالديغوليين في الانتخابات القادمة . وقد أشار الرئيس بومبيدو في معرض كلامه عن التدخل في شؤون فرنسا الداخلية الى قدوم غولدا مئير بشكل خاص ووصفها بالمتعنتة وأكد ان أية اتصالات من قبل الحكومة الفرنسية لن تتم مع الشخصيات البارزة التي ستحضر المؤتمر لانها أتت الى باريس بصفتها الحزبية وليس بصفتها الحكومية . وعاد الرئيس بومبيدو الى طرح موقف فرنسا الداعي الى حل ازمة الشرق الاوسط عن طريق اتفاق بين الدول الاربع الكبرى وعلى أساس الضمانات التي يقدمها مثل هذا الاتفاق لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كما أبدى تشاؤمه بالنسبة لتسوية النزاع واستبعد الوصول

الى أية تسوية في المستقبل القريب بما في ذلك تحقيق التسوية الجزئية التي تصر عليها امريكا . وتنشط اسرائيل حاليا من أجل كسب تأييد عدد من الدول الاوروبية لصالح وجهة النظر الداعية الى استبعاد أية اثارة لقضية الشرق الاوسط في مؤتمر الامن الاوروبي المتوقع عقده بعد فترة . أما بالنسبة لمصر فيبدو ان علاقاتها بالدول الاوروبية الغربية تتحسن ببطء كما يشير الى ذلك توقيع اتفاق تجاري بينها وبين السوق الاوروبية المشتركة يمنح مصر عددا من التسهيلات التجارية، واتمام صفقة شراء أسلحة بقيمة ١٠٠ مليون جنيه استرليني من بريطانيا. ومن بوادر تحسن العلاقات العربية مع الدول الاوروبية الغربية الخطوة التي اتخذت مؤخرا باتجاه اعادة العلاقات الدبلوماسية بين سوريا وبريطانيا . وتلخصت هذه الخطوة باتفاق بين الدولتين لارسال دبلوماسيين اثنين الى عاصمة البلد الآخر قريبا . وقد أعلنت وزارة الخارجية البريطانية ان هدف البلدين على المدى الابعد هو اعادة العلاقات الدبلوماسية الطبيعية بينهما .

وفي افريقيا استمر تدهور العلاقات بين اسرائيل وعدد من دول القارة . فقد أقدمت كل من جمهورية الكونغو الشعبية (الكونغو برازافيل) والنيجر ومالي على قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل . وقد شرحت هذه الدول أسباب اقدامها على هذه الخطوة بقولها ان عملها يعبر عن تنديد بالسياسة الامبريالية والتوسعية التي تتبعها اسرائيل في الشرق الاوسط ، وعن تضامنها مع شعب مصر ومع الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، كما يعبر عن استنكارها لرفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وغيره من قرارات هيئة الامم المتحدة وقرارات منظمة الوحدة الافريقية التي تطالب كلها بالجلاء الاسرائيلي عن الاراضي المحتلة .

وفي هيئة الامم وافقت الجمعية العمومية على ثلاث قرارات اضافية تتعلق بالاراضي العربية المحتلة وحقوق شعب فلسطين . يدعو القرار الاول الى وقف الاجراءات الاسرائيلية التي من شأنها التأثير على التركيب الطبيعي والجغرافي والسكاني للمناطق العربية المحتلة بما فيها قطاع غزة . ويدعو القرار الثاني اسرائيل الى الامتناع الفوري عن ضم أي جزء من الاراضي المحتلة والغاء كل اجراءات الضم التي تمت، كما اعتبر كل الخطوات التي اتخذتها اسرائيل للاستقرار في هذه الاراضي، بما فيها القدس ، باطلة ولاغية . وطالب القرار كل الدول الاعضاء وكل المنظمات الدولية بعدم الاعتراف بأية اجراءات تتخذها اسرائيل لاستغلال موارد الاراضي المحتلة وبعدم تقديم المساعدة لها في هذا الميدان . وطلب ايضا من كل الدول الموقعة على ميثاق جنيف ١٩٤٩ الخاص بحماية المدنيين في زمن الحرب ان تضمن تقيد اسرائيل بالتزامها بهذا الميثاق وتنفيذ بنوده . اما القرار الثالث فقد دعا الى ضرورة الاحترام الكامل لحقوق شعب فلسطين الثابتة باعتبار ان احقاقها يشكل شرطا أساسيا لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

أما بالنسبة لما سمي بقضية « الارهاب الدولي » التي أدرجت في جدول اعمال الجمعية العمومية بعد الهجوم الذي شنه الفدائيون الفلسطينيون على الجناح الاولمبي الاسرائيلي في ميونيخ فقد نجحت مجموعة من الدول الافريقية والاسيوية في احباط محاولات الولايات المتحدة واسرائيل وغيرهما من الدول المرتبطة بالامبريالية في تحويل قضية «الارهاب» الى أداة ضد حركات التحرر الوطني في العالم . على هذا الاساس انهت الجمعية العمومية مناقشة موضوع الارهاب بقرار يطلب من الدول الاعضاء تقديم ما عندها من أفكار حول موضوع الارهاب ومكافحته على ان تقوم لجنة خاصة بتقديم تقرير حول الموضوع الى الجمعية العمومية في دورتها المقبلة . واعتبر هذا القرار انتصارا لوجهة نظر دول العالم الثالث عامة والدول العربية خاصة لانها نجحت في تجميد قضية « الارهاب » المزعومة وتأجيلها الى العام القادم . وقد عارضت كل من الولايات المتحدة واسرائيل هذا القرار معارضة شديدة .

أما يارينغ فقد عاد الى منصبه كسفير لبلاده في موسكو. غير ان انباء ترددت عن مصادر اسرائيلية تقول بأن الوسيط الدولي اقترح عقد مجموعتين من المحادثات العربية ــ الاسرائيلية في آن واحد. هدف الاولى التوصل الى تسوية مؤقتة تؤدي الى اعادة فتح قناة السويس ، وهدف الثانية التوصل الى تسوية نهائية لازمة الشرق الاوسط . ويبدو ان اقتراح يارينغ يحاول ارضاء المطلب المصري الذي يصر على أن أية تسوية جزئية يجب ان

تكون خطوة اولى لتسوية النزاع في الشرق الاوسط تسوية شاملة على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . أي يحاول يارينغ عن طريق محادثات متوازية تجري في وقت واحد الربط بصورة شكلية وآلية بين التسوية الجزئية والتسوية الشاملة للنزاع . الا انه لا يبدو ان يارينغ ينوي التقدم بأية اقتراحات او مبادرات علنية جديدة في الوقت الحاضر .

لا بد من الاشارة كذلك الى ان الامين العام لهيئة الامم قد أعلن مؤخرا انه لا يستبعد قيامه بزيارة للشرق الاوسط اذا بدا له ان اتصالاته بزعماء الدول المعنية بالنزاع في المنطقة ستساهم في الوصول الى تسوية سلمية . ويجب حمل كلام فالدهايم على محمل الجد لانه اعترف بأنه بحث قضية الشرق الاوسط مطولا مع وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز خلال الاجتماع الذي تم بينهما في اواخر كانون الاول ١٩٧٢ ، ولانه عاد للكلام عن مشروع كان قد طرحه سابقا ويتلخص بفكرة عقد مؤتمر دولي يتولى حل النزاع العربي الاسرائيلي. واعتبر فالدهايم فكرة المؤتمر الدولي المبادرة الرئيسية المطروحة حاليا حول التسوية السياسية الى جانب مشروع محادثات الجوار الامريكي .

وعلى صعيد آخر طالب البابا بولس السادس في حديث له بمناسبة عيد الميلاد بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وندد باجراءات ضم القدس الى اسرائيل .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

اتسمت الفترة الاخيرة بالنقاشات المحتدمة بين أجنحة حزب العمل الحاكم حول مصير المناطق المحتلة ، وشهدت ولادة « مشروع الاقاليم » الذي قدمه الدكتور رعنان فايتس كعامل موحد للاجنحة المتصارعة ، وكذلك قرارات مؤتمر حزب مبام حول مصير المناطق العربية ، ومن ناحية اخرى شهدت اجراءات لتثبيت مواقع الاحتلال واستدامته ، تمثلت في أعمال توطين اللاجئين في القطاع والقيام بمصادرة أراض عربية واقامة مستوطنات يهودية .

جرت في الاونة الاخيرة نقاشات حادة حول مصير المناطق المحتلة بين ثلاث شخصيات اسرائيلية تجمعها صفة التنافس على وراثة رئيسة الحكومة غولدا مئير في حالة استقالتها ، هؤلاء الاشخاص هم موشيه ديان وزير الدفاع ويجال الون نائب رئيسة الحكومة وبنحاس سبير وزير المالية ، الاول يمثل التيار الداعي الى الضم بغض النظر عن الاعتبارات السياسية والدولية ، والثاني يمثل التيار الداعي الى الضم مع وضع الاعتبارات السياسية والدولية في عين الحسبان ، والثالث يمثل التيار الداعي الى الضم الجزئي ويضع وزنا كبيرا للاعتبارات السياسية والدولية . ينطلق الفريق الاول من وجهة النظر القائلة بأن احتمالات السلام بعيدة وانه ينبغي على اسرائيل ان تعتبر نفسها حكومة دائمة في المناطق المحتلة ، وان مصير المناطق المحتلة يتقرر حسب الوقائع الجديدة التي تقيمها اسرائيل هناك ، كما ويدعو الى سياسة الدمج الاقتصادي بين المناطق المحتلة واسرائيل ضاربا بعرض الحائط سياسة « العمل العبري » . وقد سارت سلطات الاحتلال على هدي هذه السياسة وان لم تتبنها رسميا . وفي الآونة الاخيرة وخلال انعقاد مؤتمر حزب العمل أثار الفريقان الآخران انتقادات ضد هذه السياسة ، وسط جو من المنافسة على وراثة غولدا مئير ، حين تصدى يجال الون لوجهة النظر التي يمثلها ديان معتبرا انه من الخطأ ان تكف اسرائيل عن السعي وراء السلام « لكون العرب يرفضون اليوم شروطنا ونرفض شروطهم » متهما الفريق الاول بقصر النظر لانه ينبغي العمل للحصول على السلام وعلى ثمار حرب حزيران معا دون التشدد على الثمار فقط ، كما جاء على لسان يجال الون « انني اومن ان اتفاقية سلام تضمن في المستقبل ايضا تعاونا اقتصاديا كما وتضمن المصالح المتبادلة ،

تنطوي على ضمان طرق مفتوحة ووصول حر الى المناطق حتى بدون ان نسيطر عليها بشكل مباشر ».
وقد اعتبر الون ان وجهة نظره لا تنفصل عن « الحقوق التاريخية لشعب اسرائيل » حين يدعو للتسوية ذلك لانه ينطلق من مفاهيم « السياسة الواقعية والصهيونية الانسانية » ومن خلال هذه المفاهيم يمكن معرفة الاماكن التي ينبغي خلق وقائع جديدة فيها . وفيما يتعلق بالوضع في المناطق المحتلة عارض الون ديان بقوله : « اننا لسنا حكومة في المناطق ، كما واننا لسنا حكومة لسكان المناطق ، وفي حالة عدم وجود اتفاقية سلام فاننا نشكل جهاز الحكم هناك ، ولسنا حكومة » . اما بخصوص سياسة الدمج الاقتصادي فقد عارضها ودعا الى خلق تعاون بين كيانين منفصلين ، وابدى تحفظا ازاء فتح الحدود امام العمال العرب في اسرائيل وطالب بايجاد عمل لهم في المناطق المحتلة، وفيما يتعلق بحلول السلام فان الون ينطلق من مفهوم خريطة الضم التي تحمل اسمه ، ومع ذلك فهو يعترف على خلاف شخصيات اسرائيلية تحتل مراكز عليا مثل غولدامئير بـ«ان السكان الفلسطينيين موجودون بغض النظر اذا كانت تنطبق عليهم صفة شعب أم لا » . ويرى ان المشروع القريب من المشروع الذي يحمل اسمه ، مشروع الملك حسين ، الذي يعتبره من حيث الفكرة « نموذجا لحل عادل للقضية الفلسطينية » مع ابداء تحفظات بالنسبة للحدود، ولبعض الاماكن . . . . . .

اما وجهة نظر الفريق الثالث فيمثلها بنحاس سبير الذي ينطلق من النظرة الداعية الى صفاء المجتمع اليهودي والى سياسة العمل العبري ، ويبدي تخوفا من التكاثر السكاني في المحيط العربي في حالة ضم السكان العرب ، ولذا فقد أخذ يشدد ضد سياسة الدمج الاقتصادي وضد سياسة الضم الكلي ، وقد اعتبر ان السياسة الاسرائيلية الراهنة هي سياسة الضم الزاحف حين قال « من ناحية النتيجة ، ليس هنالك فرق بين القرار الرسمي بشأن الضم، كما يريد أولئك الذين يؤمنون بأرض اسرائيل الكاملة ، وبين ضم لم يتخذ بشأنه قرار ، كالضم الزاحف الذي نقوم به » . ان سبير لا يقف ضد ضم المناطق العربية ولكنه يقف بشدة ضد ضم السكان العرب ، ولو كانت تلك المناطق خالية لوقف الى جانب الضم الكلي ، بيد ان المسألة الديموغرافية تقلق باله وتشغل فكره ، فقد لجأ وزير المالية الى لغة الارقام ليثبت الخطورة الكامنة في حالة ضم السكان العرب ، ووفق ما جاء على لسانه سيصل عدد السكان في اسرائيل بعد عشرين عاما ٨ ـ ٩ ملايين في حالة استمرار الهجرة اليهودية بمعدلها الحالي ، وسيشكل العرب حينئذ ٤٨،٥ ٪ من السكان . ويتساءل سبير كيف سيكون وجه هذه الدولة ؟ ففي حالة المساواة التامة سيحتل العرب نصف المراكز تقريبا في الدولة ومؤسساتها ، وكذلك سيشكلون نصف النواب تقريبا في الكنيست الامر الذي من شأنه ان يزيل الصبغة اليهودية عن الدولة وهذا ما لا يريده احد في اسرائيل حسب رأي سبير ، اما في حالة جعل العرب مواطنين من الدرجة الثانية فانهم سيتحولون الى أرقاء في عصر لا يقبل الرق « ولا يقبل ذلك أحد في اسرائيل » على حد قول سبير . وقد أخذ سبير يضرب على وتر مجمل الاوضاع التعيسة للعمال العرب الذين « ينامون بالقرب من سلال القمامة » ، معتبرا ان العمل العربي يشكل خطرا من الناحية الاجتماعية والسياسية والاخلاقية وكذلك الامنية مخالفا بذلك ديان . وخلال النقاش كشف سبير النقاب عن الاموال المستثمرة في المناطق المحتلة حين قال انه منذ ١٩٦٧ اقيم ٥٠ معملا باستثمارات وصلت الى ٣٣ مليون ليرة. ماذا يريد سبير ، انه ينتقد مجمل سياسة ديان في المناطق المحتلة بيد انه لا يضع بديلا واضحا ، انه ضد ضم السكان العرب لتخوفه من هاجس زيادة التناسل الطبيعي لدى العرب وفي الوقت نفسه يؤيد ضم مناطق عربية ولكن بمقدار اقل مما يدعو اليه ديان والون . وربما كان شمعون بيرس وزير المواصلات الذي يقف مع فريق ديان قد احرجه عندما قال : « لقد أصغيت جيدا لاقوال سبير حول الاسباب والاوصاف الكئيبة التي تحمل بين طياتها تهديدا لنا ، ولم أفهم شيئا واحدا : لماذا نحن في المناطق المحتلة ؟ ولماذا ننتظر ؟ اذا كنا سنواجه مستقبلا مظلما فلماذا لا نزال نرابط هناك ؟ لماذا لم يقم سبير ليقترح انسحابا بقدر المستطاع ؟ اذا كان الوضع خطيرا لهذه الدرجة فلماذا نقدم استثمارات في المناطق ؟ » (معاريف ٧٢/١١/١٠).

مشروع الاقاليم : في غمرة النقاشات المحتدمة بين الاطراف الثلاثة ، ادلى الدكتور رعنان فايتس رئيس قسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية بدلوه حين قدم الى اللجنة السياسية لكتلة التجمع العمالي ولنيكرتاوية حزب العمل مشروعا وسطا توفيقيا يحمل اسم « مشروع الاقاليم » حاول فيه التوفيق

بين وجهات النظر الثلاث المتصارعة بحيث يرضي رغبة ديان في التوسع ويشبع شهوة آلون في الجمع بين التوسع والسلام، ويزيل في الوقت نفسه هموم سبير وهواجسه بالنسبة لبقاء الدولة اليهودية . يعتمد مشروع الاقاليم على تقسيم اسرائيل ومعظم المناطق المحتلة الى ثمانية اقاليم ، خمسة يهودية وثلاثة عربية ، وتتشكل الاقاليم اليهودية من : (١) **اقليم صفد** : ويضم اقضية صفد وطبريا والجولان. (٢) **اقليم حيفا** : ويضم اقضية مرج ابن عامر وعكا وحيفا والخضيره وغور الاردن شمالي اريحا. (٣) **اقليم تل ابيب** : ويضم اقضية شارون وبيتح تكفا ورحوبوت وضواحي اللطرون . (٤) **اقليم اسدود** : ويضم اقضية عسقلان والقدس وغوش عتسيون ، دون ان يشمل القدس نفسها تصورا من الدكتور فايتس بأن القدس تشكل وحدة بحد ذاتها ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة واشنطن وولاية كولومبيا في اميركا ! (٥) **اقليم بئر السبع** : ويضم أقضية بئر السبع ومشارف رفح حتى مدخل العريش والشريط الارضي الواقع بين ايلات وشرم الشيخ وكذلك غور الاردن جنوبي اريحا . أما الاقاليم العربية الثلاثة فهي : (١) **اقليم نابلس** : ويضم أقضية جنين ونابلس وطولكرم ورام الله وأريحا . (٢) **اقليم الخليل** : ويضم قضاءي الخليل وبيت لحم . (٣) **اقليم غزة** : ويضم قطاع غزة بالاضافة الى منطقة صغيرة تقع داخل فلسطين المحتلة سابقا جنوبي جبل الخليل ومتصلة بشريط ارضي ضيق مع القطاع بغرض توطين اللاجئين في هذه المنطقة .

من الملاحظ ان الاقاليم اليهودية الخمسة قد توسعت على حساب الاراضي العربية المحتلة حديثا ، حيث ضم الدكتور فايتس اليها هضبة الجولان ومنطقة الاغوار شمال اريحا وجنوبها ، ومنطقة اللطرون وغوش عتسيون وكذلك منطقة شرم الشيخ والشريط الارضي الممتد من هناك حتى ايلات وكذلك مشارف رفح حتى العريش ، وفي مقابل ذلك منح الدكتور فايتس الاقاليم العربية الثلاثة جزءا صغيرا من فلسطين المحتلة سابقا في محاولة منه للتستر على مرض التخمة الذي الم بالاقاليم اليهودية من جراء ابتلاعها لاراض عربية واسعة ، ومهما تكن الاسباب الكامنة وراء خطوة التخلي عن أرض تعتبرها السلطات الاسرائيلية جزءا من اسرائيل ، فان هذه الخطوة تعتبر فريدة من نوعها ، اذ لم يسبق لاحد من المسؤولين الاسرائيليين ان اقترح التخلي عن شبر من الاراضي المحتلة سابقا حتى ولو مقابل جميع الاراضي المحتلة حديثا .

اما فيما يتعلق بادارة الاقاليم فيقترح الدكتور فايتس اقامة سلطات محلية تعتني بالشؤون الداخلية لكل اقليم ، بينما تختص الحكومة المركزية بمعالجة قضايا الامن والخارجية والمالية والتنسيق بين الاقاليم. ويعتقد ان النشاط الاقتصادي سيزدهر في المناطق العربية المحتلة من خلال هذا التقسيم ، وبذلك ستخف حركة العمل العربي في الاقاليم اليهودية ، هذا علاوة على اعتقاد الدكتور فايتس بأن الاقاليم العربية ستكون قادرة على استيعاب نحو مئة الف من النازحين الموجودين في الدول العربية . ويقترح فايتس ان تقوم السلطات الاسرائيلية بتبني مشروعه في الحال وتبدأ بالعمل على هداه . اما في حالة عقد اتفاقية سلام مع الاردن فيقترح فايتس ضم الاقاليم العربية الثلاثة الى الاردن ، وفي حال تعذر التوصل الى اتفاق مع الاردن فيدعو الى اقامة دولة فلسطينية في هذه الاقاليم واقامة اتحاد فدرالي بينها وبين اسرائيل ، حيث يشمل الاتحاد الفدرالي الاقاليم الثمانية ويعتني بشؤون الامن والخارجية اما القضايا الداخلية فستكون من اختصاص الحكومتين الفلسطينية والاسرائيلية . وكحل لقضية التمثيل في الاتحاد يقترح فايتس تمثيلا متساويا لكل اقليم بغض النظر عن الحجم السكاني المختلف في كل اقليم ، كما هو متبع بالنسبة لتمثيل الولايات المتحدة الاميركية في مجلس الشيوخ الاميركي .

ومن الجدير بالذكر ان مشروع الاقاليم لا يغفل قضية الاستيطان اليهودي بل يضع لها مكانا بارزا ، فهو يدعو الى اقامة مدينة يهودية في هضبة الجولان تتسع لـ ٢٠ الف نسمة واقامة خمس مستوطنات اخرى في غور الاردن ، وثلاث مستوطنات اخرى في غوش عتسيون بالقرب من الخليل ، ومدينة تتسع لـ ٣٠ الف نسمة في منطقة مشارف رفح ، ومدينة تتسع لـ ١٠ آلاف نسمة في شرم الشيخ وعشرات المستوطنات على امتداد الشريط الارضي بين شرم الشيخ وايلات باعتبار ان هذه المناطق تابعة للاقاليم اليهودية الخمسة (للاستزادة انظر معاريف ٧٢/١٢/١٥) .

مؤتمر مبام والمناطق المحتلة : وفي هذا الجو الذي تبادلت فيه التيارات الثلاثة الفاعلة في حزب العمل الحوار حول مصير المناطق المحتلة ، عقد حزب

مبام شريك حزب العمل في التجمع العمالي الحاكم مؤتمرا وخرج بمقررات جديدة تجاه مصير المناطق المحتلة ، فبالنسبة لمستقبل الضفة الغربية اتخذ المؤتمر قرارا يدعو الى انسحاب اسرائيل الى حدود جديدة « يتفق عليها » وتجريد الضفة من السلاح وحظر دخول اية قوات عسكرية غربي النهر . وفيما يتعلق بالهضبة طالب المؤتمر بأن تمر الحدود بمرتفعات الجولان على ان يتم تحديد المنطقة الواقعة بين الحدود التي « سيتفق عليها » وبين خطوط وقف اطلاق النار الحالية . وفيما يتعلق بالقطاع وسيناء فقد اتخذ المؤتمر قرارات بشأنها تختلف اختلافا جوهريا مع « مشروع السلام » الذي كان حزب مبام قد قدمه عقب حرب حزيران ، ففي ذلك المشروع (انظر شؤون فلسطينية عدد ٢ ، ص ٤٩) دعا حزب مبام الى (١) تجريد سيناء من السلاح واعادتها الى مصر (٢) ضم قطاع غزة الى اسرائيل ، أما في المؤتمر الاخير فقد انتقل هوس الضم الى جزء من الاراضي المصرية في شمال سيناء يعرف بمشارف رفح حيث دعا المؤتمر الى ضم هذه المنطقة الى اسرائيل ، كما دعا الى تعزيز الاستيطان الاسرائيلي هنـــاك . وبالنسبة لقطاع غزة لم يطالب المؤتمر بضرورة ضمه بل اكتفى بالقول انه ينبغي عدم اعادته مطلقا الى مصر و« ان الموقف السياسي تجاه القطاع يجب ان يحدد مع مرور الزمن مع الاخذ بعين الاعتبار شؤون الدفاع الاسرائيلية ». ومن الجدير بالملاحظة هنا ان الدعوة لضم القطاع الى اسرائيل قد أزيلت في المؤتمر ، بيد ان هذا لا يعني عدم جواز ضمه الى اسرائيل كما جاء على لسان الوزير المبامي شمطوف : « لا ننس اننا بالنسبة لقطاع غزة قررنا انه ينبغي عدم اعادته الى مصر ، ولم نقرر انه لا يجوز ضمه الى اسرائيل ، وما قررناه هو ان هذا الامر يبقى مفتوحا للمفاوضات » (رصد اذاعة اسرائيل ٢/١/ ٧٣) .

الجمهور الاسرائيلي والمناطق المحتلة : وفي غمرة الاحاديث والنقاشات حول مصير المناطق المحتلة بين القوى السياسية الفاعلة في اسرائيل اخذ الجمهور الاسرائيلي يدلي بدلوه هو الآخر ، ويفصح عن موقفه تجاه قضية مصير المناطق العربية المحتلة فقد اوضح استفتاء اجراه احد باحثي الجامعة العبرية ونشره معهدان علميـــان في اسرائيل ان الاكثرية الساحقة في اسرائيل تفضل الاستمرار في السيطرة على المناطق المحتلة على السلام المبني على الانسحاب والاعتراف بدولة اسرائيل ، وان ٥ ٪ فقط من الجمهور الاسرائيلي مستعدون للتخلي عن جميع المناطق المحتلة مقابل السلام . وقد شمل الاستفتاء ١٨٠٠ شخص يمثلون الشرائح الاجتماعية المختلفة ، وكانت نتيجة الاستفتاء كالتالي : شرم الشيخ ٩٠ ٪ يصرون على ابقائه الى الابد تحت الهيمنة الاسرائيلية ، هضبة الجولان ٩١ ٪ بينما يقف الى جانب الانسحـــاب ٢ ٪ فقط ، القدس ٨٨ ٪ بينما يقف الى جانب الحكم المشترك ١١ ٪ و١ ٪ فقط وافق على ارجاعها شريطة ان يكون بامكان اليهود الاقامة بها . القطاع ٧٠ ٪ ، بينما استعد ٦ ٪ للتخلي عن قسم منه و١٠ ٪ وافقوا على اعادته . الضفة الغربية ٤٧ ٪ بينما ابدى ٤٤ ٪ استعدادهم للتخلي عن جـــزء منها و٤ ٪ فقط وقفوا الى جانب اعادتها . سيناء ٣٦ ٪ بينما ابدى ٤٥ ٪ استعدادهم للتنازل عن جزء منهـــا و١١ ٪ عبروا عن استعدادهم للتنازل كليا عنها مقابل السلام (معاريف ٧٢/١٢/١٧) .

ومن الطريف ان نذكر هنا ان البحث اوضح ان عامل المستوى الثقافي له دوره في عملية البت في مصير المناطق المحتلة بين الجمهور الاسرائيلي ، فقد خرج الباحث باستنتاج يقول انه كلما ارتفع مستوى الثقافة تقل نسبة معارضي التنازلات ، وذكر ان نسبة ٥٦ ٪ من بين عديمي الثقافة يعتقدون انه ينبغي عدم التنازل عـــن اية منطقة ، مقابل ١٥ ٪ من صفوف الذين يتمتعون بثقافة اكاديمية . ولعل وجه الغرابـــة المشفوع بالطرافة هو ان الاستفتاءات التي اجريت في اسرائيل عقبحرب حزيران حول مصير المناطق المحتلة قد درجت على تذييل نتائج هـــذه الاستفتاءات بالاستنتاج الآنف الذكر بالرغم من ان نتائج الاستفتاءات متشابهة ولم يطرأ عليها تغيير . فاذا كان الامر كذلك فهل توقفت المؤسسات العلمية في اسرائيل عن القيام بدورها ؟ واذا كانت الثقافة حقا «وليست المصالح» هي التي تخفف من غلواء المحتلين وتضمن انسحابهم، فهل المطلوب من سكان المناطق المحتلة تثقيف هذا النوع من المحتلين ؟

الاجراءات الاسرائيليـــة : لم تشـــل النقاشات المحتدمة بين الكتل السياسية في اسرائيل حول مصير المناطق المحتلة ، الاجراءات الرامية لتكريس الاحتلال واستدامته والتي اتخذت في الآونة الاخيرة ثلاثة اشكال لها :

١ — الاستمرار في توطين اللاجئين : تمشيا مع سياسة تصفية قضية اللاجئين في قطاع غزة ، واصلت سلطات الاحتلال اعمال التوطين وتهجير اللاجئين من مخيماتهم الى ضواح سكنية جديدة ، ورافقت أعمال التوطين والتهجير اعمال هدم ونسف في بعض المخيمات (هدم ١٣٠ منزلا في مخيم رفح) بغرض اقامة « طرق امنية » واسعة داخلها . وكانت سلطات الاحتلال قد اتبعت هذه السياسة الجديدة عندما اقدمت على اقامة ضاحيتين جديدتين للاجئين بالقرب من مخيم رفح ، وبعد ذلك اخذت تعد وتخطط لاقامة ضواح سكنية جديدة بالقرب من كل مخيم في القطاع . ومن المنتظر ان تستغرق اعمال البناء والتوطين مدة طويلة بسبب كثرة عدد اللاجئين في القطاع ، اذ يشكلون ما يربو على مئتي ألف لاجيء .

ومما تجدر الاشارة اليه ان جهاز الحكم العسكري قد اختار اسماء عبرية لبعض الضواحي ، مثل ضاحيتي رفح حيث دعيت الاولى بضاحية «ابراهام» تخليدا لاسم الضابط الاسرائيلي المقدم ابراهام زكس الذي لقي مصرعه في المنطقة نفسها على أيدي رجال المقاومة الفلسطينية ، والثانية دعيت بضاحية « شلومو » على اسم الرائد شلومو فردي الذي لقي مصيرا كمصير زميله . وقد اعترفت الصحف الاسرائيلية ان اسمي الضاحيتين « أثارا مشاعر السكان في المخيمات » خاصة وان هذين الضابطين قد لقيا مصرعهما على أيدي ابناء الضواحي الجديدة . هنالك ثلاثة اسباب دفعت سلطات الاحتلال الى بناء الضواحي : (١) تخفيف الكثافة السكانية في المخيمات التي تشكل « غابات بشرية » تمكن رجال المقاومة من الاختفاء والعمل داخلها . (٢) شق طرق « أمنية » واسعة داخل المخيمات القائمة بعد تخفيف الكثافة السكانية لتمكين قوات الاحتلال من التنقل بسهولة داخل المخيمات . (٣) تصفية قضية اللاجئين بواسطة توطينهم في أماكن جديدة وضمهم الى المجالس البلدية والقروية القائمة (للاستزادة انظر شهريات شؤون فلسطينية عدد ١٤ ص ٢٥١) .

٢ — الاستيلاء على أراض : اعترفت سلطات الاحتلال بأنها قد اصدرت أمرا ينص على الاستيلاء على منطقة واسعة تبلغ مساحتها ٧٠ الف دونم تمتد بين قرية العيزرية شرقي القدس وحتى مشارف اريحا . ومن الجدير بالذكر ان بعض مشاريع الاستيطان الاسرائيلية قد دعت الى اقامة مدينة في تلك المنطقة تدعى « معليه ادوميم » ، الا ان وزير الدفاع موشيه ديان رفض الافصاح في الكنيست عن الدوافع الكامنة وراء الاستيلاء على المنطقة .

٣ — الاعداد لاقامة مستوطنة في منطقة نابلس : وفي غضون ذلك كشف النقاب عن عملية سلب ونهب اخرى تقوم بها سلطات الاحتلال في منطقة نابلس ، وقد حاولت سلطات الاحتلال التستر على هذه العملية بيد ان سكان قرية بيت دجن الواقعة مسافة ١٥ كم جنوبي نابلس كشفوا عملية السلب والنهب حين عقدوا مؤتمرا صحفيا في مدينة نابلس ذكروا فيه ان سلطات الاحتلال « شرعت بتسييج أراض تابعة لقرية بيت دجن وضواحيها ، واعداد خطوط انابيب المياه ، والقيام بكل المستلزمات لاقامة مستوطنة » وعند افتضاح الامر رد المتحدث الرسمي باسم وزارة الدفاع « انه لا يعرف شيئا عن الموضوع » !

واذا كانت سلطات الاحتلال تعمل من وراء الستار في الضفة الغربية ، فانها تعمل في وضح النهار في مشارف رفح ، حيث وافقت الحكومة الاسرائيلية على اقامة مركز اقليمي هناك، ليقوم بتقديم الخدمات للمستوطنات اليهودية القائمة وللجيش الاسرائيلي. ومن المقرر ان تبلغ عدد العائلات في هذا المركز في عام ١٩٧٥ نحو ٣٥٠ عائلة .

ومن الجدير بالذكر هنا ان اليسار الاسرائيلي الجديد المعروف باسم « سيح » قد نشط في الآونة الاخيرة ضد الاستيطان في المناطق العربية المحتلة، حين قام نحو مئة من اعضائه من تل ابيب والقدس والكيبوتسات بمسيرة توجهت نحو قرية عقربة العربية ، احتجاجا على اقامة مستوطنة جيتيت فوق اراضيها ، بيد ان سلطات الاحتلال كانت لهم بالمرصاد وحالت دون وصولهم للقرية .

عبدالحفيظ محارب

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٧٢/١٢/١٣ ــ ١٩٧٣/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر	تاريخه
١ ــ	١٢/١٣	١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	ــ	ــ	تدمير ثلاثة مستودعات واشعال النيران فيها	ــ	ــ	ــ	وفا	١٢/١٣
٢ ــ	١٢/١٥	ــ	ايلات	اشتباك	أسلحة مختلفة	غير محدد		غير محدد	١	ــ	ــ	الى الامام عدد٣٨٨ ص٦	١٢/٢٢
٣ ــ	١٢/٢١	٢٣٠٠	تل موسى/الجولان	اشتباك	قذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غير محدد		غير محدد	ــ	ــ	ــ	وفا	١٢/٢٢
٤ ــ	١٢/٣٠	ــ	تل الصرمان	هجوم	مدفعية ثقيلة وقذائف صاروخية والرشاشات	غير محدد		تدمير مربض رشاش ٥٠٠ تدمير مستودع ذخائر واشعال النيران في مواقع العدو	ــ	ــ	ــ	الحرية عدد٦٠٣ ص١٢	١/ ٨
٥ ــ	١٢/٢٤	ــ	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد		تفجير محطة الباصات	ــ	ــ	ــ	الحرية عدد٦٠٣ ص١٢	١/ ٨
٦ ــ	١٢/٢٧	٨٣٠	منطقة داعل	قصف اسرائيلي	طائرات العدو	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	وفا	١٢/٢٧
٧ ــ	١٢/٢٨	ــ	بانكوك/تايلند	احتلال	قنابل وأسلحة رشاشة	ــ	ــ	احتلال مبنى السفارة الاسرائيلية	ــ	ــ	ــ	وفا	١٢/٢٨
٨ ــ	١٢/٣١	١٨٠٠	تل ابيب	القاء قنابل	قنابل مولوتوف	ــ	ــ	حرق عدد من المستودعات	ــ	ــ	ــ	وفا	١/ ١
٩ ــ	١٢/٣١	ــ	حيفا	تفجير	عبوات حارقة	ــ	ــ	اشعال النيران في عدد من المستودعات	ــ	ــ	ــ	الحرية عدد٦٠٣ ص١٢	١/ ٨
١٠ ــ	١/ ٥	ــ	جان/بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد		اشعال النيران في قاعة سينما	ــ	ــ	ــ	وفا	١/ ٩
١١ ــ	١/ ٨	ــ	جسر الرقاد/الجولان	هجوم	صواريخ ورشاشات ثقيلة	غير محدد		تدمير رشاش ٥٠٠	ــ	ــ	ــ	وفا	١/ ٨

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧٢/١٢/١٣ ــ ١٩٧٣/١/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١ ــ	١٢/١٣	ــ	القدس	تفجير	قنبلة مولوتوف	غير محدد		غير محدد	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١١٥ ص٧	١٢/١٥
٢ ــ	١٢/١٥	ــ	ايلات	اشتباك	أسلحة رشاشة	ــ	ــ	ــ	١	ــ	ــ	ن٠ عدد١١٦ ص٥	١٢/١٦
٣ ــ	١٢/١٥	ــ	وادي الرقاد/الجولان	قصف	قذائف هاون	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١١٦ ص٦	١٢/١٦
٤ ــ	١٢/١٥	ــ	ناحال جولان /الجولان	قصف وتفجير	قذائف والغام	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١١٦ ص٦	١٢/١٦
٥ ــ	١٢/١٥	ــ	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	انفجار داخل مكتب العمل	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١١٦ ص٦	١٢/١٦
٦ ــ	١٢/١٦	ــ	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١١٧ ص١	١٢/١٨
٧ ــ	١٢/٢٨	ــ	بانكوك/تايلند	احتلال	قنابل وأسلحة رشاشة	ــ	ــ	احتلال مبنى السفارة	ــ	ــ	ــ	ن٠ ملحق خاص	١٢/٢٨
٨ ــ	١٢/٢٩	ــ	رمات مجشيم/الجولان	تفجير	كاتيوشا	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١٢٦ ص١	١٢/٣٠
٩ ــ	١/ ٥	ــ	ناحال جولان/الجولان	تفجير	الغام	ــ	ــ	اصابة جرار زراعي	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١٣١ ص٦	١/ ٦
١٠ ــ	١/ ٧	ــ	القنيطرة/الجولان	قصف	قذائف	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد١٣٢ ص٦	١/ ٨

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرهـــا

١ ــ وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية .

٢ ــ الحرية : مجلة اسبوعية تصدر في بيروت .

٣ ــ ن٠ نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليـــات

الاضرابات في اسرائيل

كتب الصحافي الاسرائيلي شالوم روزنفلد في زاويته الساخرة « عندنا » في جريدة « معاريف » (١٢/١/٧٢) : « يقولون ان دولة افريقية اخرى ، تستعد لقطع علاقاتها باسرائيل ، الا انها تنتظر الاعلان عن ذلك ، ريثما يعيد عمـــال الطيران المدني ربـــط اسرائيل بالعالم الخارجي » .

ولقد كان في هذا القول — على ما فيه من سخرية وطرافة — تصوير للوضع في اسرائيل في مطلع الشهر الاخير من السنة الماضية ، وربط لقضيتين من القضايا الاربع الاهم ، التي شغلت في الشهر الماضي جميع الاسرائيليين ، من رسميين وشبـــه رسميين ومواطنين عاديين .

هذه القضايا الاربع ، هي : ١ — الاضرابات العمالية . ٢ — المؤتمرات الحزبية . ٣ — توزيع فائض الاصوات في الانتخابات البرلمانية العامة . ٤ — العلاقات الاسرائيلية الافريقية .

كانت موجة الاضرابـــات في اسرائيل في الشهـــر الماضي ، واحدة من أعتى موجات الاضراب التي شهدتها في السنوات الاخيرة ، حيث كان من بين المضربين : مستخدمو الطيران المدني ، ومستخدمو الهندسة في البريد ، وعمال الصيانة في المطارات ، ومستخدمو شعبة البحر في ميناء عسقلان ، والعمال المؤقتون في ميناء حيفا ، وموظفو ضريبة الدخل ، كما أعلن التهديد بالاضراب العديد من العمال في قطاعات العمل المختلفة الاخرى . واذا اخذنا في الاعتبار ، ان اسرائيل لا ترتبط بخطوط مواصلات برية مع أي من الدول المحيطة بها ، تبين لنا ان هذه الاضرابات — وخاصة توافقها الزمني في مطلع الشهر الماضي — قد حولت اسرائيل الى جزيرة منقطعة تقريبا عن جميع دول الارض ، وهو ما دفع غولدا مئير ، رئيسة حكومـــة العدو الى التصريح بلهجة التهديد : « ان الحكومة لا تستطيع السماح باستمرار وضع تكون فيه الدولة منقطعة عن العالم الخارجي » . (هآرتس ٣/١٢/٧٢) . وكان اضراب مستخدمي الطيران المدني ، الذي شل حركة الطيران في ومن والى اسرائيل لمدة يومين ونصف اليوم — انتهى بعد ظهر يوم ٢/١٢/٧٢ — هو اطول اضراب من نوعه ، وبلغ مجموع الرحلات التي الغيت بسببه نحو ١٤٠ رحلة ذهابا وايابا (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٤/١٢/٧٢) ، وقدر رجال الطيران الخسائر والاضرار الناجمة عـــن اضراب موظفي الطيران المدني بنحو ٤ ملايين ليرة اسرائيلية يوميا (المصدر ذاته) . وقبل الاضراب المذكور ، كان مطار اللد قد أغلق نتيجة لاضراب العمال فيه يوم ٦/٩/٧١ لمدة ثماني ساعات (من الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر حتى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل) ، « وبومها قيل ان الطيران المدني بالنسبة لاسرائيل هو بمثابة الاوكسجين الذي تنتهي الحياة بانقطاعه فورا » (هآرتس ٥/١٢/٧٢) .

ولكن عودة مستخدمي الطيران المدني الى عملهم بانتهاء اضرابهم الخاص ، لم يعد الحركة الـــى حالتها الطبيعية في مطار اللد ، حيث استمر عمال الصيانة في شركة العال في اضرابهم التباطئي ، الذي كان قد بدأ في منتصف شهر تشرين الثاني الماضي واستمر لاكثر من شهر ، « وقد أدى ذلك الى عرقلات خطيرة في جدول رحلات الشركة ، والى تأخيرات في مواعيد الاقلاع ، وقدرت الخسائـــر بآلاف الليرات » (نشرة رصـــد اذاعة اسرائيل ٧/١٢/٧٢) .

وكانت حكومة اسرائيل « تنظر بقلق غير عادي للاحداث في شركة العال » كما أعلن شمعون بيرس وزير المواصلات والاتصالات ، بعد ان اجتمع مع رئيسة الحكومة وبعض الوزراء ومدير شركة العال واطلعهم على « الوضع الخطير في الشركة » (رصد اذاعة اسرائيل ١١/١٢/٧٢) ، ورغم هذا « النظر

بقلق » فقد أستمر الاضراب حتى يوم ٧٢/١٢/١٣ حين انهى بناء على اقتراح سكرتير الهستدروت بعد اعلانه « ان الهستدروت مستعدة لبحث مطالب مستخدمي الصيانة طبقا للاسس التي سيتفق عليها الاطراف » .

واذا كانت خسائر اضراب مستخدمي الطيران المدني قد قدرت بعشرة ملايين ليرة ، فان اضرابا آخر ، هو اضراب مستخدمي هندسة البريد ، قد الحق اضرارا بالمعدات بلغت — كما ذكر يتسحاق رايزلر عضو لجنة العمال ، عبر اذاعة اسرائيل يوم ٧٢/١٢/٤ — بين ١٥ — ٢٠ مليون ليرة ، « اما الوقت المطلوب لاصلاح هذه المعدات فعدة اسابيع » .

وكان اضراب عمال هندسة البريد قد استمر خمسة ايام ، وانتهى صباح ٧٢/١٢/٤ ، ثم بدأ من جديد بعد نصف ساعة فقط من استئناف العمل . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٤) . وقد سبق اعلان الاضراب الاول ، تقديم لجنة العمال يوم ٧٢/٤/١ لادارة وزارة الاتصالات قائمة من المطالب ، « حوت أكثر من خمسين مطلبا ، كان بينها : تقصير اسبوع العمل ليصبح من خمسة ايام ، تحويل فرع الهندسة الى شركة عامة للخدمات التلفونية ، الاعفاء من دفع ضريبة الراديو والتلفزيون ، اعفاء المكالمات التلفونية ، تقليل ساعات العمل بسبب السن ، تعليم ثانوي مجاني لابناء المستخدمين ، تأسيس بنك اجازات لصرف مقابل ايام المرض ، وعلاوة بدل المخاطرة في المناطق » (هآرتس ٧٢/١٢/١) .

وعندما لم تلب مطالب هؤلاء المستخدمين ، أعلنوا الاضراب الذي لم يوقفوه الا بعد اجتماعات ومفاوضات عديدة في مكاتب الهستدروت . لكن وزير المواصلات والاتصالات ، قال لمراسل الاذاعة الاسرائيلية بعد ساعات من الاتفاق على استئناف العمل « ان المستخدمين لم يحصلوا على شيء استثنائي وقد أصررنا خلال الليل ، وطلبنا ايضا من الهستدروت ، لكي لا تخلق اوهام بعد ذلك ، بأن تكون المفاوضات في نطاق الاتفاق القائم بين الحكومة والهستدروت ، وعدم تجاوز هذا الاتفاق . وكانت محاولات رمت الى عدم ذكر هذا الاتفاق ، ولكن رئيسة الحكومة وأنا أوضحنا للهستدروت باننا ملزمون بتوضيح الصورة على حقيقتها وكما هي بالفعل ، والصورة هي ان كل مفاوضات يجب أن تجري في نطاق الاتفاق الملزم بين الهستدروت والحكومة » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٤) . وفسر المستخدمون تصريح بيرس بأنه « مضاد لما تم الاتفاق عليه خلال المقابلة مع الهستدروت ، وقرروا استئناف الاضراب ردا على هذا التصريح ، واعلنوا أنهم مصممون على عدم عودتهم الى اعمالهم الى ان « يسحب الوزير الاقوال التي ادلى بها » (المصدر ذاته) .

واستمر هذا الاضراب من صباح ١٢/٤ حتى الساعة الثامنة والنصف مساء ، حيث انتهى اثر « جلسة صاخبة لسكرتيري لجان العمال في هندسة البريد استمرت حوالي ثلاث ساعات . وفي حوالي الساعة الرابعة وصل الى مبنى هندسة البريد — مكان انعقاد الجلسة — ثلاثة من مندوبي اللجنة كانوا قد عادوا من اجتماع مع سكرتير عام الهستدروت يتسحاق بن اهرون ، وقد نقلوا اقواله ، ويتضح ان السكرتير العام وعدهم بأن الاتفاق الذي وقعوه فجر اليوم ما زال قائما ، وان اي تصريح آخر لا قيمة له » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٥).

وبعد ظهر يوم ٧٢/١٢/٥ — اي بعد أقل من اربع وعشرين ساعة — على عودة مستخدمي هندسة البريد الى عملهم ثانية ، شل سبعون مستخدما في شعبة البحر ، العمل في ميناء النفط في عسقلان ، وذلك بعدم سماحهم ادخال او اخراج ناقلات النفط من الميناء ، لان مطالبهم المهنية لم تلب ، فاجتمع مجلس مصلحة الموانىء للبحث في هذا الموضوع وكذلك في الوضع الذي خلقه « نزاع العمل » الذي أعلنه عمال التشغيل في الموانىء الثلاثة (حيفا وعسقلان وايلات) ودراسة الخطوات التي يجب اتخاذها في حال اصرار عمال ميناء عسقلان على عدم العودة الى العمل (هآرتس ٧٢/١٢/٧) . ورغم ان الهستدروت بلسان سكرتيرها ، قد أعلنت معارضتها لـ « نزاع العمل » الذي أعلن في الموانىء الا انها مع هذا كانت تؤيد عمليا موقف مستخدمي التشغيل في المفاوضات لتجديد اتفاق العمل في الموانىء . وكان هؤلاء المستخدمون قد طالبوا اثناء المفاوضات التي سبقت اعلانهم « نزاع العمل » ببحث كل واحد من مطالبهم الـ ٨٦ التي كانوا قد قدموها من قبل الى مصلحة الموانىء ، وتلخصت هذه المطالب برفع الاجور عدة مئات في المئة ، فرفضت المصلحة هذه المطالب ، وعرضت في المقابل وضع حدود ونطاق شامل لرفع

الاجور ، ورفع الاجور اجماليا بنسبة ٢١ ٪ ، لكن المستخدمين رفضوا هذا الاقتراح ، ووصلت المفاوضات الى الطريق المسدود الذي لم يؤد الا الى اعلان المستخدمين عن « نزاع العمل » ، وهو الحلقة الاخيرة التي تسبق اعلان الاضراب .

وفي يوم ٧٢/١٢/١٩ اعلن ٢٥٠ عاملا مؤقتا يعملون في ميناء حيفا الاضراب ، الذي سببه « عدم الاستجابة لمطالبهم في تثبيت القدماء منهم ، وزيادة اجورهم ... لكن لم تنجم عن الاضراب — خلال يومه الاول — اية عراقيل ، لان العمل في الميناء كان متوقفا تلقائيا ، بسبب ... الامطار » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/١٩) ، وبعد يومين من استمرار هطول الامطار ، وتوقف العمل في الميناء بالنتيجة « استؤنف العمل في ذلك المرفق بثلثي طاقته فقط نظرا لاستمرار اضراب عمال المناوبة الاولى — وهم العمال الـ ٢٥٠ المضربون » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢١) .

واستمر تصاعد موجة الاضراب في اسرائيل حتى نهاية الشهر الماضي ، ومطلع السنة الجديدة ، حيث أعلن ٣٠ ألفا من المهندسين والفنيين المهرة والفنيين ، وكذلك ٢٠٠٠ من مستخدمي العقول الالكترونية اضرابا تحذيريا لمدة ٢١ ساعة (من العاشرة صباح يوم ٧٣/١/٢ حتى السابعة من صباح اليوم التالي) احدث عراقيل في تزويد الطاقة الكهربائية وسير القطارات ، والاتصالات الدولية ، وتوقف البث التلفزيوني (باستثناء برنامج اللغة العربية وبرنامج الاخبار) ، وكذلك توقف العديد من برنامج الاذاعة (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٢) .

وفي حين قدرت خسائر الاضرابات في القطاعات المختلفة بين عدة آلاف وعشرين مليون ليرة ، فان العقوبات (الاضراب التباطئي) التي فرضها ٣٢٠٠ من مستخدمي ضريبة الدخل قد نتج عنها اضرار «قدرت بخمسين مليون ليرة» ، واستمر المستخدمون في اضرابهم رافضين نداء سكرتير هستدروت موظفي الدولة ، الذي اقترح عليهم طرح مطالبهم امام لجنة مشتركة من الهستدروت والحكومة ، لكن بعد تشكيل لجنة خاصة من ممثلي الحكومة والهستدروت لدراسة « المطالب الخاصة » لمستخدمي ضريبة الدخل ، قرر المجلس القطري لهؤلاء المستخدمين (يوم ٧٢/١٢/١٣) الاستجابة لنداءي وزير المالية والهستدروت وعادوا الى العمل المنتظم .

وكان بعض رجالات الاقتصاد في الحكومة قد قالوا ان الضرر نتيجة سلسلة الاضرابات المتتالية في بعض القطاعات ، قد شمل كافة القطاع الاقتصادي بسبب: حوادث العطل التي طرأت على اجهزة التلفون ، وحوادث العطل في الاعتدة الهندسية في البريد ، وخسائر شركات الطيران والفنادق وأماكن الضيافة ، والتأخير في استيفاء ضريبة الدخل ، ولم تحدد الخسائر المادية ، حيث اكتفت المصادر المذكورة بالقول « ان الاضرار تقدر بعشرات الملايين من الليرات » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٤) .

وبشكل اجمالي فقد خسر القطاع الاقتصادي في اسرائيل ، كما أعلن ذلك يوسف الموغي وزير العمل في الكنيست (٧٢/١٢/٢٦) نحو ٢٠٠ الف يوم عمل ، اي حوالي ٢١ ألف يوم عمل اكثر من العام الذي سبقه . وقبل الموغي كان ابراهام كاتس عضو الكنيست من قبل « غاحال » قد أعلن في الكنيست يوم ٧٢/١٢/١٩ ، ان القطاع الاقتصادي في اسرائيل قد « خسر في السنوات الخمس الماضية ما يناهز مليون يوم عمل ، بسبب الاضرابات التي كان معظمها في الخدمات العامة » .

وقد ردت صحيفة « هآرتس » (٧٢/١٢/١) ارتفاع موجة الاضرابات منذ مطلع الشهر الماضي الى وجود « لغم » في اتفاق الاجور الذي وقعته الحكومة وهستدروت مستخدمي الدولة يوم ٧٢/١١/١٢ . وهذا اللغم في اعتقاد صحيفة « هآرتس » هو البند ٢٧ من ذلك الاتفاق الذي نص على « ان هستدروت مستخدمي الدولة تحفظ لنفسها حق تقديم الطلبات الاضافية المتعلقة بشروط عمل محددة ومتميزة ، فقط لاماكن عمل خاصة ، ليس لها اي اثر على أماكن العمل الاخرى في الدولة » . « وتفسير هذا البند » — تتابع الصحيفة — « انه بعد يوم ١٢/ ٧٢/١١ ، اليوم الذي وقع فيه اتفاق الاجور الذي ضم ٥٥ الف عامل في خدمة الدولة ، وضمن زيادة رواتب بلغت نحو ١٥ ٪ ، فتح الباب لمفاوضات جديدة حول زيادة الاجور في أماكن « محددة » . ويرى ، نتيجة هذا البند ، كل قطاع مستخدمين في اجهزة الدولة أن من صالحه الاعلان عن مكان ونوعية عمله بأنه « خاص ومتميز » ، ليخلص من هذا الى تقديم لوائح الطلبات مهددا سلفا بلجوئه الى الاضراب في حال رفض طلباته او تأجيل البت فيها .

أما أقدر القطاعات على فرض تميزها وخصوصية

عملها ، فهي تلك التي تشكل « مجموعات ضاغطة » ومن أبرزها ، في اعتقاد أمنون برزلاي في «هآرتس» (٧٢/١٢/١) « مستخدمو هندسة البريد ، الذين يقفون في صف واحد مع عمال الطيران وعمال الموانىء وعمال شركة الكهرباء ، حيث بمقدور هؤلاء عن طريق فرض بعض العقوبات ، شل جميع وسائل الاتصالات الداخلية والخارجية للدولة » . وكان أهرون زلتسر ، سكرتير لجنة مستخدمي هندسة البريد في تل ابيب ، (وعددهم ٥٥٠٠ مستخدم) قد أكد على هذا المعنى ، وزاد عليه — في مقابلة اذاعية (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢) — بقوله « اذا كان الامر يتطلب الخروج من هستدروت عمال الدولة، فليكن » ، وذلك لتخليص مستخدمي هندسة البريد من الالتزام بما يتفق عليه هستدروت عمال الدولة مع ممثلي الحكومة .

وحظيت هذه الموجة العارمة من الاضرابات في المرافق الحيوية ، باهتمام جميع الصحف الاسرائيلية ، التي خصتها بتعليقات وافتتاحيات معبرة عن وجهات نظرها المختلفة غالبا . فقد أعربت جريدة هتسوفيه (٧٢/١٢/٤) عن اعتقادها بأن « موجة الاضراب اصبحت مرضا، ومن المشكوك فيه ان تنتهي سلسلة الاضرابات هذه طالما ان الصراع على السلطة داخل حزب العمل لا يزال قائما » وكانت الصحيفة تشير بذلك الى الصراع بين الكتلة التي يتزعمها وزير المالية بنحاس سابير، وتلك التي يقف على رأسها يتسحاق بن اهرون سكرتير الهستدروت . اما سبب كون الوضع في اسرائيل على ما هو عليه ، فهو — في نظر جريدة عل همشمار (٧٢/١٢/٤) : « الفجوة بين الاجر وقيمته الحقيقية ، وهي تلك الفجوة التي تشكل أساسا للتوتر الاجتماعي المعبر عنه بموجة الاضرابات » .

وبعد أن استأنف عمال هندسة البريد اضرابهم ، كانت جريدة « هآرتس » (٧٢/١٢/٥) اكثر تشددا ضدهم ، ووصفت اضرابهم بأنه « اباحية » وقالت عنه « انه لا يختلف عن تصرف الخارجين عن القانون الذين يقومون بتدمير مراكز التلفون، والفرق هو ان الخارجين عن القانون يرسلون الى السجن ، في حين يقوم ممثلو المستخدمين باجراء المفاوضات » . وقد تنبأ الصحافي الاسرائيلي هـ. يوسطوس في جريدة « معاريف » (٧٢/١٢/١) بأنه « اذا استمر الوضع — اعلان الاضرابات والتهديد باعلانها — على ما هو عليه فانه قريبا لن تكون هناك ضرورة للاعلان عن اضراب ، بل سيكون من الاسهل الاعلان عمن هو ليس مضربا » .

اما يتسحاق بن أهرون ، فقد رد موجة الاضراب العنيفة — في مقابلة اجراها معه مراسل «معاريف» (٧٢/١٢/٢١) الى « فشل ريان الاقتصاد الواضح في لجم التضخم ، وهذا الفشل هو اصل كل سوء » ، واعرب بن اهرون عن خيبة أمله لان « جميع الكتل في حزبي (حزب العمل) اتفقت على مبدأ « احرس لي واحرس لك » .

وانتقدت « معاريف » في افتتاحيتها (٧٢/١٢/١٨) الجدل الدائر في اوساط المسؤولين الاسرائيليين «وبدل ان يدور الجدل حول من يرئس الحكومة بعد الانتخابات ، ومن يذهب ومن لا يأتي — فان المهمة، والتحدي الفوري ، هو معالجة الوضع الحاضر لا الوضع الذي سينجم في تشرين الثاني ٧٣ » (وهو موعد اجراء الانتخابات للكنيست) وذلك « لان الاضرابات التي تهدد اقتصاد الدولة والخدمات فيها ، تفوق بخطورتها بما لا يقاس الاضرابات التي تمت في الاشهر الاخيرة » .

ومع اعلان عمال شركة « مكوروت » للمياه التهديد بالاضراب ، « تنبأت » معاريف (٧٢/١٢/١٤) بأنه « اذا لم نفشل هذا الاضراب ، فانهم سيحرموننا غدا لا من ماء الشرب فحسب ، بل من الهواء الذي نتنفسه » .

وقد رافق هذا التوتر على صعيد «الجبهة الداخلية» في اسرائيل ، عودة من جديد الى نغمة التحدث عن الخطر الداهم من الخارج ، فوافقت جريدة « اويكلت » في افتتاحيتها (٧٢/١٢/٤) على اقوال وزير الدفاع « اننا نعيش حالة طوارىء ، ولذلك فان على الحكومة فرض النظام ومنع الاضرابات »، وتبع ذلك قول شمعون بيرس (هآرتس٧٢/١٢/١٢): « ان بتصرف الحكومة جميع الوسائل المطلوبة لوقف الاضراب في شركة العال » .

ويبدو انه ما زال بمقدور السلطات الاسرائيلية استخدام سلاحها السحري للتأثير على « الجبهة الداخلية » ، وهو سلاح « تسخين » الوضع على « جبهة الحدود » ، اذ بعد ايام من تصعيد الصدام على الجبهة السورية ، في مطلع الشهر الحالي ، امكن انهاء الاضراب التباطئي لمستخدمي

التشغيل في الموانىء .

وقد نقل ايلي مويال ، عضو المكتب التنفيذي للهستدروت ، هذه الحقيقة من « خانة الاحتمال » الى « خانة التأكيد والاعتراف » حيث قال في برنامج اذاعي (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١/١٠) بمناسبة انتهاء ذلك الاضراب : « لقد توصلنا الى اتفاق بالفعل ، وعاد الرفاق الى العمل، والاتفاقية في نفس الاطار الذي اقترحناه ، اي زيادة ٤٠٤٢٪ وبالفعل فقد استجاب المستخدمون لطلبنا نظرا للوضع القائم على الحدود الشمالية ... » .

مؤتمرات الاحزاب : الانتخابات في الافق

الاحرار المستقلون : دستور لاسرائيل

اعدادا واستعدادا للانتخابات البرلمانية المقبلة في اسرائيل ، التي يفترض ان تجري في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الحالي ، بدأت الاحزاب هناك تعقد مؤتمراتها العامة . وقد شهد الشهر الماضي مؤتمرين من هذا النوع :

- المؤتمر الحادي عشر لحركة حيروت — من ١٧ الى ٧٢/١٢/٢١ .
- المؤتمر السادس لحزب مبام — من ٢٧ الى ٧٢/١٢/٢٩ .

كذلك شهدت الساعات الاولى من اليوم الاول من الشهر الماضي ، اختتام المؤتمر التاسع لحزب « الاحرار المستقلين » ، الذي « انتخب بنحاس روزن زعيما للحزب ، وانتخب الوزير موشي كول رئيسا له — وهو منصب جديد — ، وانتخب لجنة مركزية جديدة للحزب مكونة من ٣٨١ عضوا ، وادارة من ١٠١ عضو ، واتخذ قرارا بأن تنتخب اللجنة المركزية — عندما يحين الوقت ، وبالاقتراع السري — قائمة مرشحي الحزب لعضوية الكنيست الثامنة » (هآرتس ٧٢/١٢/٣) .

على صعيد آخر ، اتخذ مؤتمر حزب الاحرار المستقلين عدة مقررات ، كان أهمها ما ورد تحت بند « حماية حريات المواطن » ، الذي جاء فيه : « ... ان الحزب يعود ويطالب بسن دستور مكتوب لاسرائيل ، يحدد حريات المواطن وواجباته، ويكون دليلا تثقيفيا جماهيريا ، يؤمن جوا من الحرية والديموقراطية الحقة ، ... وسيستمر الاحرار المستقلون في العمل لتحقيق هذه الحاجة الوطنية والاجتماعية في الكنيست الثامنة » . (المصدر ذاته) .

ومعروف ان اسرائيل ما زالت بدون دستور ، رغم عشرات الدساتير المقترحة ، التي لم يبت في أمر اي منها ، خشية انفجار صراع يتوقع ان يكون في منتهى الحدة والخطورة لدى مناقشة بند « الدين والدولة » ، وبند « حدود الدولة » وبعض القضايا الاخرى . على ان هناك في اسرائيل عددا قليلا من القوانين ، التي سميت « قوانين تأسيسية » لها اهمية الدستور ، ولا يجوز الغاؤها او تعديلها ، الا بغالبية الثلثين من أعضاء الكنيست ، ومن بين هذه « القوانين التأسيسية » ، قانون الكنيست ، وقانون العودة ، وقانون التعليم الالزامي ، وغيرها .

حركة حيروت : انفجار الصراع

اما مؤتمر حركة حيروت ، الذي افتتح في « مباني الامة » في القدس ، بحضور رئيس دولة العدو زلمان شازار ، ورئيس الكنيست ، والحاخامين الرئيسيين ، والوزراء : دايان والموغي وبارليف وبورغ وفارهافتيغ ، وكذلك اليميلخ ريملط ، رئيس حزب « الاحرار » الذي يشكل مع حركة حيروت كتلة غاحال ، وغيرهم ، فقد بدأ في ظل « وحدة داخلية » ، في حين انتهى — كما توقع له المراقبون سلفا — بانفجار الصراع الداخلي بين كتلتيه الرئيسيتين ، ثم أمكن — مع انتهاء المؤتمر — اقامة جسر فوق الهوة القائمة بينهما ، لكن ما لبث ان ظهر بأن هذه الهوة أعمق وأوسع من ان يمكن « التجسير » فوقها بسهولة ، فعاد الصراع ليكون

هو القضية الاهم ، التي تشغل بال اعضاء الحركة وقياديها ، وشريكها في غاحـال ، الذي تمنـى — مبالغة في التفاؤل — بلسان رئيسه ريملط ، في جلسة الافتتاح « ان يدعم هـذا المؤتمر توحيد غاحال ، ويعجل في تقدمنا نحو الهدف الكبير : هدف تحويل غاحال من « بديل بروغرامي » الى « بديل فعلي » ، ومن مدرسة فكرية الى قوة سياسية يمنحها الشعب ثقته ، ويوكل لها مهمة تشكيـل حكومة » . (معاريف ٧٢/١٢/١٨) .

لكن بدل ان يدعم المؤتمر توحيد شطري غاحال ، كرس وجود كتلتين داخل الحركة الواحدة ، اعلن عن وجودهما رسميا — وبعد طول انكار — زعيم حيروت مناحيم بيغن يوم ٧٢/١٢/٢٠ بقوله : « انني اقف على رأس كتلة داخل الحركة » وهي كتلة الزعامة التقليدية التاريخية للحركة ، في حين يقف عيزر وايزمان — رئيس ادارة الحركة الى حين استقالته مع انتهاء المؤتمر — على رأس الكتلة الثانية . (معاريف ٧٢/١٢/٢١) .

وقد تبين من خلال المناقشات التي دارت في المؤتمر، عدم وجود خلافات فكرية بين كتلتي هذه الحركة اليمينية المتطرفة ، وان الخلاف محصور في نقاط شخصية ، اهمها تركيب اللجنة المركزية ، واختيار أعضائها من بين أنصار وموالي زعيمي كل مـن الكتلتين ، وكانت هذه اللجنة هي شغل اعضاء المؤتمر الشاغل الى درجـة ان حاييم بلاتنير ، مراسل اذاعة العدو (رصد اذاعة اسرائيل ٢٣/ ٧٢/١٢) قـال انه « سـيطلق في المستقبل على المؤتمر الحادي عشر لحركة حيروت اسم « مؤتمر اللجنة المركزية » لانها كانت نقطة الخلاف الرئيسية في المؤتمر ، وقد رأى اتبـاع وايزمان في هـذه المؤسسة أداة اساسية لزيـادة نفوذهم داخـل الحركة ، حيث ان تلك اللجنـة هي التي تقوم بانتخاب « الادارة » (وهو جهاز مواز للمكتب السياسي) ، والاهم من هذا هو انتخابها ايضا للجنة التي تقوم بتعيين المرشحين (مـن قبـل الحركة) لانتخابات الكنيست » .

في جلسة افتتاح المؤتمر ، كان خطاب زعيم الحركة مناحيم بيغن هو الخطاب الاساسي ، عاد فيه على مبادىء واهداف ومطالب حركة حيروت ، وهي تلك التي لا يختلف اعضاء الحركة حولها . ومن بين أهم ما قاله بيغن (معاريف ٧٢/١٢/١٨) : ● عن التسوية السياسية: « ان فلسفة اصحاب مبادرات التقسيم (ويقصد بذلك عودة جيش الاحتلال من الخطوط التي يقف عندها حاليا) هي : لانه ليس لدينا ما كان لدينا ، يجب ان لا يكون لدينا ما هو لدينا . وان أعضاء غاحال (وليس حيروت فقط) يريدون ان لا يعاد الى تقسيم ارض اسرائيل الى الابد ، ... ان العلاقة بين ما يدعى تسـوية اقليمية وبين اتفاقية سـلام هي من بنات الخيال ، ولا أساس لها في الواقع اطلاقا ، وفي المقابل فان تقسيم أرض اسرائيل يفرض علينا مخاطر امنية من النوع الاخطر ... واننا ندعو اعضاء « حزب العمل » (وهو الحزب الحاكم الذي ترئسه غولدا مئير) المؤيدين لمبدأ تكامل البلاد الى الوقوف معنا في المعركة التاريخية من أجل عدم تقسيـم ارض اسرائيل » .

● وعن اعادة فتح قناة السويس : « اننا نطالب الوزراء ان لا يضغطوا على حكومة الولايات المتحدة مستهدفين ان تضغط هـذه عليهـم لفتح قنـاة السويس ، ... لان قناة السـويس في وضعهـا الحالي، تشكل مفتاحا لاخذ المساعدات من الولايات المتحدة ، وذلك لان استمرار اغلاق القناة يعيق امكانية تقديم الاتحاد السوفياتي لمساعدات عاجلة لفيتنام الشمالية ، الامر الذي ينقذ حيـاة آلاف الجنود الاميركيين هناك » .

● وعن القضية الديموغرافيـة ومواطنة عـرب المناطق المحتلة : « اننا نقترح ان يعطى للسكان العرب في ارض اسرائيـل الخيار فيما يتعلـق بالمواطنة . ان المواطن العربي في ارض اسرائيل الذي يطلب هوية المواطنة في الدولة تعطى له ، لكنها لا تفرض عليه . ونقترح تقديم منح لتشجيع زيادة النسل ، وللعائلات كثيرة الاولاد بحيث تقدم هذه المنح مؤسـسـة يهودية عالمية » . (وذلك لكي يمكن حصر الاستفادة من هذه المنح في الوسط اليهودي الاسرائيلي فقط دون ان يشكل الامر اثباتا لعنصرية السلطة الاسرائيلية) .

● عن الاستيطان في المناطق المحتلـة : « يجب اقامة مدن جديدة، دون رفض اقامة احياء للمواطنين اليهود في كل المدن القديمة في ارض اسرائيل : في نابلس والخليل وبيت لحم واريحا وغيرها » .

● عن العمل الفدائي : يجب اقامة وحدة خاصة في اطار شبكة الامن الرسمية ، تكون فيها خيرة عقول وخيرة قوى منظمات العمل السري والمخابرات سابقا ، (وهي التي تطور بعضها ليشكل فيما

بعد حركة حيروت) ، وبهذه الطريقة توضع نهاية للارهاب الدموي العربي » .

● عن يهود الاتحاد السوفياتي : « يجب القيام بمفاوضات — بمساعدة الدول التي تمثل اسرائيل في الاتحاد السوفياتي ، والاتحاد السوفياتي في اسرائيل — للوصول الى اتفاق تفريق بين الدولتين : على ان يكون في هذا الاتفاق « فصل » نهائي بين الشعب الروسي والشعب اليهودي » .

● عن الفقر والضائقة الاقتصادية : « ان الفقر في اسرائيل عار . وقد انوجد هذا الفقر في ظل نظام اشتراكي تحت تصرفه مصادر اقتصادية لا تحصى . ان على الاشتراكيين واجب الدفاع عن انفسهم على هذه الخطيئة الرهيبة » .

● عن الانتخابات العامة المقبلة : « نطالب بتقديم موعد اجراء الانتخابات العامة الى الربيع المقبل (بدل الخريف) ، لان الحكومة في «حالة استقالة»، حيث ان رئيسة الحكومة ، واثنين من كبار الوزراء يرددون انهم لن يشتركوا في الحكومة المقبلة (بعد الانتخابات) ، وبقاء حالة الاستقالة هذه لمدة عشرة أشهر يشكل سببا لانحلال كل اجهزة الدولة الرسمية » .

اما عيزر وايزمان ، فقد لخص خطابه في جلسة الافتتاح بجملة واحدة : «ان في الدولة شكوكا ، تخبطات ، انعدام ثقة ، وبشكل اجمالي جوا داخليا غير متناسق ، ان مؤتمرنا ينعقد ونحن مقبلون على معركة انتخابات تمنح كل مواطن امكانية المساعدة في تغيير الامور » . (معاريف ١٨/١٢/ ٧٢) . وعشية عقد مؤتمر حيروت ، كان وايزمان قد قال في مقابلة اذاعية (رصد اذاعة اسرائيل ١٨/١٢/٧٢) : « اذا أراد المؤتمر اتخاذ قرارات صحيحة وصالحة ، فعليه تطعيم القيادات بالعنصر الشاب ، وهذا حيوي ، اما ماذا ومن وكيف ، فهذا ما سيقرره المؤتمر » وقد فسر هذا الكلام على انه اثارة من جديد لقضية الخلاف الرئيسية بين كتلة وايزمان وكتلة بيغن من « التاريخيين » الذين يعني — في نظرهم — ادخال العنصر الشاب الى قيادة الحركة زحزحة لهم عن مواقعهم في لجان الحركة وصفوفها القيادية .

لكن الصراع الاول في المؤتمر بدأ في اللحظات الاولى للجلسة الثانية — بعد جلسة الافتتاح — في مبنى « قلعة زئيف جابوتنسكي » في تل ابيب ، ودار حول طلب انصار القيادة التقليدية (جماعة بيغن) ضم عشرات من الاعضاء الجدد الى عضوية المؤتمر ، لكن « التجديديين » (جماعة عيزر وايزمان) تمكنوا — عبر الاقتراع في المؤتمر — من فرض ضم ١٣ عضوا جديدا فقط من هؤلاء . « ومنذ تلك اللحظة انتقلت ساحة الصراع الى الدور العلوي — الدور ١٤ — من مبنى « قلعة زئيف » ، الذي جرت فيه على مدى ٣٦ ساعة محاولات فاشلة لتشكيل « لجنة دائمة » مكونة من ٦٥ عضوا ، وكانت هذه « حرب استنزاف » بين الفريقين الذين أبدوا اهتماما خاصا لحقيقة كون مهمة اللجنة الدائمة تشكيل قائمة اللجنة المركزية الجديدة التي تزكي في النهاية قائمة المرشحين للكنيست » . (معاريف ٢٢/١٢/٧٢) .

وتتابع الجريدة : « وعندما توصل الطرفان الى تشكيل متفق عليه (وتبين فيما بعد انه كان فيه لانصار وايزمان غالبية مطلقة) تفجر الصراع حول انتخاب رئيس للجنة ، اصرت القيادة التاريخية على انتخاب المحامي ايسر لوبوتسكي الذي كان في حينه رئيسا للمحكمة الحركية التي ابعدت اعضاء « المركز الحر » عن حيروت ، واصر انصار وايزمان على انتخاب بتاحيا شمير رئيس قسم التنظيم في الحركة .

« وعندما اتضح ان هناك غالبية واضحة لانتخاب شمير ، برز الصراع واصبح مكشوفا ، ولم يعد بالامكان الوقوف في وجهه ، وأوضح مناحيم بيغن للجنة انه يقف وراء ترشيح لوبوتسكي ، وهدد باستخلاص نتائج شخصية اذا أقسر أمر آخر ، وأفاد هذا التهديد كما أفاد في الماضي ، وامتنعت اللجنة عن انتخاب رئيس دائم لها واكتفت بانتخاب رئيس مؤقت هو بتاحيا شمير .

«وازدادت حدة المواجهة عندما بدأت اللجنة الدائمة بتشكيل اللجنة المركزية ... وتوبلت الغالبية في اللجنة (وهم أنصار وايزمان) بمعارضة شديدة من قبل انصار القيادة التاريخية ... فاستدعى مناحيم بيغن على عجل وأدار على مدى اربع ساعات متواصلة نقاشا حادا مع اعضاء اللجنة الدائمة ، وأكد في هذه المناسبة انه لن يوافق على ان تقدم للمؤتمر قائمتان، واضاف انه سيستمر على رأس حركة حيروت شريطة ان تقدم الى المؤتمر قائمة مرشحين — لعضوية اللجنة المركزية — واحدة ووحيدة ... ثم اعلن انه يقف على رأس كتلة في

الحركة . وعدد اعضاء كتلته : اعضاء الكنيست : استر رزيئيل نأور ، حاييم لنداو وبن تسيون كيشت ، وكذلك السيد ايتان لفني ، وعندما قاطعه بعض اعضاء اللجنة الدائمة بالقول : « ان كل الحركة تقف وراءك وتريدك زعيما لها » اجاب بيغن : « اذا كنتم تناصروني صوتوا الى جانب القائمة التي سأقف على رأسها ، ولن اكون في اية قائمة اخرى » . (معاريف ٢١ و٧٢/١٢/٢٢) . وشكل موقف بيغن هذا سابقة ، حيث انه بعد « نجاح اتباع وايزمان ، في الحصول على اغلبية في اللجنة الدائمة التي من ضمن مهامها تأليف قائمة اللجنة المركزية ، كان يبدو ان انتصارهم قد تحقق . لكنهم لم يأخذوا في الحسبان أمرا واحدا ، هو التدخل الشخصي لرئيس الحركة عضو الكنيست مناحيم بيغن الذي اعتاد بشكل عام ان يترفع عن النزاعات الداخلية في الحزب . هذه المرة غير بيغن عادته ، وأعلن أمام أعضاء اللجنة الدائمة انه ازاء الوضع الذي استجد فانه ينوي الوقوف على رأس كتلة ، وخوض منافسة على منصب رئيس اللجنة المركزية ، الامر الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ حركة حيروت » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٢) .

... وانتصر بيغن .

ثم انتقل الى مقر اجتماعات المؤتمر العام ، وألقى خطابا دراميا ، ذكر فيه بتاريخ الحركة ونضالها حتى قبل ان تصبح حركة ، وحصد موجات من التصفيق — وهو فن يتقنه بيغن جيدا — وهاجم فيه وايزمان بسخرية لاذعة وخاصة اقتراح وايزمان تشكيل فاحال « لحكومة ظل » برئاسة بيغن الذي قال : انها اول مرة في حياتي يقترح علي تعييني رئيسا للحكومة ... هل تعلمون ماذا يعني هذا بالنسبة لي ؟... ومن الذي اقترح هذا التعيين — انه عيزر وايزمان ، القائد المحترم لسلاح الطيران ... » . (معاريف ٧٢/١٢/٢٢) .

وفي بداية خطابه الختامي دافع بيغن عن قرار خروج فاحال من « حكومة التكتل الوطني » (التي كانت قائمة منذ عشية حرب حزيران ١٩٦٧ حتى آب (اغسطس) ١٩٧٠) : « بعد سنتين امتنعت خلالهما عن التحدث في هذا الموضوع الذي تحدث فيه كثيرون ، انني اقول بأنه لو لم تترك فاحال الحكومة ، لما كانت حركة حيروت قائمة الان ، وربما كان الجسم سيظل قائما .. لكن روحه كانت ستكون خارجه ، وذلك لان قرار الحكومة في آب (اغسطس) ١٩٧٠ (عشية وقف حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس) كان تفسيره الالتزام بتقسيم ارض اسرائيل من جديد ، وهذا الامر يشكل الحاقا للضرر في مبدأ مقدس حملته حركة حيروت على مدى السنين » . (معاريف ٧٢/١٢/٢١) .

وانتقل بيغن بعد ذلك الى الرد على سياسة غولدا مئير واخذ مثلا على خطها السياسي قولها « انها لا تريد ٩٠٠ ألف عربي في الدولة وانها غير معنية بأن تكون في وضع تضطر فيه في صبيحة كل يوم لفحص ما اذا ولد طفل يهودي ام طفل عربي » وكانت تستحضر بذلك « قضية » احتمال تغيير الطابع السكاني « لدولة اليهود » نتيجة لتكاثر العرب الطبيعي الذي يفوق تكاثر اليهود ، وخلص بيغن من ذلك الى القول : « ... وهكذا خلق وضع اصبح يعبر فيه عن الوطنية ، بالمطالبة بالتنازل عن جزء من الوطن » . (المصدر ذاته) . واثر انتهاء بيغن من خطابه دار نقاش بينه وبين وايزمان ، اتهمه فيه انه يترأس كتلة تقف في وجه كتلة يترأسها هو (بيغن) ، لكن وايزمان نفى هذه «التهمة» ، واشار الى ان بيغن وجماعته « يعملون كل شيء حتى لا تصل فاحال الى السلطة » . وعندما سأل بيغن وايزمان بلهجة في منتهى السخرية قائلا : « أردت التحدث الي يا « مون جنرال » ؟ » اوقف وايزمان النقاش ، واتخذ قراره الدرامي وهو قرار الاستقالة من منصبه كرئيس لادارة حركة حيروت ، وذكر في خطاب الاستقالة « انني مصاب بخيبة امل كبيرة من أمور كثيرة حدثت هنا ... وقد تعلمت درسا جديا للغاية في اساليب الديموقراطية ... تعلمت دروسا عديدة » . (معاريف ٧٢/١٢/٢٢) .

وفي مجال استخلاص النتائج من مؤتمر حيروت ، ومقارنة الخلافات داخل الحركة مع الخلافات داخل حزب العمل ، كتب المعلق الاسرائيلي شموئيل شنيتسار في معاريف (٧٢/١٢/٢٢) :

« اذا كانت هناك اسباب ايديولوجية وراء الخلاف الذي نشب في حركة حيروت ، فان هذه الاسباب لا يمكن ان ترى بالعين المجردة ، حتى وبعدسة مكبرة لا يمكن ملاحظة اي فرق بين مبدأ مناحيم بيغن ووجهات نظر عيزر وايزمان . انهم يتبنأون بالفعل بأسلوب مختلف يظهر الاختلاف الكبير في خلفيتهما

وشخصيتهما ، لكن من الصعب العثور على تناقض في فحوى كلامهما » .

« وليس هنا » يتابع شنيتسار « شيء يمكن مقارنته باختلاف الاراء العميق القائم في داخل حزب العمل ، سواء في مسألة حدود الدولة او في صورتها الاجتماعية . هناك (في حزب العمل) الاختلاف مبدأي ، ولا يحاول الحزب ان يخفي حقيقة انه اطار واسع مفتوح لوجهات النظر المختلفة ، وهناك ، بالطبع ، الى جانب اختلاف وجهات النظر احتكاكات شخصية . ويبدو كذلك احيانا ان الاساس الشخصي يغطي على الخصام المبدأي ، ومع ذلك يظل واضحا للجميع ان الاشخاص المتصارعين على السلطة يمثلون اساليب مختلفة ، رغبات مختلفة ، اساليب فهم مختلفة للصهيونية وللاشتراكية » .

« ليس الامر كذلك في حيروت . ان الصراع الذي شهدته هذا الاسبوع كان له طابع شخصي واضح. لم يكن هناك خلاف على الحدود ، او خلاف على العلاقات مع العرب او نقاش على السياسة الاقتصادية ، ولم يقدم احد افكارا جديدة . لقد كان هنا ، بوضوح ، صراع على الزعامة ، على المراكز الرئيسية ، على الكراسي » .

وتابع شموئيل شنيتسار : « لم تكن لحركة حيروت ساعة أبرك من تلك التي انضم عيزر وايزمان خلالها اليها . لم يكن رجل مبادىء كبيرا — لكن لم يكن ينقص حيروت رجال مبادىء . لم يكن سياسيا لامعا — لكن لم يكن نقص لديها بالسياسيين ، لقد كان تيار هواء عليل في غرفة ظلت مغلقة اكثر مما يجب ... واحتلن نشيطو الحركة القدماء أمس بانتصارهم ، وقرروا مصيرهم . اغلقت الشبابيك من جديد . واوقف تيار الهواء النقي ، واوضحت الحركة ملك من هي تكون ، ... ورفعت على كل فتحاتها يافطة جديدة : « لا دخول للغرباء » . وانتهى شنيتسار من ذلك الى القول : « انتصر مناحيم بيغن . ستظل حركته مرصوصة وموالية... وصغيرة ، لا يحتلها احد من الداخل ولا تحتل هي احدا في الخارج ، ويكون الجميع فيها موالين للقيادة التقليدية ... فهي تحكم الى الابد ، والى الابد لا تصل الى السلطة » .

وكتب شالوم روزنفلد ساخرا في معاريف (٧٢/١٢/٢٢) : « ليس صحيحا ان نظام الحكم الحالي ما زال قائما كل هذه السنين العديدة لانه ليس له بديل... انه قائم لانه ليس هناك بديل للمعارضة». وقالت جريدة « يديعوت احرونوت » (٧٢/١٢/٢١): « ان بيغن زعيم « كريزماتي » مثله مثل جابوتنسكي وكندي . ومع ان « الكريزما » قوة لها جاذبيتها ، الا ان ضعفها يكمن في امكانية الغائها حرية التفكير ... » .

وغداة انتهاء المؤتمر (٧٢/١٢/٢٢) كان مؤتمر حيروت واستقالة عيزر وايزمان من رئاسة ادارة الحركة (مع احتفاظه بعضوية الحركة وعضوية لجنتها المركزية) ، هي الموضوع الرئيسي الذي تناولته افتتاحيات الصحف الاسرائيلية (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٢) :

« قالت هآرتس ان استقالة السيد وايزمان كانت عملا متسرعا ومؤسفا لكل من يفضل خروج حيروت من معبد المذهبية الجامدة ... وان هذا الحزب يشبه الكنيسة من عدة نواح . فهو مجموعة من المؤمنين يشكل الارتباط بزعيمها بالنسبة لها احد مبادىء عقيدتها » .

لكن الصحف الاسرائيلية ذات الانتماءات الحزبية ، كانت اكثر تهليلا وتشفيا بحركة حيروت : قالت « دافار » (شبه الرسمية والناطقة بلسان « الهستدروت » التي يسيطر عليها حزب العمل الحاكم) : « ان طابع الخلاف في حيروت هو شخصي ، وان النزاعات في المؤتمر كانت حول مراكز القوى وليس حول الامور العقائدية ، ومن هنا ، فان حيروت حزب مفكك ، وجزء من تكتل (غاحال) مزعزع ، وطرح كتلة غاحال كبديل سياسي امر بمثل من الناحية السياسية ، لكنه بالنسبة للديموقراطية الاسرائيلية أمر مهم جدا ». والى عكس هذا الاستنتاج (وهو قريب من استنتاج شنيتسار في « معاريف ») وصلت جريدة « عمل همشمار » (الناطقة بلسان حزب مبام الذي يشكل مع حزب العمل ما هو معروف باسم « التجمع العمالي ») ، وقالت : « ان النزاع في حيروت يعكس أزمة عقائدية ، ... وان حركة حيروت تتجاهل الواقع السياسي ولذلك وصلت الى طريق مسدود » .

اما جريدة « هاتسوفيه » (الناطقة بلسان الحزب الوطني المتدين) ، فقد عبرت عن عدم استغرابها للشرخ الذي حدث في حيروت ، واطلقت على بيغن اسم « قائد العائلة المحاربة » ، وقالت انه لا يستطيع احد في معيته ان يعبر عن رأي مخالف

لارائه ، و... « ان الامـــر الواضح هو ان الشخصيات ذات المكانة لا تستطيع الاندماج في قيادة حيروت ، لان زعيم الحزب لا يتقبل آراء من يعارضونه ، وان حركته تعاني من جمود عقائدي ». ... ثم أمكن قبل نهاية الشهر الماضي التوصل الى تسوية للازمة داخل حيروت « وقد احتل عضـــو الكنيست بيغن بموجبها منصب رئيس حركة حيروت ومنصب رئيس الادارة . واتفق ان يعمل عيـــزر وايزمان في منصب رئيس هيئة الانتخابات لحركة حيروت » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٨). لكن الصراع ما لبث ان عاد الى الظهور من جديد بعد اقل من اسبوعين على التوصل الى التسوية حيث رفض وايزمان ان يكون عضوا فـــي ادارة الحركة التي يترأسها بيغن ، وقال وايزمان انه « يؤيد التبديلات (في تشكيل ادارة جديدة للحركة) وان اسلوب بيغن يوصل الى الجمود » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٠) ، وردت الادارة الجديدة لحركة حيروت ببيان ذكر انه « ... وبناء على هذا الاتفاق كان ينبغي على السيد وايزمان ان يكون عضوا في الادارة . ولذلك فان السيد وايزمان هو الذي يخالف الاتفاقية... وان وايزمان يحاول بخطوته الاخـــيرة ان يفرض علـــى رئيس الادارة السيد بيغن تعيين اشخاص لم ينتخبهـــم الرئيس ، وطرد آخرين تم تعيينهم فـــي الادارة الجديدة ... علما بأن تركيب الادارة الذي اقترحه السيد بيغن يطابق تماما التركيب الشخصي والعددي للادارة السابقة التي كان يترأسها عيزر وايزمان » (المصدر ذاته) ، وواضح ان مطلب وايزمـــان الاساسي ، وهو احداث تغيير في اشخاص اعضاء ادارة المؤتمر وغيرها من اللجان ، لم يتحقق ، بل واعيد الاشخاص ذاتهم مع تقديم بيغن لهذا على انه « محاولة ارضاء لوايزمان » .

يبقى ان اطرف ما شهده مؤتمر حركة حيروت ، ونقلته اذاعة العدو من وقائعه ، خطاب « عضو » درزي في مؤتمر حركة حيروت العنصرية ، هو حاتم حلبي ، وقال فيه : « لم اتوقع مطلقا ان اسمع ان بعض اليهود ، بعد تحرير الوطن (!!) يفكرون، ويقومون برسم الخرائط لاعادة بعض المناطق ... ولمن نعيدها ؟ (!!) .. هذا ما لا اعرفه (تصفيق غير حاد) » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٠).

حزب مبام : خطوات الى الوراء

مؤتمر « حزب العمال الموحد — مبام » قوبل بفتور بالغ من قبل جميع صحف اسرائيل، حتى ان صحيفة الحزب اليومية « عل همشمار » لم تتحدث عنه الا في افتتاحية واحدة فقط عشيـــة انعقاده ، يوم ٧٢/١٢/٢٧ ، قالت فيها « ان المبادىء الاساسية، ورســـالة الحزب لم تتغـــير منذ البدايـــة ... » وباستثناء افتتاحية جريدة « تريبونا » في اليـــوم ذاته ، لم يحظ المؤتمر بأية افتتاحية في صحف اسرائيل .

ويبدو ان ابتعاد هذا الحزب — حتى في مجرد القول — عن مبادئه وبساريته — التي كان مشكوكا فيها من البدء ، والتي لم يبق من آثارها غير « الاخلاص » في انشاد نشيد « الانترنسيونال — الاممية » — بعد نشيد اسرائيل الوطني « هتكفا — الامل » — قد بدأ يدفع في اتجاه انهاء الحزب تماما مع اضمحلال مبرر وجوده ، ومع تلاشيه وذوبانه شبه النهائي في حزب العمل الحاكم الذي يشكل معه « المعراخ — التجمع العمالي » .

وفي مؤتمره الاخير ، تقدم حزب مبام خطوات عديدة في هذا الاتجاه ، يمكن اجمالها — واجمال وقائع المؤتمر بالنتيجة — على النحو التالي :

● دعا زعيم مبام مئير يعري — في خطاب افتتاح المؤتمر — الى استئناف مشاركة المبام في«المعراخ»، ودعت رئيسة الحكومة غولدا مئير التي حيت المؤتمر الى المحافظة على سلامة المعراخ « والوصول في نهاية المطاف الى اتحاد كامل » (رصد اذاعـــة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٨) ، (والاتحاد الكامل يعني ذوبان مبام في حزب « العمل » الذي تشكل من الاحزاب : مباي واحدوت هعفودا ورافي) .

● في مقابلة اذاعية بمناسبة عقد المؤتمر ، سئل عضو الكنيست يعقوب حزان — الرجل الثاني في مبام — : هل يحتمل قيام كتلة يسارية يقف في مركزها حزب مبام ، وتنضم اليه قوى مثل « ماكي » (الحزب الشيوعي الاسرائيلي — جماعة ميكونس) وهعولام هزي ؟ .

اجاب حزان : كلا ، بأي حال من الاحوال. اولا — نحن بعيدون جدا الواحد عن الاخر . ثانيا — هؤلاء « الشركاء » صغار جدا ، وعديمو القيمة من ناحية وزنهم السياسي بحيث ان اقامة كتلة كهذه ، ما كانت لتبدل اي شيء في الخريطة السياســـية في اسرائيل . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٨) .

● فاز مؤتمر المبام بأغلبية ٥٦٦ ضد ٢٥٩ صوتا

الاستمرار في « المعراخ » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٢٩) ، اي ان نسبة المعارضين كانت ٣١،٤ ٪ وكان نسبة هؤلاء في المؤتمر السابق أكثر من الثلث ، وتحدث سكرتير الهستدروت يتسحاق بن أهرون امام اعضاء المؤتمر ، وقال — قبل الاقتراع — انه اذا انفصل حزب مبام عن « المعراخ » فانه سيواصل الانقسام والتفكك . (المصدر ذاته) .

● قرر مؤتمر مبام ان وضع قطاع غزة السياسي ، يجب ان يحدد مع مرور الوقت ، مع الاخذ في الحسبان : شؤون الدفاع الاسرائيلية ، ورغبات السكان ، والاحتياجات اللازمة لحل مشكلة اللاجئين ، وقد اتخذ هذا القرار بأغلبية ٣٠٤ ضد ٢٦٦ صوتا (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٣٠) .

● قرر المؤتمر ، بأغلبية كبيرة انه ينبغي ان تدخل مشارف رفح في نطاق دولة اسرائيل ، وطالب مؤتمر مبام كذلك باقامة مستوطنات امنية في مشارف رفح ... دون المس بحقوق البدو (!) . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٢) .

● وقال وزير الصحة فكتور شمطوف (وهو من زعماء حزب مبام) في مقابلة اذاعية تعليقا على قرارات المؤتمر : « ان المسافة بيننا وبين حزب الاغلبية في المعراخ ، حزب العمل ، هي مسافة ناشئة عن تحفظنا على الاعتراف الشفهي الوارد في برنامج المعراخ في الكنيست . وان ما تم اقراره حاليا بالنسبة لقضايا الامن والسلام في مؤتمر مبام ، يقرب مبام من المعراخ ولا يبعده عنه ، ولا تنس اننا بالنسبة لقطاع غزة ، قررنا انه ينبغي عدم اعادته الى مصر ، ولم نقرر انه لا يجوز ضمه الى اسرائيل ، وما قررناه هو ان هذا الامر بقي مفتوحا للمفاوضات » . (المصدر ذاته) .

« التمرد البرلماني » ...

هل يتمكن « التجمع العمالي — المعراخ » الحاكم في اسرائيل بالائتلاف مع غيره من الاحزاب ، من الحكم — بعد الانتخابات البرلمانية المقبلة — بمفرده؟ وبكلمات أخرى : هل يحصل المعراخ على اغلبية مطلقة في الكنيست — برلمان اسرائيل — في الانتخابات المقبلة ؟

اذا كانت نتيجة هذه الانتخابات مطابقة تماما لنتيجة الانتخابات الاخيرة (جرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩) ، من ناحية ، واذا أقر الكنيست مشروع تعديل قانون الانتخابات الذي تقدم به بصفة شخصية ، يوم ٧٢/١٢/١٨ كل من عضوي الكنيست : ابراهام عوفر (المعراخ) ، والدكتور يوحنان بدر (غاحال — اكبر كتل المعارضة) من ناحية أخرى ، فان الجواب على السؤال المطروح سيكون ايجابيا .

لكن مشروع تعديل القانون ، والذي سيقر على ما يبدو ، قوبل من قبل ثماني كتل برلمانية صغيرة، بما سمي « تمردا برلمانيا » هو الاول من نوعه في اسرائيل ، ثم بعد فشل هذا « التمرد » في المواجهة الاولى في لجنة القانون ، الدستور والقضاء » — وهي أحدى لجان الكنيست — وفي جلسة الكنيست يوم ٧٢/١٢/١٩ ، « أكد ممثلو هذه الكتل اصرارهم على نقل صراعهم الى الشارع » (معاريف ٧٢/١٢/٢٠) .

والتعديل الاساسي المقترح على « قانون الانتخابات » هو تغيير جذري للبند المتعلق بتوزيع « فائض الاصوات »، وتفيد منه بشكل خاص الكتل البرلمانية الكبيرة ، على حساب الكتل الصغيرة ، « وتكسب كتلة المعراخ بموجبه — اذا أقر نهائيا — مقعدين او ثلاثة من مقاعدها في الكنيست، وهذا هو بالضبط ما يريده المعراخ » (معاريف ٧٢/١٢/١٩) .

قبل الاسترسال ، شيء من التوضيح :

● ان عدد أعضاء الكنيست هو ١٢٠ عضوا ، وحصل « المعراخ » بالاضافة الى « الكتل العربية » المرتبطة به ، في الانتخابات الاخيرة على نصف مقاعد الكنيست تماما ، اي على ٦٠ مقعدا .

● بموجب قانون الانتخابات المعمول به في اسرائيل — والذي قدم المشروع لتعديله — توزع مقاعد البرلمان على قوائم المرشحين حيث ينجح من كل قائمة ، عدد من الاعضاء يساوي نتيجة تقسيم عدد الاصوات الصالحة التي تحصل عليها القائمة ، على « سعر » العضو ، الذي يساوي نتيجة تقسيم مجموع الاصوات الصالحة على ١٢٠ (العشر بن تسمى « مجلس النواب » تل ابيب :

١٩٧١ ، ص ٣٧) . اي انه لو كان — فرضا — عدد اعضاء البرلمان هو ١٢ عضوا ، ومجموع الاصوات الصالحة هو ٩٦ ، فان « سعر » العضو يساوي ٨ اصوات ، ولو حصلت قائمة ما على ٤٣ صوتا ، فمعنى ذلك انها توصل الى البرلمان خمسة اعضاء ويتبقى لديها ٣ اصوات هي « فائض الاصوات » .

« وقد ثبت مع الوقت ان مجموع مقاعد الكنيست التي توزع على القوائم بموجب الاسلوب القائم هو ١١٤ مقعدا ، وتوزع المقاعد الستة الاخرى على القوائم بموجب حجم « فائض الاصوات » الذي يبقى لهذه القائمة او تلك (أي ان « سعر » الاعضاء الستة الآخرين يكون اقل من « السعر » الاساسي) وثبت مع الوقت — ايضا — ان الكتل البرلمانية الصغيرة هي المستفيدة اكثر من هذا الاسلوب » (معاريف ٧٢/١٢/١٩) .

« وجاءت الان كتلتا المعراخ وغاحال واقترحتا تغيير هذا الاسلوب ، بحيث لا توزع المقاعد على القوائم التي يتبقى لديها فائض أصوات أكثر من غيرها ؛ بل توزع بموجب سلم متوسط عدد الاصوات الذي « تدفعه » كل قائمة « ثمنا » للمقاعد التي تحرزها ... وهكذا فان « فائض المقاعد » يتوزع بشكل أساسي بين الكتل الاكبر (الكتلة هي مجموع الاعضاء الناجحين من القائمة) ، وهو بالضبط النتيجة التي يحاول المعراخ وغاحال الوصول اليها » (المصدر ذاته) .

● يقضي القانون الاسرائيلي ان يقدم كل « مشروع قانون » الى لجنة « القانون ، الدستور والقضاء » وتقرر هذه رده الى صاحبه أو تقديمه الى الكنيست ، وهناك يعرض على الاعضاء للتصويت عليه ثلاث مرات بعد ثلاث « قراءات » ، ثم ينشر في الجريدة الرسمية ويصبح قانونا معمولا به . (آشر بن تسيدون : « مجلس النواب ») . وقد قدم مشروع تعديل قانون الانتخابات المذكور الى « لجنة القانون » فأقرته هذه بـ ١١ صوتا ضد ٤ أصوات ، وأحيل هذا المشروع الى الكنيست للقراءات المختلفة اعدادا لاقراره نهائيا . (المصدر ذاته) .

● يقضي « قانون الكنيست » بأنه عند تقديم اي مشروع للاقتراع ، يحق للعضو ان يقترع مع أو ضد المشروع ، ولا يحق له الكلام في الجلسة الا اذا امتنع عن التصويت وقدم « تحفظا » .

وقد تجمعت هذه الحقائق معا ، في الشهر الماضي أمام أعين الكتل الصغيرة الثمانية التي عارضت المشروع (وهي « اغودات يسرائيل » و« بوعالي اغودات يسرائيل » — وهما حزبان متدينان — و« الاحرار المستقلون » — المنشقون من حزب « الاحرار » احتجاجا على تشكيله « كتلة غاحال » مع حيروت — و« القائمة الرسمية » و« راكاح » — القائمة الشيوعية الجديدة — و« المركز الحر » — المنشقون من حيروت — و« هعولام هزي » ، و« ماكي » — الحزب الشيوعي الاسرائيلي — وكذلك شالوم كوهين) ، ونتج عن هذا ، « التمرد البرلماني » الاول في اسرائيل ، الذي تمثل بتقديم تحفظات كثيرة جدا ومن قبل جميع الكتل المعارضة للمشروع ، « وقدم عضو الكنيست مناحيم باروش من اغودات يسرائيل ٢٥ تحفظا » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٣) .

لكن جهود الكتل الصغيرة — التي سماها عضو الكنيست شوستك من المركز الحر ، « القوائم النامية » — لم تؤد الى أية نتيجة ايجابية ، وأنهت الكنيست « القراءة الاولى » لمشروع القانون في « جلسة ماراتونية » استمرت ١٣ ساعة وانتهت في الساعة الخامسة من صباح يوم ٧٣/١/٢ . (المصدر ذاته) .

وخلال مناقشة هذا المشروع ، والمؤتمرات الصحفية التي عقدها معارضوه ، صدر عن عدد من اعضاء الكنيست تصريحات عديدة أظهرت مدى الخطورة التي ينظر بها هؤلاء الاعضاء الى تعديل قانون الانتخابات : ● مناحيم باروش : ان المعراخ يتصرف مثل « الافندي » الذي أصبح غنيا ويريد ان يسرق مال الفقراء القليل . ● اليعيزر شوستك : ان الاسلوب الجديد سيؤدي الى سرقة المعراخ ٤٠ ألف صوت تقريبا من الكتل الصغيرة . ● أوري اغنيري : لو كان لنا دستور ، لكانت المحكمة قضت برفض هذا التعديل اوتوماتيكيا ، ... ولذلك فانه ينتشر بين صفوف الشباب شعور بعدم وجود اي احتمال لاحلال تغيير في الدولة بالطرق البرلمانية والديموقراطية ، و« ان اللبيب من الاشارة يفهم ». ● مناحيم باروش : « بهذا الاسلوب المقترح ، يحتمل جدا ان يحصل المعراخ على ٤٥ — ٤٨ ٪ من مجموع الاصوات ، ورغم ذلك يحصل على ٦١ — ٦٢ مقعدا في الكنيست » (معاريف : ١٩ ، ٧٢/١٢/٢٠) .

اسرائيل ــ افريقيا
فصل جديد من « سفر الخروج »

ارتفع عدد الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل الى خمس دول ، اذ « بعد اوغندا .. قطعت تشاد علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل » (راجع العدد ١٧ من مجلة « شؤون فلسطينية ») ، وبعد اوغندا وتشاد ، قطعت الكونغو برازافيل ــ في اليوم الاخير من السنة الماضية ــ ثم النيجر ومالي ــ في الاسبوع الاول من السنة الجديدة ــ علاقاتها مع اسرائيل، وبدأت ادعاءات العدو و« تفسيراته » حول دوافع هذه « الظاهرة الافريقية » ــ التي لم تعد « ظاهرة » ــ تتهاوى واحدا تلو الاخر .

في البدء ، اثر طرد الرئيس الاوغندي عيدي امين للاسرائيليين من بلاده ، منهيا علاقاته ــ وليس فقط « علاقاته الخاصة » ــ مع دولة العدو ، كان الاسرائيليون يعزون أنفسهم بالتركيز على ثلاث نقاط صاغوها بعبارات مختلفة، وكانت فحواها كالتالي :

- ان عيدي امين رجل « متقلب وغريب الاطوار ».
- ان قطع علاقات اوغندا مع اسرائيل ، مجرد حدث ولا يشكل بداية مرحلة جديدة في العلاقات الاسرائيلية الافريقية ، وهو بذلك لا يختلف عن قطع غينيا لعلاقاتها مع اسرائيل سنة ١٩٦٧ .
- ان موقف رئيس اوغندا من اسرائيل ليس فشلا للسياسة الاسرائيلية ، حيث ساعد على « تمرير » هذا الادعاء طرد امين للاسيويين من بلاده . وكانت غولدا مئير آخر من ردد هذه النغمة من المسؤولين الاسرائيليين ــ قبل طرد اسرائيل من تشاد ــ حيث قالت في نادي « بيت برنر » في تل ابيب « انها لا تعتبر موقف رئيس اوغندا من اسرائيل بمثابة فشل بأي شكل من الاشكال .. وان حكومة اوغندا طلبت قبل طرد الاسرائيليين ببضعة أسابيع ، ان تمنحها اسرائيل طائرات فانتوم ، ولم تستطع اسرائيل كما هو مفهوم الاستجابة الى هذا الطلب » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٠/١٣) .

وعندما قطعت تشاد علاقاتها مع اسرائيل ، بدأ الاسرائيليون يرددون ادعاءهم بأن « الرشوة » هي الدافع الاساسي وراء خطوة تشاد هذه ، حتى بعد ان صرح الرئيس التشادي فرانسوا تومبالباي «انه لا اساس من الصحة للانباء القائلة ان قطع العلاقات مع اسرائيل قد تم بسبب ضغط من جانب دولة معينة او نتيجة للرشوة » ولدعم اقواله ، قال رئيس تشاد « ان قطع العلاقات مع اسرائيل قد كبد تشاد خسائر باهظة وألحق ضررا بالمشاريع التي خطط لاقامتها في العام المقبل » ــ المحالي ــ (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٢/٧) .

مع ذلك « أضيئت أنوار الانذار الحمراء ، فوق أسماء عشر دول افريقية تقريبا » فبدأت التكوفات الاسرائيلية من حدوث انهيار في علاقاتها مع دول افريقيا تظهر للعيان ، عبر العديد من المقالات التي نشرتها صحف اسرائيل في الشهر الماضي .

وكتب دان مرغليت ، في جريدة هآرتس ٧٢/١٢/٨ مقالا بعنوان « سواد في افريقيا » قال فيه : « ان الصعوبة الاساسية هي في غرب القارة الافريقية ، وبشكل خاص فان الحساسية تظهر في الدول التي سكانها من المسلمين ورؤساؤها مسيحيون . وبعد سنتين من ظهور معمر القذافي زعيم ليبيا على المنصة السياسية ، بدأت اسرائيل تعي انها في صراع مزدوج على الجبهة الافريقية : ضد المال وضد الاسلام » . وتابع مرغليت : « في مواجهة الاسلام ، اعملت اسرائيل وسائل الشرح والتوضيح . ويمكن الافتراض ان اسرائيل تحاول ان تشرح في عدد من العواصم ضرورة الفصل بين الدين والدولة ... وتظهر قدرة القذافي ــ وبعده فيصل ــ في استغلال الاسلام لاهداف سياسية ، لدى مقارنتنا لعلاقات دول افريقية مختلفة مع اسرائيل ، حيث لا يقرر غنى الدولة في الغالب لعلاقتها مع اسرائيل بل يقرر ذلك تركيبها السكاني، والدول التي فيها مسلمون كثيرون ، هي الدول المعدة للاشكالات الدبلوماسية » . « رغم ذلك ــ تابع مرغليت ــ فان قضية المال ظلت هي السلاح الاساسي في يد حاكم ليبيا ، الذي جر ملك السعودية الان لمنافسته على كسب الافريقيين للعمل ضد اسرائيل » . وبعد شتم « رؤساء القبائل الافريقية الذين أصبحوا رؤساء دول » وكذلك « حكومات الاقزام الافريقية » انتهى مرغليت الى القول بأنه « لا بديل امام اسرائيل عن « معالجة » ليبيا ، التي هي محرك كل النشاطات المناهضة لاسرائيل » .

واذا كان الصحافيون والمعلقون الاسرائيليون قد

عبروا عن تحذيراتهم عبر مقالات وافتتاحيات في الصحف ، فان السلطة الاسرائيلية حاولت استباق الاصابة ، لمنعها ، بالعلاج الذي جاء على شكل تخفيض بنسبة كبيرة لحجم ممثلياتهـا في الـدول الافريقية . وقد قال مراسل اذاعة العدو اريه مايكل عبر احد برامج اذاعة العدو (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٣) : « ... مع هذا فيجب ان نذكر ان قرار اسرائيل بتقليص وجودها في النيجر كان من قبيل استباق الضربة على غرار المحاولة التي جرت في الكونغو برازافيل لتقليص الوجود الاسرائيلي ، وذلـك بهدف الحيلولة دون قطـع العلاقات ، تلك المحاولة التي لم تنجح ، ويبدو ان نفس الامر قد تكرر في النيجر » .

وازاء ازدياد مد هذا التيار الافريقي ، عاد معلقو اسرائيل الى وجهة النظر الاسرائيلية الاولى ، مع بعض التعديل والاضافات ، التي كشفت عن حرص الاسرائيليين علـى استبعاد اي تفسـير لهـذه « الظاهرة » تشتم منه رائحة يقظة افريقية على حقيقة هوية اسرائيل العنصرية وانكشاف حقيقـة دورها في افريقيا كما في الشرق الاوسط . وقـال البروفيسور الاسرائيلـي دان افني سيفـرت ، (المصدر السابق) : « اننا نشاهد ظاهرة قطع العلاقات بيننا وبين دول كالكونغو برازافيل وتشاد ، التي تبيع اسرائيل لانها لا تملك شيئا آخر تبيعه » . وعلى عكس رأي دان مرغليت ، يرى سيفرت انه « كلما كانت الدولة افقر ، وكلما زاد عدد سكانها المسلمين تزداد الاخطار لقطع علاقاتنا الدبلوماسية معها » . وقدم سيفرت « تفسيرا » جديدا لتدهور العلاقات الاسرائيلية الافريقية ، هو « ان افريقيا كوحدة ليست قائمة فهنالك كتل وداخل هذه الكتل توجد خلافات ، ويحتمل جدا انه ينبغي علينا التفكير اكثر بسياسة تتعامل مع افريقيا كأجزاء مختلفة ، وليس كوحدة متجانسة » .

لكن بعد أقل من اسبوع علـى اعتبار افريقيـا « أجزاء مختلفة وغير متجانسة » ، وتجاهل حتى مجرد وجود « منظمة الوحدة الافريقية » جاء قرار مالي بقطع علاقاتها مع اسرائيل ، وهو القرار الذي تضمنه بيان مالي رسمي ، واظهرت فيـه تضامنها مع الشعوب العربية ، واستنكارهـا لسياسة اسرائيل « التي ترفض في تعنت الامتثال للقرارات العديدة التي اتخذتها الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة ومجلس الامن ومنظمة الوحدة الافريقية ، والتي تطالب بالجلاء عـن الاراضي العربية المحتلة » ... وتابع بيـان حكومة مالي الذي وزع يوم ٧٣/١/٥ : « ولكي تظهر حكومة مالي استنكارها وتضامنها مع الشعوب العربية قررت قطع كل علاقاتها الدبلوماسية والقنصلية مع دولة اسرائيل ، ويراد بهذا القرار الذي يتفق مع روح ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ان يكون مرة اخرى دليلا محددا على ارتباط شعب مالي وحكومتها بكل الشعوب التـي تناضل من اجـل استرداد استقلالها وحريتها في ظل عـالم منشود يسوده السلام والعدالة بين البشر والامم » .

عماد شقور

توضيح من الدكتور محجوب عمر حول مقاله في العدد الماضي

وردتنا الرسالة التالية من الاخ محجوب عمر حول المقالة التي نشرتها له شؤون فلسطينية في العدد السابق . واننا اذ ننشر هذه الرسالة نعرب عن اعتذارنا للدكتور محجوب على التغييرات التي تمت في المقال دون علمه بسبب ضيق الوقت . ومن ناحية ثانية ، فاننا نؤكد ايماننا بأن الحديث عن فتح هو في الوقت ذاته حديث عن الثورة الفلسطينية ، وبالتالي فان استبدالنا لبعض الكلمات لم يكن يعني بالنسبة لنا الا تجسيدا لهذا الايمان .

السادة هيئة تحرير مجلة شؤون فلسطينية :

تحية الثورة . فوجئت عند مراجعتي لنص المقال المعنون « رؤيا المستقبل » المنشور في العدد (١٧) كانون ثاني يناير ١٩٧٣ ان هناك تغييرا عن الاصل الذي سلمته لكم وما زلت احتفظ بنسخة منه . وينحصر التغيير في استبدال كلمة « فتح » بكلمة الثورة في كل جملة ترد فيها او تلغيها تماما وتضيف الجملة الى ضمير موصول . والامثلة على ذلك : **ص ٦٠** ولقد اختارت « الثورة » الطريق الطويل وفي الاصل لقد اختارت « فتح » الطريق الطويل . ولم يكن اختيار «حركة الشعب طويلة الامد» وفي الاصل ولم يكن اختيار « فتح » لحرب الشعب. **ص ٦٢** واكدت ما طرحناه وفي الاصل واكدت ما طرحته فتح . **ص ٦٢** واكدت ما طرحته الثورة من ان الطريق الى الجماهير العربية وفي الاصل أكدت ما طرحته « فتح » . **ص ٦٣** اعباؤنا زادت بقدر ما أصبحت الثورة اطارا وفي الاصل بقدر ما اصبحت « فتح » . ولم ترد كلمة « فتح » الا عندما عجز راصعها عن رفعها او ربما تركها عمدا اذ وردت بين اتهامات معارضيها عام ١٩٦٥ . لقد فاجأتني هذه التغييرات وحاولت ان اجد لها تبريرا يتفق وما كنت اظنه عن امانة مجلة شؤون فلسطينية ، فلم استطع ، فالتغيير متعمد ولا يمكن ان يكون خطأ مطبعيا وهو بهذا الشكل لا يتفق وما عرف في دوائر النشر من امانة ولا مع ما تعلنه المجلة على صفحتها الاولى من ان الآراء المنشورة تعبر عن وجهة نظر كاتبها . الا ان يكون السيد « المبدل » قد فرض نفسه وصيا ومصححا حيث لا مجال لوصاية او تصحيح . وفضلا عن هذه القواعد المعروفة في التعامل بين كاتب وناشر فان التصحيح (تأديبا) خطأ فكري فاحش .

فلا شك انه مما يبعث الفخر في قلب كاتب من « فتح » ان يرى انسانا يطابق بين « فتح » وبين الثورة لدرجة يعطي لنفسه الحق في تبديل الكلمتين . ولكن الامر لا يتعلق بمشاعرنا الذاتية بقدر ما يتعلق بمسؤوليتنا الثورية . عندما نقول « فتح » فاننا نعتز بذلك لا شك وفي نفس الوقت فاننا نعلن مسؤوليتنا الكاملة عن الخطأ وعن الصواب خلال ممارساتنا ولا نلقي بهذه المسؤولية على (كيان) لا يمكن تحديده او على ثوار غيرنا في صفوف الثورة الفلسطينية .

والثورة فيما أفهم هي حركة تغيير تاريخية تتطلبها وتحتمها الضرورة التاريخية وتعبر عن نفسها بعدد من الافعال الواعية والعفوية المنظمة وغير المنظمة. « فتح » هي بلا شك اكبر الافعال في الثورة الفلسطينية واكثرها وعيا وتنظيما ولكننا لا ندعي التفرد في الطريق كما لا ندعي التنبه لكل متطلباتها. من هنا نحرص على ان نقول « فتح » حرصنا على ان يظل للثورة الفلسطينية اداة منظمة لها قدرة التغيير الارادية في مجرى الاحداث اليومية والمرحلية . وعندما تتطابق الممارسة الارادية مع الضرورة التاريخية تتطابق بلا شك التسميات . ولكننا مع استخدامنا لها نحرص في كل وقت على ان نذكر بالوجود التنظيمي المتمايز داخل الحركة اليومية والتاريخية العامة . والا فان تمييع هذا التمايز التنظيمي يؤدي حتما الى تمييع عام لكل الحركة الثورية والتي تتكرس العفوية فيها فضلا عن استحالة التقييم والحساب . ومع ان نشر رسالتي هذه لن يلحق بكل قراء العدد الماضي الا انه سيخفف قطعا من وطأة الظن بأمانة النشر في مجلتكم .

وانها لثورة حتى النصر .

محجوب عمر

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على امل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدا بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيليـة التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

غسان كنفاني

المجلّد الأول

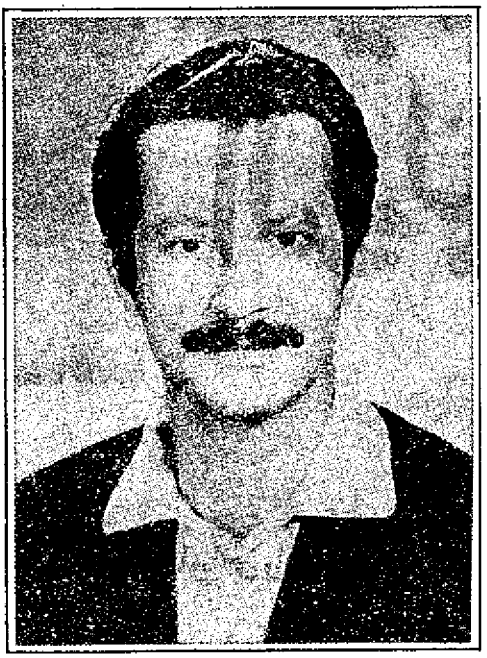

رجال في الشمس
ما تبقى لكم
عائد إلى حيفا
أمّ سعد
العاشق
الأعمى والأطرش
برقوق نيسان

الآثار الكاملة للكاتب المناضل
الشهيد تصدر في مجلّدات

المجلد الأول
يصدر قريباً

صدر المجلد السنوى السابع من

السياسة الدولية

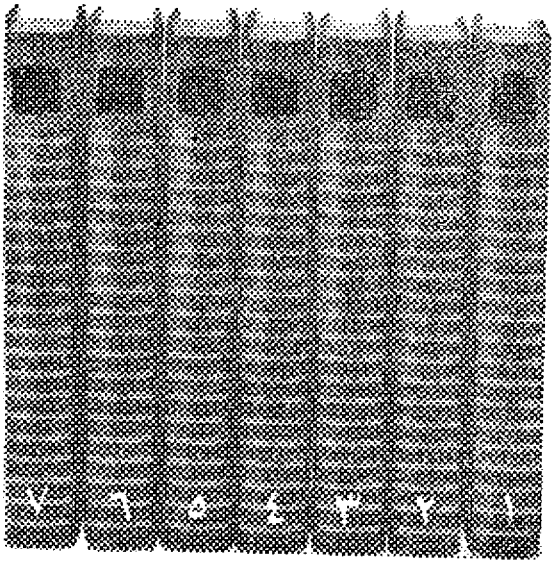

- مرجع عالمى للعاملين فى الحقل السياسى والدبلوماسى والإعلامى .
- المجلد مزود بفهرس تحليلى وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى فى الوطن العربى
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالى

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

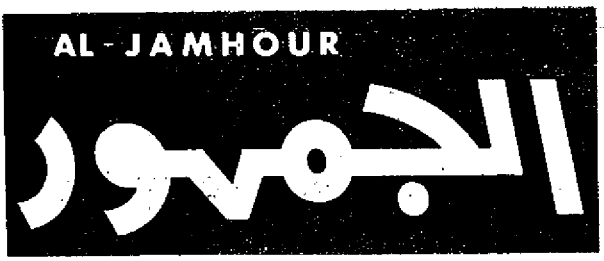

اطلالة اسبوعيـــة

علـــى

قضايـــا المقـــاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العـــالم وشعوبه

معالجـــة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صبـــاح كل يوم اربعـــاء

تطـــل

الجمهـــور

على قرائهـــا الموزعين

فـــي

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية

مع كل عدد من « شؤون فلسطينية » رقم ١٩

هـــدية

فهـارس

شؤون فلسطينية

السنتان الاوليان

١/٣/١٩٧١ - ١/٣/١٩٧٣

(الاعداد الثمانية عشر الاولى)

تسهيلا للقراء في ايجاد مادتهم المطلوبة من أعداد « شؤون فلسطينية » الثمانية عشر الاولى ، أعدت المجلة فهرسا مفصلا في خمسة أقسـام : (١) الكتّاب (٢) المواضيع (٣) المراجعات (٤) المؤتمرات (٥) الشهريات.